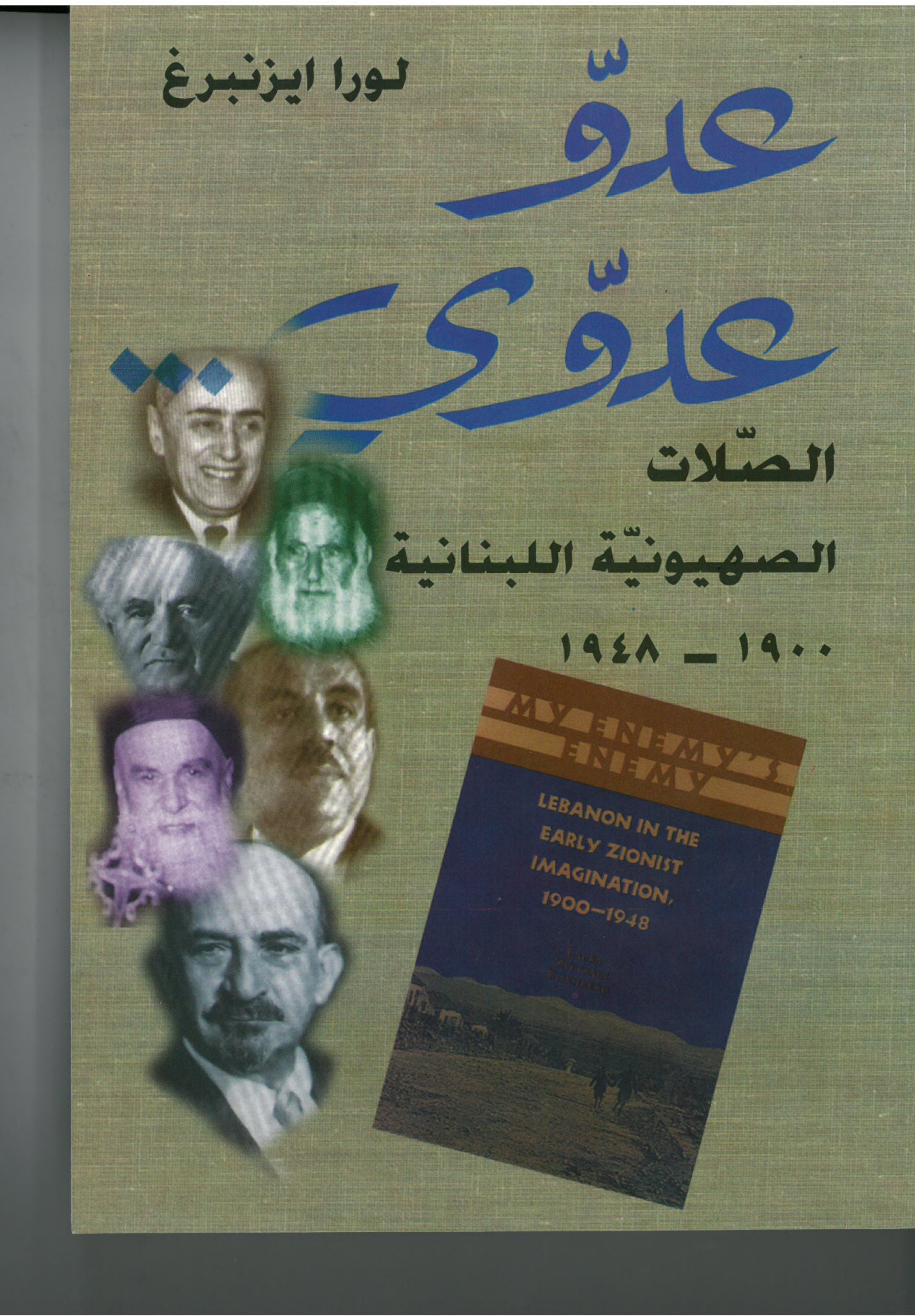


لورا ايزنبرغ
عدوّ
عدوّي
الصّلات
الصهيونيّة اللبنانية
١٩٠٠ ـ ١٩٤٨
MY ENEMY'S ENEMY
LEBANON IN THE EARLY ZIONIST IMAGINATION, 1900–1948

عدو عدوي

الصّلات الصهيونية اللبنانية

لورا زيترين ايزنبرغ

عدوّ عدوّي
الصّلات الصهيونية اللبنانية
١٩٠٠ ـ ١٩٤٨

ترجمة: رضى سلمان



شركة المطبوعات للتوزيع والنشر
شارع جان دارك ـ بناية الوهاد
ص. ب ٨٣٧٥ ـ بيروت ـ لبنان
برقياً: انكلسامس
تلفون٢ / ٣٥٠٧٢١
تلفون + فاكس: ٦٠٢٠٢٩ - ٣٥٣٠٠٠ (٩٦١١)
الطبعة الثانية، آب / أغسطس، ١٩٩٧

تصميم الغلاف: عباس مكي
الاخراج الفني: منى التالي

المحتويات

المقدمة

في حزيران/يونيو من العام ١٩٨٢، سافرت الى الجليل الشمالي والجيش الاسرائيلي يتعقب أثري، وبعد مضي يومين على وصولي الى هناك، تجاوزني هذا الجيش الهادر ليدخل الى لبنان. وكان اكتشافي لنفسي في خضم عملية تعبئة عسكرية، وإبّان اجتياح عسكري، بمثابة تذكير كان له وقع الصدمة والصحوة في آن، على حقيقة ان ما هو اكاديمي في ناحية من العالم، هو واقعٌ، في ناحية أخرى منه. وتضافرت اهتماماتي العلمية وقربي الحسي من الجبهة لتخلق لديّ فضولاً شخصياً ومهيناً بشأن الأحداث التي تتكشف امامي عبر الحدود.

وكان ان اجريت أحاديث مع صحافيين، ومع مدنيين وجنود اسرائيليين طوال ذلك الصيف، في محاولة منيّ لمعرفة ماهية فهمهم لمصالح بلدهم في لبنان. وتابعت عن كثب خلال السنوات التي تلت، دراما التورط الاسرائيلي المتواصل في لبنان، وتلك الثروة من الأدبيات العلمية الصادرة عن الموضوع. ولاحظت أنّ معظم التحليلات التي تتناول مصالح اسرائيل في لبنان تعتبر أن منظمة التحرير الفلسطينية في جنوب لبنان، في أوائل السبعينيات، العامل المسبب للاهتمام الاسرائيلي الجدي بهذا البلد. وفيما نجد بان هذا الاعتبار دقيق بمعناه الضيق، الا ان «اسرائيل» لم تنتظر عشرين عاماً لتكتشف جارها الشمالي. وقد كشفت الأبحاث الأولية أنّ ما كُتب عن الاهتمامات الاسرائيلية المبكرة بلبنان كان ضئيلاً الى درجة لافتة للانتباه، وأنّ هنالك تاريخاً طويلاً وحافلاً للعلاقات الصهيونية اللبنانية جديراً بالاكتشاف. فما كان مني الا ان اخذت على عاتقي مهمة نبش السوابق التاريخية لسياسة اسرائيل تجاه لبنان، آخذة كنقطة ارتكاز، مكان لبنان في المخطط العام للسياسة الخارجية الصهيونية ما قبل قيام الدولة، والمشاكل والفرص المحددة التي مثّلها لبنان بالنسبة الى الصهيونيين الأوائل. وكان قصدي أن أسدّ ثغرة مهمة في فهم العلاقات

الاسرائيلية مع لبنان، وتوفير سياق تاريخي تُدرس من ضمنه المصالح الاسرائيلية المستمرة في لبنان. ويذكرنا مسار الاحداث الموصوف هنا، وبشيء من الحنين، بان الصهيونيين الذين كانوا في وقت من الاوقات، يبحثون عن حدود هادئة وعلاقات ودية، وربما حتى عن اتفاق سياسي، اعتبروا لبنان، من بين سائر البلدان العربية، البلد الواعد اكثر من غيره.

وتقوم هذه الدراسة على أساس الأبحاث الأرشيفية، ويكمن القسم الاكبر من الوثائق ذات الصلة بالموضوع، في «الارشيف المركزي الصهيوني» في القدس. اما المواد الاكثر تنويراً من غيرها، في موضوع السياسة الصهيونية تجاه لبنان فتظهر اساساً، في ملفات الدائرة السياسية للوكالة اليهودية، وان كانت لا تقتصر عليها. ونجد أن التقارير التي كان يرسلها ممثلو الوكالة في بيروت، الى القدس، مليئة بالملاحظات عن المناخ السياسي في لبنان، وبالاقتراحات لتعزيز النشاط الصهيوني هناك. هذا، فيما كان العملاء يرفعون نسخاً لتسجيلات طبق الاصل، لفحوى المباحثات التي كانت تجرى مع لبنانيين عاديين ومن ذوي المناصب الرفيعة، ويرسلون كميات من المقترحات والعروض والخطط التي كانت تعرض عليهم، طالبين التعليق عليها.

ويمكننا ان نعيد بناء المراسلات المهمة بين أعضاء الوكالة اليهودية وبعض أبرز ممثلي الحياة السياسية والدينية اللبنانية، من خلال إعادة جمع الرسائل والمذكرات المشتتة، من الملفات المختلفة، التي يشير مضمونها مثلما تشير لهجتها، الى تلك الالفة المريحة، لا بل العاطفة التي نمت بين الجانبين. اما الرسائل الواردة من لبنان، المحفوظة بأصولها الفرنسية والعربية، فتتيح للبنانيين التكلم بأنفسهم، وهي تزودنا بتفسير واضح للتشجيعات والحوافز التي ساعدت في رسم تلك الصورة عن لبنان التي تشكلت لدى الوكالة اليهودية.

ويستطيع المرء ان يتابع الجدل حول لبنان ومسألة تحالف الأقليات، في محاضر اجتماعات الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية، وفي المذكرات الداخلية للدائرة السياسية. والتقارير التي كُلّفت باعدادها هيئة الأبحاث، تقارير قيّمة، ليس فقط للمعلومات التي تنقلها الينا حول موضوع محدد، وانما كمؤشرات على ماهية الموضوعات التي كانت تحظى باهتمام خاص من الدائرة، في أي وقت مُعطى. أما التصريحات التي صاغها أعضاء الدائرة من أجل الاستهلاك العام فتشكل نماذج جيدة للمساعي التي بذلتها الوكالة اليهودية من أجل تشكيل رأي عام لصالح المواقف الصهيونية او للحدّ من التأثيرات الضارة للدعاية

المعادية. وهناك ايضاً، وثائق مساندة حول هذا الموضوع، وان بنسبة أقل، في أرشيف دولة «اسرائيل» في القدس، وأرشيف وايزمان في رحوفوت، وأرشيف بن - غوريون في سيدي بوكر، بالإضافة الى أرشيف الهاغاناه في تل أبيب، وأرشيف التربية اليهودية في جامعة تل أبيب. ولقد أفدت أيضاً من الصحف الصادرة في تلك الفترة.

وتشمل المصادر الأخرى المذكرات واليوميات الخاصة بافراد صهيونيين وغير صهيونيين، لامست نشاطاتهم المواضيع الخاصة بفلسطين ولبنان مجتمعة. وقد استكملت السجلات المكتوبة بمقابلات اجريتها مع اللاعبين انفسهم كلما كان ذلك ممكناً. وأفادني بصفة خاصة المسؤولان السابقان في الوكالة اليهودية الياهو ايلاث ويعقوب شمعوني. كما وجدت سهولة في الوصول الى شخصيات سياسية واكاديمية أخرى. اما المقابلات التي فاق تأثيرها تأثير غيرها من المقابلات فكانت تلك التي أجريتها مع عدد من المسنّين الذين عاشوا حياتهم كلها على طول الحدود مع لبنان. ولقد قمت بزيارة مستوطنات حانيتا وعين غيف وكفار جلعادي ومدينة المطلة، وتحدثت مع جواسيس ومهربين ومقاتلين سابقين، ومع مزارعين ورواد، وأعطتني ذكرياتهم عن الاوقات التي أمضوها في لبنان، في العشرينيات والثلاثينيات والاربعينيات، وعن علاقاتهم بجيران لبنانيين، منظوراً مهماً لموضوعي، يختلف اختلافاً كبيراً عن المنظور الذي استخلصته من دراستي للوثائق وحدها.

وكون مصادري صهيونية بمعظمها، لا تعكس اي تحامل او اهمال متعمّد من جانبي. فالنزاع الحالي في لبنان يحول دون إجراء أبحاث ارشيفية هناك، في هذه الآونة. واللبنانيون الذين أقاموا روابط وثيقة مع الوكالة اليهودية لم يتركوا، على العموم، أي سجل مكتوب لصلاتهم الصهيونية، بل إن احتمال أن يناقشوا الموضوع اليوم، سوف يكون أقل مما كان عليه في الماضي. ولذلك حرصت إزاء هذه الأوضاع، على اختيار السياسة الصهيونية تجاه لبنان لتكون نقطة ارتكازي، وليس العلاقات الصهيونية - اللبنانية بذاتها، والتي من شأنها ان توحي بوجود توازن متساو بين التوثيق الصهيوني والتوثيق اللبناني. ويستطيع المرء ان يأمل بان تُتاح للمؤرخين بعد حل النزاع في لبنان، حرية البحث عن القطع اللبنانية المفقودة في هذا اللغز الصهيوني - اللبناني.

ولقد سافرت الى فرنسا للرجوع الى ما تتضمنه المحفوظات الخاصة بوزارة الخارجية الفرنسية والمفوضية الفرنسية العليا في بيروت. وأكدت المواد في هذه

المحفوظات معالم صورة الاهتمام الذي أولاه الانتداب الفرنسي للشؤون الصهيونية - المارونية التي كنت قد استخلصتها بالأصل من المصادر الصهيونية واللبنانية، وأوضحت ملامحها. ووجدت وثائق ذات صلة بالموضوع في دائرة المحفوظات الديبلوماسية في وزارة الخارجية بباريس، وفي «مركز نانت للمحفوظات الديبلوماسية» في نانت أيضاً.

وتقتضي الدقة تقديم تعريف واضح منذ البداية، لمصطلحين اثنين يسيطران على هذا البحث. فمصطلح «الصهيونية» هنا، يشير الى حركة سياسية هدفها النهائي إنشاء وطن يهودي ذي سيادة، في أرض «اسرائيل» أو فلسطين، وتنمية هذا الوطن. والصهيوني هو الذي يؤيد هذه القضية تأييداً واعياً. والسياسة «الصهيونية» في هذه الدراسة، أو الشخصيات «الصهيونية»، وعموماً تلك المرتبطة بالتمثيل الصهيوني الرسمي في فلسطين، اي الوكالة اليهودية. والمصطلحان، «الصهيوني» و«اليهودي» في سياق هذه الدراسة، هما مصطلحان مترادفان في أغلب الأحيان (ولكن ليس دائماً)، كما سيتضح من المضمون.

اما الموارنة فهم رعية مذهب كاثوليكي شرقي، هو واحد من عدة مذاهب مسيحية مختلفة في لبنان.

وعلى هذا الأساس، فان المصطلحين، «الماروني» و«المسيحي اللبناني»، هما مصطلحان غير مترادفين. فالموارنة هم الطائفة المسيحية الأكبر في لبنان، التي تمثل نصف المسيحيين اللبنانيين مجتمعين، والتي احتكرت السلطة السياسية والاقتصادية طوال أجيال. ويؤكد وليد الخالدي مجادلاً، أنّ النزاع اللبناني الداخلي، المستمر منذ وقت طويل، ليس نزاعاً بين المسيحيين والمسلمين، بل انه بالأحرى، نزاع بين الموارنة وغير الموارنة[1]. ولكن من الأفضل، نظراً لعددهم وتنظيمهم وعدوانيتهم، وإحساسهم المرهف بهوية الجماعة، وصف مصالحهم كمصالح مسيحية محضة؛ فمعظم المسيحيين من غير الموارنة، ذوي الاولويات السياسية المسيحية، يتبعون عادة، الخط الماروني. هذا، فيما تتمثل المصالح المسيحية اللبنانية، لأغراض هذه الدراسة، بمصطلح «الماروني»، الا اذا أشرنا الى خلاف ذلك.

الفصل الأول

انسجام في المصالح ام أهداف متعارضة؟

لبنان في المخيلة الصهيونية الأولى

كانت السياسة الصهيونية تجاه لبنان، كما بلورتها الوكالة اليهودية وكما انتهجتها خلال فترة الانتداب البريطاني، في فلسطين، سياسة تحركها القناعة بأن لبنان يختلف اختلافاً ذا دلالة، عن غيره من الكيانات العربية؛ وبأن قيام علاقات معه تعود بالنفع المتبادل أمر ممكن بسبب هذا الاختلاف. وفرادة لبنان كانت تكمن في الطائفة الكاثوليكية المارونية القوية؛ الأولى من بين فئاته الدينية والاثنية المتعددة.

وللمسيحيين اللبنانيين قول مأثور يوصي بان المسلمين سيتحولون نحو المسيحيين ما ان يتخلصوا من اليهود: «فبعد السبت يأتي الأحد». وغالباً ما يُستشهد بحكمة شائعة أخرى فيما يتصل بالعلاقات بين الجماعات في الشرق الأوسط، تقول إن «عدو عدوي صديقي». وتوصي هاتان الحكمتان بأن قيام تحالف بين مسيحيي لبنان ويهود فلسطين كان بامكانه ان يفيد كلا الطرفين. وفي الواقع، اقامت الطائفة الكاثوليكية المارونية، في لبنان والطائفة اليهودية في فلسطين ما قبل قيام الدولة، (اليشوف)، علاقة وثيقة دامت عقوداً من الزمن، وتميزت بالتراوح بين فترات هادئة من التعاطي المريح، والمحاولات المزاجية لخلق تحالف سياسي ناجح.

وتعود العلاقة المارونية ـ الصهيونية الى السنوات المبكّرة التي سبقت وجود سلطات الانتداب الأوروبية في لبنان وفلسطين. وكان من الطبيعي ان تثير الفضول الصهيوني، تلك الخصوصية الغربية الديموغرافية والسياسية، المسماة لبنان، هذا البلد العربي بعدد سكانه الكبير من غير المسلمين، الذين يتمتعون بالغلبة السياسية. ولقد وجد الصهيونيون أن اتصالاتهم الدوليّة مع أفراد الطائفة المارونية، التي تقف في مقدمة الطوائف الأخرى، كانت مشجعة. واعتقد العديد من الصهيونيين، وهم يواجهون معارضة عربية/اسلامية متراصّة تقريباً، ومناوئة لنشاطاتهم في فلسطين، بان وجود طائفة في لبنان، غير مسلمة وقوية وودية على ما يظهر، يتيح لهم الفرصة الفضلى لاقامة علاقات جيدة مع هذا البلد، أفضل من فرصتهم مع اي بلد عربي آخر.

ومع تعرّف الصهيونيين على جيرانهم الموارنة بصورة أفضل، اتضح تشابه الظروف التي كانت تعيشها هاتان الطائفتان. فقد كان المسيحيون اللبنانيون في طور فقدان تفوقهم العددي لصالح المسلمين، وكانوا خائفين من خسارة غلبتهم السياسية أيضاً بينما كان الصهيونيون يسعون من جهتهم، الى تجاوز العقبة التي يشكلها عددهم، كطائفة في فلسطين، في مواجهة مسلمي هذا البلد، ويتطلعون الى الهيمنة السياسية. ولقد كان الموارنة غيورين في حمايتهم للاستقلالية المسيحية، حتى ان بعضهم كانت تساوره فكرة انشاء دولة مسيحية مستقلة في لبنان. وكانوا يراقبون باهتمام خاص، المساعي الصهيونية لانشاء دولة مستقلة في فلسطين. واتفق العديد من الموارنة والصهيونيين على أن الاقليتين اللتين تحدق بهما اعداد كبيرة من المسلمين المقاومين للادعاءات الخاصة بكلتيهما، تتشاطران انسجاماً طبيعياً في مصالحهما.

وكان لهذه الرغبة في ترجمة الاهتمامات المشتركة الى امتيازات سياسية ذات مغزى، ان دفعت بافراد من كلتا الطائفتين، الى اقتراح مفهوم «تحالف الاقليات». واستدعت هذه الاستراتيجية تضافر قوى المسيحيين اللبنانيين و«اليهود الفلسطينيين»، وتنسيق مواردهم السياسية والاقتصادية، في مواجهة العدو المشترك، والسعي وراء تطلعاتهم القومية المتشابهة، على ان تنضم الى هذه الشراكة المسيحية ـ الصهيونية، في الوضع المثالي، أقليات أخرى في الشرق الأوسط، غير عربية وغير مسلمة. وليس هناك من شك بان السلسلة الواسعة من المصالح الاقتصادية والسياسية المشتركة بين لبنان المسيحي

واليشوف، والعلاقات الحميمة التي نمت بين شخصيات مارونية وصهيونية بارزة، والعزلة الصهيونية المطلقة في المنطقة، جعلت من مفهوم تحالف الأقليات مفهوماً كان من المنطقي ان يصبح موضوعاً ينكب صانعو السياسة الخارجية الصهيونية على استكشافه.

ولكن هل كانت فكرة تحالف الأقليات، سياسة من المنطقي انتهاجها؟ ان القيادة الصهيونية، وعلى الرغم من مناقشة هذا الموضوع مراراً، لم تقبل او ترفض بصورة حاسمة، وفي أي وقت من الأوقات، سياسة مؤيدة للأقليات. وقد ظلت هذه الفكرة قائمة لانعدام وجود قضية معيارية كان يمكن، قياساً عليها، البرهان على نجاح هذه الفكرة او عدم نجاحها. وتميّز تطور التفكير الصهيوني بلبنان خلال فترة الانتداب، بالتأييد المتقلب لاقتراح تحالف الأقليات، والمساعي المتقطعة التي بُذلت لدفعه قدماً الى الأمام. وعلى الرغم من أن الاستراتيجيين الصهيونيين كانوا يأملون بأن تقبل الدول العربية المسلمة في نهاية المطاف، بإنشاء كيان يهودي ذي سيادة في وسطها، إلا أنهم لم يكونوا معارضين للبحث عن تأييد اقليمي في أماكن أخرى، في حال لم يصبح قبول التيار العربي السائد بانشاء هذا الكيان حقيقة واقعة.

ومن المفيد أن ننظر في سبب تحوّل لبنان الى موضوع يحظى بالاهتمام الصهيوني عندما نشأ مثل هذا الاهتمام، وكيف حدد هذا الاهتمام الطابع للتفكير الصهيوني المبكّر بلبنان، وما هي النواحي التي ربما بدا فيها لبنان أكثر تقبّلاً من غيره من البلدان العربية للعروض الصهيونية. فمن السهل ان نلمس تلك الحماسة التي سجّل بها مندوبو الوكالة اليهودية في الميدان، النواحي العديدة التي بدا لهم فيها لبنان بلداً ناضجاً لاقامة علاقات مثمرة مع اليشوف والحركة الصهيونية. إذ سرعان ما برزت أفكار مبتذلة على أساس الخط القائل بان لبنان «نافذة في جدار العداء العربي»، و«بريق ضوء في ظلمة المعارضة العربية»، و«جزيرة في بحر مسلم شاسع». ولكن من الضروري قبل الانجراف بموجة المبالغة، دراسة تلك العوامل التي كبتت أي تقبل لبناني كامن، ولعبت دور الكابح في العلاقة الصهيونية ـ اللبنانية.

لقد حاولت الدائرة السياسية للوكالة اليهودية دراسة الاهمية النسبية للفرص غير العادية التي قدّمها لبنان، إزاء القيود المانعة، ثم، وضع التوجيهات العامة لسياسة صهيونية واقعية. ووضع أفراد مختلفون، من ضمن الدائرة، درجات مختلفة من الأهمية على النواحي الايجابية للتقبّل اللبناني، في مقابل النواحي السلبية. وهذه الدراسة تفحص

الدافع الكامن وراء مقاربة تحالف الأقليات، ونجاحات هذه المقاربة واخفاقاتها، في الحد الذي وُضعت فيه موضع التنفيذ.

نحو «وزارة خارجية» صهيونية.

لم يكن للحركة الصهيونية عند مقلب القرن، مكان رسمي في مجتمع الامم الدولي. وقد جاهدت هذه الحركة بقياداتها وبمن تمثلهم من اليهود المشتتين في أوروبا واميركا وفلسطين، لتحديد سياستها تجاه البلدان العربية المحيطة بالوطن القومي اليهودي المقترح. وفي الأساس، كانت حفنة من الأفراد هي التي حددت مسار العلاقات الصهيونية مع العالم العربي، وكان كل فرد منها يحمل مدركات وأولويات مختلفة لهذه المهمة.

وفي السنوات الأولى للانتداب، تولت سلسلة من المنظمات الصهيونية إدارة العلاقات مع العالم العربي. وفي السنة التي تلت وعد بلفور في العام ١٩١٧، وافقت بريطانيا على انشاء لجنة صهيونية لرعاية الشؤون اليهودية في فلسطين؛ وقامت هذه اللجنة، بإدارة حاييم وايزمان، بدور لجنة الارتباط مع البريطانيين، ونظّمت المجتمع اليهودي، وتولت أعمال إغاثة اللاجئين اليهود، وإعادة بناء المستوطنات اليهودية في أعقاب الحرب العالمية الأولى. وعمدت هذه اللجنة، التي حظّرت عليها السلطات العسكرية المحلية البريطانية شراء الاراضي او جلب اعداد مهمّة من المهاجرين اليهود، الى التركيز على العمل المجتمعي والاقتصادي داخل اليشوف. الا ان بعض أعضائها أدركوا الامكانات المتوافرة للعمل السياسي في وسط العرب، وفي حزيران/يونيو، عام ١٩٢٠، اقترح احد زملاء وايزمان في اللجنة، ويدعى دافيد ايدر، انشاء مكتب عربي رسمي[١].

وفي العام ١٩٢٠، حلّت الادارة المدنية البريطانية محل الادارة العسكرية في فلسطين، ومُنحت الهيئة التنفيذية الصهيونية لفلسطين، التي حلت محل اللجنة الصهيونية في العام نفسه، حرية عمل أوسع. واستجاب وايزمان بحماسة، لفكرة ايدر بانشاء دائرة لادارة العلاقات الصهيونية - العربية، مستفسراً عن البرنامج المقترح والميزانية[٢]. وترأس حاييم كلفاريسكي، الشخصية المثيرة للجدل، مكتب الشؤون العربية التابع للهيئة التنفيذية الصهيونية، معظم العشرينيات[٣].

لقد استخدم كلفاريسكي منصبه لتعزيز الاتصالات التي كان قد أجراها في وسط

العرب، بمبادرته الخاصة، وعارض العديد من الصهيونيين، عادته تقديم الهدايا السخية لأعيان عرب ليس من أجل «أي غرض محدد، بل فقط من أجل ان يكونوا مفيدين عموماً» للقضية الصهيونية، على حد زعم احد الذين ذمّوا به[٤]. وكان ذاك الناقد، العقيد فريدريك كيش، رئيس الهيئة التنفيذية الصهيونية لفلسطين، معارضاً لنظام كلفاريسكي في العمل، لانه «ينطوي على التزام مدى الحياة، أو أنه يعني متاعب مريرة دائمة عندما يضع المرء نهاية لمثل هذا الراتب». وكانت الضائقة الاقتصادية الفظيعة التي تعيشها الهيئة التنفيذية بصورة دائمة، قد جعلت سياسة من هذا النوع موضوعاً قابلاً للشك بصفة خاصة. وكان أعضاء الهيئة التنفيذية يخشون من أن المعجزة وحدها يمكنها ان تنقذ المنظمة من الإفلاس، وكانوا يتفجعون لان النقص في الأموال قد اجبرهم على التخلي عن مشاريع مهمة كثيرة. وقد كتب كيش في العام ١٩٢٨، يقول: «إنني لا استخدم تعبيراً متطرفاً إذا قلت باننا نحاول ان نبقى على قيد الحياة»[٥].

وفي العام ١٩٢٩، اصبحت الهيئة التنفيذية لفلسطين الوكالة اليهودية الموسعة لفلسطين، التي تبنّت نطاقاً من الأنشطة أوسع من السابق. وفيما احتفظت الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية في لندن، بصلات مع السياسيين ومسؤولي مكاتب وزارتي الخارجية والمستعمرات هناك، كانت الوكالة في فلسطين تصوغ القرارات اليومية الخاصة ببناء الدولة، وتضعها موضع التنفيذ. وكانت هناك دوائر متميزة عن بعضها، لشؤون العمل والهجرة والاقتصاد وغيرهما؛ اما السياسة الخارجية، كما كانت عليه، فقد كانت تنبع من الدائرة السياسة. وكانت كل دائرة تتباهى بوجود شُعب فيها، وكانت شعبة الشؤون العربية، وشعبة الشرقين، الاوسط والأدنى، أكثر شعب الدائرة السياسة نشاطاً. ومع حلول العام ١٩٣٧، وجدت لجنة بيل أن الوكالة اليهودية تشكل جهازاً ادارياً متكاملاً، يصل عملياً، الى مستوى حكومة قائمة جنباً الى جنب، مع حكومة الانتداب البريطاني[٦]، التي كانت تسيطر على الصفات الاساسية المميزة لسلطة الدولة (صناعة السياسة الخارجية، على سبيل المثال)، وكانت تعرقل بين الحين والآخر، أنشطة الوكالة الأكثر طموحاً من غيرها.

لقد كانت الوكالة ودائرتها السياسية، تعانيان كسابقاتهما، من النقص الدائم في الأموال والموظفين المدربين. ولم تستطع الوكالة ان تطمح الى انتهاج سياسة خارجية جدية من دون الطاقة البشرية، او المال اللازم، لدعم وسائط اتصالاتها. وقد شكا حاييم

ارلوسوروف، الذي أصبح مديراً للدائرة السياسية في العام ١٩٣١، من تفويت فرص سانحة عديدة بسبب الافتقار الى مبالغ من المال ضئيلة نسبياً. وكان يقلقه ان يُثبت العجز عن متابعة الاتصالات خَطَرَهُ في نهاية المطاف، لانه سيكشف «عجزنا المطلق عن العمل»، مؤكداً بانه من دونه بخاصة «لا داعي للكلام عن أي عمل سياسي في فلسطين والبلدان المجاورة قد يستحق الاسم»(٧). ولقد نجح في ضمان تدفق منتظم للمعلومات بين الدائرة والعواصم العربية المُهمة، فقط من خلال الضغط على شباب يهود فلسطينيين كانوا يدرسون في البلدان العربية، وعلى استعداد للعمل لقاء أجور زهيدة، للتجنُّد في الخدمة.

وكانت الهيئة العاملة في وزارة الخارجية هذه، البادئة في النمو، هيئة ملتزمة بمهمتها، ولكنها تفتقر الى الخبرة في العمل الديبلوماسي على المستوى الرفيع، على الرغم من مستوى قيادتها العليا. ومن المؤكد ان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية، حاييم وايزمان، أبدى اهتمامه بالعلاقات الصهيونية مع البلدان العربية، وسعى، وهو الرجل الحذر، وراء الأهداف الصهيونية بمناشدة دائرة معارفه الواسعة من البريطانيين البارزين، طلباً للدعم. ومع تقدم حكم الانتداب، أدت ثقة وايزمان بالبريطانيين واستعداده للمساومة معهم، الى جعله مخالفاً أكثر فأكثر لمطالب الحركة الصهيونية التي كانت تزداد جسارة. ولقد ضمن في أعظم ساعاته، الحصول على وعد بلفور في العام ١٩١٧؛ ولكنه كان قد هرم في الاربعينيات، واصبح معتلاً، وغير قادر على فهم التغييرات الكبيرة التي كانت قد أدركت بالفكر الصهيوني. وقبل عام من الاستقلال الاسرائيلي، كان وايزمان لا يزال معارضاً لبرنامج بلتيمور للعام ١٩٤٢، الذي التزمت به الحركة الصهيونية رسمياً، بهدف إقامة الدولة اليهودية ذات السيادة. وقد كان شخصية عالمية تحظى بالاحترام، وكان من الطبيعي ان يلجأ العرب الى مخاطبته في أحيان كثيرة. ولكن الأصغر سنّاً في التيار السائد في الحركة الصهيونية كانوا هم الذين يحددون قرارات الدائرة اليومية، وعملياتها. وتُظهر مراسلات وايزمان، التي تقع في مجلد ضخم، أنه كان في سنواته المتأخرة، يواصل بنشاط، مساعيه الضاغطة انتصاراً للمصالح الصهيونية؛ لكن الشواهد تشير الى ان العلاقة المتبادلة بين نشاطاته وبين القيادة الفعلية للسياسة، التي تتولاها الدائرة، كانت في حدّها الأدنى. وبات لاسم وايزمان وزن في غُرف المؤتمرات، يفوق نفوذه في وسط زملائه الصهيونيين.

وكان دافيد بن - غوريون، رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية، يجسّد المدرسة

الصهيونية الجسورة، التي قادت اليهود في نهاية المطاف الى دولتهم. وقد كان، وهو الرجل المالك للعلم، عنيداً أيضاً، ومتسلطاً، وصعب المراس. وتشير سجلات الدائرة السياسية، كما تشير يومياته الخاصة، الى انه لم يكن يُشغل نفسه بتفاصيل صنع السياسة اليومية والعمليات المحددة. وكانت اهتماماته العسكرية تطغى على الاهتمامات الأخرى. ومع ذلك لم تكن الدائرة السياسية تأخذ على عاتقها اي نشاطات مهمة من دون معرفته وموافقته. وقد كان بن - غوريون يعتقد بان شجاعة اليهود انفسهم، واقدامهم وقوتهم، من شأنها ان تخلق الدولة اليهودية، بصرف النظر عن اللجان والقرارات الدولية. ولم يكن يؤمن بان يذعن العرب بسرعة، للسيادة اليهودية، ولكنه كان مستعداً للقبول بعقود من العداء العربي، الى الحين الذي تؤدي فيه القوة المتفوقة للدولة اليهودية في المستقبل، (والتي كان متأكداً منها)، الى إقناع العرب في النهاية، بالتصالح مع وجودها. ووفقاً لذلك، كرّس نفسه للمسائل الامنية تاركاً الديبلوماسية للآخرين؛ ومنح اهتمامه لجهود الدائرة السياسية، ولكنه شغل نفسه باعداد اليشوف للولادة العنيفة لدولة إسرائيل.

وفي العام ١٩٣٣، اقدمت مجموعة، على اغتيال حاييم ارلوسوروف، وأصبح موشيه شرتوك (شاريت)،رئيساً للدائرة السياسية، متولياً مسؤولية قيادة السياسة الخارجية الصهيونية طوال ما بقي من السنوات السابقة لقيام الدولة(٨). وكان شرتوك رجلاً ذكياً ومجتهداً، يقرأ جبالاً من الأعمال الكتابية التي كانت تنتجها الدائرة، ويضع توقيعه المميز، «م.ش.»، على كل وثيقة، مدوناً ملاحظاته في الهوامش. وقد صنع، بموافقة بن - غوريون، القرارات التي حددت خطوط الادارة اليومية للسياسة الخارجية. وشرتوك الذي كان شخصياً، مخلصاً لـ بن - غوريون، كان «وايزماني» الاتجاه. فقد كان يرى النهضة القومية اليهودية في سياق مجرى التاريخ العالمي، ويُبدي اهتماماً بالرأي العام العالمي أكثر من الاهتمام الذي كان يبديه بن - غوريون به. وهو كان قد عاش في طفولته مدة سنتين في قرية عربية فأكسبته إلفته الودودة بالعرب واللغة العربية، صورة وافية أكثر عن العرب كأناس عاقلين وأعزاء النفس، كما أعطته إيماناً أكبر بقوة التفاوض المباشر معهم. ويقول نجل شرتوك إنّ ادراك والده للعرب كبشر ذوي كرامة، أثّر في نطاق الخيارات السياسية من حيث نبذه العفوي لتلك الخطط الفخمة التي سعت الى نقل العرب من مكان الى آخر لاسباب سياسية، او التي عاملتهم كما لو كانوا أشياء(٩). وغالباً ما كان بن - غوريون وشرتوك مكملين لبعضهما بعضاً، الا ان تفكيرهما تباين، وأثبت شرتوك بانه أضعف من

ان يشن معارضة جدية ضد رئيسه الذي يصعب التغلب عليه. ومع أن أي فكرة لم تكن لتتحول الى سياسة اذا كان بن - غوريون يعارضها، فإن انشغال بن - غوريون بالأمور العسكرية والأمنية كان عادة، يطلق يدي شرتوك في الدائرة السياسية[١٠].

وكانت الدائرة السياسية تحتفظ بهيئة عاملة متواضعة في القدس، وبكادر صغير من السفراء المتجولين في الميدان، ولكن الوكيلين المتورطين مباشرة في لبنان، أكثر من غيرهما، كانا الياهو ابشتاين، (ايلات)، والياهو ساسون[١١]. وابشتاين، الروسي الشاب الذي هاجر الى فلسطين، تلقى علومه في الجامعة الاميركية في بيروت من العام ١٩٣١ وحتى العام ١٩٣٤، وكان يحصّل مصروفه الخاص من عمله كمراسل حرّ، غير موظّف، لوكالة رويتر للأنباء، ولصحيفة «دافار» اليومية العبرية، وصحيفة «بالستاين بوست»، وقد كان واحداً من أوائل الشباب «اليهودي الفلسطيني» المتحمس الذين ضغط عليهم ارلوسوروف للانخراط في خدمة الوكالة اليهودية. وقد أثبت ابشتاين بانه شاب اجتماعي، باقامته صداقات عديدة في وسط الطلاب والهيئة التعليمية، وفي وسط الأعيان والسياسيين ورجال الدين، الذين كان يلتقيهم كطالب وصحافي. وعلى الرغم من انه نضج ليصبح احد أفضل ديبلوماسيي «اسرائيل»، فإن عمله المبكّر في بيروت، غالباً ما كان يعكس سذاجة شابة. وقد درس ابشتاين العربية، لكنه كان يفضّل إجراء مقابلاته بالفرنسية او الانكليزية، وكانت تقاريره المسهبة، المرسلة من لبنان، تبدو أقرب الى دراسة فصلية جامعية، منها الى نشرة أخبار موجزة، بالنسبة الى الهيئة العاملة الملاحقة بعملها الشاق في القدس.

وكان اعتماد الدائرة على العملاء الشباب الذين يعملون ليلاً، في أعمال أخرى غير عملهم الأساسي، عاملاً مقيداً للسياسة الجيدة، بين الحين والآخر. ففي تشرين الثاني/نوفمبر، عام ١٩٣٢، أبلغ ابشتاين زملاءه بحماسة، أن الصحافي الماروني جورج نقاش، يرغب بزيارة فلسطين، ليجمع معلومات من أجل مقالات ذات طابع ايجابي، حول المشروع الصهيوني. وبما أن النقاش طلب من ابشتاين مرافقته في زيارته، فإن ابشتاين ابلغ زملاءه مرة أخرى بان على هذه الزيارة ان تنتظر حتى انتهاء امتحاناته لنهاية الفصل الدراسي، وبداية عطلة الميلاد في الجامعة![١٢]. ومن الواضح أن ابشتاين كان يتمتع بأوقات طيبة في لبنان، وقد حافظ على علاقات حيوية مع العديد من معارفه اللبنانيين بعد مغادرته البلد، من طريق المراسلة. وعلى الرغم من ان أداءه في البداية، كأداء الهاوي، فإن

صلاته العديدة في لبنان أفادت الوكالة اليهودية. وقد عاد ابشتاين الى القدس ليرأس شعبة الشرقين الأدنى والأوسط، في الدائرة السياسية، وليتولى مسؤولية الاتصالات بالبلدان العربية المجاورة.

وفيما كان ابشتاين ينظر الى العالم العربي بمنظور الغريب الآتي من الخارج، كان الياهو ساسون من مواليد هذا العالم. فهو احد أبناء عائلة يهودية بارزة في دمشق، تلقى تعليمه في جامعة القديس يوسف في بيروت، وكان يشعر بالألفة في الدوائر السياسية التقدمية في المجتمع العربي، أكثر من أي مكان آخر. وكانت اللغة العربية لغته الأم، وقد نشط لفترة قصيرة من الزمن، في حركة القوميين العرب قبل ان يهاجر الى فلسطين[١٣]. وقد ترأس ساسون شعبة الشؤون العربية في الدائرة السياسية، التي كانت تنسق العلاقات مع الفلسطينيين العرب، لكن صلاته في وسط أبرز الشخصيات العربية في مشرق البحر المتوسط ابقته متورطاً في السياسة الصهيونية تجاه لبنان وسوريا. ومع اعادة تنظيم الدائرة السياسية في عام ١٩٤٣، تولى ساسون مسؤولية نشاطات الوكالة اليهودية في هذين البلدين. وكان يُقبل على عمله بطريقة منهجية ومحترفة، وقد عزا زملاؤه امتلاكه لتلك البصيرة الخاصة بالعالم العربي الى توجهه الشرقي[١٤]. كما كانت رسائله تثير الجدل، وصوته كان صوتاً مؤثراً. فقد دفع الدائرة السياسية الى تطوير سياسة خارجية متماسكة تجاه الدول العربية، وسعى وراء السبل التي تتيح للمصالح المشتركة في تنمية المنطقة، ان تجاوز بواسطتها، الخلافات السياسية التي تفرّق بين اليشوف وجيرانه.

لقد عمل هؤلاء الاثنان في تصميم مسار النشاط الصهيوني داخل البلدان العربية، مع زملاء لهم في الدائرة السياسية، وفي الدوائر الأخرى التابعة للوكالة اليهودية، وكانا يستشيران الشخصيات البارزة في القطاع الخاص اليهودي، ويغرفان من تجاربهما الميدانية المستمرة، ويعتمدان على سليقتهما. وفي الوقت الذي كانت فيه بعض الموضوعات العامة ترشد نشاطاتهم، فان السياسة كـ «سياسة» كانت بالأحرى، عبارة عن سلسلة من ردود الفعل المحددة، على الفرص السانحة التي كانت تتكشف امامهم أكثر مما كانت برنامجاً منهجياً لنشاطات مفضّلة على غيرها. ولقد جاهدت الدائرة السياسية لادارة سياسة خارجية صهيونية، في الوقت الذي كانت تحرمها فيه السلطات البريطانية حرية العمل الكاملة، مع افتقارها الى الخبرة والموظفين والموارد الكافية.

السياسة الصهيونية تجاه الدول العربية

كان المفكرون الصهيونيون يتصورون فرادة لبنان ولكنهم كانوا يرونه مع ذلك، بلداً عربياً يتكلم سواده الأعظم اللغة العربية، ويشكل جزءاً لا يتجزأ من البيئة العربية المحيطة بالييشوف. لذلك، فقد أدخلت النشاطات الصهيونية في هذا البلد ضمن جملة العناوين الخاصة بالسياسة الصهيونية العامة تجاه العالم العربي.

لقد اقبلت الوكالة اليهودية على العالم العربي بهدف السير قُدماً بالمهمة المثلثة القاضية بخلق الوطن القومي اليهودي في فلسطين، وحمايته وملئه بالسكان. لذلك كان احد الاهداف الأولى وضع حد لمعارضة قيام هذا الوطن القومي، او في حال الفشل في ذلك، كسب تأييد الدول الكبرى لانشاء كيان يهودي على الرغم من المعارضة العربية. وقد بحث الصهيونيون عن قائد عربي واحد مُعترف بقيادته، يمكنهم التفاوض معه، ولا تعمد القطاعات المعارضة من الرأي العام العربي الى ابطال التزاماته. وبحثت الوكالة اليهودية عن مثل هذا القائد خارج حدود فلسطين، لانها لم تكن تعتبر الفلسطينيين العرب قومية متميزة عن غيرها، بل عناصر مكوّنة لعالم عربي أكبر. وهكذا اصبحت الديبلوماسية الصهيونية ترى بانه يكفيها تنمية علاقات اقتصادية واجتماعية محلية مع الفلسطينيين، وتخصيص العلاقات السياسية لقائد للحركة العربية الأوسع خارج فلسطين[١٥]؛ واصبح هذا التفكير عنصراً أساسياً من عناصر هذه الديبلوماسية. ودفع هذا التفكير الوكالة اليهودية الى محاولة احباط الفلسطينيين العرب الذين كانوا يبرهنون بانهم مجمعون تقريباً، في معارضتهم للصهيونية. وبدا في أوقات مختلفة، بأن فيصل، أمير الحجاز، او عبد الله، أمير شرق الاردن، يمكن ان يكون احدهما هذا القائد العربي المنشود. وكانت حجة الصهيونيين ان شخصية ذات أفق اوسع من غيرها، يمكنها ان تمنح اليهود في فلسطين الصغيرة جداً، تنازلات أكثر مما يستطيع ان يمنحها مناضل محلي تشكل فلسطين بالنسبة اليه مرجعه الوحَيد[١٦].

وقد عبّر حاييم وايزمان عن وجهة النظر هذه في رسالة كتبها في العام ١٩٣٧، بشأن مفاوضات بين بعض الصهيونيين واصدقائهم من الفلسطينيين، الذين وصفهم وايزمان بالاناس الطيبين، ولكن غير القادرين على «الوفاء بالوعد»[١٧]. وأبدى بدلاً من ذلك، تحمّسه لاتصالات تجريها الوكالة مع حكومات سوريا ولبنان والعراق. فالوكالة، برأي وايزمان، تستطيع، من خلال مفعول العناصر المعادية للصهيونية داخل هذه الحكومات، «الحصول

على مساعيها الحميدة من أجل التأثير في العرب الفلسطينيين». وقدّر وايزمان بان تكون النتائج الايجابية ممكنة، والى حد بعيد، لان هذه البلدان كانت في طور الادراك بان اليهود «قد يكونون مصدر مساعدة لهم». واختتم رسالته بالقول بأن التعاون مع العرب في البلدان المجاورة قد يُكسب الصهيونيين الأصدقاء في العالم العربي، ويخفف بعضاً من الضغط في فلسطين، ويعزل الفلسطينيين المتطرفين، المعادين كلياً للوجود اليهودي.

وغالباً ما اتخذت عروض الوكالة اليهودية شكل اقتراح «تبادل الخدمات». وكان الصهيونيون يأملون بان يعترف قائد عربي ما، بالحق الذي يدعيه اليهود بفلسطين، فيستخدم نفوذه لاقناع الفلسطينيين بالقبول بتسوية مع اليهود؛ وفي المقابل، يستطيع العالم العربي الأوسع، توقّع الاستفادة من رأس المال اليهودي والمهارات الفنية اليهودية، والدعم السياسي الدولي[١٨]. وكان الصهيونيون في البداية، قد توجهوا نحو العرب في فلسطين بمقاربة مماثلة، لكنهم سرعان ما أدركوا بان أي قائد ذي مكانة مهمة، لا يمكنه ان يقبل بخسارة دولة عربية مستقلة في فلسطين، لقاء مستوى معيشة أعلى ضمن دولة يهودية في فلسطين. ولقد مثّل دافيد بن ـ غوريون هذا الخط من التفكير الصهيوني، مركزاً على العرب غير الفلسطينيين، في شهادته أمام لجنة بيل للعام ١٩٣٧. فقد عبر عن اعتقاده بان الصهيونيين سوف يتوصلون الى اتفاق مع العرب خارج فلسطين، الذين سوف «يمارسون نفوذهم عندئذ، على عرب فلسطين من أجل التوصل الى اتفاق»[١٩]. وكانت حجته في ذلك، ان الوعد بالمساعدة اليهودية الفكرية والمالية والعلمية والتنظيمية، سيقنع العرب غير الفلسطينيين في نهاية المطاف، بان مصالحهم الخاصة الفضلى، تكمن في الوفاق مع الصهيونيين.

وقد وجد هذا المفهوم طريقه الى ميادين غير سياسية في ظاهرها. فقد عمدت الوكالة اليهودية، بالاشتراك مع جمعيات صهيونية أخرى، الى نشر المجلة الاقتصادية Palestine and the Middle East, المعنية بالزراعة والتجارة والصناعة الاقليمية، وكانت تُرسل الى الشخصيات النافذة في سوريا ولبنان والعراق وتركيا وايران والعربية السعودية والكويت واليمن، نسخاً من هذه المجلة، التي كانت تركّز على الانجازات الاقتصادية لفلسطين اليهودية، وعلى الطاقة الكامنة غير المحققة في العالم العربي؛ لتوحي بوضوح، بان الصهيونيين سوف يشركون العرب، اذا ما عقدوا سلاماً مع اليشوف، بالاسرار التي تجعل صحاريهم واقتصاداتهم تزدهر[٢٠].

ولكن مقاربة تبادل الخدمات لم تقدّر عمق المشاعر القومية العربية حق قدرها، وفشلت في اجتذاب الاهتمام العربي الجدي بها. فقد كان معظم القادة العرب معارضين معارضة صادقة للمشروع الصهيوني. اما هؤلاء الذين أغرتهم تلك المقاربة على التجاوب، فكانوا يفتقرون الى النفوذ اللازم للوفاء بما يترتّب عليهم من الصفقة. فنظرية تبادل الخدمات شجّعت بعض العرب على «النظر الى الصهيونيين كبقرة ينبغي حلبها»[٢١]. وكان هؤلاء يأتون حاملين معهم مشاريع بحاجة الى التمويل، ويلمّحون بان جريدتهم، او حزبهم الجديد، قد يكون أقل عداء للصهيونية. وبقدر ما كانت الأموال متوافرة، وهذه المشاريع ملائمة للمساعي المبذولة لتحسين صورة الصهيونية في الدوائر الصحافية والسياسية العربية، كانت البقرة الصهيونية تتكرّم على هؤلاء في بعض الأحيان.

ولقد أدى إخفاق اقتراح تبادل الخدمات في انتاج اتفاق عربي - صهيوني، الى دفع الصهيونيين في طريق أكثر التفافاً. كما أن صعوبة إيجاد قائد عربي قوي يمكن بواسطته إحباط الفلسطينيين، قد أدت بالوكالة اليهودية إلى محاولة التفاوض مع أطراف محيطة تماماً بالعرب، من خلال الوصول الى بلدان غير عربية او غير اسلامية في مواقع أبعد، على اطراف ساحة النزاع العربي - الصهيوني، مثل تركيا وايران واثيوبيا، والى مجتمعات أقليات مثل الدروز والشيعة والشركس وأكراد العراق، والموارنة بالطبع.

وعلى الرغم من أن الصهيونيين غالباً ما كانوا يلاقون استقبالاً حاراً، فإنهم راحوا في سعيهم وراء تسوية سريعة لمشكلة فلسطين، ينظرون الى الأبعد، مناشدين دولة الانتداب وغيرها من القوى الغربية، مناشدة مباشرة، للحصول على دعمها. وكانت إحدى النتائج المستغربة لتورط القوى الخارجية العميق في المنطقة، ان كلاً من اليهود والعرب غالباً ما كانوا يدركون أنهم سيحققون مكاسب من التوجه نحو القوى الخارجية، أكثر مما سيحققون من توجه فريق منهم نحو الآخر. فقد كان كل طرف يأمل باقناع القوى الكبرى على فرض الحل الذي لن يقبل به الطرف الآخر طوعاً. ومن أجل هذه الغاية نشط الصهيونيون في ضغطهم، طويلاً وبقوة، لاقناع البريطانيين بتطبيق وعد بلفور بحزم، وارغام العرب على القبول بوجود وطن قومي يهودي دائم[٢٢]. وقد تعاونت المنظمات الصهيونية تعاوناً كاملاً، مع بعثات التحقيق التي كانت تُرسل الى المنطقة برعاية الأمم المتحدة والبريطانيين والاميركيين، كما أرسلت بدورها، مبعوثين الى الخارج لعرض قضيتها على الحكومات الأجنبية ومن تمثلهم من ناخبين. وركّز حاييم وايزمان، بصفة

خاصة، نشاطه السياسي على أصدقائه في الحكومتين، البريطانية والفرنسية. فقد كانت هناك قناعة في التفكير الصهيوني، بان ما لن يقبل به العرب طوعاً يمكن للقوى الكبرى ان ترغمهم على القبول به اذعاناً.

وقد انتجت الحملة من أجل تحقيق السيادة اليهودية هدفاً سياسياً آخر، هو ضمان السيطرة الفعلية على أكبر مساحة ممكنة من فلسطين، توسّع بالتالي، حدود الأمر الواقع للدولة اليهودية المستقبلية. وكانت المنظمات المولجة شراء الأراضي والاستيطان، مثل الصندوق القومي اليهودي وشركة تطوير أراضي فلسطين، منظمات ملحقة بالوكالة اليهودية، ولا شك أنّ الاعتبارات السياسية قد لعبت دورها في استملاك الأراضي[٢٣]. ولم تكن الدائرة السياسية تنشغل بمسائل شراء الأراضي الا عندما تسنح الفرصة لشراء عقار يقع ما وراء حدود فلسطين. ولمّا كانت المستوطنات اليهودية قد عززت السيطرة الصهيونية على الأراضي المشتراة، كان أمن المواقع اليهودية السكنية والزراعية والصناعية بالتالي، هدفاً آخر من أهداف السياسة العامة. ولقد ناشدت الوكالة اليهودية البريطانيين تقديم دعمهم، لكنها لم تحقق الا نجاحاً محدوداً، وبات الأمن الصهيوني يعتمد على كل من قوات الدفاع اليهودية شبه العسكرية المأذونة رسمياً، والقوات السرية. وشاركت الدائرة السياسية في المعركة من أجل سلامة المواقع الأمامية الحدودية، بالضغط على السلطات في فلسطين، وعلى السلطات الأخرى عبر الحدود، من أجل منع الهجمات العربية.

اما الجانب الثالث لمهمة إنشاء الدولة اليهودية وحمايتها وتأهيلها، فقد جعل من الهجرة اليهودية، (aliyah)، الى فلسطين، فرضية أساسية من فرضيات السياسة، استلزمت وضع المشروع المزدوج القاضي بتشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين في وسط يهود الشتات، والتلاعب بالكوتا البريطانية لجعل هجرتهم ممكنة. وقد أدى الموقف البريطاني المناوىء للتدفّق اليهودي المتواصل على فلسطين، الى وضع برنامج صهيوني ذي شأن للهجرة غير المشروعة، وعملت الهاغاناه (قوات الدفاع اليهودية) مع دائرة الهجرة التابعة للوكالة اليهودية، على تهريب اليهود الى فلسطين.

وقد بلورت الدائرة السياسية نشاطاتها، وتولت ادارة هذه النشاطات، في سعيها وراء الأهداف الأساسية. لكن المسؤولين لم يكونوا يتوقعون أن تؤدي حملة واحدة الى إنشاء الوطن القومي وحمايته وتأهيله، لذلك كان هدفهم يقضي بإدامة الأجواء والعلاقات التي

ستتيح لمساعيهم الجماعية إحراز هذه الأهداف الصهيونية مع مرور الزمن. ومن أجل هذه الغاية استثمرت الدائرة طاقة هائلة ومبالغ طائلة من المال، لخلق صلات نشيطة ضمن العالم العربي[٢٤].

ومن الصعب ان نتصور اليوم، السهولة التي أقام بها الصهيونيون صلاتهم في البلدان العربية وحافظوا عليها، قبل العام ١٩٤٨. فقد كان اليهود الفلسطينيون يسافرون بحرية في أنحاء العالم العربي، ويدرسون في البلدان العربية، ويزاولون الأعمال التجارية مع نظرائهم العرب. وكان مراسلو الصحف العبرية ومسؤولو الوكالة اليهودية يجتمعون بصورة روتينية، بزعماء عرب بارزين من المشارب السياسية كافة[٢٥]. وباستثناء مدن المملكة العربية السعودية، كانت المدن الرئيسية في منطقة الهلال الخصيب تستقبل عابري السبيل اليهود. وقد أدى بعض المقاولين اليهود، الذين كانوا يعملون في مشاريع بريطانية خلال الحرب العالمية الثانية، دور القنوات الصهيونية الى العالم العربي. وأقام دافيد هاكوهين من شركة سوليل بونيه الشهيرة، روابط وثيقة مع العديد من اللبنانيين، مستشيراً الوكالة بصورة منتظمة، بشأن تنمية هذه العلاقات.

وكانت التوقعات بشأن ما يمكن ان ينجم عن هذه الصلات، تراوح بين توقعات متواضعة وأخرى طموحة. وأولت الوكالة قيمة كبيرة لمثل هذه العلاقات، حتى ولو كانت نتيجتها الوحيدة تبادل وجهات النظر في أحد المقاهي. وجعل انفتاح المجتمع اللبناني، من هذا البلد، مكاناً يسهل فيه جمع المعلومات الاستخبارية، وأتاح للصهيونيين الاحاطة علماً بالمكائد اللبنانية الداخلية، وبالظروف ذات الصلة بقضيتهم الخاصة. وكان موظفو الوكالة اليهودية يجتمعون بصورة منتظمة مع رهطٍ من المخبرين، بعضهم من المرموقين في مجتمعاتهم، ومعظمهم يعملون مقابل اجر مالي لخدماتهم. وقد أبقت الدائرة السياسية أصبعها على نبض العالم العربي، وخلقت لنفسها صورة أوفى للبيئة التي تعمل فيها، من خلال رعاية الصلات مع دائرة علاقات ابشتاين الواسعة، في وسط اللبنانيين، من محررين صحافيين وزعماء دينيين وشخصيات نافذة في الحكومة والمعارضة، ووجهاء ومثقفين. وكانت الوكالة، المهتمة باسماع صوتها وبالاستماع ايضاً، تأمل بأن يؤدي التبادل القائم لوجهات النظر، الى اقناع بعض اللاعبين العرب الرئيسيين، باعتماد الاعتدال في معارضتهم للصهيونية. وكان يحصل بين الحين والآخر، ان يبدي وسيط من وسطاء الصلات، المعين في المكان الصحيح استعداده للقيام بلفتة صغيرة مؤاتية للمصالح

الصهيونية، ويتمكن فعلاً من القيام بها. أما الياهو ساسون فقد اهتم اهتماماً خاصاً برصد الصحف العربية بإمعان، وحاول حمل المحررين الصحافيين العرب على تبني موقف معتدل، ان لم يكن متعاطفاً مع المسألة الفلسطينية.

لقد حاول ممثلو الوكالة اليهودية تنمية الروابط مع مختلف الفئات في العالم العربي، في مسعى لمنع تبلور موقف موحد مناهض للصهيونية. فكان ان شجعوا مفهوم التعددية كلما امكنهم ذلك؛ معللين الأمر، بحجة ان المنطقة كلما كانت أقل تجانساً كان من الأسهل اندماج جماعة صغيرة اضافية أخرى فيها. فهذه الصلات الواسعة من شأنها، في الحالة المثالية، ان تُثمر قبولاً عربياً بالوطن القومي اليهودي، وتفاهماً عربياً - يهودياً رسمياً. وفيما سمحت قلة من الصهيونيين لنفسها بمثل هذا التفاؤل، كانت الوكالة تضغط بالفعل، من أجل هدف ذي صلة، ولكنه من المفترض ان يكون أكثر واقعية. وما ان قبلت الحركة الصهيونية مبدئياً، بتقسيم فلسطين حتى عمدت الدائرة السياسية الى قيادة نشاطاتها بقصد تشجيع الشخصيات العربية البارزة، على المجاهرة بتأييد التقسيم وانشاء الدولة اليهودية، على ان يكون أمثال هؤلاء القياديين العرب قد توصلوا الى استنتاج أن التقسيم هو الحل الوحيد للمعركة المريرة في فلسطين، وأنه من مصلحة العرب انفسهم القبول بالتقسيم عوضاً عن الحكم على أنفسهم بنزاع مع اليهود لا يقف عند حد. وتبيّن لعملاء الوكالة اليهودية السريين، أن العديد من وسطاء صلاتهم كانوا مؤيدين للتقسيم في مجالسهم الخاصة، لكن القلائل منهم كانوا مستعدين للتصريح بذلك علناً[٢٦].

وعلى الرغم من الرفض العربي العام للادعاءات الصهيونية في فلسطين، فان نجاح الدائرة السياسية في اقامة علاقات مع شخصيات عربية بارزة، شجعها في مساعيها. فعملاؤها الذين كانوا يتحركون بحرية في أنحاء العالم العربي، كانوا يراقبون بطريقة مباشرة البلدان العربية المخترقة بالشتاتات والانقسامات، لكل منها اولوياتها الخاصة بها، وغير الفلسطينية بالضرورة. وهذا ما اقنع الصهيونيين بان المعارضة العربية لم تكن تلك الكتلة المتجانسة الضخمة غير القابلة للاختراق، وبانهم يستطيعون، باعتماد المقاربة الصحيحة، احراز تسوية مؤقتة مع البلدان العربية. وكانت الوكالة بالاضافة الى منافع السلم الاقليمي الواضحة، تأمل بأن تضغط مع هذه البلدان، على الفلسطينيين العرب ليرتضوا بانشاء وطن يهودي في جزء من أجزاء فلسطين.

موضوعياً، لم يكن هناك اي شك في أن لبنان كان فريداً من بين الدول العربية. ولكن المناقشة حول لبنان تركزت على السؤال عما اذا كانت فرادة لبنان تتطلب سياسة مختلفة عن السياسة التي تطبّق على البلدان العربية الاخرى، او انها توحي فقط، بان المقاربة الصهيونية المعتمدة تتمتع بفرص للنجاح هناك اكبر من فرص نجاحها في الأماكن الأخرى.

وهناك تناسق غريب بين حجج هؤلاء الذين مجّدوا خصوصية الحالة اللبنانية، وأولئك الذين وجدوا في الفوارق التي تميّز لبنان عقبات هائلة، في وجه العلاقات الصهيونية - اللبنانية. وكما سنرى، فإن العديد من الحوادث في العلاقات الصهيونية - اللبنانية، قد عكس كلتا المقاربتين. والخيارات المربكة التي مثّلها لبنان للاستراتيجيين الصهيونيين كانت خلاصتها السؤال عما اذا كانت فرادة لبنان تدعم التفاهم مع اليشوف أو تعيقه؟

لقد تشبث الصهيونيون على كلتا الجهتين أولاً، بالديموغرافيات غير العادية التي جعلت من لبنان الدولة التعددية الوحيدة في العالم العربي. واشار المتفائلون الى انعدام وجود كتلة اسلامية متجانسة، وكانوا يعتقدون بأن على السياسة التي تنتهجها الوكالة اليهودية أن تأخذ كأساس لها، النظام الطائفي القائم في لبنان، وتعمل انطلاقاً منه، على تشجيع تطوير التعددية السياسية بمعناها الاصدق: القبول الحقيقي بأناس مختلفين في مواقفهم وعاداتهم وثقافاتهم ودياناتهم، والايمان بأنهم جميعاً مخوّلو الحق في حقوق متساوية كاملة. فظاهرة من هذا النوع سوف تكون في صالح لبنان، وسوف تضفي الشرعية أيضاً، على الوجود القومي لشعب آخر إضافي، في المنطقة، هو الشعب اليهودي. واذا كان قد تبين أن هذا المشروع طموح أكثر من اللازم، فان المتفائلين كانوا مع ذلك، يرون في المجتمع اللبناني المنشق الى حد بعيد، فرصة سانحة غير عادية لعقد صداقات. فمع وجود كل هذه الجماعات العديدة كان لا بد من ان يكون هناك بضع منها يهتم بما يمكن ان يقدمه الصهيونيون[٢٧]. أما الأكثر ارتياباً في نوايا الناس ودوافعها، فكانوا يجادلون بالحجة القائلة بانه حتى اذا فشلت مقاربة القبول الحقيقي، فان الفئات المتخاصمة سوف تكون قابلة للمساعدة الخارجية، وتستطيع الوكالة أن تقرر مع من تتحالف. وان الانقسامات التي كانت قائمة على أسس دينية كانت ايضاً تبشّر الصهيونيين بالخير، عملاً

بالقول المأثور الشائع «عدوعدوي صديقي» الذي بدا وكأنه يوحي بأن المجتمعات المسيحية التي تقاوم السيطرة الاسلامية، سوف تجد في اليهود الفلسطينيين، حلفاء طبيعيين لها.

أما المتشائمون فكانوا يجادلون بحجة ان الطبيعة القلقة للتعددية اللبنانية كانت تعمل ضد علاقة صهيونية - لبنانية ناجحة. فالنظام السياسي اللبناني المتجزىء الى حد كبير، نظام يتكلم بأصوات متعددة. وعلى الرغم من ان الوكالة اليهودية يمكنها ان تتحالف مع مجموعة واحدة او أكثر، فان أي فئة لا تستطيع ان تتكلم باسم لبنان كبلد، او ان تُلزم لبنان ككل، بسياسة موالية للصهيونية. ولقد شكك هؤلاء الصهيونيون بفاعلية أي شريك لبناني، وعارضوا أي سياسة يتعلق نجاحها بإقدام فئة من الفئات على فرض ارادتها بشكل قاطع، على جميع الآخرين، وهو الأمر الذي قاومه لبنان طوال اجيال. صحيح ان لبنان كان مجتمعاً من السهل اختراقه؛ ولكن كان ثمة شك في كيفية استفادة القضية الصهيونية من القفز في مستنقع السياسة الطائفية اللبنانية، او في ما اذا كان يمكن للرمال المتحركة للخصومات اللبنانية، ان تكون اساساً متيناً للسياسة الصهيونية.

وكانت وجهتا النظر الصهيونيتان تدركان أن لبنان بلد تأخذ فيه المصالح الاقتصادية الاولوية على الايديولوجية. وكان الصهيونيون يتشاطرون باكثريتهم الساحقة، الانطباع بان جميع من في لبنان يمكن شراؤهم، وان مسائل مثل العروبة ومناهضة الصهيونية، والالتزام بفلسطين عربية كاملة، لن تعيق قيام علاقات صهيونية - لبنانية اذا كان الثمن مرتفعاً؛ وكان هؤلاء الصهيونيون الذين يميلون الى رؤية وعد كبير في لبنان، يريدون مناشدة الحسّ بالمصلحة الشخصية عالي النمو، وسط اللبنانيين، الذين كانوا يعتقدونهم قابلين بصفة خاصة، لنظرية تبادل الخدمات الخاصة بالعلاقات الصهيونية - اللبنانية. وقد جادل هؤلاء المتفائلون بأن اعتماد صناعة المنتجعات اللبنانية على السياحة اليهودية، واعتماد الاقتصاد اللبناني على الاسواق في فلسطين، من شأنهما دفع لبنان نحو علاقات تتوثق بصورة متزايدة، مع اليشوف. وكانوا يعتقدون بان الأعمال التجارية والارباح سوف تعوّض عن دعوات المقاطعة المعادية للصهيونية، التي تُطلق في أوقات متفرّقة، والتي ستكون بجلاء، دعوات مضرّة لقطاعات مهمة في الاقتصاد اللبناني.

ولقد وافق المتشائمون على ان الاقتصاد يفوق في أهميته الايديولوجية، بالنسبة الى الغالبية الساحقة من اللبنانيين، ولكنهم كانوا من ذوي الرأي القائل بأن المصالح المالية تكبح العلاقات الصهيونية - اللبنانية. فقد كانوا يشككون بان يُقدم لبنان على المجازفة بتعريض

علاقاته الاقتصادية المربحة مع العالم العربي، للخطر، لقاء علاقة رسمية بأليشوف، خصوصاً بعد إحكام المقاطعة العربية لليشوف في عام ١٩٤٥. ومهما تكن العلاقة مربحة، فسوف تكون هنالك دولة يهودية واحدة فقط، لا تستطيع ان تعوض لبنان كل الأعمال التجارية التي سوف يخسرها في العالم العربي. وفيما أبدت بعض الفئات المارونية، بصفة خاصة، اهتماماً كبيراً باستخدام رأس المال الصهيوني لمصلحتها الخاصة، فقد بقي السؤال بشأن قدرتها على اقناع مواطنيها والعرب الفلسطينيين بالتخفيف من معارضتهم للصهيونية. وكان العائق الاقتصادي الآخر في وجه التعاون اللبناني - الصهيوني، خطر التنافس بين الجانبين. ولقد قال احد رجال الاعمال اللبنانيين لصديق صهيوني «ماذا هنالك لنعمله معكم أنتم اليهود؟ إننا تجار ناجحون وانتم تجار ناجحون. اننا بحاجة الى المجتمعات العربية الأكثر بدائية، وهي بحاجة الينا. ففيها نستطيع ان نحصّل مورد رزق جيد»[٢٨].

كما لم يكن سراً بأن مخططات سوريا الكبرى، المنبعثة من دمشق كانت تهدد بصورة دائمة، مستقبل فلسطين اليهودية وسلامة استقلال لبنان. فالقوميون السوريون والعروبيون كانوا يعلنون بانتظام، إيمانهم بأن لبنان يشكل جزءاً طبيعياً من سوريا، وبأن فلسطين هي في الواقع سوريا الجنوبية. وكان هؤلاء يهدفون الى توحيد هذه المناطق وخضوعها لحكم قائد عربي واحد، وكان أفضل ما تستطيع الأقليات القومية ان تأمل به هو الاستقلال الذاتي المحدود.

وقد رأى الصهيونيون المتفائلون، في تهديد سوريا الكبرى، قوة أخرى تدفع المسيحيين (وغيرهم من المجتمعات غير العربية وغير الاسلامية) الى أحضان الصهيونية. فمهما كانت درجة الاستقلال التي يملكونها، او التي يطمحون لها في لبنان صغير مجزأ، فسوف تتناقص عندما يصبحون مجرد ذرات في سوريا اسلامية كبيرة. ولم تكن الحركة الصهيونية من جهتها، لتترك أمر النهضة القومية اليهودية لنزوات حاكم عربي. وقد ألحّ الصهيونيون المؤيدون للصلات اللبنانية، على الوكالة اليهودية بألاّ تتورع عن استغلال خطر سوريا الكبرى، كوسيلة لتعزيز الرابط بين اليشوف ولبنان المسيحي.

أما الشكاكون فقد رأوا مسألة سوريا الكبرى من مرأى آخر. فسوريا كانت مركز القومية العربية ومناهضة الصهيونية، وهي مشاعر من السهل تصديرها الى لبنان. وقد كانوا يعرفون أن الكثيرين من سكان لبنان المسلمين يؤيدون «إعادة توحيد» لبنان مع

سوريا، الأمر الذي يؤدّي، مرة أخرى، إلى أن «الرابط» الصهيوني سيكون، في أفضل الأحوال، مع فئات لبنانية معينة فحسب، ذات نفوذ مشكوك فيه. أضف الى ذلك ان المصلحة السورية في لبنان، المترجمة الى نفوذ كبير، يعني بأن سوريا سوف تعارض بالتأكيد، أي محاولة منفردة لاتفاق لبناني - صهيوني.

وكانت الهيئة العاملة في الدائرة السياسية تضم أفراداً من كلا المعتقدين، المتفائل والمتشائم، إزاء لبنان، ساهموا جميعاً، في المواقف التي كانت تتطور في القدس، تجاه الجار في الشمال، وقد بدأت الدائرة السياسية، في رسمها خطوط سياستها اللبنانية، من الفرضية بان لبنان كان الدولة الفريدة من نوعها من بين الدول العربية، وكانت حتى على رأي واحد بالنسبة الى العوامل التي تجعله متميزاً. ولكن مسألة ما إذا كانت حدة العوامل تجعل لبنان أكثر وداً تجاه الصهيونية، أو مجرد دولة معادية لها لاسباب مختلفة، فقد كانت مسألة تفسير شخصي. وفي سياق هذا الجدل حددت الدائرة السياسية الأهداف العريضة لسياستها الخاصة بلبنان.

لقد بدا لبنان وكأنه يعرض فرصاً سانحة خاصة لملاحقة البرنامج الصهيوني الأساسي الخاص بإنشاء الدولة اليهودية المستقبلية والدفاع عنها واسكانها. وكان الادراك بوجود «انسجام طبيعي في المصالح» مع الموارنة، ومصالح اقتصادية مشتركة مع باقي السكان اللبنانيين، يوحي بأن إيجاد أشخاص بارزين من شأنهم ان يفصلوا أنفسهم عن المواقف العامة المناهضة للصهيونية في العالم العربي، كان هدفاً واقعياً. فكان ان راح الأشخاص العاملون للوكالة اليهودية يخطبون ودّ شخصيات لبنانية مهمة بحجج ايديولوجية وسياسية ودينية وتاريخية او استراتيجية، بحسب توجه الشخص الذي يخاطبونه، ويزوّدونه بالإحصاءات التي تشهد على انجازات اليشوف، مُعززة بترتيب جولات شخصية، مستخدمين حجة تبادل الخدمات لإبراز المصلحة الذاتية، والقومية، للشخص المعني. وركّزت الجهود لتقليص المعاداة للصهيونية، على الصحافة اللبنانية وفيما بعد، على كبح التأثير العربي الفلسطيني على الرأي العام اللبناني. وقد أمل الصهيونيون، لقاء تقديمهم التعويض المناسب، في عقد صفقة يعترف لبنان بموجبها، بالادعاءات اليهودية في فلسطين، لكونها تستطيع ان تعزز الأوراق في أيدي الصهيونيين بطرق عديدة. وكان هناك احتمال ضعيف بان يؤدي الدعم اللبناني لوطن قومي يهودي، الى الارتقاء بمفهوم التسوية مع الصهيونيين، الى مستوى واقعي في العالم العربي،

وجعله مقبولاً أكثر. وكانت الوكالة اليهودية تؤمن أيضاً، بان موقفاً لبنانياً موالياً للصهيونية من شأنه ان يترك تأثيره في القوى الغربية. فقد كانت الوكالة ومن خلال ابرازها الأدلة على تأييد عربي لانشاء دولة يهودية في فلسطين، تأمل باقناع المجتمع الدولي بان مثل هذه الدولة تستطيع ان تلاقي القبول في وسط العرب، فتهدىء بذلك، من القلق الدولي من انِ يكون المعنى الحتمي لسياسة مؤيدة لهذه الدولة، الرفض العربي والحرب.

وحاولت الحملة من أجل إنشاء الدولة اليهودية الاستفادة من الاحترام الذي كان يتمتع به لبنان في الغرب كملاذ مسيحي في الشرق. فقد كان التفكير الصهيوني يرى بان احتمال قيام الدولة اليهودية ذات السيادة من شأنه ان يكون مستساغاً أكثر بالنسبة الى القوى الكبرى الحذرة من المفاهيم الجديدة، اذا ما قبلت هذه القوى بلبنان المسيحي كسابقة لفلسطين اليهودية[٢٩]. لذلك أصبحت السياسة المتبعة تشجيع الميول القومية المارونية النضالية وحتى الانفصالية، والدعاية لصالح المحافظة على لبنان كبلد مسيحي مستقل.

وقد طُبق على لبنان المبدأ العام القاضي بضمان السيطرة اليهودية على أكبر قدر ممكن من فلسطين، والى حد الاعتبار بان العقارات على طول الحدود اللبنانية ـ الفلسطينية، أو عبرها تماماً، هي عقارات للبيع. فالهدف الأساسي القاضي بانشاء المستوطنات اليهودية وحمايتها، دفع بالوكالة اليهودية الى استخدام صلاتها في لبنان، لردّ أذى القوات العربية غير النظامية، التي تعبر الى فلسطين من لبنان، عن مراكزها الامامية اليهودية في الشمال.

فقد أدرك الصهيونيون ان فائدة الجليل تعتمد على الاستغلال الكامل للموارد الطبيعية في شمال فلسطين وجنوب لبنان. ومع حلول العام ١٩٢٠، كان الصهيونيون قد انتهوا من وضع الخطط المفصّلة لتطوير مياه الجليل. ولما أدّى رسم الحدود النهائية بين فلسطين ولبنان، إلى إبقاء الموارد المائية المهمة، داخل الحدود اللبنانية، اصبحت الحاجة الى إيجاد شريك لبناني، حكومي او مستقل، تجري معه عملية استغلال الموارد المائية للمنطقة لصالح كل من لبنان وفلسطين، السياسة المتبعة.

وكانت الوكالة اليهودية مهتمة على نحو مماثل، باقامة علاقات تجارية مع لبنان. فبالاضافة الى المكافآت المالية المباشرة التي تعرضها هذه الروابط، فانها تخدم أيضاً، الأهداف الأوسع القاضية بربط قطاعات مهمة في لبنان وفي اليشوف، ربطاً أوثق، وتعزيز تلك المصالح المشتركة التي قد تستطيع تعويض الضغط العربي على لبنان ليتبنى موقفاً

معادياً للصهيونية. ولقد استخدم ابشتاين، بصفة خاصة، الصلات التي كان قد أقامها، لتشجيع التبادلات بين المؤسسات الاجتماعية والرياضية والطبية والمهنية والاكاديمية، كوسيلة لتربية العلاقات الشخصية بين اللبنانيين واليهود الفلسطينيين، ومكافحة الصور الصهيونية السلبية في المخيلة اللبنانية.

ولقد طرح الهدف الصهيوني الأساسي، القاضي بتشجيع الهجرة، مضامين سياسية، محددة خاصة بلبنان. فالدائرة السياسية لم تكن مسؤولة عن الهجرة بحد ذاتها؛ ولكنها في سياق تعاملها مع الطائفة اليهودية اللبنانية، بذلت بالفعل، بعض الجهود من أجل تشجيع مجيء اليهود الأصغر سناً الى فلسطين. ولقد أعربت الدائرة عن قلقها على سلامة اليهود اللبنانيين، ولكنها تعمّدت الا تستغل صلاتها بهذه الطائفة لدفع سياستها قدماً الى الامام.

وهكذا، بدا لبنان مناسباً بصفة خاصة للنشاط الصهيوني في فترة الانتداب، إلا أن النتائج على الأرض كانت نتائج متضاربة. فقد نجحت بعض العمليات الصهيونية على المستوى الآني، كمثل إقامة علاقات وثيقة مع لبنانيين من مقامات رفيعة، أو تشجيع العلاقات الاقتصادية بين لبنان واليشوف، ولكنها لم تعط النتائج الأسمى من ذلك، التي تنطوي على منع معاداة الصهيونية في لبنان، او اقناع باقي العالم العربي (او حتى كل لبنان) بالقبول بالسيادة اليهودية الوشيكة. فبعض الجهود لم تجد جمهوراً لها قط، فيما لاقت جهود أخرى استجابة متحمسة في بعض الدوائر اللبنانية. ولم تستطع الدائرة ان تقرر ما اذا كانت فرادة لبنان تجعله قابلاً للصهيونية أكثر من غيره من الدول العربية او مجرد معاد لها لاسباب مختلفة.

ولكن مع تطور العلاقات مع فئة ودية بصفة خاصة، من المجتمع الماروني القوي، بدأ الرأي يميل نحو الطرح القائل بأن لبنان يعرض وعداً خاصاً لتفاهم صهيوني ـ عربي.

خيار تحالف الاقليات

ولمّا عجزت الدائرة عن التوصل الى اجماع حول ملابسات الوضع اللبناني للنشاط الصهيوني، أحجمت عن وضع سياسة محددة، وبرنامج عمل دقيق. وراح أعضاء الدائرة يشدّدون، كل بمفرده، على أولويات مختلفة، ويمارسون طرقاً مختلفة للعمل، على أساس

تفسيراتهم الخاصة لقابلية لبنان للصهيونية. وعلى الرغم من أهداف الدائرة الأكثر تطوراً من غيرها، فان هذه الدائرة كانت تعود، كلما بدت أمامها فرصة سانحة للعمل، الى السياسة الأساسية القاضية بـ «صنع الأصدقاء وتحييد الأعداء»(٣٠) ولكن هذا الأمر أدى الى نشوء جدل حول الطريقة الفضلى لتحقيق ذلك.

وثبت بأن اقتراح تحالف الأقليات كان أحد أكثر الخيارات إثارة للنكد والجدل. فكلما أصبحت فرص إجراء تسوية سلمية مع المسلمين العرب احتمالاً بالغ الضعف، اصبحت الرؤية لشراكة مع المسيحيين اللبنانيين أكثر إغراء. وكان على الصهيونيين ان يوازنوا بين المجازفات المرجّحة وبين المكافآت الممكنة. فقد كان هناك خطر وضع كل البيض الصهيوني في السلة المارونية، المشكوك في قوتها، والتي لم تخضع متانتها للامتحان، وخطر احتمال ان تؤدي السياسة الواضحة المناهضة للمسلمين وللعروبة، الى تعكير اي فرصة لوفاق صهيوني - عربي أوسع، تعكيراً لا يمكن محوه. ولكن كانت هناك فوائد لانهاء العزلة الصهيونية في المنطقة، وكانت هناك امكانية ان يستطيع المسيحيون واليهود معاً، تجنب سيطرة المسلمين، وربما اقناع القوى الغربية بالتدخل لصالحهما.

وكان المعسكر الماروني متمزقاً بصورة مماثلة، بين المحظور والاغراء. فالوقوف الى جانب الدخلاء الصهيونيين ضد اشقائهم العرب كان محرّماً، ومعرفة العموم بمثل هذا التواطؤ من شأنه ان يؤدي الى نزع الصفة الشرعية السياسية على الفور. ومع ذلك، بقي الإغراء باستخدام الموارد الصهيونية المرئية، في النضال ضد خصومهم العرب ماثلاً في الاذهان(٣١). وبالطبع، أدى اهتمام الدائرة بتعزيز التعددية الى استكشاف الروابط مع الاقليات غير المسلمة وغير العربية، وقُبلت بصورة عامة، الفكرة القائلة بامكانية التعامل مع الموارنة. ولكن ماذا ينبغي ان تكون عليه طبيعة هذا التعامل وشروطه ومداه؟

انقسم أنصار السياسة القائمة على اساس الاقليات الى مجموعتين. وكانت احداهما شلة صغيرة جداً من الكتّاب والفنانين والشعراء في أقصى هامش الحركة التصحيحية الصهيونية. ولقد اقترحوا، وكان مقرهم في باريس، ضرورة ان يحكم الشرق الأوسط «فسيفساء من الأقليات». وكان منطقهم مرتبكاً ومربكاً، وتجاهل زملاؤهم من التصحيحيين، انتقاداتهم السياسية. ولم يكن لهذه الحلقة المنبوذة من التيار الصهيوني السائد، تأثير على السياسة الصهيونية. والذي أثار شيئاً من الاهتمام بأعضاء هذه الحلقة، مردّه إلى شهرتهم ونتاجهم الفني، وعن هؤلاء الشاعر يوناتان راطوش، وآري

جابوتينسكي، ابن زئيف جابوتينسكي، ونحن في سياق دراستنا سنصرف النظر بسرعة عن هذه المجموعة بسبب انعدام صلتها، بالحياة السياسية الصهيونية(٣٢).

أما الآخرون الذين كانوا يحبّذون سياسة قوية موالية للأقليات، فانهم لم يكونوا ينتمون الى حلقة منظمة ذات عقيدة متميزة، ولكنهم كانوا بالأحرى، أفراداً توصلوا الى الاستنتاج القائل بان دفع العلاقة المارونية - الصهيونية من شأنها ان تخدم المصالح الصهيونية. فقد استبشر هؤلاء الأفراد أنفسهم، وابشتاين أبرزهم داخل الدائرة، استناداً إلى طابع لبنان المميز، استعداداً أكبر لتقبّل الصهيونية. فمفهوم تحالف الاقليات لم يكن مفهوماً غير منطقي ينبغي عدم درسه. وتوضح خلاصة للحجج المؤيدة والمعارضة، لسياسة تقوم على شبكة تحالف بين الاقليات الاقليمية، الطابع الذي يفرض الانتباه، في تعليلات الجانبين، كما تشرح لماذا وجدت الدائرة كل هذه الصعوبة في الحكم بصورة حاسمة، بهذا الاتجاه او ذاك.

وغالباً ما كان أنصار التحالف الصهيوني - الماروني يطرحون الحكمة القائلة، بان «المتسوّلين لا يستطيعون الاختيار»، مجادلين بالحجة القائلة بان الصهيونيين المعزولين، في مواجهة معارضة اقليمية لا تعرف الصفح، ليسوا في موقف يسمح لهم بالانصراف عن اصدقائهم. ولقد ردوا على هؤلاء، الذين احتجوا باعتبار ان التفاهم مع المسلمين كان أكثر قيمة من التفاهم مع المسيحيين، بالقول: إن الصهيونيين لا يستطيعون تحمل ثمن التضحية باليقين، في اتفاقات قائمة على أساس مصالح ضيقة، مع مجموعة صغيرة، لقاء عدم اليقين في تسوية اقليمية عامة مع بلدان عربية لها مطالب عديدة.

وما شجع هؤلاء الصهيونيين حقيقةُ ان الموارنة انفسهم هم الذين بادروا في طرح فكرة التحالف الماروني - الصهيوني. فمنذ وقت مبكر يعود الى عام ١٩١٣، كان الموارنة قد عبروا عن تأييدهم للصهيونية واقترحوا تشكيل كتلة يهودية - مسيحية لتكون وزناً مقابلاً للوجود المسلم الغالب في المنطقة(٣٣). وفي العام ١٩١٩، فاتح احد النشيطين اللبنانيين الموارنة نجيب صفير، وايزمان باقتراح تقسيم المنطقة طائفياً: لبنان للمسيحيين، وسوريا للمسلمين، وفلسطين لليهود(٣٤). وفي تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣١، اتصل صفير بالوكالة اليهودية مرة أخرى، حاملاً خطة لنشاط ماروني - صهيوني منسّق. وكان شرتوك قد اجتمع بصفير في عام ١٩٢٠، وكتب ملاحظاً ظهوره من جديد بانه كان يتطلع طوال هذه السنوات نحو خلق جبهة مسيحية - يهودية موجهة نحو هذا المستقبل البعيد نفسه،

الذي ستكون فيه فلسطين العبرية قادرة على عقد معاهدة مع لبنان المسيحي: معاهدة بين أمتين اثنتين ضعيفتين، ضد عدو مشترك قوي[٣٥].

وقد جمع شرتوك صفير الى حاييم ارلوسوروف، الذي كان آنذاك، رئيساً للدائرة السياسية، والذي سجّل في يومياته كلاً من قناعة صفير التامة بان الحكم المسلم يشكل خطراً مميتاً على الاقليات في الشرق الأوسط («فأصداء المذابح المسيحية قبل ستين او سبعين عاماً، ما زالت ترن في أذنيه») وفقدان صبره لعجز الدائرة المعلن، عن تمويل مخططاته لتنظيم الموارنة في تحالف مع اليهود. وكان صفير يرى في اقتراح له قبيل مغادرته، ان الوكالة اليهودية اذا كانت فقيرة الى هذا الحد، فمن الأفضل لها ان تُخفض أنظارها، وتهدف الى مجرد ضمان مكانة اليهود كأقلية اقليمية، وهو الاقتراح الذي علّق عليه ارلوسوروف تعليقاً لاذعاً، بقوله «يا له من رجل حاذق!»[٣٦]. ومع ذلك، يبدو أن حجة صفير ظلت ترن في أذنيه، لانه كتب بعد ثلاثة أيام يقول إنه على الرغم من المشاعر المناهضة لليهود في وسط المسيحيين الفلسطينيين، «فإننا لا نستطيع ان نتحمل ثمن تفويت فرصة تطلّع الاقليات المسيحية الينا كحليف طبيعي لهم، في الظروف الحاضرة. فهناك في هذه الآونة، عدد لا يُحصى من الأسباب التي تدعو الى الافتراض بان الميل نحو تحالف كهذا ميل متنامٍ. وأعرف جيداً بانه قد يكون سلاحاً ذا حدين، ولا أفكر بالطبع، بأي بيانات رسمية او اعلانات، عن تحالف كهذا. ولكنني اعتقد، في ضوء حقيقة اننا معزولون تماماً، ومنقطعون عن اي قوى غير يهودية في هذا البلد والبلدان المجاورة، بان علينا الا نُهمل مثل هذه الاحتمالات[٣٧]».

وفي العام ١٩٢٣، كان ارلوسوروف ما يزال يحبذ فكرة علاقة خاصة مع الموارنة. فأرسل فكتور جاكوبسون الى بيروت، لغرض وضع الأساس لنشاط صهيوني أكثر منهجية هناك، في المستقبل. وقد أعطى ارلوسوروف تعليمات لجاكوبسون، تقضي بان يشدد في مباحثاته على «المشاركة الطبيعية في المصير بين سكان فلسطين ولبنان»، لانه «مهما كان مستقبل دولة عربية متحدة في المناطق الداخلية في الشرق الأوسط، فلعلّ هاتين المقاطعتين الساحليتين قد خصصهما التاريخ لمصير خاص بهم... ومع مرور الزمن لا بد من ان يصبح المسيحيون متعلقين بفكرة تحالف مع دولة يهودية في أغلبها، من شأنها ان تعزز قوة مقاومتهم ضد عدوان إسلامي او سيطرة اسلامية. وهناك لبنانيون يتمتعون بدرجة عالية نسبياً من الثقافة والذكاء السياسي، سبق ان عبروا عن أفكار كهذه. والآن هو

أكثر الأوقات الملائمة لتطوير هذه الأفكار بالاتصال المباشر مع النافذين هناك، وبالطبع، من دون توكيد، لا موجب له، على الخصومة بين أهدافنا والتطلعات الاسلامية، او إثارة عداواتهم أكثر[٣٨]».

وتعبر رسالة ارلوسوروف عن نوعين من المشاعر المشتركة لدى هؤلاء الذين كانوا يحبذون علاقة وثيقة مع الموارنة. الأول، هو الايمان بانسجام المصالح بين اليهود والمسيحيين، والثاني، هو ذلك الادراك للمسيحيين كغربيين ومتطورين ومتمدنين ومتفوقين على المسلمين. وكان الياهو ابشتاين، بشغفه الجلي بالموارنة، قد أقر لهم بفضل البذل «أكثر من أي شريحة أخرى في العالم العربي من أجل المزيد من تطور الآداب والعلوم واللغة العربية الحديثة»، فيما كان يصف الدول العربية بالتخلّف والفساد[٣٩]. وكشف حاييم وايزمان النقاب عن إحساس مماثل بالتفوق اليهودي - المسيحي في رسالة خطية ودية الى أسقف بيروت النافذ، اغناطيوس مبارك، سجل فيها اعتقاده المحبب بان العلاقات الايجابية بين «الشعبين المتقدمين في الشرق الأوسط»، أي اليهود والمسيحيين، من شأنها ان تفيد شرقي البحر المتوسط بأكمله[٤٠].

وفي الوقت الذي أبدت فيه الوكالة اليهودية اهتماماً بين الحين والآخر، بهذا المفهوم، كان للكنيسة المارونية سياسة واضحة لتعزيز التفاهم بين الاقليات، وكان أشد أنصار هذه السياسة ثباتاً البطريرك انطوان عريضة والأسقف مبارك. وكانت الوكالة اليهودية تتلقى، على مر السنين، تصريحات التأييد من دون التماسها، والتوسلات الحميمة من أجل تفاهم يهودي - مسيحي، من موارنة يحتلون أرفع المناصب الدينية والسياسية في لبنان، خدمت كلها تشجيع الادراك بان تحالف الاقليات أمر يمكن تنفيذه.

وانبعث التأييد لهذا الخط من التفكير، من الرئاسة اللبنانية. فقد أكد الرئيس اميل إده، الماروني، تكراراً، للوكالة اليهودية، أنّ لليهود والمسيحيين، كـ «أمتين غربيتين اثنتين» في المنطقة، دوراً خاصاً يلعبانه، يقتضي تعاونهما الوثيق، بل ذهب الى حد الاعلان بان «الثقافتين اليهودية واللبنانية [اقرأها «المسيحية»] متفوقتان على ثقافة الجيران العرب، وتناضلان من أجل الهدف نفسه وهو تشييد جسر بنّاء بين الثقافتين، الشرقية والغربية»[٤١]. أما خلفه الفرد نقّاش، وهو ماروني آخر، فقد حذر بتجهم، زائراً صهيونياً بقوله: «ان الأمور لن تسير على ما يرام، لأي من الاقليات في دولة يسيطر عليها العرب. ان الموارنة والصهيونيين في الموقع نفسه تماماً»[٤٢]. وكان «نقاش» يزعم بان القرآن أشاع في

نفوس المسلمين الحاجة لأن يكونوا قمعيين، ويلجأوا الى القوة، وشكا من ان «العرب» [اقرأها «المسلمين»] لم يشبعوا قط بحصتهم الكاملة، ويريدون أكثر منها دائماً، حتى ولو كانت هناك بعض المناصب الحكومية التي «لا يمكن ان يؤتمنوا» على تولّيها. وكان المعنى الضمني ان اليهود والمسيحيين يمكن ان يثقوا ببعضهم بعضاً، وبانهم مؤهلون ثقافياً، بصورة أفضل، لتولي السلطة وممارستها.

ولم يتعب مؤيدوَ التحالف الماروني - الصهيوني في اي وقت من الأوقات من تعداد أوجه الشبه بين الجانبين. وكانت القائمة بالسمات المشتركة تبدأ عادة، بحقيقة ان كلا الشعبين يفاخران بامتلاك ثقافات منغرزة بثبات في الغرب، ويناضلان لاثبات وجودهما في وجه المعارضة الاسلامية. وكانت صورة لبنان في ذهن الموارنة ملاذاً للمسيحيين في العالم العربي تماماً كما كانت صورة فلسطين في ذهن الصهيونيين ملاذاً لليهود. وكان نجاح المغامرة الصهيونية يعتمد على هجرة ذات شأن، من الشتات اليهودي، اما الموارنة فكانوا يسعون لتقوية موقعهم بالتوسل الجدي للمسيحيين، الذين هاجروا عبر السنين، حتى يعودوا. ولقد تفوق المجتمعان في الأعمال التجارية والمالية. اما المعرفة بالاسلام ومكانة الدرجة الثانية (أهل الذمة) التي يعيّنها الاسلام لـ«أهل الكتاب» (اليهود والمسيحيين)، فقد تركت لدى الجماعتين أحاسيس مماثلة بالتهديد، كما فعلت حركتا العروبة وسوريا الكبرى. وقد تابع الموارنة باهتمام الجهود اليهودية المبذولة من اجل بعث وعيهم القومي في فلسطين. وكان هناك في وسط الصهيونيين «تعاطف غريزي» مع الموارنة، كطائفة أخرى غير مسلمة، في وسطهم السياسي، تواقة الى حماية وعيها القومي من القومية العربية[٤٣]. ولقد أوحت هذه العمليات بانسجام المصالح الطبية التي كانت على هذه الدرجة من البروز في تفكير مدرسة تحالف الاقليات.

اما أنصار اعتماد الدقة القصوى في استخدام التعابير، فقد وسّعوا بتلهف، مقاربة تحالف الاقليات لتشمل الدروز أيضاً. وكان دايفيد هاكوهين والياهو ابشتاين وآهارون حاييم كوهين (من استخبارات الوكالة اليهودية)، ويتسحاق بن زفي (رئيس المكتب المشترك للشؤون العربية)، وابا هوشي (رئيس مجلس عمال حيفا)، يتمتعون بعلاقات وثيقة بصفة خاصة، مع الدروز الفلسطينيين البارزين، وسَعَوْا من خلالهم، لاكتساب النفوذ في وسط أشقائهم اللبنانيين. وكان الدروز الفلسطينيون يزورون القرى الدرزية اللبنانية بتكليف من الوكالة اليهودية، من اجل مناقشة تخدم التعاون الدرزي - الصهيوني.

ولقد تطورت المفاوضات حول تحالف درزي - صهيوني ممكن، على أساس خطوط التحالف الماروني - الصهيوني المقترح، الى مسودّات مواثيق في أوقات مختلفة[٤٤]. ورتّب نجيب صفير بدعم من حاييم وايزمان، في عام ١٩٣٨، اجتماعاً بين الياهو ساسون الذي كانت تخامره الشكوك، وبعض القادة الدروز اللبنانيين، الذين اقترحوا تحالفاً درزياً - مارونياً - صهيونياً[٤٥]. وعبّر كوهين تعبيراً بليغاً عن وجهة النظر المؤيدة للأقليات، عندما كتب يقول:

«ان هذه هي الطريق - لانشاء بقع من الضوء والالهام ضمن المحيط العربي من حولنا... وربما سنكون قادرين في الغد على دمجها في كتلة واحدة نكون نحن ملهميها، وتعزز موقفنا. وفقط أعمال كهذه سوف ترفع صورتنا في نظر الحكومات الرئيسية، وتُجبر هؤلاء الحكام على أخذنا في الحسبان كعامل من العوامل الرئيسية في الشرق الأدنى[٤٦]».

ولقد أسندت المدرسة الفكرية المعارضة احد تحفظاتها الرئيسية من تحالف الاقليات، إلى عملية حسابية بسيطة. فالاقليات غير المسلمة وغير العربية ما زالت تشكل سوية، أقلية في الشرق الأوسط العربي المسلم بأكثريته الساحقة. وتابعت، وفقاً لذلك، بان الأمن في المنطقة يتطلب من الصهيونيين في نهاية المطاف، توافقاً مع هذه الأكثرية. وهذه المجموعة، الممثلة ضمن الدائرة السياسية بموشيه شرتوك والياهو ساسون، اشتملت على هؤلاء الأفراد الذين كانوا متشائمين عموماً، بشأن أي استعداد لبناني خاص لتقبّل الصهيونية. إلا انهم لم يرفضوا بالضرورة، فكرة تغذية روابط خاصة بين الموارنة (او الدروز) واليهود، ولكنهم عارضوا تنسيق سياسة حول هذه العلاقات.

فقد شكك هؤلاء الصهيونيون بإرادة الموارنة وقدرتهم، على الايفاء بما يترتب عليهم في أي صفقة تحالف للأقليات. فنجم الموارنة السياسي والديموغرافي كان سائراً الى الأفول. وخلال مسار الفترة قيد مراجعتنا، كانت نسبة المواليد الأعلى في وسط المسلمين، تطغى باطّراد، على عددهم؛ وكانت فرنسا قد سحبت دعمها الذي يضمن هيمنة المسيحيين في البلاد؛ وكان المجتمع الماروني قد تصدّع على أسس عشائرية. واذا كان القلق يساور الصهيونيين لأن اي جماعة من الجماعات لم تكن قادرة على الكلام باسم كل لبنان، فقد كانوا حتى أكثر جزعاً لاكتشافهم بان اي جماعة من الجماعات المارونية لم تكن تستطيع الكلام باسم المجتمع الماروني. ويصف مايكل هودسن الترتيب اللبناني كنظام توازن قوي كلاسيكي، مركّب من مجموعات متعددة، لا تتمتع اي واحدة منها بالقوة الكافية للسيطرة

على النظام بكلّيته(٤٧). ولقد شكّك المتشائمون، الذين أدركوا الشيء نفسه، بقيمة اتفاق يُعقد مع أي فئة واحدة من أي مجموعة واحدة.

وكانت هناك حجة مشابهة تقول بأن المشاركة المارونية في نظام شراكة السلطة هذا، يحول دون التحالف مع الصهيونيين. فشرعية المكانة المارونية في لبنان نمت من تقليد طويل الأمد لتعاون مَسيحي - مسلم حذر، صاغه الدستوران اللبنانيان لعامي ١٩٢٦ و١٩٣٤، خصوصاً الميثاق الوطني للعام ١٩٤٣. فهل يجازف الموارنة فعلاً، بتحطيم هذه الصفقة القائمة منذ زمن طويل، السهلة الانكسار في آن، وهي التي عقدوها مع مواطنيهم المسلمين، والتي أبقتهم فيْ السلطة؟ الديبلوماسي المسيحي اللبناني جورج حكيم أجاب بلا حماسة، وألقى محاضرة على ابشتاين بأن أي حكومة مسيحية لبنانية لا تقدر على اي شيء الا السعي من أجل التعاون الأوثق مع المسلمين. وقال حكيم «اذا كان للبطريرك الماروني ان ينصّب رئيساً للدولة اللبنانية، فان الحاجة لصون أمن الطائفة المارونية وغيرها من الطوائف في لبنان، ستجعل منه عروبياً على نفس طراز معظم الزعماء المسيحيين المسؤولين في لبنان، في الوقت الحاضر»(٤٨).

واذا ما فرض المرء تحريفاً في المعنى، في الابتهالات التي تكثر في الإشادة بأوجه الشبه بين اليهود والمسيحيين، فانه يستطيع ان يجادل أيضاً بان المنافسة الكامنة بين الجماعتين تحل محل اي حافز لتضافر القوى. فخلال العشرينيات والثلاثينيات، على سبيل المثال، أبدى التجار في بيروت خوفهم من التنافس الاقليمي، من جراء نمو ميناء حيفا. ويزعم فؤاد عجمي، بان البورجوازية المسيحية اللبنانية كانت في الثلاثينيات والاربعينيات، تنظر بالفعل، الى الصهيونيين كتهديد، نظراً لأن «كليهما كان يريد أن يكون موضوع إعجاب الغرب، وكليهما كان يعتبر نفسه مجتمعاً محاطاً من جميع الجهات في عالم غريب ثقافياً، وان مجتمعات رجال الأعمال اللبنانيين كانت تخشى من ان تستبقهم اسرائيل الدينامية، في المجالات الاقتصادية، وتكون أكثر نجاحاً في استهواء الغرب»(٤٩).

اما في داخل المجتمع المسيحي الفلسطيني، فقد كانت المشاعر القومية تضطرم، ولم يستطع بعض اليهود تجاهل الدور البارز الذي لعبه المسيحيون اللبنانيون في التطور الايديولوجي للقومية العربية. فقد كان بطرس البستاني، وهو ماروني، من بين الأوائل الذين جزموا بان الأمة العربية كيان سياسي يضم كلاً من المسيحيين والمسلمين، ويمكن

لكلٍ منهما ان يكون مخلصاً له. ولقد أصبح العديد من العرب المسيحيين «قوميين عرباً صادقين لانهم رأوا في ذلك عقيدة لا دينية يمكن من خلالها تعطيل التفوق الاسلامي». وانتاب القلق بعض اليهود من إمكان ميل العديد من الموارنة ليكونوا أكثر «عرباً» من مواطنيهم العرب المسلمين، بسبب رغبتهم في ان يكونوا أكثر كاثوليكية من البابا... وبالتالي أقل توافقاً مع الصهيونية(٥٠). ومع انقضاء الثلاثينيات والدخول في الأربعينيات، تبنّت معظم الصحافة العربية المسيحية في لبنان، مواقف نشيطة مناهضة للصهيونية. وكان أكثر هؤلاء الصحافيين فصاحة وبلاغة ميشال شيحا في جريدة «لوجور»(٥١).

وقد تذكر الشكّاكون الدور الذي أدّته الكاثوليكية من وقت الى آخر، في إدامة مناهضة السامية، وحذروا من احتضان الموارنة احتضاناً حميماً أكثر من اللازم. وفيما كانت الوكالة اليهودية تتمتع بعلاقات ودية مع زعماء موارنة بارزين، كانت التقارير الميدانية تلحظ مشاعر مناهضة لليهود في وسط الجماهير المسيحية، بما فيها المارونية. وقد رأت إحدى الروايات الأكثر تفصيلاً بان «هذه الكراهية كراهية تقليدية: فالمسيحي البدائي يؤمن بما كان يسمعه عنا من أيام طفولته، في بيته والمدرسة والكنيسة، وفي قريته، [أي] أننا صلبنا المسيح، وأن يهوذا كان واحداً منا أيضاً. ولهذا السبب على المرء ألاّ يستغرب وجود كراهية عميقة تجاهنا في قلبه(٥٢)».

ولقد تنبأ التقرير بأن تحالفاً صهيونياً - مارونياً سيكون مستحيلاً ما دامت عامة الموارنة معادية لليهود: فالقيادة المارونية سوف ترفض في نهاية الأمر، رعاية برنامج موال للصهيونية لا يتمتع بالشعبية في وسط ناخبيها، وسوف يكون من السهل جداً لأعداء الصهيونية «إثارة الشكوك والمزيد من الكراهية ضدنا في وسط الجماهير المسيحية، وتقويض أي اتفاقية». وقد أبدى كاتب التقرير يأسه لان الكنائس المسيحية لم تكن ترفع الصلوات من أجل معاناة يهود أوروبا الهتلرية، في الوقت الذي كانت فيه الكنائس في أماكن أخرى حول العالم تفعل ذلك، ولاحظ أنه عندما تكلم مع كاثوليك لبنانيين ودينين حول المبادرة في عمل من هذا النوع، لم ير سوى «الخوف في وجوه من أتكلم معهم، لئلا يؤدّي عمل من هذا النوع الى اثارة الكراهية ضدهم، او لئلا يستخدم المسلمون هذه المسألة ضدهم».

هذا الخوف المسيحي الواقعي من ان يؤدي التعاون الصريح مع الصهيونيين، الى اثارة غضب المسلمين الشديد، أوحى أيضاً لبعضهم باستحالة تحالف ماروني - صهيوني

مكتمل النمو. فحتى أولئك المارونيين الساعين بنشاط من أجل تحالف من هذا النوع شددوا، على الوكالة اليهودية، على الحاجة لابقاء النشاطات المشتركة سرية، حتى يجيء اليوم الذي يكون فيه المسيحيون قد عززوا سلطتهم، وأصبح في مقدورهم الصمود في وجه قوة غضب المسلمين العنيف. أما هؤلاء الحذرون من سياسة موالية للمسيحيين، فقد شككوا في ان يأتي مثل هذا اليوم في أي وقت من الأوقات، وتساءلوا في هذه الأثناء، بشأن الفائدة من علاقة سرية. ومع ذلك، الحّت الدائرة كعادتها، على المجموعات الصهيونية بالامتناع عن نشر المراسلات الودية المتبادلة مع الأصدقاء الموارنة - رسائل التهنئة المختصرة على سبيل المثال، التي أرسلت الى أميل اده لدى انتخابه رئيساً للبنان في العام ١٩٣٦، والتي أجاب عنها بحرارة. فالوكالة كانت مهتمة بالاّ تتسبب في عقبة للرئيس الجديد، ونصحت بإبقاء «تعابير الصداقة التي نتلقاها من دوائر عربية ... لانفسنا، لان كل عملية نشر تحول الاطراف العدوّة ضد حلفائنا، وتجعل من علاقاتهم الودية بنا عبئاً عليهم»[٥٣].

ولم يكن شرتوك يعتقد بأن الموارنة (او غيرهم من الاقليات) سوف يلزمون انفسهم علناً، بتحالف مع الصهيونيين. وقال مجادلاً أمام اجتماع اللجنة التنفيذية بان «هذه الدوائر تعرف نقطة ضعفها، وتعرف خوفها من الاكثرية المسلمة»؛ وفي الوقت الذي قد تعرب فيه عن رغبتها بالتوصل الى اتفاق، «فان أي تحالف سياسي لن يتأتى عن هذه الرغبة لانهم لن يخرجوا الى العلن... فهي ليست على عجلة من أمرها للظهور علناً، بمظهر الحليفة لليهود»[٥٤]. وبما ان أحد أهداف نشاط الوكالة اليهودية في لبنان كان تقديم الادلة للعالم على وجود دعم عربي للصهيونية، فان قصة غرامية سرية مع الموارنة لم تَبْدُ أمراً يخدم المصالح الصهيونية.

وقد نصح ساسون ايضاً، بتجنب الودّ الزائد عما يجب مع الموارنة، حتى في الوقت الذي تُقبل فيه يدهم الممدودة من أجل الصداقة. فجميع العرب الذين أبدوا حتى الآن، اهتمامهم باقامة علاقات وثيقة مع الوكالة اليهودية، كانوا في تقديره أكثر من راغبين في تحقيق مكسب من تحالف ينشأ، ولكنهم مترددون في تقديم اي شيء بالمقابل. وأوصى ساسون باقامة علاقات شخصية ودية الى حين وضع ترتيب آخر، ولكنه أصدر تحذيراً بشأن الدروز - يمكن ان يُطبق على الموارنة ايضاً - نبه فيه من ان أي حملة تشنها الوكالة لفرض تحالف رسمي، يمكنها «ان تخلق آمالاً ورغبات مبالغاً فيها... تكلفنا الكثير من المال، وتسبب في النهاية، كثيراً من الخيبة والمرارة»[٥٥].

وعندما انتهت هذه المدرسة من موضوع الموارنة كحلفاء مناسبين، تناولت بسرعة موضوع الجماعات الأخرى التي ذُكرت كشريكة ممكنة ايضاً، مثل الطوائف المسيحية الأخرى، والشيعة والدروز. فهذه الجماعات (وكان هذا اتجاه التفكير) معتادة على كونها من الاقليات، ولا تساورها أي أوهام بتحويل وجودها المجتمعي الضيق الى وجود على المستوى الوطني. فأي جماعة من هذه الجماعات لم تكن تملك، لا النفوذ ولا الطموح، لممارسة السلطة على المستوى الوطني، وكان العديد من ناخبيها يتماثلون ايديولوجياً، مع الأمة العربية. وعلى الرغم من ان المفاوضات والعلاقات مع الدروز، قد أثبتت أحياناً أنها مفيدة في المنطقة الحدودية، فان الموارنة وحدهم، هم الذين يستطيعون التنافس من أجل القيادة على المستوى الوطني، وقد سبق أن أقيمت البراهين على انهم، وعلى الرغم من ذلك، مازالوا غير قادرين على إلزام أنفسهم بتحالف مع الصهيونيين[٥٦].

وقد ألقت محاضر اجتماع اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية، بتاريخ ٢٠ أيار/مايو ١٩٣٦، الضوء على مناقشة موضوع تحالف الاقليات، والسياسة غير الواضحة تجاه لبنان، ومكان هذه السياسة في سياق الاهتمامات الصهيونية الأوسع[٥٧]. فقد سيطرت على الحديث المناقشات حول احتمالات التسوية السلمية، وحول سوريا، والقوى الأوروبية. وقد اقترح بن-غوريون فلسطين يهودية في فدرالية مع البلدان العربية؛ واقترح احد المشاركين في المناقشة برنامجاً بديلاً، يقضي بمد اليد الى الاقليات الساخطة في المنطقة، خصوصاً الموارنة في لبنان. ولقد أُثيرت في النقاش الذي تلا، معظم المزايا والمساوىء التي وُصفت هنا. ولكن الأمر الذي كان مفيداً أكثر من المناقشة بحد ذاتها، هو ان اللجنة التنفيذية لم تعكف على معالجة الفكرة بالتركيز الذي أولته للمسائل الأخرى. فقد خبت المناقشة حول الاقليات من دون التوصل، لا الى استنتاج ولا الى قرار باجراء المزيد من البحث في هذا الاحتمال. بل ان الحديث عن لبنان انتهى في الواقع، عندما أعرب أحد الحضور عن رغبته في «الكلام حول مسائل عملية أكثر»، وغيّر الموضوع على نحو مفاجىء. وكانت العلاقات الحسنة نسبياً، بين لبنان وفلسطين تعني في أغلب الأحيان، أن موضوع السياسة الصهيونية تجاه لبنان كان يحظى باهتمام قليل فيما كانت الوكالة اليهودية تجاهد بأولويات أخرى، أكثر حرجاً.

الاستنتاج

لقد أخفقت الوكالة اليهودية تكراراً، في حمل المناقشة حول لبنان الى خاتمتها، ولم

تتخذ قط، قراراً بشأن خط محدد للعمل. وضمن الدائرة السياسية، كان كلا طرفي المناقشة لموضوع تحالف الاقليات، يسوقان حججاً تستأثر بالاهتمام، من دون فرض حكم جازم من الدائرة في هذا الاتجاه او ذاك، في أي وقت من الأوقات. وإذا وضعنا التعليلات النظرية جانباً، فان التجارب، مع شركاء لبنانيين محتملين، وحدها، يمكنها ان تبرهن او تدحض نجاح اصطفاف صهيوني ـ ماروني. هل تدعم تجارب الصهيونيين في لبنان خلال عهد الانتداب، الفرضيات القائلة بان لبنان كان على استعداد، وبصفة خاصة، لتقبّل الصهيونية، وبأن علاقة صهيونية ـ مارونية خاصة، يمكنها ان تخدم أهداف الوكالة؟ هل تغيّرت مع مرور الزمن، إمكانية الرد الايجابي على تساؤل من هذا النوع؟ ان الفحص التالي، لسجل التفاعل الصهيوني مع لبنان، في السنوات ما بين مُنسلخ القرن والاستقلال الاسرائيلي، سوف يحاول الاجابة عن هذه الأسئلة.

الفصل الثاني

لقاءات صهيونية ـ مارونية مبكرة

ميّز الفترة الأولى من الانتباه الذي أعاره الصهيونيون للبنان، اهتمام بموارد الجليل الطبيعية وشعور متنامٍ بالفرص السياسية والاقتصادية الممكنة، في وسط اللبنانيين. وكان الابهام الذي أحاط بالموقع المحدد بدقة للنشاط الصهيوني، هو أول ما جذب الانتباه الصهيوني الى لبنان. وقد أبقى انعدام الدقة، بل انعدام صلة تعابير جغرافية، مثل «فلسطين» و«جنوب سوريا»، بالأراضي الفعلية لساحل شرقي البحر المتوسط، السؤال حول مجال النشاط الصهيوني سؤالاً مفتوحاً.

فقد عمدت الادارة العثمانية قبل الحرب العالمية الأولى، الى تقسيم المنطقة الى سلسلة مقاطعات (ولايات) ومقاطعات ثانوية (سناجق)، متميزة عن بعضها. ولم تكن فلسطين بكل بساطة، موجودة ككيان سياسي وإداري. اما لبنان فكان منطقة جبل لبنان المجاورة، وبذلك كان «جنوب سوريا» يعني، على ما يُظن، جنوب لبنان و/او شمال فلسطين، اللذين لم تكن هناك حدود بينهما. وكانت منطقة الحدود الفلسطينية ـ اللبنانية المندرجة ضمن ولاية بيروت ـ قطاعاً ضيقاً يجري على طول الخط الساحلي، من جنوب انطاكية بالضبط، الى شمال القدس بالضبط.

وكانت «اريتز يسرائيل»، التعبير العبري لأرض اسرائيل التوراتية، كما وعدها الله لليهود في زعمهم، مُبهمة على نحو مماثل، بمصطلحات جغرافيا القرن العشرين[1]. فهل

كانت أرض اسرائيل مرادفة لفلسطين، أم أنها كانت تشمل مناطق في لبنان وسوريا وما أصبح شرق الاردن؟ وهل كان البرنامج الصهيوني يهدف الى استعمار أرض اسرائيل ضمن حدودها التوراتية، وإعادة بنائها، ام انه كان على النشاط الصهيوني أن ينحصر في ذلك الجزء من أرض اسرائيل الذي يقع ضمن حدود المنطقة التي أصبحت فيما بعد، فلسطين الانتداب البريطاني؟ وأين تنتهي فلسطين ويبدأ لبنان؟ وهل كانت سوريا الجنوبية في الواقع، لبنان الجنوبي، او فلسطين الشمالية؟ يمكننا ان نفهم بان المنقبين الصهيونيين الأوائل كانوا من وقت الى آخر، يجدون انفسهم يتحرّون مواقع في لبنان الجنوبي من أجل مستوطنات يهودية ممكنة. والموارد التي اكتشفها هؤلاء هناك، والأناس الذين التقوا بهم، شكّلا مدركاتهم حول لبنان.

الاهتمام الصهيوني المبكر بلبنان

اعتبر الاستراتيجيون الصهيونيون الأوائل لبنان، خصوصاً جزءه الجنوبي، ساحة لاستيطان صهيوني ممكن، وقد شجعهم في ذلك، الحدود غير الواضحة في منطقة الجليل. وفي عام ١٩٠٧، قام حاييم وايزمان بجولة في لبنان، لم تترك لديه مبدئياً، انطباعاً لافتاً، ولكنه مع ذلك، لاحظ الامكانية «الهائلة» هناك، وقرر تأجيل اعطاء رأيه بالأمر حتى يُكمل رحلته[٢]. وبعد انقضاء اسبوعين ونصف الاسبوع، عاد الى حيفا ساعياً للحصول على دعم من أجل بضع صناعات صغيرة أراد ان ينشئها في صيدا، ولا سيما معمل لصناعة الصابون، وآخر لمعالجة الليمون، ومعمل تقطير، ومصنع لزيت الزيتون. وقد قدّر وايزمان بان الصهيونيين، بتعاونهم مع شركة «ايتد»، التي كان قد أسسها حديثاً يهود روس، يمكنهم ان ينشئوا في صيدا شركة واحدة لزيت الزيتون، تسيطر على صناعة الزيت برمتها في هذا البلد. واختتم اقتراحه المتحمّس بالملاحظة بأن «صيدا مكان صالح من جميع النواحي. فالمواد الأولية متوافرة، وهناك مرفأ موقعه مسعف، وهي قادرة على النمو، وتضم سكاناً من اليهود»[٣].

واجتذبت أيضاً العقارات المعروضة للبيع حول صيدا، انتباه صهيونيين آخرين. وكانت حركة هيبات تسيون (أحباء صهيون)، شبكة لنوادٍ قومية يهودية ظهرت في تلك المنطقة في روسيا، التي كانت تقتصر عليها إقامة اليهود، في سبعينيات القرن التاسع عشر. وكان فرع أوديسا يحتفظ بمكتب في بيروت، مكلّف بشراء الأراضي في أرض

اسرائيل للمهاجرين الصهيونيين من روسيا. وفي العام ١٩٠٨، اثار اهتمام هذه الجماعة بصفة خاصة، وجود مزرعة برسم البيع في صيدا، في منطقة النبطية، التي كانوا يعتبرونها حدود اسرائيل الشمالية ـ الغربية.

لقد وصف مكتب «أحباء صهيون» في بيروت، هذا العقار بحماسة، واعتبره جوهرة ثمينة ذات امكانيات هائلة، زراعية وسياسية واستراتيجية. فقد كانوا يعتقدون بان هذا العقار من شأنه ان يعطي الصهيونيين موطىء قدم راسخاً في ذلك الجزء من أرض اسرائيل الواقع ضمن لبنان، ونقطة انطلاق لانشاء سلسلة من المستوطنات اليهودية تربطها بذلك الجزء من أرض اسرائيل الواقع في الجنوب. وعرّفوا بهوية مالك العقار كمسيحي ثري من بيروت، مالك لعقارات كثيرة في جنوب لبنان، متوافرة للبيع ايضاً. وقد كتب أحد عملاء أحباء صهيون مأخوذاً بالحماسة، يقول:

لكل امرىء ساعته الفاصلة، والساعة الآن هي الساعة الفاصلة للاستيلاء على الأرض... وسوف تكون خطيئة من جانبنا اذا فوتنا هذه الساعة.

علينا ان نلجأ الى كل وسيلة في قدرتنا لشراء هذه المزرعة... ولن نرمي من أيدينا هذا الكنز، هذه الجوهرة التي يمكنها ان تكون مفتاحاً لنا الى موقع قوي في أعالي لبنان، عزيز علينا الى هذا الحد[٤].

وفي عامي ١٩٠٧ و١٩٠٨، سنّ العثمانيون قوانين تجعل من الصعب على اليهود، حتى على الرعايا العثمانيين منهم، شراء الأراضي في اليهودية والجليل. وقد تذرّع زعيم «أحباء صهيون» مناحم اوسيشكين، بحجة ان هذا الأمر يجعل شراء الأراضي في لبنان أكثر أهمية، خصوصاً ان هذه المزرعة تقع، على ما يبدو، ضمن حدود ولاية لبنان التي تتمتع بحكم ذاتي، وتقلل من احتمال التدخل العثماني في البرامج الصهيونية[٥]. ولكن لم تتخذ أي خطوات، في أي وقت من الأوقات، لشراء المزرعة، ربما بسبب الموارد الضئيلة التي في حوزة المنظمات المعنية، وتفضيلهم لعقارات أقرب الى قلب أرض اسرائيل؛ ولكن الاقتراح أدى الى إثارة مسألة الإبهام الجغرافي للنشاط الصهيوني.

ولم يعترض يهود صيدا على وصف اوسيشكين لصيدا كالمستعمرة الأولى في أرض اسرائيل. فقد كانت الطائفة اليهودية هناك تتلقى مساعدة من البعثة الصهيونية في القدس، مساوية في قيمتها للمساعدات التي تتلقاها المجتمعات اليهودية الأخرى في الأرض

المقدسة، وقد شارك يهود صيدا في انتخابات أول جمعية يهودية منتخبة في أرض اسرائيل. وعندما واجهت هذه الطائفة أحوالاً عسيرة وخسرت مدرستها العبرية، بعث زعماؤها برسالة مشبوبة بالعاطفة معرّفين فيها عن أنفسهم كـ «مقيمي صيدا التي في أرض اسرائيل»، واختتموا مناشدتهم للمساعدة من القدس، بالسؤال عن السبب الداعي الى تلقيهم مساعدة أقل مما تتلقى «باقي المجتمعات اليهودية في أرض اسرائيل»(٦). واستخدم آخرون مصادر توراتية للاثبات بان جنوب لبنان جزء من أرض اسرائيل، او من «فلسطين التوراتية». وقد استدل هؤلاء الجغرافيون التوراتيون بأن قبيلة نفتالي العبرية كانت تعيش على طول نهر الليطاني، وبأن قبيلة آشر كانت مستقرة في منطقة صيدا(٧). وعلى الرغم من ادعاء وقوع صيدا ضمن الحدود المقدسة لأرض اسرائيل، فان اهتمام التيار الصهيوني السائد، بجنوب لبنان، القائم فقط، على أساس الضرورات الأمنية والاقتصادية، كان متوقفاً عند نهر الليطاني.

ولقد شكلت اتفاقية سايكس ـ بيكو للعام ١٩١٦، التي قسّم البريطانيون والفرنسيون بموجبها مشرق البحر المتوسط، الى مناطق، المحاولة الجدية الأولى لتعيين الحدود بين فلسطين ولبنان. ومع اقتراب الحرب العالمية الأولى من نهايتها، أنشأت القوتان المتحالفتان ادارتي أراضي العدو المحتلة، (OETAs)، على ساحل شرقي المتوسط، بموجب اتفاقية سايكس ـ بيكو، ولكن مع بضعة تعديلات ذات مغزى. فالادارة البريطانية لأراضي العدو المحتلة في الجنوب كانت في جوهرها «فلسطين» (على الرغم من ان كياناً رسمياً كهذا لم يكن قائماً بعد)، فيما أصبح لبنان الادارة الفرنسية لأراضي العدو المحتلة في الشمال. وانتهى الأمر بوقوع بعض المستوطنات اليهودية ضمن دائرة النفوذ الفرنسي، مثلما انتهى الأمر بالنسبة الى نهر الليطاني بكامله. اما الخط الفاصل بين المنطقتين، كحدود عسكرية، فلم يكن بالضرورة خطاً فاصلاً دائماً، ولذلك بقيت مسألة حدود فلسطين ـ لبنان مسألة مفتوحة من الناحية الفنية. اما الصهيونيون الذين كان يساورهم القلق من ان يصبح الخط العسكري خطاً دائماً، فقد شنوا حملة لضمان شمل موارد الليطاني المائية الحيوية ضمن فلسطين.

وقد ناشد الصهيونيون البريطانيين، الذين التزموا في الظاهر بانشاء وطن قومي يهودي قابل للحياة، في فلسطين، باصدار وعد بلفور، طالبين مساعدتهم. وتذرعوا بحجة ان قابلية الحياة في الشمال تعتمد على الموارد المائية الكافية، وعلى حدود قابلة للدفاع،

وبان خط الحدود المعيّن للعام ١٩١٨، يحرم فلسطين من الاثنين معاً. واقترح الصهيونيون بانه اذا كان الله والانسان، أقل دقة حول المكان الذي يجب ان تقوم فيه الحدود، فان الطبيعة قدمت نهر الليطاني كحدود طبيعية. وكان آرون ارونسون، وهو عالم زراعي يهودي فلسطيني، مرموق عالمياً، قد أجرى مسحاً للامتدادات الشمالية لفلسطين واستنتج بان نهر الليطاني أساسي للري والزراعة في الجليل. وأكدت تحليلاته شركة فوكس والشركة الهندسية المستقلة التي كُلفت من المنظمة الصهيونية إجراء مسح لقدرات فلسطين الاقتصادية الكامنة. فقد كرر تقريرها، بان حدود فلسطين الشمالية يجب ان تشمل الليطاني، وأضاف بان «الليطاني الذي سيكون في المستقبل ذا فائدة كبيرة لفلسطين، نهر لا قيمة له بالنسبة للأراضي الواقعة الى الشمال»(٨). وأفسح ذلك في المجال أمام الصهيونيين للتذرع بحجة ان اعطاء النهر لفلسطين أمر طبيعي، ولن يحرم لبنان من اي الموارد(٩). ولكن المنظمة الصهيونية كانت حريصة في المقترحات التي تقدمت بها الى مؤتمر السلام، على إبداء الملاحظة بان المياه موضوع البحث يمكن جعلها، بالادارة الصحيحة، مياهاً «تخدم تنمية لبنان وفلسطين أيضاً»(١٠). وأبدى دافيد بن ـ غوريون الاهتمام نفسه بالموارد المائية لدولة يهودية مستقبلية، وانتهى الى الاستنتاج المماثل القائل بان الحدود الشمالية لهذه الدولة يجب ان تمتد على طول الليطاني(١١).

ولكن الادعاءات الصهيونية تحطمت على صخور التنافس البريطاني ـ الفرنسي. فالفرنسيون الذين فوضوا على مضض، إجراء تعديلات في اتفاقية سايكس ـ بيكو، رفضوا التخلي للبريطانيين عن جنوب لبنان، وذلك لانهم بالدرجة الأولى، لم يكونوا يريدون التسليم بأي شيء آخر، ولكن أيضاً، لان زبائنهم الموارنة عبروا عن اهتمامهم بلبنان أكبر. ولقد رفض البريطانيون فرض مكاشفة حول المسألة لان الحدود القائمة ان لم تكن تخدم الأهداف الصهيونية، فانها كانت بالفعل، تخدم الأهداف البريطانية. فقابلية فلسطين الاقتصادية للحياة، لم تكن على هذه الدرجة الكبيرة من الأهمية للبريطانيين. فقد كانوا يقدرون قيمة فلسطين كمنطقة عازلة تحبط قدرة الفرنسيين على الوصول الى قناة السويس. وقد سقطت الحجة الامنية أيضاً، على آذان صماء، بما ان فلسطين نفسها كانت الحزام الامني الحامي للسويس، وبضعة أميال شمالاً او جنوباً، ضمن منطقة الجليل، كانت عديمة الشأن بالنسبة الى الدفاع عن القناة.

كما ان البريطانيين رفضوا أيضاً، السماح للفرنسيين بالحصول على ما يريدون هكذا،

وبكل بساطة. وكتب ارونسون مجادلاً لصالح الموقف الصهيوني، يقول إنه على الرغم من ان «الروابط التاريخية والدينية بفلسطين تتركز حول القدس واليهودية،...فان فلسطين من أجل آمالها بمستقبل علماني عظيم، ينبغي ان تعتمد بصورة رئيسية على البلاد في الشمال»[١٢]. ولكن عندما أُثيرت مسألة الحدود في مؤتمر باريس للسلام، تبنى رئيس الوزراء البريطاني ديفيد لويد جورج، الشعار التوراتي «من دان الى بئر السبع» كسياسته في مسألة الحدود. ويلاحظ فريدريك هوف السخرية الناجمة عن ان «الصهيونيين، فيما كانوا يدوّنون المقترحات المتعلقة بالحدود، القائمة على أساس الاعتبارات الامنية والاقتصادية لما كانوا يأملون بأن يصبح دولة يهودية في يوم من الايام، كان رجال الدولة البروتستانت البريطانيون، يطرقون بقبضاتهم على الطاولات لصالح: «دان وبئر السبع[١٣]». وقد جعلت دبلوماسية لويد جورج التوراتية فلسطين تفقد نهر الليطاني، في نهاية المطاف. فبحسب اطلسه التوراتي، كان خط سايكس ـ بيكو خطاً سخياً اكثر من اللازم لفلسطين في الشمال الغربي، على حساب لبنان. ولقد اتفق الوزراء على أن الإنصاف يقضي بالتعويض عن ذلك بتخفيض الحدود في الشمال الشرقي، وبالتالي، ترك نهر الليطاني بكامله في لبنان. وأُجريت فيما بعد، تعديلات ثانوية، صُنفت في العام ١٩٢٣، أدّت إلى إدخال المستوطنات اليهودية في اقصى الشمال، ضمن فلسطين، ولكن هذه التعديلات لم تراع قدرة الوصول الصهيونية الى موارد الجليل المائية الموجودة الآن في لبنان بصورة دائمة. وأصيب المخططون الصهيونيون بخيبة أمل مريرة.

ولكن التعيين النهائي لحدود فلسطين ـ لبنان لم يقطع التورط الصهيوني في لبنان. فعلى الرغم من الفحص الدقيق والثاقب الذي أُخضع له هذا التعيين للحدود، ادى خط الحدود النهائي الى شطر أملاك خاصة ودينية ومشاع، وطرق تجارية محلية أيضاً. ولقد رد السكان على جانبي الحدود، بالانشغال بشؤونهم الخاصة كما لو أن الحدود الجديدة ليست قائمة. فاليهود من المستوطنات المنعزلة في شمالي فلسطين واصلوا بيع وشراء السلع والمنتجات في لبنان، ووجدوا طوال العشرينيات، بأن بيروت هي الجهة المقصودة الاقرب عندما كانوا يحتاجون الى مستشفى. ومن بعد عدة محاولات فاشلة لاغلاق الحدود، اكتفت قوى الانتداب بتنظيم النشاطات عبر الحدود بتوقيع اتفاق علاقات حسن الجوار للعام ١٩٢٦. واضفى هذا الاتفاق الشرعية على التعاطي التجاري بين سكان جنوب لبنان وبين يهود وعرب الجليل، وأتاح ليهود المطلّة العبور اليومي الى الاراضي الخاضعة

للسيطرة الفرنسية، للعمل في أرضهم. وكان المقيمون في المطلّة يدفعون الضرائب على تلك الاملاك للحكومة اللبنانية[١٤]. وقد واصل مسيحيون وشيعة ودروز محليون، مفاتحة الممثلين الصهيونيين بعروضٍ لبيع الاراضي في جنوب لبنان، وذُكر أن احد الزعماء الدروز حثّ الصهيونيين على استهداف نهر الاوّلي، ما وراء صيدا، كحدّ شمالي للوطن القومي اليهودي[١٥]. وكان القلق يساور المسؤولين الفرنسيين في باريس والقدس وبيروت، طوال اوائل العشرينيات ومنتصفها، من امكانية قيام الصهيونيين بشراء الاراضي في جنوب لبنان، لخشيتهم من مسعى صهيوني لاسترداد الارض، وتخريب النظام والامن العام. وعلى الرغم من التطمينات التي تلقاها القنصل العام الفرنسي في القدس، من العقيد كيش، رئيس اللجنة التنفيذية لفلسطين، فقد اوصى بالاتصال بالبارون ادموند دو روتشيلد، اليهودي الفرنسي الثري الذي كان يموّل الكثير من النشاط الصهيوني لشراء الاراضي، من اجل «إحاطته علماً برغبة فرنسا في ألاّ يحصل اليهود على اراضٍ في سوريا ولبنان، وعلى حدود الوطن القومي اليهودي». ولكن جنوب لبنان، على الصعيد العملي، استمر بالعمل اقتصادياً، كما لو كان امتداداً لشمالي فلسطين، وبقي المكان المألوف للصهيونيين، الذي يستطيعون الوصول اليه.

وفي العام ١٩٢٦، أقدم مصدر من الصعب تصديقه للغاية، هو المندوب السامي الفرنسي في لبنان، هنري دو جوفنيل، على إثارة الفكرة القائلة بإمكانية استيطان صهيوني واسع النطاق، في شرق البحر المتوسط، الخاضع للانتداب الفرنسي. فقد كان يأمل، وهو الذي اصابته «الغيرة»، باعترافه الشخصي، من الفوائد التي حققها النشاط الصهيوني لفلسطين ـ الانتداب البريطاني، بتشغيل رأس المال والطاقة البشرية والخبرة الصهيونية، في المناطق المتخلفة في لبنان وسوريا. وقد لاحظ دو جوفنيل بحسد، أنه فيما كان على الفرنسيين مساعدة الموارنة في جهودهم، كان الصهيونيون يعيلون انفسهم بانفسهم. وفي موقف يكشف سوء فهم غربي معهود، للمشاعر القومية العربية، أهمل خطر احتجاج المسلمين باعتباره كمرحلة عابرة، مصراً على ان «شعب هذا البلد متعلق تعلقاً شديداً بمصالحه الخاصة، الى حد انه لن يرفض التصالح بالسرعة الكافية، مع هؤلاء الذين سيعملون على إثرائه»[١٧].

ولقد تصور جوفنيل مستوطنات صهيونية في شمال سوريا، تبدأ عند الفرات من حول حلب، وتمتد جنوباً عبر حمص باتجاه دمشق. واقترح ايضاً أن يبعث الصهيونيون

مدينة تدمر القديمة في الصحراء السورية. وقد سجّل كيش حماسته، لدى سماعه اقتراحاً من هذا النوع، يصدر «بعفوية» عن المندوب السامي الفرنسي. وسأل وايزمان عن الاستيطان الصهيوني في الأراضي الخاضعة للسيطرة الفرنسية في الجنوب، على طول الحدود اللبنانية مع فلسطين، التي كانت لها «ميزة الجوار الأقرب لمراكز استيطاننا الحالية، والتي ستكون لها، تاريخياً، وبمعزل عن هذه الحقيقة الملائمة، جاذبية أكبر للمشاعر العميقة للشعب اليهودي»[١٨]. ولكن جوفنيل عارض بعناد، أي نشاط صهيوني في جنوب لبنان خوفاً من مسعى يهودي لاسترداد الأرض، وخوفاً من معركة جديدة على حدود لبنان ـ فلسطين. فما كان يُقلق جوفنيل هو ان الصهيونيين، اذا أنشأوا المستوطنات حول صيدا وصور، فإنهم سوف يشرعون بالتأكيد، بإثارة القلاقل طلباً لضم هذه المنطقة الى الوطن القومي اليهودي. ولقد كرر حججه لصالح الاستيطان اليهودي في الشمال، ووافق وايزمان على النظر في اقتراحه[١٩].

وقد أثار جوفنيل امكانية الاستيطان اليهودي في الأراضي الخاضعة للانتداب الفرنسي، في رسالة بعث بها الى وزارة الخارجية في باريس. وما يثير الاهتمام انه عرض الفكرة باعتبارها فكرة وايزمان، وزعم أنه استمع اليها من دون أن يبدي رأياً فيها، ثم كرر حججه لصالح هذا الاقتراح، ونصح زملاءه بتشجيع وايزمان اذا جاء ليبحث الأمر[٢٠].

اما وايزمان فتداول مع معارفه البريطانيين الذين حيّرهم اقتراح جوفنيل، وشككوا في ان يقبل الصهيونيون هذا الاقتراح، او في أن يزدهر هذا الاستيطان هناك فيما اذا قبلوا به. وقرروا أن ادخال عنصر ودّي تجاه فرنسا، الى لبنان وسوريا، أمر يتطابق مع سياسة فرنسا القاضية بتشجيع الانقسامات في سوريا. كما شككوا بان فرنسا كانت ترى في الصهيونيين مصدراً كامناً للثروة في الأراضي الخاضعة لانتدابها[٢١].

وقد أقلق وايزمان احتمال تحويل الطاقة والأموال والقوة البشرية، التي كانت في فلسطين آنذاك، الى مشاريع بعيدة في الشمال. ولقد كان جنوب لبنان يجتذبه، لكن فرص موافقة فرنسا على النشاط الصهيوني هناك، كانت ضئيلة. ولم يكن وايزمان، الحساس دائماً بمشاعر القوى الكبرى، يريد ان ترفض الحركة الصهيونية الاقتراح الفرنسي رفضاً باتاً. وعرض أدلة تشهد على الدفء الجديد الذي طرأ على العلاقات الصهيونية ـ الفرنسية مستشهداً بالاهتمام الفرنسي الجديد بالأمور اليهودية والمسألة الفلسطينية، وما يبديه المثلون الفرنسيون في فلسطين من نوايا حسنة، واستعدادهم لتلطيف المعاداة السامية في

وسط الكاثوليك، والتشكيل الحديث للجنة الفرنسية لأصدقاء الصهيونية (التي تضمنت لائحة عضويتها مجموعة لافتة من رجال الدولة والاكاديميين)، وبالطبع، التحوّل الأخير لجوفنيل الى الصهيونية[٢٢]. ولقد اعتبر وايزمان بان العلاقات الايجابية مع فرنسا رصيد قيّم للبرنامج الصهيوني العام، وتردد في المساس بحساسيات الفرنسيين من خلال الرفض الفجائي لبادرة «سخاء» فرنسية، ويمكن للمرء ايضاً، ان ينسب تردده في رفض العرض، الى ميله الشخصي للفكرة التوراتية، لأرض اسرائيل التي تمتد «من نهر مصر الى الفرات»[٢٣]. ولقد استشهد مراراً، بهذه الفقرة، في سياق مناقشة اقتراح جوفنيل، مشيراً الى أن السؤال العملي هو ما إذا كان ينبغي البدء عند الفرات ثم العمل باتجاه الجنوب، او تركيز الجهود في فلسطين، والعمل بتفاؤل، باتجاه الشمال، في تاريخ لاحق. اما في ما يتعلق بالمقاومة العربية، فقد كان وايزمان يتصور تعاوناً سلمياً يقوم على أساس سياسة تبادل الخدمات: «نستطيع ان نقدم للعرب ما لا يملكونه، أي التنظيم، والموارد، الخ، فيما يستطيع العرب ان يقدموا لنا ما لا نملكه. عليهم ان يقبلوا بوعد بلفور»[٢٤]. وأوصى بمتابعة الفكرة بلباقة وانتباه.

ومرة اخرى، فإن المناقشة حول المسألة في اجتماعات اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية، في ٢٤ حزيران/يونيو، و١٥ تموز/يوليو، عام ١٩٢٦، اثبتت أن تفكير وايزمان كان على تباين مع تفكير التيار السائد الصهيوني[٢٥]. كان زملاؤه الصهيونيون يسمحون له بإجراء ما يريد من مفاوضات، وبطرح ما يريد من المقترحات المضادة، لكنه عندما طرح عليهم أفكاره بشأن الاستيطان الصهيوني في لبنان وسوريا، لم يجد الا القليل من التأييد. فقد كان باقي القيادات الصهيونية يعتقدون بان العمل داخل فلسطين كانت له الأولوية الأولى، ولم يظهروا أي اهتمام بتحويل الانتباه والأموال الى مراكز أمامية صهيونية مترامية الأطراف، في الصحراء السورية، أو على طول الحدود التركية. ونجد ان المحفوظات الفرنسية توثّق لاهتمام وايزمان المستمر، بخطة جوفنيل حتى العام ١٩٢٧، كما توثّق لحملة ضغط متواصلة في عام ١٩٣٠، شنّها مع فكتور جاكوبسون، رئيس المكتب الصهيوني في باريس آنذاك، لصالح الاستيطان الصهيوني في لبنان الانتداب ـ الفرنسي[٢٦].

وكانت حصيلة خطة جوفنيل الوحيدة فيضاً من المقترحات قدمها أفراد من اليهود، من اجل نشاط صهيوني في الأراضي الخاضعة للانتداب الفرنسي. فقد أقدم اوسيشكين،

الذي شجعه الكلام عن استعداد جوفنيل للسماح بدخول المستوطنين اليهود، على تجديد ادعائه أن قسماً من فلسطين التوراتية يقع ضمن لبنان وسوريا، وتوجه الى حاخام باريس الرئيسي، اسرائيل ليفي، حاملاً خطة خاصة باليهود الفرنسيين «وامكاناتهم الكبيرة»، من أجل تمويل استيطان تلك الأجزاء من أرض اسرائيل الخاضعة للانتداب الفرنسي. ووعد الحاخام بدراسة الفكرة(٢٧). اما كيش الذي كان يشاطر وايزمان رغبته المزدوجة القاضية بتركيز الاموال على العمل في فلسطين والاحتفاظ في الوقت نفسه، بخيار الاستيطان في سوريا، فقد كتب الى وايزمان طالباً مشورته عندما فاتحته مجموعة من نحالال بقيادة شموئيل دايان بشأن الاستيطان في أملاك تقع في الاراضي الخاضعة للانتداب الفرنسي، وتعود للبارون دو روتشيلد. وكانت حجة دايان ان تصريحات جوفنيل الاخيرة بددت كل ما يدعو الى التردد بشأن الشروع بالعمل الصهيوني تحت الراية الفرنسية. واشار عليه وايزمان بان عملاً من هذا النوع سابق لاوانه، ما دامت المفاوضات جارية، وطلب من مجموعة نحالال الانتظار بصبر(٢٨). وعندما اجرى الحاخام ليفي في النهاية، مشاورات مع روتشيلد، أعلن البارون أنه يعارض تماماً، الاستيطان الصهيوني ضمن الاراضي الخاضعة للانتداب الفرنسي(٢٩). وعلى الرغم من ان اصدقاء روتشيلد الفرنسيين البارزين، اعتمدوا تجاهه المماطلة برفق على ما يبدو، مع وعود مبهمة بدراسة الامر بدقة، فقد ابدى المسؤولون الفرنسيون في باريس وبيروت والقدس، اهتماماً متماثلاً، من احتمال الاستيطان الصهيوني في لبنان(٣٠). وولّدت المخاوف من مساعٍ صهيونية لاسترداد أرض الأجداد، رداً سلبياً كاد ان يكون هستيرياً، على طلب تقدم به الصندوق القومي اليهودي للحصول على إذن للمدعو البروفسور بروير، بدخول لبنان، من أجل إكمال بحث يجريه لوضع خارطة تتضمن تلك الأجزاء من «فلسطين التاريخية» التي تقع ضمن منطقة الانتداب الفرنسي(٣١).

وأدت المفاوضات كافة التي أجراها وايزمان، الى الخيبة، وتبددت فكرة النشاط الصهيوني في شمال حدود فلسطين. وفي رد على تساؤل حول الاستيطان اليهودي في جنوب لبنان، في العام ١٩٣٠، أجاب وزير الخارجية الفرنسية اريستيد بريان، أنه لا يعارض الهجرة اليهودية الى تلك المناطق، مادام اليهود يفهمون بانهم لن يكونوا أعضاء في أي دولة يهودية، بل مجرد مواطنين فرنسيين أو سوريين أو لبنانيين(٣٢). ولم يكن هذا ما تصورته الحركة الصهيونية، في ما يتعلق ببعث وجود قومي يهودي في وطنها الشرق

أوسطي القديم. وأسقط لفترة من الزمن، موضوع الهجرة اليهودية الى شرق البحر المتوسط الخاضع للانتداب الفرنسي.

ولان الاهتمامات الصهيونية الأولى بالحصول على الأراضي اللبنانية كانت اهتمامات عملية، لا تنطوي على حضّ ديني، ولا تستند الى ارتباطات عاطفية بالأرض، فإن ميول استرداد أرض الأجداد تجاه لبنان، بقيت ميولاً معتدلة. وعلى الرغم من الصدّ الفرنسي للبروفسور بروير، فإن الصندوق القومي اليهودي نشر في العام ١٩٣٧، خارطة تصور كامل فلسطين وجزءاً من لبنان وسوريا، مع الآية التوراتية القائلة «هذه هي الأرض التي سوف ترثونها»، الأمر الذي أثار استهجان الدائرة السياسية؛ وكتب برنارد جوزف يقول:

> ما من شك في ان الاقتباسات التوراتية منعشة للروح، ولكنها يمكن ان تولّد مصاعب لا تعد ولا تحصى، عندما تُستخدم من دون اعتبار للضرورات السياسية الملحّة في حينها. وهذا الاقتباس بلا شك، سيؤدي إلى انتحال الكثير من الأعذار، اذا ما وقع في أيدي الزعماء السياسيين السوريين واللبنانيين. واقترح لفت انتباه اللجنة التنفيذية الى الخارطة بقصد منع توزيعها(٣٣).

وعلى الرغم من الخيبة الناجمة عن خسارة مورد طبيعي، ذي أهمية حاسمة للوطن القومي اليهودي، فان المفكرين الصهيونيين لم يتناولوا باسهاب موضوع انشاء وجود مادي في لبنان. فاذا لم يكن باستطاعتهم امتلاك الليطاني، فلربما استطاعوا ايجاد شريك لبناني يستطيعون معه، استغلال موارد النهر من أجل التنمية المشتركة لشمالي فلسطين ولبنان.

الموارنة

لقد رفع الممثلون الصهيونيون الأوائل، المتجولون في أنحاء الشرق الأوسط، في مناسبات عديدة تقارير عن لقاءات ودودة مع اللبنانيين الكاثوليك الموارنة. وأدت الإلفة النامية مع هذه الطائفة، والحرارة التي كان يبديها أفرادها في استقبالهم، الى إضرام التوقعات الصهيونية بالنسبة الى الفرص السياسية، او الاقتصادية الممكنة في لبنان. فالتجربة المارونية في لبنان، ونمو الحس القومي الماروني المتطرف، أوحيا بأن هذه الطائفة قد تكون على استعداد للقبول بتحالف مع الصهيونيين.

وكان الموارنة قد ظهروا أول ما ظهروا، في شمالي سوريا، خلال القرن السادس،

وفروا الى الجبال اللبنانية خلال التوسع الاسلامي في القرن السابع. وتأخذ هذه الجماعة اسمها من شفيعها القديس مارون، المتنسّك. ولكن مؤسسها وقائدها الأول، كان يوحنا مارون (الذي توفي في العام ٧٠٧م)، الذي «طور هذا المذهب بقيادته، فغدا تنظيماً سياسياً ومجتمعياً مميزاً»[٣٤]. ولقد طور الموارنة لاهوتهم وطقسهم الديني السرياني الخاص بهم. واقتربوا أكثر من أوروبا الكاثوليكية خلال الحملات الصليبية، ثم دخلوا في وحدة كاملة مع روما في العام ١٧٣٦. وهم ككاثوليك يعترفون بالبابا، ولكن لهم شعائرهم وطقوسهم وبطريركهم الخاص، قبلوا بسلطة البابا محتفظين لانفسهم بدرجة من الاستقلال الذاتي، وحق ممارسة شعائرهم الدينية الخاصة. ولقد تمتع الموارنة طويلاً، على الصعيدين الثقافي والسياسي، بعلاقة خاصة مع فرنسا.

ويؤكد متى موسى أن إدراك الموارنة لانفسهم كجماعة منفصلة وفريدة ضمن لبنان، تشكّل خلال أوائل القرن التاسع عشر. وأصبحت الكنيسة، بحسب ما يقوله موسى، تعكس الخليقة المارونية، فيما مثّل البطريرك السلطتين، الدينية والدنيوية[٣٥]. ويجادل حوراني بان هذا الوضع نشأ في وقت مبكر يعود الى القرن السابع عشر، ويصوّره كأولى المراحل في الأيديولوجية المارونية، التي يسميها «ايديولوجية الجبل»[٣٦]. أما الجانب الأصلي والدائم للوعي ـ الذاتي الماروني، فكان «لطائفة مترابطة؛ والكنيسة المارونية تعيش وحدها في ظل هيئتها الحاكمة الخاصة بها، تحمي نفسها من هجمات حكام المدن والسهول المسلمين، ومن الهجمات الأكثر غدراً، لليعاقبة وغيرهم من «المارقين عن الدين»[٣٧].

وما لبثت الايديولوجية المارونية، وقد دخلت مرحلتها الثانية في القرن التاسع عشر، ان اعتنقت مفهوم أمة مارونية تعيش ضمن حدود نظام سياسي أوسع، تسيطر عليه هيئة حاكمة من عائلات سنّية ومارونية ودرزية نافذة، تعمل بتوافق. وفي أواسط القرن التاسع عشر، شجع النفوذ الفرنسي الموارنة على رؤية أنفسهم كجماعة مميزة أثنياً ودينياً. وأدت هذه المحاولة «لإعطاء عمق تاريخي لفكرة كيان سياسي [ماروني] منفصل، ومستقل عملياً»، الى ما يعرّفه حوراني بالنزعة العامية الثالثة في الايديولوجية المارونية، التي تطلّعت نحو دولة مارونية ذات استقلال ذاتي وسيادة[٣٨]. وكان ظهور «المارونية» السياسية والصهيونية في زوايا مختلفة من العالم، في الوقت نفسه تقريباً، مصادفة أخرى لتلاقي المصالح المارونية والصهيونية.

لقد شكّل الموارنة والدروز الطائفتين الرئيسيتين في جبل لبنان، المنطقة الوعرة التي

قدمت ملاذاً لطوائف الأقليات، تلوذ به من الامبراطورية الاسلامية الحاكمة. وتقلّب التعايش الماروني ـ الاسلامي بين التعاون الحقيقي والنزاع المرير، لينفجر حرباً أهلية دامية في نهاية المطاف، في العام ١٨٦٠. وكانت تلك الحرب، هي العامل التي يعتقد ايتامار رابينوفيتش، بانه «أصعد الى السطح، وغذى، العنصر الجديد في السياسة اللبنانية، في القرن التاسع عشر ـ وهو التضامن الديني والكراهية الدينية»[٣٩]. وهذا الشقاق الديني نفسه في السياسة اللبنانية في القرن العشرين، هو الذي جعلنا نرى الموارنة يبحثون قلقين، عن حليف اقليمي، وكان الصهيونيون أحد المرشحين.

ووضعت الحرب الاهلية للعام ١٨٦٠، أوزارها، عندما تدخلت القوات الفرنسية لصالح المسيحيين، وتفاوضت القوى الأوروبية مع السلطان، من أجل خلق ولاية لبنانية مستقلة ذاتياً، متصرفية، ضمن الامبراطورية العثمانية. وتولى ادارة المتصرفية حاكم مسيحي غير لبناني، عيّنه السلطان بموافقة القوى الغربية. واحتفظ لبنان المستقل ذاتياً، بقوة الشرطة وسلطة قضائية خاصة به، وفيما كانت له أغلبية وميزة مسيحية واضحة، كانت جميع الطوائف تتمتع فيه بتمثيل سياسي، ودرجة معينة من السلطة السياسية. وخلال هذه الفترة المزدهرة، بحسب موسى، وسّع الموارنة منظورهم في الفترة التي كانوا يتمتعون فيها بهيمنتهم الجديدة، وباتوا يعتبرون لبنان موطنهم الحصري. وأصبح «لبنان» بالنسبة اليهم مرادفاً للمارونية. وبهذا المعنى، أصبحت الكنيسة المارونية نصيرة قومية لبنانية في أولى نشأتها[٤٠].

ومع نشوب الحرب العالمية الأولى، ألغت الحكومة العثمانية المتصرفية واخضعت للحكم العسكري المباشر. وانتهى ذلك النزاع بفرض السيطرة الفرنسية على كل من لبنان وسوريا. وأرسل الموارنة وفداً الى مؤتمر باريس للسلام، في محاولة لاكتساب دولة مسيحية في لبنان مرة والى الأبد[٤١]. ولقد فضّل الفرنسيون انشاء دولة مارونية مستقلة، ذاتياً، ولكن الجدل نشب حول الحدود المناسبة لهذه الدولة. وكانت المسألة موضوع النقاش مطالبة الموارنة بان يشمل انشاء الدولة اللبنانية الجديدة، توسيعاً لا يستهان به لأراضي المتصرفية القديمة.

وقد تضمّن انشاء لبنان الكبير المستقل في الأول من ايلول/سبتمبر عام ١٩٢٠، ضم مناطق الى القلب المسيحي في جبل لبنان، غالبيتها الساحقة من المسلمين. وقد فهم بعضهم، حتى في ذلك الوقت، بان الضم غير المرغوب فيه لعدد كبير من السكان المسلمين

في الدولة المسيحية الجديدة، يهدد بقاء هذه الدولة. وليس هناك من جواب بسيط عن السؤال عن سبب تجاهل الفرنسيين والموارنة لهذا الخطر. ويجادل هوف في هذا الصدد بالقول بان الفرنسيين، في سياق نزاعهم مع البريطانيين حول الحدود الفاصلة بين مناطق انتدابها، قبلوا بحماسة تأدية دورهم التقليدي كحماة للموارنة وضغطوا لصالح المصالح المارونية، كثقل مضاد للادعاءات البريطانية والصهيونية. وقد اكتفت فرنسا بمجرد كونها ضمنت جنوب لبنان لزبائنها الموارنة على حساب الصهيونيين المدعومين من البريطانيين. وقد أحكمت فرنسا بإرضائها الاحلام التوسعية المارونية، الرابط الذي يربطها بالحليف الوحيد الموثوق لها، ضد القوميين العرب المعادين، وأدت في الوقت نفسه خدمة للمصالح الامبريالية الفرنسية، من خلال «توسيع الهيمنة السياسية لأكثرية مسيحية ضيقة، محبة لفرنسا في أغلبها، على أكبر مساحة ممكنة من الأرض»[٤٢]. ونجد، استناداً الى الوثائق التي رُفعت عنها صفة السرية، في المحفوظات الفرنسية، نجد مئير زمير يؤكد أن سياسيين فرنسيين بارزين، بمن فيهم رئيس الوزراء كليمنصو، قصدوا تقديم تنازلات للقوميين المسلمين في لبنان وسوريا، على حساب التطلعات المارونية. وكان روبير دوكيه، الأمين العام للبعثة العليا الفرنسية، معارضاً جهورياً بصفة خاصة، للبنان الكبير. وحذر دوكيه، الذي لم تُثر الدعاية المارونية مشاعره، من «هوس العظمة» لدى المسيحيين الذي سوف يبذر بذور التفكك للدولة التي كانوا يحاولون خلقها[٤٣]. أما أن تكون الظروف قد تضافرت لإرغام كليمنصو على التسليم لمطالب الموارنة، فهذا امر واضح في رسالته المؤرخة بتاريخ العاشر من تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٩، التي بعث بها الى البطريرك الماروني الياس بطرس الحويك، والتي وعد فيها بضمان أكبر قدر ممكن من الأراضي للبنان[٤٤].

وكان الحافز وراء المطالب المارونية عوامل نفسية واقتصادية وتاريخية وسياسية. وعلى الرغم من ان بعض رجال الدين الموارنة شككوا في توسّع لبنان لأسباب ديموغرافية، فإن قائد الوفد الماروني البطريرك الحويك، نقض اعتراضاتهم. وقد أدّى الحويك، بممارسته السلطتين، الزمنية والروحية، دوراً أساسياً في إنشاء لبنان الكبير، صوّره بعضهم على انه «يفوق في أهميته الدور الذي لعبه السياسيون كافة في المنطقة»[٤٥]. ولقد شعر الحويك، بعد سنين من الاستقلالية الدينية المارونية، بالمهانة العميقة لانه كان البطريرك الأول، منذ أجيال، الذي يُجبر على مناشدة السلطان العثماني من أجل ان يتقلّد رتبته، وكانت تلك الحادثة هي التي أوقدت رغبته في دولة مارونية

مستقلة، لا يعتمد فيها منوال الحياة المسيحية على أفضال حاكم مسلم. وكان للمجاعة التي ضربت عشرات الآلاف من مسيحيي جبل لبنان إبان الحرب العالمية الأولى، تأثير بالغ في الموارنة لَفَتَهُم الى أهمية ان يكون للدولة اللبنانية الجديدة اكتفاء ذاتي، فاستهدفوا الحصول على السهول الخصبة والموانىء في عملية توسيع الارض. ودفعت الحاجة الى نمو اقتصادي قابل للحياة، والتوق الرومانسي لاعادة خلق الحدود التاريخية لـ «الإمارة» (الكيان اللبناني السابق للمتصرفية الذي كان يسيطر عليه الموارنة)، وتجربة الموارنة الناجحة خلال حكم المتصرفية، دفعت بالعديد من الموارنة الى تجاهل التهديد الاسلامي، فيما دفعت بآخرين منهم الى الاعتقاد بانهم يستطيعون الهيمنة على الدولة الجديدة، على الرغم من زيادة حجم السكان المسلمين، وذلك بفضل ثقافتهم الغربية المتفوقة، وتميّزهم بالمبادرة، وروابطهم بفرنسا[٤٦].

ولم تر التناقض بين لبنان المسيحي ولبنان الكبير سوى قلة من الموارنة، من أبرزهم، الصحافي جورج سمنه الذي نصح أبناء ديانته بالاختيار بين دولة مسيحية مستقلة صغيرة، وبين لبنان موسّع غير متجانس بسكانه، ومرتبط بسوريا. وكتب سمنه يقول بان السعي من أجل دولة مسيحية أكثر اتساعاً، هو محاولة تحقيق المستحيل: «تربيع الدائرة»[٤٧]. وبحسب أمين سعيد، أيّد إميل إده جوفنيل في العام ١٩٢٦، عندما اقترح هذا المندوب السامي إعادة ربط طرابلس وعكار بسوريا. وقد ذكر سعيد أن إده «تعهّد باقناع شعبه بمنح طرابلس للسوريين... ووضع توقيعه على الوثيقة بشأن هذه الوحدة»[٤٨].

وعبّر إده في مناسبات عديدة أخرى، عن تأييده لتقليص مساحة أرض لبنان، متذرعاً بحجة ان المسيحيين لا يستطيعون حماية السيطرة المسيحية على لبنان الا ببتر تلك المناطق ذات الغالبية الساحقة المسلمة، التي جرى ضمها اليه في العام ١٩٢٠. ولكن هذا الموقف لم يكن يتمتع بالشعبية ضمن الطائفة المارونية، ولم يملك إده في سياق حملته للرئاسة، الا ان يشرح موقفه على انفراد، للسلطات الفرنسية فقط، على أمل ان تقوم بالعمل المناسب، ولكنها لم تفعل[٤٩].

ان الفهم السليم والمعرفة بالأمور الجارية، يضعان إنشاء لبنان الكبير في جذر النزاع المتواصل في هذه الدولة. فقد أدى دمج المناطق الواسعة التي يقطنها المسلمون حصراً تقريباً، بالدولة المسيحية، الى تخريب انقلابي للميزان الديموغرافي في لبنان، والى ولادة الفكرة السورية بالسعي لاسترداد أرض الأجداد. وتبيّن أن إنشاء لبنان أوسع ينطوي على

بيروت والجبل، وقد لبّوا رغبتهم في توسيع الأرض، ما لبثوا ان اكتشفوا بأن المنطقة الجنوبية كانت فقيرة وريفية ومسلمة، الى حد لا تستحق معه اهتمامهم، وأتاح ما نتج عن الاهمال الذي أبدته بيروت تجاه الجنوب، للصهيونيين، في البداية، استمرار قدرتهم على الدخول الى جنوب لبنان، ولكنه مكّن أعداء الصهيونية في فلسطين وأعداء الموارنة في لبنان، في نهاية المطاف، من اجتياح المنطقة. وأثناء الثورة العربية في فلسطين في أواخر الثلاثينيات، بدأ استخدام لبنان كنقطة انطلاق للهجمات العربية ضد اليشوف، يُملي السياسة الصهيونية تجاه لبنان[٥٠].

ويؤكد حوراني بان لبنان، مع دمج بيروت ونمو هذه المدينة الى موقع اقتصادي متفوق، لم تعد ترشده «ايديولوجية الجبل» بقدر ما راحت ترشده فلسفة المدينة التجارية، حيث ينبغي ان يكون الناس جميعاً، وعلى اختلافهم، قادرين على مزاولة أعمالهم التجارية بسلام، مع سبيل مفتوح للوصول السهل الى العالم الخارجي[٥١]. ولقد لاحظ الصهيونيون نمطاً تجارياً مبالغاً فيه، في وسط اللبنانيين، واعتبروه مفتاحاً من المفاتيح المؤدية الى استعداد لبناني خاص للقبول بفلسطين يهودية، وبكل ما يمكنها ان تقدم لهم على صعيد التكنولوجيا، والتجارة، والتبادل التجاري بين الدولتين. ولكن الأمر الذي كانت له أهمية كبرى، للبنان وللعلاقات المارونية ـ الصهيونية في آن، كانت تلك القنبلة الديموغرافية الموقوتة، التي زرعها الموارنة في وسطهم، عندما أصروا على حدود موسّعة لبلدهم. فالقوة المنفردة الأقوى، الدافعة للموارنة باتجاه التحالف مع الصهيونيين، كانت دائماً ذلك الخوف من أن يطغى عليهم المسلمون، الذين كانت وتيرة التكاثر في وسطهم ـ ومن ثم عددهم في النهاية ـ تفوق الى حد بعيد، وتيرة التكاثر لديهم.

لقد كان لاحتمال أن يصبح الموارنة أقلية في ملاذهم القومي، تأثير هائل على تطور الايديولوجية المارونية بعد إنشاء لبنان الكبير. ويقول حوراني شارحاً، إنه كان من المحتم ان تنشأ في بلد رُكّب عن طريق الدمج الاعتباطي لطوائف على درجة عالية من الشقاق، مفاهيم مختلفة لما يجب ان يكون عليه لبنان. وقد كتب في أواخر الأربعينيات معرفاً بضع وجهات نظر متميزة بلبنان. فالسنّة والقوميون العرب من أصل مسلم او مسيحي عموماً، كانوا يدعون الى اندماج لبنان في دولة سورية كبرى، فيما كان الجيل الأكبر في وسط الأقليات، يطلب فقط أن يكون لبنان ملاذاً آمناً، بصرف النظر عن شكل الحكم فيه. وكان قسم صغير من الموارنة، الراغبين في أن يكونوا عرباً بصورة كاملة ومسيحيين بصورة

كاملة، يجادلون من أجل لبنان ذي رسالة، أي لبنان الذي يكون جسراً بين الشرق والغرب المسيحي. ولكن معظم الموارنة ثبتوا الموقف الذي يقول بان لبنان بلد مسيحي في منطقة البحر المتوسط: «ليس الحافة الغربية للعالم المسلم العربي، بل الحافة الشرقية للعالم المسيحي الغربي»[٥٢]. ولقد اعتنق المتطرفون فلسفة «الفينيقية» التي تقول بأن الموارنة ليسوا حتى من العرب، ولكنهم، بالأحرى، متحدرون من الفينيقيين القدماء، الذين قطنوا الساحل اللبناني قبل وقت طويل من وصول العرب. وقدم دعاة هذه النظرية الغربية، فرصة أخرى أيضاً للصهيونيين، للتحادث بصورة حميمة مع الموارنة، على أساس علاقة عبرانية ـ فينيقية توراتية صادقة.

ويؤكد توفيق خلف أنه فيما طور المسلمون حساً بـ «اللبنانية»، حل محل الولاءات الأخرى، بقيت اللبنانية المارونية جاثمة على المفهوم الدفاعي للهوية المارونية، وعلى التفوق والتميّز الماروني[٥٣]. ويتحدى التاريخ اللبناني الحديث ذلك الاستنتاج القائل بان الجماعات غير المارونية احلت الولاء للجمهورية اللبنانية محل ولائها لجماعتها، ولكن من الصحيح القول بان الرؤية المارونية للبنان بقيت رؤية ضيقة وطائفية. وقد دعمت ركيزتان اثنتان التماسك المستمر للمجتمع الماروني: النفوذ المنتشر في كل مكان للبطريرك والكنيسة؛ والفلسفة السياسية التي تشدد على التوجه الغربي، والخوف البالغ من المسلمين.

ولقد تضافرت الأحداث لتعزز هذا المنظور الماروني. والمثال الذي ينطبق على ذلك، كان العرض الجانبي الغريب الذي حصل على هامش الثورة الدرزية للعام ١٩٢٥، ضد الفرنسيين في سوريا. وقد تدفقت الثورة الى جنوب لبنان حيث تدهورت لتصل الى نزاع درزي ـ ماروني. وقد أقدمت فرنسا، وكان حجم قواتها قد بات هزيلاً في المنطقة، على استغلال العداوات الدرزية المارونية التقليدية، فسلّحت المسيحيين[٥٤]. وعززت هذه الحادثة الميل المسيحي للنظر الى السياسة بصيغة البقاء المجتمعي، والتحول الى غير العرب لطلب مساعدتهم في معاركهم مع العرب الآخرين. وينسب هوف الى أحداث العام ١٩٢٥، تثبيتها عزلة الموارنة، وتشجيعها الاستعداد الماروني للنظر الى الصهيونيين كحلفاء معقولين[٥٥].

ان سنين طويلة من النزاع مع «عرب لبنانيين» آخرين، والميل الى التطلع نحو الغرباء لطلب المساعدة، والحسّ بالتفوق الغربي، ميّز تجربة الموارنة في لبنان. وهكذا وضع تاريخ الموارنة نظرياً، الأسس لعلاقة مارونية ـ صهيونية. أما هؤلاء الذين كانوا يميلون بتفاؤل،

الى رابط خاص يربط بين الجماعتين، فقد كانوا يؤكدون أن الإمكانية لقيام مثل هذه العلاقة إمكانية قائمة على الصعيد العملي أيضاً.

التفاعل الصهيوني ـ الماروني المبكر

وجد النشيطون الصهيونيون في العقود الأولى للقرن العشرين ما يشجعهم في لقاءاتهم مع الموارنة. فالسوابق على الصداقة الصهيونية ـ المارونية كانت قد ظهرت في عام ١٨٦٠، خلال الحرب الأهلية المارونية ـ الدرزية. كانت الغلبة آنذاك، قد كُتبت للدروز بصورة قاطعة، وكانوا عاكفين على الذبح المنهجي للمسيحيين الذين رفضت السلطات العثمانية نجدتهم. وطلب الموارنة في يأسهم، نجدة الأمم الأوروبية. وكان من بين أولى الشخصيات الأوروبية التي استجابت لمناشدتهم، السير مونتيفيوري، وهو ثري يهودي من زعماء الطائفة في لندن، وأودولف كريميو، وهو رجل دولة يهودي فرنسي بارز. فأجرى مونتيفيوري الترتيبات، التي تضمن حصول محنة الموارنة على تغطية بارزة في صحيفة «التايمز» اللندنية، وأنشأ صندوقاً لمساعدة الناجين، أعطاه بسخاء من ماله الخاص. وأثبت كريميو دوره الفعّال في إقناع الفرنسيين بإرسال قوات الى لبنان لانقاذ المسيحيين. فقد انقذ التدخل الفرنسي المسيحيين، وأدى الى إنشاء المتصرفية التي تسيطر عليها الموارنة[٥٦]. وقد ألمحت ظروف الحرب الأهلية المارونية ـ الدرزية، من طرف خفي، الى ترابط المصالح الصهيونية والمارونية في المستقبل، عندما اقترح بعض المسيحيين الموالين للصهيونيين في فرنسا، وقد راعهم ما بدا من تعرّض المسيحيين اللبنانيين للأذى، ما مفاده بأن دولة يهودية عازلة في فلسطين، قد تساعد في تعزيز موقع فرنسا والمسيحيين في الشرق الأوسط[٥٧].

وخصص مونتيفيوري الكثير من عمله الاحساني، لانشاء مستوطنات ومدارس ومصالح تجارية يهودية في فلسطين، فيما أسس كريميو المنظمة التعليمية اليهودية، Alliance Israelite Universelle، التي انشأت أول مدرسة يهودية للزراعة في فلسطين، ولكنهما في ما قدماه من دعم للموارنة اللبنانيين المحاصرين، كانا يعملان كمحبين للخير العام وليس كيهود بالذات ـ وبالتأكيد ليس كـ «صهيونيين»، أما صلة هذه الحادثة الصغيرة بالعلاقات الصهيونية ـ المارونية فتكمن في كونها شاخصة في الذاكرة الجماعية المارونية. وقد علم الياهو ابشتاين للمرة الأولى، بالدور الذي لعبه كريميودعماً للمسيحيين اللبنانيين،

وقد علم الياهو ابشتاين للمرة الأولى، بالدور الذي لعبه كريميودعماً للمسيحيين اللبنانيين،
عندما التقى البطريرك الماروني، انطون عريضة. وقد لاحظ على مرّ السنين، أن البطريرك كان يذكر الجهود التي بذلها كريميو لصالح موارنة لبنان، في كل مرة كان يستقبل فيها زائرين يهوداً، في الكرسي البطريركي في بكركي، وكلما كان يخاطب الطائفة اليهودية في لبنان[٥٨]. فقد كان عريضة يرى في حادثة مونتيفيوري ـ كريميو سابقة تاريخية للصداقة الصهيونية ـ المارونية. ومنحته مشاعره الشغوفة نحو هذين المحسنين اليهوديين حساً بالالفة مع صهيونيي القرن العشرين، واسهمت في تلهّفه على توحيد القوى معهم، وتجديد ذلك الرابط الذي انصهر قبل خمسة وسبعين عاماً تقريباً.

ولقد فوجىء المبعوثون الصهيونيون الأوائل، بأن القوى العاطفية والعملية قد تجمعت، لتخلق موقفاً موالياً للصهيونية، لدى العديد من الموارنة البارزين. ففي عام ١٩١٣، أقدم أشخاص عرب يتطلعون الى تسخير النفوذ والموارد اليهودية لنضالهم ضد العثمانيين، على مفاتحة سامي هوشبرغ، الناشر اليهودي لصحيفة Le Jeune Turc، والنشيط الصهيوني المقيم في اسطنبول بفكرة التعاون. وقد فوضت اللجنة التنفيذية الصهيونية هوشبرغ بالسفر الى القاهرة، حيث اجتمع الى لجنتي حركة القوميين العرب في القاهرة وبيروت، ليعود من هذه الاجتماعات متشجعاً عموماً، بالنسبة الى فرص تفاهم عربي ـ يهودي، ومندهشاً من التأييد المتحمس للصهيونية، الذي أبداه أعضاء اللجنة اللبنانية. ولقد أصرّ الموارنة الذين التقوا هوشبرغ، على أن فلسطين يهودية مستقلة ذاتياً هي أفضل ضمانة للبنان مسيحي مستقل ذاتياً[٥٩].

ولخص أهارون كوهين الموقف المسيحي كما شُرح لهوشبرغ، وكما أبلغه هوشبرغ، كالتالي:

> لم يكونوا يرغبون فحسب، بمجيء اليهود الى فلسطين وسوريا، بل كانوا يأملون بان يكون هذا التدفق للمستوطنين كبيراً وسريعاً، لانه كان متوافقاً مع مصالحهم السياسية والاقتصادية كمسيحيين عرب. فالمسيحيون العرب كانوا أقلية مثلما كان اليهود أقلية. فإذا ازداد عدد هاتين الأقليتين، فلسوف تستطيعان تشكيل كتلة من شأنها ان توازن تفوق المسلمين العددي الساحق، الذي يخشاه المسيحيون. فالتفوق الثقافي لليهود والمسيحيين يمكنه ان يعادل تفوق المسلمين العددي... ومن وجهة النظر الاقتصادية، كان المسيحيون العرب عارفين تماماً بأن المهاجرين اليهود سيجلبون معهم مهارات قيّمة من شأنها ان تساعد في تنمية هذه المناطق. والمسيحيون هم أولاً وقبل كل شيء، من أرباب التجارة،

ولأنهم كذلك، فقد أدركوا أن الرساميل، والمعامل الصناعية العصرية، ووسائل الانتاج الحديثة، من شأنها ان تخلق مناخاً من الازدهار، ليس فقط لهؤلاء الذين ادخلوها الى الشرق الأوسط، وانما لسكان البلاد الاصليين أيضاً[٦٠].

ويستحق التقرير الذي قدمه هوشبرغ عن موقف المسيحيين، الاقتباس بالتفصيل، لانه يتضمن المشاعر الرئيسية كافة للفرضية الصهيونية التي طُرحت في وقت لاحق، وتدعو الى التعاون مع الموارنة. فكون المسيحيين قد بادروا إلى طرح مفهوم الكتلة الصهيونية ـ المسيحية كان في حد ذاته، نقطة سُجلت لصالح هذه الدعوة، مثلما كانت حقيقة ان المسيحيين كانوا الجماعة الوحيدة التي تعبّر عن الرغبة في ان تأخذ على عاتقها التزاماً بعيداً كهذا الالتزام. فالاعتقاد بوجود انسجام طبيعي في المصالح السياسية والاقتصادية بين اليهود والمسيحيين، اعتقاد جلي الأثر، بمثل جلاء ادراكهم للتفوق المتأصل لليهود والمسيحيين الغربيين، المتعلمين والمتمدنين، ذوي الدراية بشؤون الحياة، مقارنة بالمسلمين. وكان لموقف الموارنة اللبنانيين الموالي للصهيونية، غير المتوقع، الذي رُفع تقرير به في حينه، الى اللجنة التنفيذية الصهيونية، ان أدخل في التفكير الصهيوني، تلك البذور التي تبرعمت فيما بعد، في شكل مقترحات متكاملة لتحالف الأقليات في الثلاثينيات والاربعينيات.

ولقد جاءت التقارير حول الموقف الايجابي للمسيحيين اللبنانيين تجاه الصهيونية، من أماكن أخرى أيضاً. ففي العام ١٩١٩، سافر ابراهام الميليخ، وكان آنذاك رئيساً للمكتب الصحافي للجنة الصهيونية، الى لبنان وسوريا لتلقين الزعماء المحليين للطائفتين اليهوديتين هناك، ما ينبغي قوله في شهاداتهم حول المسألة الفلسطينية أمام لجنة كينغ ـ كرين. فقد أجرى الميليخ، وكان صحافياً بالمهنة، تحقيقاً في الوضع السياسي القائم في شرق البحر المتوسط، وفي المواقف التي تقفها الفئات المختلفة هناك، من الصهيونية. وتوصل الميليخ الى الاستنتاج أن العرب السوريين كافة معارضون للصهيونية، لكنه لاحظ بان «كل لبنان مع الأحزاب التي تؤيد فرنسا في المدن الساحلية السورية، تحبذ الهجرة اليهودية ولا تضع العراقيل في وجهها»[٦١]. وكان الميليخ يشير في ذلك، الى الموارنة، الذين أثروا مرة أخرى، تأثيراً لافتاً في مراقب صهيوني، باستعدادهم على القبول بالمسعى الصهيوني في فلسطين.

وطوال العقدين الثاني والثالث من هذا القرن، كان الأفراد الذين قادتهم تجاربهم في

لبنان، بصورة منفردة، الى الاستنتاج نفسه، ينمّون مفهوم الجبهة المشتركة الصهيونية ـ المارونية. وكان أحد هؤلاء بنحاس نئمان، وهو شاب يهودي روسي، هاجر الى فلسطين، وعمل للجنة الصهيونية في وسط المجتمعات اليهودية في لبنان وسوريا. كما كان مديراً للمدرسة اليهودية في صيدا من عام ١٩٢٠ وحتى العام ١٩٢٢، وقد عمل ايضاً ناطقاً باسم المجتمع اليهودي هناك[٦٢].

وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى، نشبت العداوات القديمة بين الشيعة والموارنة في جنوب لبنان، وأدت الى اندحار المسيحيين، ففر معظم سكان القرى الأكثر تضرراً، وانتهى المطاف بالعديدين منهم، في صيدا، جائعين ومفلسين. فأبرق نئمان الى اللجنة الصهيونية طالباً أموالاً خاصة لمساعدة اللاجئين المسيحيين، وكانت استجابة اللجنة فورية. اما رد المسيحيين على هذه المساعدة الانسانية غير المتوقعة، فقد شجع نئمان على حث اللجنة الصهيونية بانتهاج سياسة مؤيدة للمسيحيين، كان يشعر بان من شأنها خدمة المصالح السياسية الصهيونية أيضاً. وكانت نظرية نئمان تقوم على ان المنظمة الصهيونية، باستثمارها مبلغاً من المال صغيراً نسبياً، في إغاثة اللاجئين المسيحيين، سوف تدّخر الدعم في وسط المسيحيين، الذين سيعودون في النهاية، الى قراهم وينشرون الكلمة الطيبة في حق الصهيونية. ومن بعد صرف مبلغ آخر تبرعت به القدس، على الموارنة التعساء، أبلغ نئمان متحمساً، بان «عدد أصدقائنا في وسط المسيحيين ينمو يومياً» وطلب أموالاً إضافية لتزويد الأيتام المسيحيين بالملابس، ملاحظاً بانه من العار تفويت هذه الفرصة لتقريب قلوب المسيحيين أكثر فأكثر الى الصهيونيين[٦٣].

وطلب نئمان من زعماء المسيحيين والسلطات المحلية، وضع قائمة بأسماء الأشخاص المعوزين، من أجل أن توزع فيما بينهم الأموال الصهيونية التي وصلت أخيراً. وأكد للقدس أن الفقراء كانوا يعرفون أن «الصهيونيين في فلسطين» هم المحسنون اليهم. وأبلغ نئمان اللجنة أن الأموال نفدت ما ان وصل في توزيعه الى نهاية القائمة التي كانت تحمل ٤٠٠ اسم، ولكن مازال هناك العديد من الناس الذين ينتظرون دورهم. وعلى الرغم من التعليمات التي وُجهّت الى نئمان بألا يجاوز الميزانية، فإنه قرر ألا يرفض مساعدة الذين أتوا متأخرين حتى «لا يخرّب الانطباع الجيد الذي تركه توزيع المال، لدى المسيحيين جميعاً» وبعض المسلمين الذين تلقوا المساعدة. واعتذر على تجاوز موازنته، لكنه طلب ان يُدفع له ما استدانه لمساعدة لاجئين إضافيين، مؤكداً أن نتائج ما قمنا به لا تُقدّر بثمن. اذ لا

يوجد الآن مسيحي واحد لن يتذكر اسم الصهيونيين باستحسان...ولا تنسوا بان هؤلاء الناس سيعودون الى بيوتهم التي ستكون، بحسب الشائعات، على حدود بلدنا، وسيتكلم زعماء هذه الطائفة من الناس، وسيستخدمون نفوذهم، ومن المهم جداً بالنسبة إلينا، ان يكون هؤلاء مدينين لنا[٦٤].

وأرسل الى القدس رسائل شكر قصيرة من زعماء مسيحيين كدليل على ان العمل الحسن قد أظهر نتائج ملموسة. وراوحت هذه الرسائل بين الشكر اللامبالي وتعابير الامتنان القلبية الجارفة، ولا شك ان نئمان كان مسروراً بصفة خاصة، من رسالة بعث بها قرويو دير ميماس يُقسمون فيها بـ «اننا سوف نخلّد ذكراكم على صفحات قلوبنا طوال أيام حياتنا»، ويعربون عن املهم بان يكافىء الله المحسنين اليهود بفلاح المهمة الصهيونية[٦٥].

وقد طلب بعض المسيحيين من نئمان، على ما يبدو، توسيع المدرسة اليهودية بحيث تتسع لاولادهم. وأوصل نئمان الطلب، بطيب خاطر، الى القدس، مُرفقاً رأيه القائل «باننا مهما انفقنا عليهم الآن، سنكسب سياسياً أكثر بكثير»[٦٦]. لقد بدا نئمان مبتهجاً لأنه عثر على طريق عمل كان في آن، سليماً خلقياً ومفيدا سياسياً، واستخدم الحجتين في مناشدته اللجنة الصهيونية، مواصلة تمويل جهود إغاثة المسيحيين.

وكانت اللجنة موزعة الفكر بين احتمال إيجاد حليف سياسي في وسط مسيحيي لبنان، والمشاريع الصهيونية العديدة الأكثر مباشرة، التي تثقل مواردها الزهيدة. وكان توسيع المدرسة العبرية في صيدا أمراً مستحيلاً، لكن نئمان تلقى التعليمات بقبول الأولاد المسيحيين في الصفوف كافة باستثناء الدينية منها. وأقرّ أمين صندوق اللجنة بالوضع الاستثنائي الذي سببه اللاجئون في صيدا، والقيمة السياسية للعمل الذي يقوم به نئمان، ولكنه حذّر مع ذلك، من تجاوزه لميزانيته[٦٧]. وفي الوقت الذي كانت فيه القدس مهتمة بالمفهوم القائل بكسب الأصدقاء في وسط المجتمع المسيحي، فإن اللجنة لم تقتنع بخطة نئمان الجريئة القاضية بألاّ تدّخر مالاً في كسب قلوب وأرواح اللاجئين المسيحيين وتأييدهم السياسي. ومع ذلك عبر نئمان بعد بضع سنوات، عن رأيه القائل بان مساعدة الصهيونيين السريعة رفعت من قدر سمعتهم في وسط المسيحيين والسلطات اللبنانية[٦٨]. وفي الوقت الذي لا تتوافر فيه الأدلة القائمة على التجربة، فان حملة نئمان الموالية للمسيحيين قد تكون أسهمت في نزوع الموارنة الى رؤية الصهيونيين كمحسنين، وفي الميل المتنامي في وسط بعض الصهيونيين، الى اعتبار الموارنة حلفاء ممكنين.

ولقد أدى العنف الشيعي ـ المسيحي الذي ألهم نئمان، الى دعوة حتى أكثر صراحة من قبل، لسياسة تعاون صهيونية مع المسيحيين اللبنانيين، أطلقها صحافي موالٍ للصهيونية في بيروت. فقد كتب ج.ج. كاليب الى وايزمان مباشرة عارضاً تقييمه لصلة الوضع بالقضية الصهيونية، من دون ان يكون احد قد طلب منه ذلك. وتلا كاليب تلاوة طويلة مملة للفظائع المزعومة التي ارتكبها المسلمون ضد المسيحيين، ملاحظاً أن اليهود قد عانوا مؤخراً من فظائع مماثلة على أيدي المسلمين في القدس. ووصف المرارة التي يشعر بها المسيحيون تجاه المسلمين، زاعماً بان العديد من المسيحيين جاؤوا اليه لاطلاعه سرّاً بانهم يريدون الاتحاد مع الصهيونيين لتشكيل قوة متراصّة تكون قادرة اذا نشأت الحاجة، على مقاومة المسلمين، وبانهم يفهمون الآن أننا اقليتان لهما المصالح نفسها، وهم مستعدون على العمل بهذا المعنى في وسط مسيحيي فلسطين[٦٩].

وزعم كاليب بان الصهيونيين يمكنهم بمساعدة المسيحيين اللبنانيين، شقّ الكتلة المسلمة ـ المسيحية في فلسطين.

واقترح كاليب أن يرسل الصهيونيون ممثلاً دائماً الى بيروت لانشاء منظمات مسيحية - صهيونية تكافح معاداة الصهيونية. وفاتح اوسيشكين بشأن الموارد المالية اللازمة لتأسيس جبهة صهيونية ـ مسيحية، وعبّر لوايزمان عن نفاد صبره لاضطراره الى الانتظار الى ما بعد انتهاء المؤتمر الخاص للقيادات الصهيونية في لندن، الذي كان سينعقد في الشهر التالي، وحذّر قائلاً: «ان اللحظة الحالية هي لحظة العمل النفسية»[٧٠].

لقد لامست مناقشة كاليب، النقاط المألوفة لدى المدرسة الموالية للموارنة. فقد رأى أن المسيحيين واليهود سوف يتكبّدون مصائر مماثلة في مواجهة العدو المشترك المسلم، وفهم مصيرهم المشترك على انه عامل من عوامل مكانتهم كأقليات دينية، وتنبأ بان ينبثق أمن كلتا الطائفتين من تحالف وثيق بينهما. وكان يعتقد بان لدى المسيحيين شيئاً ملموساً يقدمونه، الا وهو ممارسة نفوذ موالٍ للصهيونية في وسط المسيحيين الفلسطينيين. ومن السهل تفسير حقيقة ان القيادة الصهيونية لم تتابع اقتراحات كاليب. فاللجنة الصهيونية التي وجّه اليها كاليب نسخة من رسالته، كانت على معرفة بالوضع الذي يتيحه الشقاق المسلم ـ المسيحي في لبنان، لكنها توصلت الى الاستنتاج أنها لا تستطيع ان تفعل أكثر من إرسال ما ارسلته من أموال الى نئمان من أجل أعمال الإغاثة في وسط اللاجئين المسيحيين. فالاستعدادات للمؤتمر الوشيك، الذي كان معلماً في التاريخ الصهيوني، وشاهد انتخاب

وايزمان رئيساً للمنظمة الصهيونية، كانت تستحوذ على اهتمام هؤلاء الصهيونيين الذين تلقوا نسخاً من رسالة كاليب.

وليس هناك ما هو لافت في حقيقة ان الافكار الخارجة عن العادة، لأحد الافراد البعيدين عن التيار الصهيوني السائد، لم تحظ بالمبالاة. الا ان أهمية رسالة كاليب كونها تزودنا بمثال آخر يبيّن لنا كيف أدت الالفة مع الموارنة، ومع الظروف السائدة في لبنان آنذاك، الى قيادة الصهيوني تلو الآخر، الى الاستنتاج، كل باستقلال عن الآخر، بان الموارنة كانوا وديين تجاه الصهيونية وحلفاء سياسيين محتملين.

معاهدة صهيونية ـ مارونية ١٩٢٠

في ٢٦ آذار/ مارس ١٩٢٠، وقّع سمسار عقاري صهيوني مهتم بالعلاقات اليهودية ـ العربية وثلاثة من النشيطين الموارنة، معاهدة تؤكد على ما يبدو، حدس نئمان وكاليب الموالي للمسيحيين[٧١]. وكانت المعاهدة التي رتّبها الماروني الجسور نجيب صفير، معاهدة جرى التفاوض عليها بين يهوشواع حانكين، الذي زعم تمثيله «المنظمة الصهيونية في فلسطين»، و«المجموعة القومية في سوريا ولبنان» بزعامة صفير. ولقد اعترف الموارنة في هذا الاتفاق بحق اليهود في انشاء وطن قومي في أرض اسرائيل، ودعموا الهجرة اليهودية غير المحدودة، الى هذا الوطن.

وفي المقابل، اعترف الصهيونيون بلبنان مسيحي مستقل منفصل عن سوريا المسلمة، وتعهدوا بمساعدة كلتا الحكومتين في تنمية بلديهما، بالمال والخبرة[٧٢].

الا ان حانكين لم يعرض في اي وقت من الأوقات، شروط الاتفاق على القيادة الصهيونية لبحثها، وفيما كان من الناحية القانونية، ممثلاً صهيونياً، فقد كان مخولاً شراء الأراضي وليس التفاوض على معاهدات سياسية. كما ان المشاركين العرب كانوا يفتقرون الى أي سلطة. وبحسب نيل كابلان فان «التفاهم، في الواقع، لم يُناقش علناً، بل لم يُكشف النقاب عنه، وبقي مجرد ورقة لا مفعول لها. ويعود الأمر، والى حد بعيد، الى افتقار الموقعين العرب الى أي سلطة، وهم الذين كانوا سيتعرضون لشجب دعاة «سوريا الكبرى» في دمشق»[٧٣].

ولكن الدور البارز الذي أدّاه نجيب صفير في تسهيل هذه المعاهدة، دور ذو مغزى.

فالقومية المارونية، وفرصة الكسب الشخصي، كانا الحافز الذي دفع صفير الى السعي وراء علاقة مع الحركة الصهيونية. فما إن جرى التوقيع على المعاهدة، حتى بدأ صفير يضايق وايزمان بالالحاح على طلب الأموال اللازمة، لاصدار صحيفة يومية. وأقدم صديق وايزمان، وعضو الهيئة التنفيذية، دافيد ايدر، عندما بلغه طلب صفير، على بعث اعتراض شديد اللهجة، الى وايزمان، مشيراً الى انه نُبّه بشأن صفير الذي بدا بانه «ليس سوى نصاب»، ونصح بالامتناع عن استثمار الأموال في المشروع «حتى ولو كان لديك هذه الأموال»[٧٤]. وعلى الرغم من أن صهيونيين رفيعي المستوى، سعوا تكراراً لصدّ صفير العنيد، فإن الاستخبارات الفرنسية في بيروت كانت قلقة من «ان يكون الصهيونيون قد ابتاعوه للقيام بالدعاية لهم، خصوصاً بين دوائر رجال الدين اللبنانيين»[٧٥].

اما صفير، الذي تشجّع بلا شك، من نجاحه في التوصل الى اتفاق،(وان كان بغير ذي مفعول) مع مسؤول صهيوني، فقد عاد ليظهر بشكل منتظم طوال الفترة السابقة لقيام الدولة. ولقد لحظ شرتوك مرتين في يومياته، بان صفير كان يظهر فجأة كل بضع سنوات كـ «الشهاب» ويغادر خائباً على المنوال نفسه، ولكن ليعود بالتأكيد، بخطة ما، جديدة وطموحة[٧٦]. فقد بقيت فرضيته الأساسية على ما هي عليه: لبنان للمسيحيين، وسوريا للمسلمين، وفلسطين لليهود. وتطورت اهتمامات صفير المبكّرة باستخدام الصهيونيين، من أجل التقدم بكل من أهدافه الشخصية والسياسية، الى دعوة مشبوبة بالعاطفة لتحالف ماروني - صهيوني ضيّق.

لقد عكست معاهدة العام ١٩٢٠، المبادىء الرئيسية لفكرة تحالف الاقليات. فقد تبادل الصهيونيون والموارنة الاعتراف بدولتين سيّدتين، يهودية ومسيحية، في فلسطين ولبنان، على التوالي. ويؤشر التشديد على التنمية، بالمساعدة الصهيونية، الى مقاربة تبادل الخدمات في العلاقات اليهودية ـ العربية. كما ان القول بضرورة ان تسير هذه التنمية، على أساس خطوط النشاط الصهيوني في فلسطين، يؤشر الى تفضيل الموارنة للتقاليد الأوروبية المتعارف عليها، ولروابط أوثق مع الغرب. وما يزيد في أهمية هذه المعاهدة أنها تُضرب مثلاً على النواحي الايجابية والسلبية للعمل في لبنان: فقد كان ممكناً بالتأكيد، إيجاد أناس مستعدين لمساعدة العملية الصهيونية في فلسطين وتسهيلها، ولكن قدرتهم المشكوك فيها، على الايفاء بما يتوجب عليهم في الصفقة، كانت تتحدى جدوى هذه التحالفات.

الاستنتاج:

إن الابهام المتعلق بالحدود الجغرافية للاستيطان الصهيوني، جعلنا نجد الصهيونيين يعاينون العقارات المعروضة للبيع في لبنان، في مناسبات عديدة. فقد كان من السهل الكلام بطريقة مثيرة للمشاعر، عن وطن قومي صهيوني في فلسطين، أو في أرض اسرائيل، لكنه كان من الصعب تحديد موقع هذه الكيانات على الخارطة.

اما تعيين الحدود الفلسطينية ـ اللبنانية فلم يؤد الى قطع نشاط الصهيونيين في لبنان او اهتمامهم به. فقد استمر المستوطنون اليهود في الجليل، في بيع السلع وشرائها في جنوب لبنان، وفي تنمية علاقات تجارية واجتماعية عبر الحدود، وواصلوا، (كما الحال مع مستوطنة المطلة)، امتلاك عقارات هناك وزرعها. وكان ملاكو الأراضي من العرب يفاتحون الصهيونيين عارضين عليهم مقترحات مغرية لبيع أراضٍ عائدة لهم. وعلى الرغم من ان الصهيونيين خسروا رسمياً، جنوب لبنان، في مؤتمر باريس للسلام، فقد بقيت هذه المنطقة مفتوحة أمامهم. وحتى الفرنسيين، كما هي الحال مع جوفنيل، لم يستبعدوا امكانية الاستيطان الصهيوني في لبنان. والحقيقة، أن المنظمات الصهيونية لم تجر في الواقع، عمليات شراء أراضٍ، او استيطان، في لبنان، في ذلك الوقت، وسبب ذلك القرار المتخذ مبدئياً بتركيز مواردها المالية والبشرية في قلب فلسطين، وفي الأراضي الأكثر أمناً من الناحية السياسية، الخاضعة للانتداب البريطاني.

وعلى الرغم من التقاء المصالح المارونية والصهيونية مع مرور الزمن، فان محاولة الصهيونيين ضمان شمل الجليل الشمالي/جنوب لبنان في الوطن القومي اليهودي، وضعتهم في موقع المنافسة مع الموارنة. ولم يدرك أي طرف من الطرفين، المضامين السياسية الهائلة التي ينطوي عليها دمج الحجم السكاني الشيعي الكبير في المنطقة، في كيانيهما القوميين اللذين كانا ينويان اقامتهما. ولقد نجح الموارنة، في انتصار مشكوك فيه، بربط جنوب لبنان بدولتهم الجديدة، هذا الرابط الذي كانت له أهمية كبيرة لكل من لبنان والعلاقات الصهيونية ـ المارونية. فبالمعنى المباشر، أتاح اهمال الموارنة للمنطقة بقاء جنوب لبنان كامتداد اقتصادي لشمالي فلسطين، وشجع المصلحة الصهيونية المستمرة هناك. وملأ النشيطون العرب المعادون للصهيونية، فيما بعد، الفراغ السياسي في جنوب لبنان، حتى باتت المسائل الامنية تسيطر على تفكير الصهيونيين بشأن لبنان. ولكن الخطر الديموغرافي البائس الذي وضع فيه الموارنة أنفسهم كانت له الأهمية الكبرى للعلاقات الصهيونية ـ المارونية.

وبلغت أجيال من التطلعات القومية المارونية ذروتها في انشاء لبنان الكبير في العام ١٩٢٠. فقد نمّت الايديولوجية المارونية منظوراً ضيّقاً ميّز الموارنة عن باقي شعوب لبنان، بكاثوليكيتهم وتوجههم الغربي المتفوق المزعوم. فقد كانوا يرون انفسهم كالسكان الاصليين لهذا البلد، وأصبح لبنان بالنسبة اليهم مرادفاً لـ «المارونية». وأدت النزاعات مع الطوائف غير المارونية، الى تشرّب الايديولوجية المارونية باندفاعة دفاعية معادية للمسلمين، وحتى معادية للعرب. وما ان اتضح أن المسيحيين سوف يصبحون أقلية في لبنان، في يوم من الأيام، حتى راح المسلمون يعارضون بصورة متزايدة، استمرار السيطرة المسيحية على الدولة. وناقش بعض الموارنة بحسّ إيجابي فكرة المشاركة في السلطة مع المسلمين في الداخل، والمصالحة مع مسلمي البلدان العربية في الخارج، باعتبارها الطريقة الفضلى لحماية موقع الموارنة، لكن معظمهم رفض اي تنازل عن الامتيازات المسيحية. ولقد شحذ التهديد بان تكتسحهم أكثرية مسلمة، إحساسهم بالعزلة. وأنعش خوف الموارنة الطاغي من مواطنيهم المسلمين، التقليد الماروني بالبحث عن حليف غربي، غير عربي، وغير مسلم، ومهّد للاهتمام الماروني بعلاقة مع الجار القريب الصهيوني الجديد.

كان العقدان الثاني والثالث، من هذا القرن، فترة تكيّف واستكشاف بالنسبة الى الصهيونيين. فالعداء العربي الفلسطيني الذي واجهه المستوطنون اليهود في فلسطين، خفف من شعورهم بالنشوة من وعد بلفور وواقعية الوطن القومي اليهودي. ولمّا كان الجهاز الاداري الصهيوني في فلسطين، في حالة تغيّر مستمرة، كان على النشاط الجدي في وسط البلدان العربية ان ينتظر، الى حين انبثاق الوكالة اليهودية الموسعة في العام ١٩٢٩. ولكن حتى في ذلك الحين، لم تكن المنظمة الصهيونية، تملك ان تفعل أكثر من اختيار الأحوال الديبلوماسية في المنطقة، لان النقص في الأموال والسيطرة البريطانية على فلسطين، كانا من العوامل التي تعرقل نشاطاتها. ومع ذلك، فان الصهيونيين الذين كانوا يلاقون استقبالاً مضيافاً من الشخصيات العربية البارزة في أنحاء الشرق الأوسط، لم يكونوا يصادفون سوى المقاومة والرفض لادعاءاتهم بحقهم في وطن قومي، في أرض اسرائيل. ولقد سعوا بلهفة لايجاد صديق في المنطقة يُفرج عن عزلتهم. ولم تكن هنالك خطة رئيسية تقضي بايجاد أقليات قومية أخرى. وكان التأثير المتراكم لسلسلة من اللقاءات العرضية مع الموارنة اللبنانيين، هو الذي أدخل في التفكير الصهيوني الفكرة القائلة بوجود

استعداد خاص في وسط الموارنة لتقبّل الصهيونية، وبأن تحالفاً صهيونياً ـ مارونياً من شأنه ان يخدم جيداً، المصالح الصهيونية.

ولقد تضمنت المقترحات المختلفة من أجل انتهاج سياسة صهيونية تحبّذ مسيحيي لبنان، فرضيات مماثلة. فقد لحظت جميعها توجهاً غربياً متفوقاً لدى المسيحيين واليهود، وافترضت أن هذه الأرضية المشتركة أرضية خصبة للتعاون بينهم. كما برز في هذه المقترحات الخوف من القومية العربية والاقرار بالعدو المشترك المسلم. وقد عكست معاهدة العام ١٩٢٠، هذه المشاعر. ولكن على الرغم من عدم أهمية هذه المعاهدة على الصعيد العملي، فإنها كانت بالتأكيد، مؤشراً على أن الصهيونيين كان لديهم شيء يتحدثون عنه مع اللبنانيين، وكان لديهم من يتحدثون معه. وكان باستطاعة المتفائلين الشعور بالارتياح لكون البداية استُهلّت، والتخمين عسى ان تكون للمحاولة التالية دلالة أكبر.

ويستطيع المرء ان يصف أنصار السياسة الموالية للمسيحيين الأوائل هؤلاء، كنشيطين صهيونيين غير ذوي شأن. فقد كانوا منخرطين في مشاريعهم الخاصة بهم الآنية، او مكلفين بمهمة معينة ذات طابع محدود، ولم يكونوا جزءاً من الدائرة الخاصة لصانعي القرار الرئيسيين، المسؤولين عن السياسة الصهيونية الواسعة النطاق. وهذا ما يفسر السبب الذي من أجله لم تصبح توصياتهم سياسة متّبعة. ومن الممكن ان يكون مفهوم العلاقة الخاصة مع المسيحيين قد استهواهم بالضبط لانهم كانوا من اللاعبين الصغار. فقد علق هؤلاء الصهيونيون، وهم يتحركون ميدانياً، في وسط الموارنة، في إيقاع الحياة اليومية اللبنانية، وكان مدى رؤيتهم أضيق من غيرهم. ففي عالم صيدا الصغير، او حتى في المكاتب السياسية والاعلامية في بيروت، لم يكن هناك من شك، في ان الموارنة بدت لهم قوة ينبغي ان يحسب حسابها، وجماعة نافذة يجب كسبها الى جانبهم. الا ان منظور الهيئة التنفيذية الصهيونية في القدس، او لندن، كان يركز على الاندفاعة الواسعة للسياسة الصهيونية وتقدمها، وقد أدّى المسيحيون في هذه الصورة الكبيرة دوراً صغيراً جداً فقط.

واذا كانت التقارير الأولى عن استعداد الموارنة لتقبّل الصهيونية، لم تقنع المنظمة الصهيونية بتبني سياسة موالية للمسيحيين أو للاقليات، إلاّ أنها أدخلت في معجم مصطلحات السياسة الخارجية الصهيونية، مفهوم التحالف مع الاقليات، القائم على رابط صهيوني ـ ماروني. وهذه المرحلة الأولى من الاهتمام الصهيوني بلبنان، التي اقترنت بتلك الفرص السانحة، التي أوحت بها التجارب الصهيونية الأولى في جنوب لبنان، انتهت

بنغمة مبهجة. فقد جرى التعرّف الى المصالح المشروعة، كما جرى التعرّف الى أناس ودودين أيضاً، يمكن مناقشة هذه المصالح معهم. وبدا لبنان بالمنظور الصهيوني، واعداً، بل جذّاباً. وقد وُضعت الأسس من أجل المرحلة النشيطة التالية للتورط الصهيوني في لبنان، ومن أجل ان تُزهر العلاقة مع الموارنة.

الفصل الثالث

التجارب الصهيونية في لبنان

تمحور الكثير من التفكير الصهيوني بلبنان حول الاستعداد المفترض لهذا البلد على تقبّل علاقة ودية مع فلسطين اليهودية. وقدم انصار فكرة تحالف الاقليات حججاً قوية نظرياً، لاثبات صحّة ما يدّعونه من تطابق طبيعي في المصالح بين الموارنة والصهيونيين. وسوف تضع التجارب الصهيونية الفعلية في لبنان هذا المنظور على المحك.

لقد بدأ تورط الوكالة اليهودية في لبنان، بداية جدية في اوائل الثلاثينيات، خصوصاً مع استقرار الياهو ابشتاين في بيروت. فقد انشأت الوكالة، وبفضل جهوده الى حد كبير، شبكة من العلاقات المؤيدة للصهيونية، امتدت الى داخل الدوائر الدينية والسياسية في لبنان. ولكن بقي السؤال عمّا إذا كان هؤلاء اللبنانيون، الأسهل انقياداً للصهيونية، يملكون الوزن الكافي الذي يجعلهم يشكلون شركاء ممكنين في اي تحالف مع اليشوف. إلا أن انقسام المجتمع اللبناني على أساس عشائري، وكل عشيرة فيه تمزقها فئاتها المتخاصمة، جعل اختيار الوكالة لرفاقها يؤثر في مدى نشاطاتها في لبنان.

الموارنة الموالون للصهيونية في لبنان

اعتمدت الرؤية الصهيونية لتحالف الاقليات على تعاون نموذج معين للقومي الماروني. فالماروني المثالي، بالمنظور الصهيوني، هو الذي يتصور لبنان بلداً مسيحياً،

ويرى نفسه مسيحياً غربياً، اكثر مما يرى نفسه عربياً، ويخاف التهديد المسلم للامتيازات المسيحية. وبالنسبة اليه تشكل فلسطين اليهودية الحليف المنطقي في الصراع الماروني - المسلم على لبنان.

ولقد عدّت الوكالة اليهودية انطوان عريضة، بطريرك الكنيسة المارونية، واحداً من بين اشد مؤيدي الصهيونية في لبنان. وكان البطاركة قد مارسوا طوال أجيال نفوذاً كبيراً في مجالات الحياة المارونية كافة، وفي الساحة السياسية اللبنانية الاوسع ايضاً. وفي سياق هذا التقليد، حمل عريضة معه الى البطريركية، معتقدات سياسية واضحة المعالم، واستعداداً لممارسة سلطاته الروحية والزمنية الكبيرة التي يوليه اياها منصبه، لصالح هذه المعتقدات[1]. وكان عريضة يقف في خط التقليد الذي كان يرى لبنان كياناً مسيحياً فريداً، متميزاً عن العالم العربي. وقد اقام دعوته من أجل لبنان مسيحي مستقل، على اساس خوفه من التهديد المسلم لرفاه المسيحيين في الشرق. وغالباً ما عبّر عن قناعته بأن اليهود والمسيحيين سوف يتقاسمون قدراً تعيساً مماثلاً فيما لو خضعوا لسيطرة المسلمين.

أصبح عريضة بطريركاً في العام ١٩٣٢، والتقاه ابشتاين في الكرسي البطريركي، في بكركي، بعد سيامته بوقت قصير. ووجد ابشتاين ان عريضة كان تجاه المسلمين «اكثر عدوانية بكثير»، مما كان سلفه الحويك، واستمع منه للمرة الاولى من مرات عديدة لاحقة، عن قصة المساعدات التي قدمها كريميو ومونتيفيوري للموارنة في العام ١٨٦٠[2]. وفي هذا اللقاء الاول، أظهر عريضة القليل مما كان يعرفه من العبرية، الذي كان يتذكره من دراساته في الفاتيكان، فيما تمكن ابشتاين ايضاً، من متابعة حديث البطريرك بالآرامية، مستعيداً دراسته للتلمود في صغره.

وعلى الرغم من أن عريضة كان من مناصري الارث الثقافي والروحي الغربي، ويدير شؤونه مستخدماً اللغة الفرنسية، فإن إصراره على الاستقلال اللبناني كاملاً، جعله في حالة نزاع مع فرنسا. ولقد ازدادت الهيمنة السياسية للبطريرك الى درجة دراماتيكية خلال عهد المتصرفية العثمانية، وما لبثت ان تقلصت مع مجيء حكم الانتداب، ووضع دستور لبنان الكبير، الذي أولى السلطة الحصرية لرئيس الجمهورية[3]. وأدت هذه الواقعة، كما أدى رفض عريضة الانحياز الى فريق ضد آخر، الى احباط الوكالة اليهودية، عندما أبدى عجزه عن الانتصار لصالحها علانية، أو رفض أن يفعل؛ ومع ذلك، اعتبره الصهيونيون صديقاً حقيقياً لحركتهم، وعمد ابشتاين وباقي القيادة الصهيونية في القدس

الى تنمية العلاقة مع عريضة، وقام معظمهم بزيارته في مقره البطريركي. وقد أجرى عريضة منذ وقت مبكّر يعود الى العام ١٩٣٤، مراسلات مع وايزمان، عبّر فيها عن تعاطفه مع «الاسرائيليين الشجعان» الذين يعانون المحن في فلسطين، ووضع في خدمة الحركة الصهيونية محامين مارونيين في بيروت تحسباً لحاجة اليهود الى مساعدة قانونية في لبنان الانتداب الفرنسي[4]. وقد تشجع الصهيونيون من صداقتهم مع هذا الرجل المهم، ومن الحرارة التي كان يستقبلهم بها مطارنته.

وبرهن اغناطيوس مبارك، اسقف بيروت للموارنة، على أنه من انصار الصهيونية الاكثر جهورية من غيره. فقد كان بدوره، يرى لبنان بلداً مسيحياً منفصلاً عن العالم العربي ومتفوقاً عليه. ودأب مبارك على الدعوة الى انشاء دولة يهودية، مستخدماً الحجة التي كانت قد باتت حجة مألوفة آنذاك، والقائلة بان اليهود والمسيحيين المتمدنين، المطبوعين بالطباع الغربية، يتقاسمان موقعاً مماثلاً غير مضمون في الشرق الاوسط، وبان قيام فلسطين اليهودية هو افضل دفاع عن لبنان المسيحي. واجتاز مبارك بسلام، الهجمات المتكررة التي كانت تشنها عليه معظم الدوائر اللبنانية، بسبب موقفه العلني المؤيد للصهيونية. وكان يرد على تلك الهجمات باخرى مريرة ضد المسلمين، الذين كان يعتبرهم مصممين بدورهم، على تدمير المسيحيين، والسلطتين المحليتين الفرنسية واللبنانية، (بما في ذلك الرئيس الماروني وأعضاء المجلس النيابي) الذين كان يصفهم جميعاً بالعجز والفساد. وقد دعا مبارك في ذروة معارضته السياسية الى عصيان مدني ضد الحكومة اللبنانية، معلناً أن الكنيسة هي التي قادت لبنان روحياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً على مر الأجيال، ورافضاً التخلي عن هذه المسؤوليات لرجال السياسة[5].

وكأسقف لابرشية بيروت، وكابرز رجال الدين خارج الصرح البطريركي، عمد مبارك الى استخدام منصبه بدون استحياء، في سعيه وراء اهدافه السياسية. ويكتب وليام حداد قائلاً إن مبارك لم يكن ينظر الى الدولة اليهودية التي كان يؤيد قيامها، من ضمن اطار لاهوتي، وزاعماً بان السمات الديموغرافية في الشرق الاوسط لو كانت معكوسة، لكان مبارك تبنى موقفاً مؤيداً للمسلمين ومعادياً لليهود؛ فقد كان اهتمامه كافياً في «خلق» أي دولة غير مسلمة من شأنها تقوية لبنان المسيحي، وليس الأمر مرتبطاً بمصير اليهود بحد ذاته[6]. ومهما يكن من أمر، فقد كان الصهيونيون مسرورين لعثورهم على مؤيد لهم على هذه الدرجة من الحماسة.

وكان اميل اده، وهو اقرب أصدقاء الوكالة اليهودية المقربين، في الدوائر السياسية اللبنانية، عضواً في المجلس النيابي عندما التقاه ابشتاين للمرة الاولى في العام ١٩٣١. ولقد وُلد اده لعائلة مارونية من العائلات المحبة لفرنسا، ودرس في المدارس الكاثوليكية في بيروت وفي فرنسا. وكان يفضل الوجه الاوروبي لإرثه على وجهه الشرقي. وهو لم يتلق أي تعليم رسمي باللغة العربية، ولم يتوصل قط، إلاّ الى اكتساب معرفة سطحية بهذه اللغة. وقد عمد كرئيس للبنان من العام ١٩٣٦ وحتى العام ١٩٤١، الى ادارة شؤون الدولة باللغة الفرنسية، وغالباً ما كان يحتاج الى المساعدة في تعاطيه مع ناخبيه ومع غيرهم من الزعماء العرب الناطقين بالعربية. وهو في بعده عن واقع تعددية المجتمع اللبناني، كان يرى ويتفاعل فقط، مع ما كان يدركه كتهديد مسلم للمسيحيين.

وكان اده يرى في العروبة وبرنامج سوريا الكبرى، مجرد تبريرات للهيمنة المسلمة؛ وكان يعتقد بأن مستقبل لبنان يكمن في روابط اوثق مع الغرب، وفي المحافظة على الطابع المسيحي للبلد. ولقد أسرّ لابشتاين بانه يحلم باعادة جمع المغتربين الذين سوف يضمنون، بأعدادهم وثرواتهم ومهاراتهم المهنية ودرايتهم بشؤون الحياة، مرة والى الابد، ازدهار لبنان المسيحي[٧]. وكان اده ايضاً، يرى في الصهيونية حليفاً طبيعياً في الصراع المسيحي ـ المسلم. وكتب ايلاث يقول إن اده كان يؤيد كل اقتراح كان يقدم اليه، ويهدف الى تعزيز الروابط مع الصهيونيين، واقرّ بفضل اده في تشجيع عريضة ومبارك على مواقفهم المؤيدة للصهيونية[٨]. ولكن دور اده كشخصية سياسية وليس كشخصية دينية، كان يقتضي حساسية اكبر بمشاعر المسلمين وغير الموارنة. ولم يخالج الصهيونيين قط أي شك في اصالة صداقته، ولكنهم يئسوا من عجزه المزعوم، عن المجاهرة لصالح فلسطين يهودية، او اتفاق لبناني ـ صهيوني رسمي، وهما أمران كان يؤيدهما بحرارة. ومع ذلك، كانت ميوله المؤيدة للصهيونية كمثل سرّ معروف. وعندما بعثت الطائفة اليهودية اللبنانية مندوباً عنها، ليعبر له عن رغبتها في ان يكون لها ممثل في المجلس النيابي، اجاب اده مازحاً: «انتم ممثلون تمثيلاً جيداً في لبنان، فانا [كما يقال يهودي]!»[٩]

وكان البرت نقاش، وهو أحد افراد عائلة من اكثر العائلات المارونية ثراء ونفوذاً في لبنان، قد التقى شابة يهودية نشيطة في الدوائر الصهيونية وتزوجها، اثناء دراسته في سويسرا، قبل الحرب العالمية الاولى، وأصبح من خلالها، مؤيداً متحمّساً للحركة الصهيونية. وعاد الزوجان الى لبنان حيث ما لبثت المكانة العامة الرفيعة لعائلة نقاش ان

دفعت ولدها بسرعة، الى احتلال مناصب بارزة في الشؤون المارونية، واللبنانية على السواء. وخدم نقاش في احدى الحكومات اللبنانية الاولى، وعمل كمستشار اقتصادي للبطريرك عريضة، وازدهرت أحواله كمهندس وصناعي في القطاع الخاص. وعندما وصل ابشتاين للمرة الاولى الى بيروت، كان يحمل رسالة تعريف من أحد معارف زوجة نقاش في القدس. وتبين له من محادثتهما الاولى، بأن نقاش كان على دراية جيدة بالبرنامج الصهيوني في فلسطين، ومتلهفاً لاستخدام موارده لتعزيز العلاقات الودية بين لبنان واليشوف[١٠].

وكان نقاش، الصديق الحميم للبطريرك عريضة والمؤتمن على اسراره، يشاطر البطريرك مخاوفه من المسلمين، واهتمامه بالمحافظة على لبنان المسيحي. وابلغ نقاش ابشتاين بان معاهدة العام ١٩٢٠، التي منحت بريطانيا بموجبها، الاستقلال للعراق، قد ألهمت القوميين العرب في لبنان وسوريا الضغط للحصول على الاستقلال من فرنسا؛ وكان نقاش يخشى من الاّ يستطيع المسيحيون الصمود في موقعهم اذا حذا الفرنسيون حذو البريطانيين، وانسحبوا من سوريا المستقلة[١١]. وقد رأى نقاش في الصهيونيين حلفاء منطقيين في الصراع الماروني ـ المسلم.

ولقد وجد الصهيونيون في نقاش صلة مهمة بسبب مكانته، لانه فتح الأبواب المؤدية الى شخصيات مهمة اخرى. فقد كان نقاش هو من عرّف ابشتاين بالبطريرك، وبالفرد نقاش، القاضي الذي اصبح فيما بعد رئيساً للبنان (١٩٤١ ـ ١٩٤٣)، وبجورج نقاش، الصحافي، صاحب جريدة «الاوريان» الصادرة بالفرنسية. وقد وصف ابشتاين في تقرير بعث به الى القدس، هذه العائلة كعائلة تمثل نخبة الارستقراطية المحلية.. انها واحدة من العائلات العربية المندمجة التي لا تتكلم في بيتها الا الفرنسية، وتحتقر أي شيء أصله عربي (باستثناء المال والمناصب المحلية!) يذهب أولادها الى باريس للدراسة، ويعودون فرنسيين مائة وواحدة بالمائة، مشبعون بالكراهية للمسلمين، وبالغيرة الوطنية الفرنسية.

[وعائلة نقاش] ليست حالة معزولة في بيروت. إن الاكثرية الساحقة من الموارنة تنتمي الى هذه الفئة[١٢].

وكان البرت نقاش، هو من عرّف ابشتاين على صديقه الشاعر شارل قرم، الذي أسس واياه جمعية الشبيبة الفينيقية، هذه الحلقة الصغيرة من المفكرين، التي أعطت تعبيراً رسمياً

لوجهة النظر القائلة بان الموارنة لا يتحدرون من العرب، ولكن من الفينيقيين القدماء، الذين سبقت حضارتهم الغزو العربي، والذين شكل ورثتهم سكان لبنان الاصليين. وقد كرّست هذه الجماعة نفسها لاعادة لبنان الى اصوله الفينيقية، وتخليصه من التأثيرات التي استوعبها من الغزاة المسلمين العرب: «فرمال الصحراء تعكّر صفاء البحر»[١٣]. وكان هدف«الشبيبة الفينيقية اقناع الموارنة بالنظر الى انفسهم كلبنانيين حقيقيين، والى فينيقيا كوطنهم القديم ومركزهم الروحي. واقدم قرم وأتباعه، وقد الهمتهم الاكتشافات الاثرية، بما فيها مواد أوغاريت الأدبية الوفيرة، على تحدي نظرائهم الموارنة باحياء وعيهم القومي ولغتهم القومية، مثلما كان اليهود يفعلون في وطنهم القديم، وبلغتهم القديمة. بل شبه قرم الموارنة باليهود، ممتدحاً الطريقة التي حافظ بها الشعبان على خصائصهم المميزة على الرغم من تأثير الأمم الغازية[١٤]. ولقد سمى بعضهم ايديولوجية «الشبيبة الفينيقية»، «الصهيونية اللبنانية»، وكانت الجمعية قد دعت، الى علاقات وثيقة بين لبنان واليشوف[١٥]. وارتاب ابشتاين في ان يكون عريضة في الحقيقة، واحداً من «الشبيبة الفينيقية» في قرارة نفسه[١٦].

وفي العام ١٩٣٣ وخلال رحلة الى لبنان قام بها فكتور جاكوبسون ممثلاً الوكالة اليهودية، ألقى خطاباً في اجتماع للشبيبة الفينيقية، فصفقوا له طويلاً عندما استشهد من التوراة، بعلاقة الملك سليمان والملك الفينيقي أحيرام، كاساس للصداقة المتجددة بين أحفادهم[١٧] فقد كانت الشبيبة الفينيقية تستند الى ارث التحالف بين سليمان وأحيرام، في دعوتها أقليات الشرق الاوسط، وبكلمات قرم، الى إنشاء جبهة مشتركة ضد عدوهم الرئيسي، اي العربي المسلم المنادي بالعروبة.

[فالخطر المسلم أجبر] مسيحيي لبنان على ايجاد «شركاء في المصير» ومن بين هؤلاء الشركاء الطائفة اليهودية في فلسطين، والصهيونية عموماً... وعلى اليهود والمسيحيين أن يجدوا طريقاً مؤدية الى تفاهم مشترك وعلاقة منتظمة، واننا مستعدون لهذا الامر[١٨].

واذا كان إدراك الامر بعد مرور الزمن، يجعل المرء يُسقط الشبيبة الفينيقية من الحساب. كحلفاء ناجعين، إلاّ ان ابشتاين وغيره في الدائرة السياسية، في أوائل الثلاثينيات، لم يستطيعوا صرف النظر بسرعة عن مجموعة كانت تسعى بنشاط، لاقامة روابط وثيقة مع اليشوف تلتئم إيديولوجيتها مع الحاجات الصهيونية، وتضم بين اعضائها اشخاصاً نافذين نوعاً ما.

أما في المعسكر غير الماروني، فقد حافظت الوكالة اليهودية على اتصالات منتظمة بزعماء دروز مثل نجيب شقير، وسلطان الاطرش، والست نظيرة ـ المرأة التي تزعمت العشيرة الجنبلاطية لفترة من الزمن[١٩]. وعلى الرغم من أن الدروز غالباً ما عبّروا عن حماستهم للتعاون مع الصهيونيين، فإن عدم اليقين الذي كان يحيط بمكانتهم داخل لبنان، والعداوة الدرزية ـ الفرنسية، كانا يوحيان بأن الدروز لا يملكون لا الاستقلالية ولا الوسائط المطلوبة من حليف مجد، يتجاوز المستوى المحلي[٢٠].

وكانت العلاقات الواعدة أكثر من غيرها، هي علاقات الوكالة اليهودية برياض الصلح، اللبناني السني النشيط في دوائر العروبيين، في لبنان وسوريا، والمؤلف المشارك (لبشارة الخوري الماروني)، للميثاق الوطني للعام ١٩٤٣، ورئيس حكومة لبنان فيما بعد (١٩٤٣ ـ ١٩٤٥، و١٩٤٧ ـ ١٩٥١). ففي العام ١٩٢١، شرع الصلح في إجراء محادثات مع وايزمان وغيره من الزعماء الصهيونيين[٢١]. وكان الصلح في مباحثاته مع البعثات الصهيونية خلال العشرينيات واوائل الثلاثينيات، يُبدي على الدوام، اهتماماً باتفاقية لـ«تبادل الخدمات»، عربية ـ صهيونية يقبل العرب بموجبها، بوطن يهودي في فلسطين (ربما بالاتحاد مع كيان اقليمي عربي أكبر)، ويضع الصهيونيون بالمقابل، أموالهم ونفوذهم ومهاراتهم في خدمة العرب. وقد رفع صحافي يهودي (من المعجبين أشد الاعجاب برياض الصلح) تقريراً إلى وايزمان، يبلغه فيه عن قناعة الصلح بأن:

عرب فلسطين أغنياء في أملاكهم، التي يمكن أن يهبوا قسماً منها. وأن اليهود اغنياء في ذهبهم ـ وهذا على الاقل، ما زال يظنه العرب... وينبغي لهذا التوازي السعيد أن يبقى الأساس للتفاهم الطبيعي بين العالمين اليهودي والعربي[٢٢].

وكان الصلح في هذه الفترة المبكّرة، يصور نفسه شخصاً يتمتع بنفوذ كبير داخل حركة القوميين العرب. ولقد أوحى بأنه يستطيع أن يأتي بـ «وعد بلفور عربي» ويقنع الفلسطينيين العرب بالقبول به، إذا ألقى الصهيونيون بنفوذهم المالي والسياسي، وراء قضية العرب في قيام سوريا الكبرى. وقد قطع هذه الوعود لرأس القيادة الصهيونية، اي لـ بن ـ غوريون وشرتوك، في العام ١٩٤٣، ولـ وايزمان في العام ١٩٣٦[٢٣]. ولكن مع نهاية الثلاثينيات وبداية الاربعينيات، ومع تدهور الوضع في فلسطين، تبنّى الصلح علناً، موقفاً مناهضاً للصهيونية، شارحاً في مجالسه الخاصة، بانه يستطيع وفقط من بعد مصالحة صهيونية ـ عربية عامة، أن ينفّذ مخططه القاضي بالتنازل عن فلسطين لليهود، وعقد

صفقة سياسية معهم. وعلى الرغم من ان الوكالة اليهودية كانت تشك في ان الصلح يتلقّى الاموال من المفتي بين الحين والآخر، لقاء تبنيه لهجة عدوانية ملائمة، فإنه اخذ اموالاً من الصهيونيين ايضاً؛ وقد يكون هذا ما يفسر بعض المحادثات الايجابية التي أجراها معهم[٢٤].

ولقد حافظ الصهيونيون على صلتهم بالصلح بسبب مكانته السياسية البارزة، ولكن العلاقة كان ينقصها ذلك الاحساس بالعاطفة الصادقة، التي كان العديد من الصهيونيين يظنون بانها كانت الحافز الذي يحرك اصدقاءهم الموارنة. ومع التقدم الذي احرزته الوكالة اليهودية مع الموارنة، باتت الوكالة تؤمن بانها تتقاسم سلسلة واسعة من المصالح، على الاقل مع بعض الفئات المارونية المهمة. ولكن يبقى أن نرى ما هي الفائدة العملية التي سوف تتأتى عن هذه الاهتمامات المشتركة.

اتصالات عملية صهيونية ـ لبنانية

لم يكن هناك ما يضير في حقيقة ان الموارنة (او على الاقل شريحة مهمة من النخبة المارونية)، كانوا مرشحين للاستفادة من العلاقة مع الصهيونيين. ففي العام ١٩٣٣، رفع جاكوبسون، بعد رحلة قام بها الى لبنان، تقريراً ذكر فيه بان الموارنة وخصوصاً عريضة ونقاش، قد أعربوا عن اهتمامهم الكبير بالشروع في مشاريع مشتركة مع اليهود. وكان النقاش قد انشأ بضعة معامل ومحطات لتوليد الطاقة الكهربائية بشراكة مع عريضة، الذي كان رجلاً ثرياً بماله الخاص. وأصبح الرجلان راغبين الآن، في الشراكة مع الرساميل اليهودية، التي لم تجد منفذاً كافياً لها في المنطقة، كما أوصيا جاكوبسون. وكانت حجتهما ان لبنان الماروني وفلسطين اليهودية يمكنهما معاً، ان يتحولا الى مركز صناعي عملاق يكون الشرق الاوسط فيه، منطقته الخلفية التي تعتمد على منتوجاتهما. واقترح الاثنان انشاء مصرف يهودي ـ ماروني في بيروت، لادارة المشاريع الاقتصادية المشتركة، وهي الفكرة التي عاد نقاش وطرحها ثانية، مع ابشتاين، بعد مغادرة جاكوبسون[٢٥]. ولكن ابشتاين، على الرغم من صداقته النامية مع الاثنين، فإنه نقل اقتراح نقاش الى القدس، محذراً من ان مصلحة نقاش في هذه المشاريع المشتركة تتضمن الكسب الشخصي. فهو صناعي كبير، وسيتولى بنفسه قسماً من السيطرة على حركة هذا الرأسمال. وهذه ايضاً هي نيّة البطريرك عريضة، كرجل يملك الموارد والمبادرة الاقتصادية[٢٦].

وبحسب القاعدة المتبعة، ترددت الوكالة اليهودية في إلزام نفسها باهتمامات اقتصادية ما وراء حدود الانتداب البريطاني، لكنها كانت تشجع نجاح المشاريع اليهودية الخاصة في لبنان[٢٧]. وغالباً ما كانت الدائرة السياسية تسهّل امور رجل الاعمال اليهودي عندما ترى مكسباً خاصاً في مشروع معيّن، فتصله بوسائط صلاتها هناك، وبذلك تكون قد سهّلت الصفقة من دون ان تورط الوكالة اليهودية توريطاً رسمياً. وكان الموارنة في بعض الاحيان، يتصلون مباشرة برجال الاعمال اليهود. وقد اقام عريضة ونقاش روابط فاعلة مع الصهيونيين بهذه الطريقة. ففي العام ١٩٣٣، انشأت شركة «نور» اليهودية لصناعة عيدان الكبريت، معملاً في الدامور، وهي قرية مارونية في لبنان كانت تمر بضائقة. وعلم ابشتاين بأن رجال الدين الموارنة اعطوا هذه الشركة ديراً قديماً لاقامة المعمل فيه، وبان عريضة تعهّد خطياً، بالقيام بما يلزم، في حال نشأ أي نزاع محلي او مع الحكومة في بيروت، من أجل تسوية الامر لصالح الشركة[٢٨]. وبعد ذلك بوقت قصير، أرسل عريضة الى وايزمان مارونياً من أحد اصحاب الفنادق، كان مهتماً ببيع فندقه لمستثمرين يهود. ولكن وايزمان ابلغ الرجل أنه لم يستطع ايجاد اي شارٍ للفندق، وطلب منه نقل احتراماته الى البطريرك[٢٩].

كما طلب عريضة وساطة وايزمان لصالح شاب ماروني لبناني، كان قد قدم طلباً لوظيفة في شركة «شل» للبترول في فلسطين، ولكنه لم يُبلّغ عما اذا كان قد فاز بهذه الوظيفة أو لا. وقد كتب هذا الشاب في مناشدة مباشرة لـ وايزمان، يقول إن عريضة قد اكد له أن وايزمان، بسبب ما يملك من نفوذ كبير، وبسبب «الصداقة المتبادلة التي تربط بينه وبين سعادتكم، فانكم من دون شك، سوف تحصلون من المكتب الرئيسي في لندن، على الموافقة بالتعاقد معي»[٣٠].

وفي الوقت نفسه، كان المطران جوزف رحمة، السكرتير التنفيذي للبطريرك، يتودد الى وايزمان، وقد ابلغه عن فرصة سانحة للمنظمة الصهيونية للسيطرة على اكثرية الأسهم في شركة كهرباء لبنان الوحيدة في الشمال، «قاديشا». وزعم رحمة أن مجلس ادارة الشركة كان يريد تحديداً، أن يستثمر مستثمرون يهود من فلسطين، أموالهم في الشركة، والحّ بالقول إنه «كصديق، انصحكم القيام بعملية الشراء هذه»[٣١] وعندما تأخر وايزمان في الاجابة على العرض، أوعز رحمة لزميل له، ماروني، بتكرار عرضه، وتكرار وعد رحمة المبهم، بان الامساك الصهيوني بحصة مسيطرة في شركة قاديشا، سوف

يؤدي بدون شك، الى هجرة يهودية الى لبنان في المستقبل[٣٢] وقد ولّدت هذه الاحداث واخرى مماثلة، اتصالات مطردة بين الوكالة اليهودية والكنيسة المارونية، التي كانت تكرس اهتماماً متساوياً بمسائل حسن الاحوال المالية والروحية على السواء.

وعلى نحو مماثلٍ، حافظ نقاش على تعاط منتظم مع الوكالة اليهودية عارضاً خدماته على المقاولين اليهود المهتمين بفرص العمل التجاري في لبنان، ولقد استجاب ابشتاين نفسه بأخذ عرضه على محمل الجد، وتزويد الاشخاص المهتمين برسائل تعريف يحملونها اليه؛ ومقدماً ايضاً، عرضاً بالمقابل يقضي بتقديم المساعدة لنقاش او لاي شخص يرسله نقاش الى الوكالة اليهودية[٣٣]. ولقد تصرفت الوكالة بوحي من الاعتقاد بصدق ما عرضه نقاش، كما تُظهر قضية المستثمر اليهودي الخاص، الذي حاول اعادة احياء معمل زجاج «فينيقيا» وتنمية صلات للعمل التجاري في لبنان. فقد اقترح شرتوك بان يدعو هذا المستثمر «سيداً مارونياً مناسباً، ليكون عضواً في مجلس الادارة». وحوّله الى نقاش[٣٤] كما اعطى تعليمات لابشتاين بالاجتماع بهذا المستثمر واعطائه بعض النصائح حول كيفية مفاتحة اللبناني بأمر ما. ان هذه الحادثة الصغيرة تشير الى السياسة التي كانت متبعة، والقاضية بمساعدة المصالح اليهودية الخاصة في لبنان، من دون توريط الوكالة اليهودية توريطاً مباشراً.

أما اقتراح نقاش، الذي كان واعداً اكثر من غيره، فقد كان يتعلق باستغلال لبناني - صهيوني مشترك لنهر الليطاني، لأغراض الرّي وتوليد الطاقة الكهربائية[٣٥]. فقد أعرب لابشتاين عن ايمانه بأن المشروع سيجلب مكاسب فورية، وزراعية وصناعية واقتصادية، ويؤدي ايضاً دوراً مهماً في العلاقات السياسية بين لبنان والدولة اليهودية المستقبلية. وقد ناقشت اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية خطة نقاش، وقررت كما هو معهود عنها، متابعة الامر من خلال مؤسسة صهيونية لا تمت بصلة مباشرة إلى الوكالة اليهودية. وقد حوّلت اللجنة الاقتراح الى الهيئة الاقتصادية لفلسطين في نيويورك، وهي منظمة يمولها ويديرها، يهود اميركيون مهتمون بتنمية الصناعة اليهودية في اليشوف. وكان رأي نقاش بأن احتمال معارضة السلطات الفرنسية حصوله على الوثائق الرسمية التي يحتاجها لاستكمال خطته سوف يتضاءل، اذا كانت الوكالة اليهودية غير متورطة في الموضوع. واتفق الطرفان على ان تتولى الدولة اليهودية الجديدة، مسؤولية متابعة الجانب الصهيوني من خطة الليطاني، حتى نهايتها.

وعمدت الهيئة الاقتصادية لفلسطين، الى ارسال مهندس للاجتماع بنقاش، ثم خولت نقاش متابعة المشروع بتفصيل اكبر، على اساس التقرير الذي رفعه المهندس، والذي كان محبذاً بشدة للخطة. الا ان السلطات الفرنسية اعترضت عليها بحدّة، فعمد نقاش الى وضع المشروع برمته، جانباً. وكادت فلول القوات الفرنسية تفرّ من الجنوب، هاربة من وجه الغزو البريطاني للعام ١٩٤١، عندما قام نقاش بنفض الغبار عن مشروعه وعرضه من جديد. وفي صيف العام ١٩٤٢، رافق ابشتاين نقاش والمهندس التابع للهيئة الاقتصادية لفلسطين، في جولة على الموقع المقترح للسد. وقد تابعت اجهزة استخبارات فرنسا الحرّة هذا المشروع، وعلمت، على الرغم من احتياطات نقاش، بان شركاءه الصامتين كانوا من اليهود الاميركيين والفلسطينيين[٣٦]. وبما ان الحرب العالمية الثانية حالت دون تعاقد النقاش مع الخبراء السويديين والفرنسيين اللازمين، فقد اتفق النقاش وابشتاين، متفائلين، على استئناف المشروع فور انتهاء الحرب[٣٧].

وقد حاول لبنانيون من غير الموارنة، الاستفادة ايضاً من العلاقة مع الصهيونيين. واوحى هذا الاستعداد اللبناني لافتتاح علاقات تجارية مع اليشوف، بأن الوكالة اليهودية تستطيع أن تتطلع الى انجاز أحد اهدافها الاولى فيما يتعلق بلبنان، اي ربط اليشوف ولبنان معاً برابط محكم يؤدي الى جعل قضيّة السلام، تفوق في قيمتها قيمة اي حافز للعداء. وقد لحظ شرتوك، بعد وقت قصير من الرحلة التي قام بها جاكوبسون، بانه «لم تكن هناك اي ندرة... في عروض الصداقة والتعاون» الآتية من لبنان، ولمعظمها طابع اقتصادي، ولكن لبعضها ميزة سياسية أكيدة[٣٨]. وكانت مجموعة من التجار المسلمين الاثرياء في بيروت قد عرضت مساعدة الصهيونية في حملاتهم لشراء الاراضي، وذلك من خلال شراء أملاك في فلسطين، من العرب الرافضين بيعها من اليهود ثم تعمد هذه المجموعة البيروتية الى بيع هذه الاراضي من اليهود، محققة لنفسها ربحاً مناسباً في العملية[٣٩].

وفي اواسط الثلاثينيات، كانت الواردات والصادرات، المتبادلة بين فلسطين ولبنان وسوريا، تفوق تلك المتبادلة بين فلسطين وأي بلد عربي آخر[٤٠]. فقد كانت الشركات الكبيرة والصغيرة على السواء، تزاول تجارة حثيثة عبر الحدود الشمالية، وكان التجار اليهود واللبنانيون يقومون برحلات تجارية منتظمة الى المدن اليهودية واللبنانية، فيما كانت الوكالة اليهودية، انسجاماً مع سياستها بالتورط من بُعد، تتعاون مع عدد من المؤسسات المالية الصهيونية، لانشاء مؤسسة التجارة الخارجية في فلسطين. ولقد

شجعت هذه المؤسسة توزيع السلع المصنوعة في اليشوف، في البلدان العربية، وعمدت الوكالة اليهودية الى إرشاد ممثلي المؤسسة، الى أصدقائها في العالم العربي[٤١]. وفي العام ١٩٤٠، كانت مجموعة من الخبراء الاقتصاديين الصهيونيين، التي حشدتها الوكالة اليهودية، قد لاقت استقبالاً حاراً لدى وصولها الى بيروت، لاستكشاف الوسائل التي تعزز التجارة بين البلدين، ألتي كانت ماتزال جارية باطّراد. وقد استنتجت المجموعة في التقرير الذي وضعته، بأن اللبنانيين لم يكونوا مهتمّين الاّ بالعمل التجاري، وبان المجموعة لم تصادف اي كلام خطابي متطرف، وأي احساس بان اليهود الفلسطينيين شركاء تجاريون غير مرغوب فيهم[٤٢]. بل ان وكالة سفريات في بيروت، ذات ملكية مشتركة مسلمة ومسيحية، اتصلت بالوكالة اليهودية في العام ١٩٤٤، للاستفسار حول فتح فرع لها في فلسطين. فقد كان اللبنانيون يرون بان العلاقات التجارية الوطيدة بين لبنان واليشوف، من شأنها تسريع التنمية الاقتصادية في بلادهم. وقد ردّ ابشتاين، باسم الوكالة، على هذا الاستفسار، متبعاً السياسة المألوفة، فطلب إعفاء الوكالة اليهودية من التورط في الخطة، متمنياً نجاح اللبنانيين في مشروعهم، خصوصاً الى الحد الذي يعزز فيه هذا المشروع العلاقات بين الجانبين[٤٣].

وكانت تنمية العلاقات الاقتصادية الوطيدة مع لبنان وسوريا، تحظى بصفة خاصة، باهتمام الياهو ساسون، لفائدتها الاقتصادية الآنية، ولاعتباره إياها تمهيداً للتعاون السياسي. ولكن نشوب الحرب العالمية الثانية اوقف دعوته لانشاء لجنة للنشاط الاقتصادي المشترك بين اليشوف وجيرانه العرب، فاقترح عوضاً عنها، انشاء كونسورتيوم اقتصادي مشابه، على اسس خاصة، مع اصدقاء الوكالة اليهودية في لبنان وسوريا. وقد عكس هذا المشروع قناعة ساسون بأن السلام الاقليمي يقتضي دمج الوطن القومي اليهودي بالعالم العربي. ولقد شجعت ساسون الاستجابة اللبنانية الدولية كما شجعته المصادفة السعيدة، التي تمثلت بإقدام مجموعة من التجار اليهود في تل ـ ابيب، في ذلك الوقت بالذات، على مفاتحته بخصوص انشاء شركة يهودية ـ عربية في بيروت. وكان يفترض بهذه الشركة المقترحة أن توزع المنتوجات اللبنانية ومنتوجات اليشوف، في هذين البلدين ثم، في اسواق البلدان العربية المجاورة[٤٤]. ولكن ما خيّب آمال ساسون، أن المناخ السياسي المتدهور ـ محلياً واقليمياً وعالمياً ـ اعاق جهود الأطراف كافة، التي كانت مهتمة بجعل خطط من هذا النوع تعطي ثمارها.

أما السياحة اليهودية في لبنان، فقد خدمت كصلة اقتصادية مباشرة أكثر من غيرها، بين الوطن القومي اليهودي ولبنان، وأثّرت في أكبر عدد من الناس. وكانت هناك نادرة قديمة تقول بان ارض اسرائيل هي أفضل مكان للعيش فيه: فالمرء يستطيع ان يمضي فصل الشتاء في مصر، وفصل الصيف في لبنان. وبالنسبة الى مالكي المنتجعات العديدة في جبال لبنان الباردة، وموظفيها، فقد كان الدليل الملموس اكثر من غيره على مصالحهم المشتركة مع اليشوف يتمثل في الآلاف من اليهود الذين كانوا يهربون كل صيف، من الحرّ في فلسطين. وكان احد اساتذة الجغرافيا في فلسطين قد نشر في العام ١٩٣٠، كتاباً جامعاً بالعبرية، عن السفر الى لبنان، يتضمن معلومات دقيقة عن طبيعة البلد الجغرافية، والمناخ في مناطق مختلفة فيه، وطرق الانتقال من منطقة الى اخرى[٤٥]. ولعل ما كان لافتاً اكثر هو الدليل السياحي للبنان الذي نشرته الدائرة الاقتصادية لحكومة لبنان في العام ١٩٣٥ باللغة العبرية. فعلى الرغم من الخطأ في الطباعة العبرية على الغلاف، فإن الكتاب اعطى بياناً مفصلاً عن خمسة وثلاثين مدينة ومنتجعاً لبنانياً، وغطى مواضيع تتعلق بالمواقع التاريخية والترفيهية، والمناخ، ووسائل النقل العام، بالاضافة الى توجيهات للعربات الخاصة، وارشادات الى الفنادق، والمراكز البريدية، والمصارف، والمطاعم، ولائحة بالامراض التي يقال بأن لمناخ كل منتجع ومياهه، فائدة علاجية لها. وقد اختُتمت افتتاحية الدليل بفقرة تحضّ كل من يرغب في إطالة عمره، وتذوق طعم الجنة والاحساس بالعالم الآتي، على ان يمضي بعض الوقت في لبنان، في ظلال ارزه الرائع، متنشقاً هواءه الصحي، شارباً ماءه العذب، ومرفّهاً عن نفسه بمنظر طبيعته البهية[٤٦].

ومن الواضح ان لبنان كان يرحب بالسائحين اليهود!

وبسبب التدفق الكبير للمستجمين اليهود كل صيف، لم يألُ أصحاب الفنادق اللبنانيون جهداً لزيادة تجهيزات الاقامة والخدمات في فنادقهم. واستخدم العديدون منهم الطهاة الذين يُجيدون اعداد الطعام بحسب الشريعة اليهودية، واشتركوا في الصحف العبرية[٤٧]. وكانت سيارات الاجرة تسافر بانتظام بين القدس وتل ابيب وحيفا، وبين المنتجعات الرئيسية في لبنان. وكان عريضة ومبارك يزوران اليهود الفلسطينيين في الفنادق، بين الحين والآخر؛ وحصل في احدى المناسبات بحسب تقرير فرنسي، ان راح احد الاساقفة الذين كانوا برفقة البطريرك، يتجاذب اطراف الحديث مع احد النزلاء اليهود، ليعرض عليه من ثم، بيعه الفندق الذي كانوا يتحدثون فيه[٤٨]. ولقد تركت الصفوف

العريضة من الوزراء والصحافيين ورجال الاعمال العرب، التي صادفها احد السائحين اليهود، إنطباعاً قوياً لديه، دفعه الى الاتصال بالوكالة اليهودية مقترحاً عليها الاقدام على «زرع» أفراد من هيئتها العاملة في كل المنتجعات، يلتقون هؤلاء النافذين من العرب، ويصادقونهم من أجل إيجاد علاقات يمكنها ان تخدم كاساس لاتفاق ودي بشأن القضية الفلسطينية[٤٩]. وتردد ابشتاين في الزام الوكالة ببرنامج دعائي محدّد، يجري بثّه في وسط نزلاء المنتجعات، لكنه اقترح في مذكرة داخلية في الدائرة السياسية، بان تعمد الوكالة الى اعطاء توجيهات لافراد من امثال الترجمان السياحي، تمكنهم من القيام بنشاط دعائي مؤثّر. ولكن ساسون عارض الاقتراح، بسبب تخوفه من احتمال ان يقدم بعض هؤلاء من ذوي النوايا الحسنة، العاملين لحسابهم الخاص، والتوّاقين الى سلام مع العرب بأي ثمن، على عرض تنازلات لن تستطيع الوكالة اليهودية الموافقة عليها. فهذا الأمر يمكنه أن يعقّد التعامل الصهيوني الرسمي مع العرب، وأن يؤدي الى اتهامات للصهيونيين بالتكلّم بأصوات متعددة. وكانت الغلبة لوجهة نظر ساسون، فاجتمع ابشتاين بالترجمان لاقناعه بان خطته العظيمة يمكنها ان تتمخّض عن نتيجة تكون عكس النتيجة المتوخاة فتلحق ضرراً فعلياً بالقضية الصهيونية. وقد توصّلت الدائرة السياسية الى الاستنتاج القائل بأن العدد بحد ذاته، لليهود الذين يمضون عطلاتهم في لبنان، والأموال التي ينفقونها خلال مكوثهم فيه، يشكّل دعاية مؤثرة كافية. وبقي العديد من الصهيونيين، المقتنعين بأن اللبنانيين يدركون ان الاعمال التجارية اليهودية والسياحة اليهودية من اليشوف هما حجر الزاوية للرفاه الاقتصادي اللبناني، بقوا على ثقتهم بان الصراع السياسي في فلسطين لا يمكنه إلحاق الضرر بالروابط الاقتصادية التي تربط بين لبنان واليشوف.

وقد أتاحت الوكالة اليهودية مجالاً اوسع لابشتاين في جهوده التي كان يبذلها، لإنشاء روابط ثقافية بين لبنان واليشوف، فرصد المباحثات بين الجامعة العبرية في القدس والجامعة الاميركية في بيروت، حول إمكان التعاون بين المؤسستين. وأسفرت المداولات عن اتفاق مبدئي، لصالح التبادلات العلمية المشتركة، والنشر المشترك للابحاث العلمية[٥١]. وقد حصلت بالفعل اتصالات بين العلماء في لبنان واليشوف من وقت إلى آخر. ومن اطرف الامثلة على ذلك، خارطة عن هطول الامطار أعدتها الجامعة العبرية للرئيس اده. والمساعدة التي قدّمها خبراء اليشوف للعلماء اللبنانيين الذين يدرسون المشاكل الزراعية في لبنان، والتي طلب الصهيونيون في مقابلها، قطعاً من شجرة أرز قديمة جداً، كانوا يرغبون في

دراستها[٥٢]. وقد تورط ابشتاين ايضاً، في الترتيبات الخاصة لمجموعة من الاطباء اليهود من اجل حضور مؤتمر طبي في بيروت. فقد اعطى توجيهات للوفد، تقضي بالاتصال برؤساء جامعات مختلفة في بيروت، بهدف انشاء روابط منتظمة بين المؤسسات الطبية العبرية في ارض اسرائيل، والمؤسسات الطبية في الجامعات اللبنانية؛ ورتب أمر نشر مقابلة مع أحد الاطباء في صحيفة «لاسيري» الصادرة بالفرنسية. وأصدر أيضاً تعليمات للوفد، تقضي بالاجتماع الى مسؤولين رفيعي المستوى من مسؤولي الانتداب الفرنسي واللبنانيين. ولأنّ ابشتاين رأى في الامر، فرصة لتحويل زيارة الاطباء الى فائدة سياسية، فقد وجّه المجموعة، لتشدد على ان الاطباء اليهود بقدر ما كانوا راغبين في إرسال مرضاهم الى المصحّات اللبنانية؛ بقدر ما كانت الصحافة اللبنانية المعادية للصهيونية تجعلهم يعيدون النظر في الامر. وكان ابشتاين يأمل بان يحفز هذا التهديد الضمني، القوى السائدة على اتخاذ الاجراء المناسب لكبح الصحافة غير الودية. اما الأطباء، فقد رفعوا تقريراً الى الوكالة اليهودية لدى عودتهم، بالاضافة الى مذكرة حول محادثاتهم الودية مع عريضة. وقد شكر لهم ابشتاين مساعدتهم كاتباً «اننا نقدّر ونثمن العمل المهم الذي تولاه موفدونا الى المؤتمر الطبي في بيروت، ونأمل بأن تكون دعايتكم في الدوائر النافذة في لبنان، وفي صحف بيروت، دعاية لصالحنا»[٥٣].

كذلك حاول ابشتاين انتزاع مكاسب سياسية واقتصادية، من معرض مشرق البحر المتوسط في تل ابيب للعام ١٩٣٦. فقد قال في اجتماع مع رجال اعمال وصحافيين ووكلاء سفريات في بيروت، بانهم اذا كانوا يرغبون في اعمال تجارية متواصلة من اليهود الفلسطينيين، عليهم المقابلة بالمثل، موصياً بحضور لبناني قوي في المعرض[٥٤]. وذكر ابشتاين في تقريره أن عرضه القاضي بتخصيص ليلة من المعرض للبنان، تشتمل على عرض افلام والقاء محاضرات عن هذا البلد، قد سرّهم سروراً عظيماً. وقد استجاب الرئيس اده بحماسة، لدعوته إلى الحضور على الرغم من ان انفجار الاضطرابات في فلسطين، في الايام القليلة السابقة للمعرض، حالت دون حضوره. ولكن اده بعث بتحياته الشخصية فيما خلّف الجناح اللبناني في المعرض انطباعاً قوياً لدى يهود فلسطين، بيد ان تغيّب الرئيس اللبناني تسبب في خيبة امل ابشتاين. فقد كان يؤمن بان المشاركة اللبنانية الكاملة في المعرض «أمر له أهمية سياسية قصوى في ما يتعلق بمسألة تنمية علاقاتنا مع البلد الاقرب إلينا بمعانٍ عديدة»[٥٥].

اما الصلة القائمة مع قرم ومجموعة الشباب الفينيقي، فقد عرضت بدورها امكانية لنشاط ثقافي صهيوني ـ ماروني مشترك. ففي العام ١٩٣٥، اقترح قرم انشاء نادي لبناني ـ فلسطيني من أجل التقريب اكثر بين اليهود والموارنة، من خلال تفاعل الدوائر الادبية والعلمية والفنية في لبنان واليشوف[٥٦]. وقد أقبل ابشتاين على الفكرة اقبالاً متحمساً، فضمن موافقة اولئك الفنانين والعلماء اليهود، الذين اعتبرهم مشاركين مناسبين، ورحّب بقدوم اللبنانيين البارزين الى فلسطين[٥٧]. ولم يكن ذلك، بالضرورة، مقاربة جديدة من جانب الوكالة اليهودية. فمنذ العام ١٩٣٠، كانت الاستخبارات الفرنسية قد رفعت تقريراً ذكر أن العملاء الصهيونيين أرسلوا كاتبة لبنانية مسيحية هي ماري عجمي، لتحاضر في القدس، حول موضوع التحالف المسيحي ـ اليهودي. وقد تكهّن الفرنسيون بأن يكون الهدف الصهيوني من وراء ذلك، تقسيم المعارضة العربية الفلسطينية على اسس دينية[٥٨]. وعلى الرغم من اهتمام الوكالة اليهودية بالنادي الفلسطيني ـ اللبناني، فان «قرم» تأخّر كثيراً في وضع الميثاق النهائي، الى حد انه فقد النفوذ الضروري لانشاء جمعية من هذا النوع. وعمد قرم، على الرغم من عدم ظهور اي جمعية فينيقية ـ صهيونية رسمية، الى دعوة خطباء يهود بصفتهم الشخصية، لمخاطبة الشباب الفينيقي، وبذلك قدّم ابشتاين كل ما في وسعه لضمان ان يقبل هؤلاء الدعوات الموجهة اليهم، لانه كان يؤمن بان هذا الامر «بالاضافة الى اهمية فتح علاقات ثقافية بيننا وبين لبنان.. يمكن ان تكون له... فائدة سياسية»[٥٩].

وقد جرت اتصالات غير سياسية بين اليهود الفلسطينيين واللبنانيين بطرق مختلفة. الا ان الضرورات السياسية ادت في اغلب المرات الى تخريب هذه الاتصالات التي كانت بعيدة كل البعد عن اثارة النفوس، او الى التضييق عليها، او الغائها. فالدعم المتنامي في انحاء العالم العربي، للفلسطينيين العرب، زاد في المشاعر المناهضة للصهيونية، وتردد بعض اللبنانيين عن توريط انفسهم مع نظرائهم في اليشوف. وبناء على ذلك، حاولت الوكالة اليهودية استخدام صلاتها بالصحافيين والمحررين اللبنانيين، للتقليل من الكلام الخطابي المعادي للصهيونية، في وسائل الاعلام اللبنانية. وجاهدت الدائرة السياسية، من أجل استنباط سياسة ناجعة، للتأثير في الصحافة العربية. وكانت الدائرة معارضة للطريقة التي تبنتها الطائفة اليهودية في بيروت، والتي كانت توضع بمقتضاها، مبالغ من المال للصحف المحلية، من أجل أن تنشر تكذيبات لمعلومات منشورة. فقد كان مسؤولو

الدائرة، يشكّون بان هذه العادة تشجع الصحف في الواقع، على الامعان في نشر التقارير المؤذية، من أجل قبض الاموال اليهودية لتنشر التراجعات عنها[٦٠].

واقترح ابشتاين وساسون كبديل من هذه الطريقة، ان تتعاقد الوكالة اليهودية مع صحف في لبنان وسوريا، من أجل نشر عدد معين من المقالات المؤيدة للصهيونية على أساس شهري. وقد اكتشفت الوكالة اليهودية أن الصحف السورية كانت ملتزمة بمعايير متشددة تماماً، في ما يتعلق بمحتوى المقالات، وغالباً ما رفضت نشر نصوص مؤيدة للصهيونية، حتى لقاء ثمن مرتفع. ولكن سياسة صحف بيروت القائلة بالنشر لقاء ثمن، عزّزت الصورة الصهيونية للبنان، كمكان كل من فيه، وكل شيء فيه، معروض للبيع[٦١] كما أن توزيع الصحف اللبنانية الأوسع، في فلسطين وغيرها من البلدان العربية، جعلها برأي الصهيونيين، صحفاً مفيدة.

وقد اقترح ساسون أن يشارك افراد الدائرة السياسية في مهمة اختيار الموضوعات وكتابة المقالات للصحف العربية. كما اقترح ترجمة المقالات المناسبة من الصحف العبرية والاميركية والاوروبية، وتسليمها للنشر. وكان يمكن لمثل هذه الموضوعات، ان تكون سياسية او اقتصادية او ثقافية، ما دامت تخدم الغرض الاول، القاضي بالتقليل من الاهتمام بالاضطرابات الناشبة في فلسطين، وما دامت تشدد على لهجة التصالح، وتسلّط الضوء على نجاح الصهيونيين في جلب الازدهار الى فلسطين. وفي أواخر الثلاثينيات، وجهت الدائرة السياسية حملتها في الصحف العربية ضد المفتي بصورة متزايدة، ثم ضد الكتاب الابيض. وقد ظهرت بعض المقالات بأسماء عربية مستعارة، وظهرت مقالات اخرى بشكل تعليقات لمحررين عاملين في الصحيفة. ومع حلول العام ١٩٣٩، ادعت الدائرة السياسية أنها وضعت ما يزيد على ٢٨٠ مقالاً في الصحافة المسلمة والمسيحية، معظمها في لبنان[٦٢].

وقد اقامت الوكالة اليهودية علاقة خاصة مع صحيفتين تصدران بالفرنسية؛ فقد تبنّى جورج نقاش، رئيس تحرير صحيفة «الاوريان» الماروني، توجهاً موالياً للاقليات، وموالياً للصهيونية؛ وامل ابشتاين بأن يستميل المسؤولين الفرنسيين الذي كانوا يطالعون هذه الصحيفة بانتظام، فيما كان جورج ويسي، رئيس تحرير «لاسيري»، على لائحة رواتب موظفي الوكالة اليهودية. وقد وصف ابشتاين صحيفته كـ «إحدى اكثر الصحف اخلاصاً وتفانياً للصهيونية». وقد اعطت تلك الصلات بهاتين الصحيفتين، مردودها في

العام ١٩٣٨، عندما كانت باقي الصحف اللبنانية تمثل وجهة نظر متفقة في معاداتها للصهيونية، وكان صوتا النقاش وويسي هما الصوتين الوديين الوحيدين[٦٣].

وعمدت الدائرة السياسية الى توسيع جهودها الدعائية متجاوزة الصحافة الى توزيع نشراتها الاخبارية وكراساتها الخاصة باللغة العربية[٦٤]. وقد شددت هذه الكتابات، التي كانت تنشر بأسماء عربية، وفي بعض الاحيان، باسم الوكالة اليهودية، على «البركات الاقتصادية» التي جلبتها الصهيونية لعرب فلسطين، وعلى فوائد التسوية السلمية اليهودية ـ العربية. واذا كان احتمال أن تكون هذه الكتابات قد اثّرت في العديد من العرب، احتمالاً غير وارد، فإنها نجحت على ما يبدو، في وعظ المتحولين المؤمنين بها. وقد رفع ساسون تقريراً ابلغ فيه أن اصدقاء الصهيونيين في لبنان أحبوا هذه المواد المنشورة، وغالباً ما اعادوا نشرها[٦٥]. ولكن الوكالة اليهودية، وبسبب مواردها المحدودة، كابدت لتتخذ قراراً في ما إذا كان ينبغي لها ان تستمر في تخصيص الاموال للمعركة الدعائية التي لا تنتهي. فقد اثبتت التجربة، بحسب شرتوك، أن الدائرة السياسية لو كانت فقط تملك الموارد لكانت استطاعت أن تدير «نشاطاً متكاملاً» في الصحافة العربية[٦٦]. ولكن الصحف كانت تطالب بالمزيد من الاموال لنشر المواد المؤيدة للصهيونية، في الوقت الذي كانت فيه الصهيونية تصبح مكروهة اكثر فاكثر. وقد حاول صحافيون في مناسبات عديدة، ابتزاز الاموال من الوكالة اليهودية، من خلال التهديد بنشر نصوص مُلهبة للنفوس، ان هي أمسكت عن مدّهم بالمال؛ وقد اوصى أحد مسؤولي الوكالة، بوضع حد للتعاطي التجاري كله مع الصحافة، جازماً بأن هؤلاء الصحافيين اللبنانيين الشرهين، سيكونون ممتنين حتى للفتات الصغير من مائدتنا، ما ان نجعلهم يدركون بأنهم لا يستطيعون الاسترسال في تكتيكاتهم الابتزازية[٦٧].

وقال مجادلاً، بانهم في اسوأ الاحوال، سوف يكتبون مقالات مناوئة، وهذا ما فعله معظمهم في أي حال. ومن المشكوك فيه أن تكون المقالات الودية القليلة التي نُشرت في الصحف العربية، او أن تكون الدعاية التي أطلقها الصهيونيون باللغة العربية، قد انجزت اي شيء على صعيد استمالة الرأي العام. فقد استنزف هذا المجهود بالدرجة الاولى، الميزانية المحدودة المخصصة للدائرة السياسية. فالمعاداة العربية للصهيونية، أثبتت بانها كانت أقوى من أن تتمكن منها الحملة الدعائية والصحافية، التي شنتها الوكالة اليهودية، في الوقت الذي كان فيه الانتداب البريطاني يقترب من نهايته، وخطر السيادة اليهودية في

فلسطين يبدو حقيقياً بصورة متزايدة. وعلى الرغم من أن التورط الصهيوني في الصحافة اللبنانية، كان في نهاية المطاف، تورطاً فاشلاً من النواحي العملية كافة، فإنه كان يعني صلة مستمرة بالأفراد البارزين في الدوائر الصحافية في لبنان، في هذه الفترة التي وجد الصهيونيون فيها، وبالحد الذي نجحوا فيه ببيع مقالات للصحف، ما يشجع مدركاتهم للبنان، كبلد يتكلم فيه المال بصوت اعلى من صوت الايديولوجية السياسية. كما أن الصحف الودودة اكثر من غيرها، كانت صحفاً مارونية الملكية، الأمر الذي أفضى إلى إدراكهم أن التنسيق مع هذه الجماعة كان أمراً ممكناً.

وأثبت الملاكون اللبنانيون، مثلهم مثل المحرِّرين اللبنانيين، بانهم، وعلى حد سواء مهتمون باخذ الاموال الصهيونية. فالاسعار الباهظة التي كان يدفعها الصهيونيون، وغالباً بالعملة الاوروبية، جعلت العديد من مالكي الاراضي اكثر من متلهفين الى بيع عقاراتهم من اليهود. وفي أوائل الثلاثينيات، سجل المسؤولون الصهيونيون، وفرة في العروض التي كانت تجد طريقها الى الوكالة اليهودية، آتية من جميع الاتجاهات. وجاء في تقرير لشركة تنمية اراضي فلسطين «ان لدينا عروضاً اكثر من اللازم» لبيع أراضٍ في سوريا ولبنان؛ وجاء في تقرير لابشتاين بأن «مالكي الأراضي العرب والموارنة العاديين، يواصلون اقلاق جماعتنا بمقترحات مختلفة»؛ وأبدى وايزمان تعجبه من كون المنظمة الصهيونية تتعرض «للاغراق بالعروض الجذابة جداً من مالكي الاراضي في سوريا ولبنان»[٦٨]. وعاد جاكوبسون من جولته في لبنان، حاملاً الرسالة التي تنطوي على تناقض ظاهري، والقائلة بأن العديد من العرب قد أعربوا له على انفراد عن اهتمامهم ببيع أراضيهم لليهود، على الرغم من المعارضة العلنية للاستيطان اليهودي في لبنان[٦٩]. وقد اتصل بعض المهاجرين اللبنانيين في أميركا بالوكالة اليهودية، من خلال منظمات صهيونية أميركية، يعرضون بيع بيوت عائلاتهم والاراضي المحيطة بها في بلدهم القديم؛ فيما وجد آخرون يملكون عقارات في لبنان، ويرغبون بيعها، طريقهم الى الوكالة مباشرة، أو أقنعوا وسطاء يهود بتقديم عروضهم[٧٠].

وقد اتصل احد وكلاء شركة تنمية أراضي فلسطين، بالوكالة اليهودية، يطلب تعليمات في كيفية تدبير امر العروض، التي تتدفق على الشركة، ملاحظاً أن موقف السكان في لبنان، ولا سيما موقف الموارنة والارثوذوكس، موقف ودود جداً تجاه اليهود، فاذا تحقق لنا جزء فقط من ضمانات المالكين والوكلاء (ومن بينهم رجال من ذوي المكانات السياسية

المهمة) بخصوص موقف السكان من الاستيطان اليهودي هناك، فان هذا يمكنه ان يكون مثل الجنّة[71].

ولكنه اضاف يقول إنّ الشركة لا تنوي متابعة أي عرض من العروض من دون قرار واضح ، تتخذه الوكالة لصالح شراء الاراضي، فيما وراء حدود الانتداب البريطاني.

إلاّ أنّ الدائرة السياسية رفضت بتهذيب العروض التي تلقتها، وأبلغت ملاّكي الأراضي أن الصهيونيين لا ينوون الاستقرار في أي مكان، إلا ضمن حدود الوطن القومي اليهودي.

وكانت المفاوضات حول الحدود الفلسطينية ـ اللبنانية التي جرت في العشرينيات، قد حددت بوضوح، مكان لبنان خارج نطاق أي دولة يهودية مستقبلية، وقررت القيادة الصهيونية آنذاك، أن توطين اليهود في زوايا مترامية الاطراف في مشرق البحر المتوسط لا يلبي الأهداف الصهيونية الأساسية، بالحصول على أراضي الوطن القومي وإسكانها. وبدا أن الوكالة اليهودية قد تبنّت موقفاً حاسماً، ضد النشاط الاستيطاني الصهيوني خارج حدود فلسطين.

من برلين الى بيروت: الاقتراح بجلب اللاجئين اليهود الالمان الى لبنان

ولكن الاحداث في المانيا، تضافرت لاعادة فتح ملف مسألة الاستيطان اليهودي في لبنان، داخل الوكالة اليهودية. فصعود هتلر الى السلطة في العام ١٩٣٣، والتدهور الفوري لأوضاع يهود المانيا، دفع بالآلاف من هؤلاء اليهود الى البحث عن ملجأ. وكانت المنظمة الصهيونية تريد جلبهم الى فلسطين، لظنها أن الوطن القومي اليهودي بحاجة ماسة الى أعدادهم ومهاراتهم ورساميلهم. ومع تعزز القبضة النازية على المانيا، تردّى وضع اليهود على نحو أكثر من ذي قبل، وأعلنت الصهيونية فلسطين ملاذاً يهودياً حصرياً؛ لكنها، سرعان ما أدركت، أن بريطانيا لن تسمح الا بدخول جزء يسير من اللاجئين اليهود.

ودخل وايزمان في مفاوضات واسعة النطاق مع السلطات الفرنسية والبريطانية، بشأن الحصول على أراضٍ في لبنان من أجل استيعاب اليهود الالمان. واستقبلت الوكالة اليهودية جهود وايزمان بالتشكيك، ولكن ما ان تسربت انباء خطته حتى استجاب العديد

من اللبنانيين، ولا سيما الموارنة، استجابة متحمسة. أما وايزمان فقد كان متفهماً لبعض المصاعب التي تطرحها خطة من هذا النوع، حتى ولو أنها لاقت استقبالاً حسناً من سكان البلد، وذلك لأنه كان يعتقد بأن الامر سيكون كالتالي:

> ان السكان العرب، وخصوصاً في لبنان، متشوقون كثيراً لمجيء اليهود الى بلادهم. فهم على ما يبدو يتوقّعون من مجيء اليهود، وبشيء من السذاجة، علاجاً لمصائبهم الاقتصادية كافة، معتقدين، على ما يظهر، بأن مجيئنا سيجلب معه مطراً من النوع الذي يمطر ذهباً، على كامل سوريا ولبنان! وهذه الآمال المبالغ فيها لا تجعل الامور اسهل لنا بالطبع، فالعرب سريعو الغضب؛ ومن السهل رفع آمالهم، ولكن خيبتهم تكون حادة جداً، عندما تضلل هذه الآمال. فاذا تأخر هطول مطر الذهب، سيتحول الرأي العام في الاتجاه الآخر، وقد يتحول الناس الودودون جداً الآن، الى خصوم عنيفين[72].

أما المشاكل الأخرى فشملت عدم ميل الفرنسيين للاخلال بالوضع القائم، من خلال السماح بدخول أعداد كبيرة من اليهود الالمان الى منطقة الانتداب الفرنسي؛ والامكانية الحقيقية لنشوء معارضة من جانب القوميين العرب (على الرغم من استبعاد وايزمان لهذا العامل)؛ وحقيقة ان اليهود الالمان قد يكونون غير مهتمين بالانتقال الى لبنان، والمسألة المتعلقة بكيفية تحصيلهم لرزقهم فيه. ومع ذلك، ومع تعمّق ازمة اليهود في المانيا، شرع وايزمان والوكالة اليهودية في استكشاف فرص جلب اللاجئين الى لبنان بجدية أكبر[73].

وقد شجعت الصهيونية التقارير المتواصلة عن حماسة اللبنانيين لاستيطان اليهود الالمان في بلادهم. وبدا العديد من اللبنانيين متشوقين لاستقبال اليهود الالمان، الاثرياء الذين يمكنهم ان يستثمروا أموالهم في صناعات جديدة، والذين يمكن لـ «أدمغتهم ونشاطهم وأموالهم» ان تُلهم التنمية الاقتصادية للبلد[74]. حتى إن مدير بنك سوريا ولبنان الكبير أكد لوايزمان أن لبنان يرحب بالاستيطان والرساميل اليهودية، وأبلغه أن المنطقة الساحلية بكاملها، من حدود فلسطين حتى بيروت معروضة للبيع، وبحاجة ماسة الى التنمية التي لن تتحقق ابداً برأيه، من دون اليهود الألمان[75]. وكان وايزمان يعتقد أن اليهود الالمان، المثقفين والجادين في العمل، الميالين الى التجارة، سرعان ما سيشعرون بالإلفة في وسط اللبنانيين الميالين بدورهم، الى التجارة. وعلى الرغم من القلق الذي كان يساوره من تخييب آمال العرب بنهضة لبنانية تولّدها الطاقة اليهودية، فإنه أصبح من أشد مؤيدي

الخطة. وفي خريف العام ١٩٢٥، كتب وايزمان الى صناعي فرنسا يقول: «لقد قررنا القيام بمحاولة تمهيدية، ولو متواضعة، [لتوطين اليهود] على الساحل بين بيروت والحدود الفلسطينية»، ولكن بانتظار «الاذن والنوايا الطيبة من الحكومة الفرنسية واللبنانيين»[٧٦]. الا انه ليست هناك شواهد تدل على ان الوكالة اليهودية قد ناقشت موضوع الاستيطان اليهودي في لبنان، واتخذت قراراً لصالحه، كما بدا من المعنى الضمني لكلمة «نحن» التي استخدمها وايزمان.

ومع ذلك، فإن وايزمان الذي غالباً ما كان يرافقه فكتور جاكوبسون، جال تكراراً في باريس للضغط من أجل السماح بدخول اليهود الالمان الى لبنان. كما عمدت منظمات الدفاع اليهودية الخاصة، التي نشأت في اعقاب نجاح النازية في المانيا، الى رفع العرائض الى الفرنسيين تناشدهم السماح بملاذ ليهود المانيا المضطهدين، في شرق البحر المتوسط. وخاطبت جميعها الحساسيات الاقتصادية الفرنسية، بوصفها للتدفق الهائل للرساميل والتكنولوجيا والحنكة المالية، التي يفترض أن ترافق الهجرة الالمانية الضخمة الى هناك[٧٧]. لكن الفرنسيين الذين اغراهم الحافز الاقتصادي، وأخافهم إطلاق ردّة معادية لهم، اعتمدوا الكلام الملتبس، وحاولوا استنباط خطة يستطيع لبنان بموجبها، ان يتمتع بأقصى قدر من الموارد اليهودية، في الوقت الذي يسمح فيه بدخول أقل عدد من اليهود اليه. وراوحت الاقتراحات من المنع الصريح بدخول الاختصاصيين في الزراعة والمستوطنين («الصهيونيين الزاحفين») وكذلك الاطباء، والمحامين، ومزاولي «المهن الحرة» (التنافس غير المستحب) الى اشتراط في كل حالة بمفردها، لمراجعة الرصيد المالي للمهاجرين، وبالدرجة الاولى، للصناعيّين وكبار رجال الاعمال الذين سيُطلب منهم نبذ الصهيونية[٧٨].

وفور صعود هتلر الى السلطة في العام ١٩٣٣، وأيضاً من بعد «كريستال ناخت» في العام ١٩٣٨، اجتاحت لبنان الشائعات، بان الصهيونيين يرغبون في شراء قطع كبيرة من الأراضي لليهود الالمان. ولقد اثارت تلك الشائعات هبّة من العروض لبيع الاراضي، ومقترحات من شركات وأفراد يبدون استعدادهم لبناء المساكن وتوفير الخدمات للاجئين[٧٩]. وتطلّع العديد من المسلمين اللبنانيين الى تحقيق الارباح من تدفق اليهود الالمان، لكن اهتمام الطائفة المارونية كان كالعادة، الاهتمام الاكثر حماسة من غيره. ويمكن للعوامل الاقتصادية والسياسية والديموغرافية ان تفسر هذا الموقف الماروني.

فالنخبة المارونية التي تملك الممتلكات العقارية الضخمة، والتي تشكل اكثرية الصناعيين اللبنانيين، كانت مرشحة للاستفادة من بيع الاراضي للاستيطان اليهودي، ومن الانتعاش الاقتصادي الذي كانوا يتوقعون ان يقوده اليهود الالمان الاثرياء. ودخل الكثيرون في الجدل حول حاجة لبنان، من أجل حماية مستقبله من التنافس الاقتصادي الآتي من فلسطين، الى قوة اقتصادية نشيطة ذات قدرة على الإنجاز والمبادرة، مماثلة لتلك التي «حرّكت الدواليب الاقتصادية في فلسطين»[٨٠]. واستند جدل آخر، ذو صلة بالموضع إلى الحجة القائلة بأن جبهة اقتصادية يهودية ومارونية موحدة، من شأنها ان تعزز المكانة السياسية للموارنة في لبنان. ومع أن الموارنة، كانوا مدركين للخطر الذي تشكله الاكثرية المسلمة النامية على هيمنتهم السياسية، فإنهم رفضوا التخلي عن الأراضي ذات الغالبية السكانية المسلمة، التي جرى ضمها في العام ١٩٢٠. وكبديل من ذلك، أيّدوا، بلهفة، إدخال عنصر يهودي في المعادلة الديموغرافية في لبنان، يمكنه ان يعيد التفوّق العددي للطوائف غير المسلمة[٨١]. ولقد اقترح اده توطين مائة الف يهودي في مناطق صور وصيدا تحديداً، ذات الغالبية الساحقة من المسلمين[٨٢].

أما الاصدقاء الآخرون للصهيونيين من وسط النخبة المارونية، فقد ورطوا انفسهم على نحو مماثل، بالاقتراح القاضي بجلب اليهود الالمان الى لبنان. اذ عرض سيزار اده، من اقرباء الرئيس، بيع اراضٍ في سهل البقاع اللبناني، حيث كان واثقاً بان المستوطنين اليهود، سيجدون مستقبلاً عظيماً لهم في القطاعين الزراعي والصناعي[٨٣].

وأبلغ شارل قرم الوكالة اليهودية، عن وجود فيلات للايجار بأسعار «مخفّضة» مثيرة للدهشة، على طول الساحل اللبناني، وعرض بأن يؤدي دور الوسيط للصهيونيين[٨٤]. وظهر نجيب صفير مجدداً كالشهاب، حاملاً اقتراحاً يقضي بتوطين اللاجئين حول صور وصيدا، وفي المستنقعات في شمالي سوريا[٨٥]. واستمع المصلّون في كنيس بيروت الى كتاب مفتوح من البطريرك عريضة، نوّه فيه بمساعدة كريميو في العام ١٨٦٠، ودان اضطهاد هتلر لليهود، مقترحاً أن تقيم الكنائس المارونية كافة قداديس خاصة للصلاة من أجل اليهود في المانيا[٨٦]. وقد عرض عريضة، على انفراد، بيع عقارات عائدة للبطريركية بالقرب من بيروت، من المنظمة الصهيونية، لتوطين اليهود الألمان[٧٨]. وخاطب شخصياً جماعة المصلين في كنيس بيروت في العام ١٩٣٧، معرباً عن تعاطفه مع يهود أوروبا في محنتهم. أما الاسقف مبارك الذي رافق البطريرك الى الكنيس، فقد اعلن بطريقته المهيبة المعهودة، بان في لبنان فسحة كبيرة لهؤلاء اليهود المطرودين من المانيا، الذين لم يُستقبلوا

استقبالاً ودياً من جانب عرب فلسطين... واننا، انا وصاحب الغبطة. نريد ان نقول لكم: على الرحب والسعة ايها اليهود. واذا كنت قد قلت يوماً، بان غبطته بطريرك اليهود، فانني اعلن نفسي الآن اسقفاً لليهود[٨٨].

وفي أواسط العام ١٩٣٦، دعا بن ـ غوريون الى اجتماع للبحث في امكانية شراء الاراضي في لبنان. وانتهت المداولات التي أجريت مع شريك لبناني مرتقب الى عقد صفقة مبدئية لاعادة توطين ١٥٠٠٠ عائلة يهودية في لبنان، في غضون فترة عشر سنوات[٨٩]. لكن المفاوضات النهائية تعثرت، عندما تسبب انفجار الاضطرابات في فلسطين، في إثارة قلق بعض الصهيونيين المتورّطين في الخطة، من مغبة ان تؤدي هذه الخطة الى زيادة غضب الرأي العام العربي، وتجعلهم معرّضين للاتهام بأن اليهود الذين لا يكتفون بفلسطين، ينوون الاستيلاء العدواني على الأراضي العربية في كل مكان. واتفق بن ـ غوريون مع وايزمان على تأجيل التحرّك، الى حين إجراء المزيد من عمليات جس النبض في باريس.[٩٠] وبعد مرور أقل من سنة، جاء أحد الكهنة من جونيه، وهي احد معاقل الموارنة في شمال لبنان، لمقابلة ساسون، حاملاً معه رسالة من رجال كنيسته، تكلّفه إجراء مفاوضات لبيع مئات الآلاف من الدونمات في ضواحي المدينة، لليهود. وأبلغ ساسون الى بن ـ غوريون، بأنه أبلغ الرجل في الحال، أن الوكالة اليهودية لن تشتري اي عقارات في الداخل اللبناني، الا من بعد أن يُسمح بالهجرة اليهودية الى لبنان بالطريقة الصحيحة[٩١].

ولم تحاول الوكالة اليهودية جلب يهود من برلين الى بيروت، وذلك بالدرجة الاولى، بسبب اعتراضات سلطات الانتداب الفرنسية، على توطين اللاجئين اليهود في لبنان. وعلى الرغم من أن وايزمان ما لبث أن تلقى في النهاية، الموافقة المبدئية لحكومة باريس، فإن المفوضية السامية الفرنسية في بيروت، بقيت مصرّة على معارضتها. فقد كان المندوب السامي الفرنسي آنذاك، دامين دو مارتيل، المحيط بصورة أفضل من غيره، بحساسيات المسلمين والسياسة المحلية، يخشى، وعن حق، من أن تؤدي هجرة يهودية واسعة النطاق الى لبنان، الى احتجاجات الجماهير التي كانت، وعلى عكس النخبة اللبنانية الثرية، لا تكاد ترى سوى فائدة يسيرة في الزحف اليهودي نحو بلادها. وعلى الرغم من ان ابشتاين كان قد اعرب بخفة عن رأيه القائل بانه «لن يكون من الصعب كثيراً، بمساعدة الفرنسيين»، السيطرة على المعارضة الواسعة النطاق التي كانت بالتأكيد، تستقبل تدفق أعداد كبيرة من اليهود الالمان على لبنان، فإن المفوضية السامية لم تكن تشاركه ثقته التي لا يعتريها القلق،

بقدرة سلطات الانتداب على إخماد الاحتجاج الشعبي[٩٢]. ولا شك في ان الشكوك الفرنسية التقليدية باستخدام بريطانيا لليهود كعملاء؛ وفي أن المخاوف من ان يشجع الاستيطان اليهودي بالقرب من حدود فلسطين، المسعى الصهيوني لاسترداد ارض الأجداد، بالمطالبة بجنوب لبنان، كان لها تأثيرها ايضاً، في المندوب السامي. وقد ناشد وايزمان البطريرك عريضة ـ الذي كان وايزمان يبالغ في تقدير اهميته كـ «قوة كبرى في لبنان» ـ ناشده مساعدته في تغيير رأي دومارتيل[٩٣]. ومع ذلك، توصل المندوب السامي الى الاستنتاج، أن الاستيطان سوف يتطلب قوة حماية كبيرة، وأن قوة الانتداب ليست ملزمة بتسهيل استيطان مستوطنين أجانب في البلد[٩٤]. واضاف زملاؤه في روما والقدس، إلى هذا الموقف، قلقهم من ان تولّد الخطة أصداء معادية للفرنسيين في شمال افريقيا، وفلسطين، على التوالي[٩٥].

وهكذا أنهت المعارضة الفرنسية بفعالية، التكهنات حول جلب لاجئين يهود الى لبنان. ولكن فشل المسعى لتنفيذ برنامج مرئي، واسع النطاق كهذا البرنامج، كانت له تبعاته الجدية على العلاقة الصهيونية ـ المارونية، وعلى فكرة تحالف الاقليات، حتى لا نذكر اللاجئين المحتملين أيضاً. فالدور الماروني البارز في تشجيع الخطة وجعل العقارات متوافرة للاستيطان اليهودية، عزّز تصور الصهيونيين للموارنة كحلفاء. فقد اكدّ مبارك لليهود، أنه حاول والبطريرك، التأثير في السلطات الفرنسية، لتسمح بدخول اليهود الألمان، واعطى ذلك الفيض من العروض وتعابير التشجيع، الصهيونيين سبباً للاعتقاد بأن العديد من الموارنة كانوا يعملون من أجل هذه الغاية[٩٦]. لكن احداً من المسؤولين الفرنسيين العديدين، الذين وثّقوا هذا الاقتراح، لم يبلّغ في الواقع، عن تعرضه لضغوط من جانب موارنة من ذوي المناصب الرفيعة، لصالح خطة اللاجئين اليهود. بل ان مراجعة الارشيفات تكشف عوضاً عن ذلك، عن وعي فرنسي لتعاطف النخبة المارونية مع الصهيونية، وتفهم فرنسي للمصالح المارونية الكامنة في جلب اليهود الالمان الاثرياء الى لبنان، وجهل مطبق للدور الماروني في تشجيع الوكالة اليهودية بعروض مفصّلة لبيع الاراضي وتوفير الخدمات للقادمين الجدد.

وعلى نحو مماثل، توحي ملاحظة واردة في تقرير لابشتاين عن رفض البطريرك، وخلافاً لمبارك، الاعلان جهاراً عن استعداد لبنان لاستقبال اللاجئين اليهود الالمان، بان عوامل اخرى غير المعارضة الفرنسية، ربما كانت قد ساعدت في عرقلة استيطان اليهود

في لبنان[٩٧]. فالنفي العلني والتأكيدات التي كانت تُعطى على انفراد، كان، وكما تعلمت الوكالة اليهودية، السلوك المتعارف عليه لاصدقائها الموارنة الوجلين. واي محاولة صهيونية لوضع الخطة موضع التنفيذ، كانت ستثير بالتأكيد، معارضة المسلمين، وتجعل البطريرك وغيره من الموارنة البارزين، يتراجعون عن مواقفهم المؤيدة التي كانوا يعربون عنها على انفراد. وعلى الرغم من ان التعابير العديدة التي أعربت عن الاهتمام بالاقتراح، قد اجتذبت انتباه الصهيونيين، فان الشائعات عن تدفق يهودي الماني حاشد على لبنان، ولّدت بالتأكيد، تعابير معارضة واسعة النطاق ايضاً. ففي العام ١٩٣٤، حاولت فرنسا تسكين الهياج العربي، الذي اثاره ما اشيع عن استيطان يهودي في لبنان، من خلال اصدار مرسوم يقضي بان يكون للحكومة اللبنانية او السورية سلطة اصدار اذن مُسبق، لعمليات بيع أراضٍ كبيرة، وترتيبات إيجار طويلة الامد[٩٨]. وفي العام ١٩٣٧، اثارت التصريحات المتعاطفة التي ادلى بها مبارك في كنيس بيروت، فيضاً من التقارير الصحافية المعادية، والتظاهرات العامة لصالح الفلسطينيين العرب. وغرق الاسقف، كما غرقت سلطات الانتداب، في فيض من الرسائل، من لبنان، وما وراءه، تدين كلاً من مبارك والصهيونية، وتشكك في حالة الاسقف العقلية[٩٩].

لقد كان من شأن أي محاولة لتحقيق خطة اللاجئين، أن تشكل الامتحان الحقيقي الأول للصداقة المارونية، وهي معرضة للهجوم. فاستعداد الموارنة على الاستمرار في المشروع التعاوني مع الصهيونيين، على الرغم من غضبة مواطنيهم المسلمين، كان عاملاً حاسماً في الجدل الدائر بين الصهيونيين، من أنصار سياسة تحالف الاقليات، وأولئك الذين كانوا يرفضونها. فهل كان الموارنة سيفون بكلمتهم، فينجزون عرضهم بالمساعدة في توطين اليهود، في مواجهة معارضة المسلمين، لو لم يقف الفرنسيون في وجههم؟ إنّ تنصّل الموارنة من الخطة، كان من شأنه أن يثبت صحة موقف هؤلاء، الذين كانوا يقللون من اهمية انتهاج سياسة تحالف الأقليات. ولو أن الموارنة سهّلوا الهجرة اليهودية الالمانية، لكان من المحتمل ان تدرس الدائرة السياسية مسألة انتهاج سياسة رسمية، لتحالف الاقليات بصورة اكبر. ولكن، بالنتيجة، أتاحت المعارضة الفرنسية للموارنة، عرض موقفهم الودّي على الصهيونية، من دون أن يتكبدوا من اجلهم، أي ضرر سياسي، في الواقع. ومن المحتمل الا يكون الرفض الفرنسي قد خيّب كلياً، آمال البطريرك وغيره، ولكن غياب قضية قياسية يكون الحكم فيها معياراً لامتحان التحالف الماروني ـ الصهيوني، أتاح

للاحتمال بقيام وحدة من هذا النوع، ان يستمر كخيار سياسي في التفكير الصهيوني الخاص بالسياسة الخارجية.

اليهود اللبنانيون والكتائب: ملابسات للنشاط الصهيوني في لبنان

عمد الزعماء اليهود في بيروت، رداً على صعود هتلر الى السلطة في المانيا، في العام ١٩٣٣، الى انشاء فرع محلي للرابطة الدولية ضد معاداة السامية. وأجازت الاستخبارات الفرنسية أعمالهم، شرط الامتناع عن اثارة غضب القنصلية الالمانية في المدينة[١٠٠]. وبعد مرور سنتين، ضاعفت الطائفة اليهودية في لبنان مراهنتها، فقدمت عريضة الى المندوب السامي، تلتمس فيها السماح بالهجرة اليهودية الألمانية الى لبنان، فاضافت بذلك، عاملاً يهودياً محلياً الى المعادلة الصهيونية ـ اللبنانية[١٠١]. وكان من شأن التفكير الصهيوني حول استعداد لبنان لتقبّل اليهود والصهيونية، أن يوحي بان طائفة اليهود من سكان البلاد الاصليين تتمتع بلا شك، بوضع آمن بصفة خاصة. وكان على النظريات الصهيونية حول الرابط الطبيعي اليهودي ـ الماروني، ان تنطبق أيضاً، على الطائفتين اليهودية والمارونية ضمن لبنان. ولمّا كانت مستويات الحماسة للصهيونية تتفاوت في وسط المجتمعات اليهودية في الشتات، فانه من الضروري النظر في ماهية العلاقة التي كانت قائمة بين يهود لبنان والوكالة اليهودية، قبل تناول السؤال عما اذا كان اليهود من سكان البلاد الاصليين، قد عملوا مع الوكالة تأييداً للاهداف الصهيونية.

في اواخر الثلاثينيات، كان عدد السكان اليهود في لبنان يبلغ نحو ٦٠٠٠ نسمة، يقيم اكثريتهم الساحقة في بيروت[١٠٢]. ولم يكن اليهود اللبنانيون مهيمنين في أي مجال من المجالات؛ وعلى الرغم من أنهم كانوا يتمتّعون بتمثيل غير متكافىء مع عددهم، في القطاع التجاري، فإنهم لم يكونوا من بين أغنى اغنياء التجار، ولم يلعبوا دوراً مهماً في جمعية التجار القوية سياسياً. فقد كانت الطائفة اجمالاً، ميسورة الى حد ما، وتملك الموارد الكافية لرعاية حاجاتها الدينية، وتعليم أبنائها والاهتمام بكهولها. وعلى الرغم من أن اليهود أحجموا عن الانخراط الناشط في السياسة الداخلية اللبنانية، فإنهم كانوا يشتركون في الانتخابات، وكانت الاحزاب المسلمة والمسيحية، تتودد اليهم للحصول على اصواتهم. وكان التجار اليهود يقيمون علاقات تجارية، مع كل من نظرائهم المسلمين والمسيحيين. وكانت الطائفة تحاول، كقاعدة، أن تبقى بعيدة عن الانظار، تتجنب السياسة، وتتمتع برخائها مرتاحة البال.

وكانت الشبيبة اليهودية تلتحق بمدارس «الاليانس اسرائيليت يونيفرسيل» المناهضة للصهيونية، وتخرج منه متعلمة، ولكن غير مهتمة، الى حد بعيد، بالنشاطات الصهيونية في فلسطين. أما اولئك الذين كانوا نشيطين في حركات الشبيبة اليهودية في بيروت، فقد درسوا اللغة العبرية، وتبنى عدد كبير منهم توجّهاً صهيونياً. وكان قادة مجموعات الشبيبة، يتلقون الارشادات من فروعهم في فلسطين، ويسافرون الى اليشوف في بعض الاحيان، من أجل التدريب. وكان للعائلات اليهودية اللبنانية كافة تقريباً، اقارب في فلسطين، يتبادلون وإياهم الزيارات بين بيروت والقدس، بشكل منتظم.

وكان ج. دافيد فرحي، زعيم الطائفة اليهودية في بيروت، يقيم صلة وثيقة بالدائرة السياسية. فقد كان قائداً قديراً مؤيداً للتطلّعات الصهيونية في فلسطين، وغالباً ما تعتريه مشاعر الاحباط، مما كان يراه من لا مبالاة يهودية محلية. ومع ذلك فقد كان مؤمناً بان حسن أحوال اليهود في لبنان، كان يعتمد الى حد كبير، على الطابع اللاسياسي للطائفة، وكان يشدد تكراراً للقيادة الصهيونية، على أن يهود لبنان لا يستطيعون وبكل بساطة، تبنّي موقفٍ فاعلٍ للصهيونية[١٠٣].

وقد قامت الطائفة اليهودية في بيروت، بما اعتقدت بانها تستطيع القيام به لمساعدة البرنامج الصهيوني، من دون تعريض سلامتها للخطر. فقد جمع اليهود اللبنانيون المال لمكافحة عداء الصحف المحلية. وكانت الطائفة تخفي او تستخدم داخل الحي اليهودي، أولئك المهاجرين اليهود، الذين يدخلون الى البلد بصورة غير مشروعة، محاولين الوصول الى فلسطين عبر لبنان، وتجمع المزيد من الاموال لإطعامهم وكسوتهم. وعلى الرغم من أن معظم اليهود اللبنانيين، لم يكونوا راغبين بالهجرة، فإن بعض الافراد عمد الى إنشاء خط سكة حديد سرّي لتهريب اللاجئين اليهود، وفيما بعد، لتهريب الاسلحة عبر الحدود الى داخل فلسطين[١٠٤] ولكن هذه النشاطات لم يكن ظهورها بارزاً في العمليات السياسية، لأن الهاغاناه ودوائر خاصة تابعة للوكالة اليهودية: كانت تتعاطى مسألة الهجرة والحصول على الاسلحة.

وكانت الدائرة السياسية تتلقى المعلومات من الطائفة اليهودية اللبنانية؛ كما كان ممثلو الوكالة اليهودية، يقومون عادة بزيارة الحي اليهودي في بيروت، ويذهبون الى الكنيس؛ وغالباً ما كانوا يتسوّقون ويمكثون فيه اثناء وجودهم في بيروت. ولكن الوكالة تبنت

سياسة تقضي بالاحجام عن التورط في الشؤون الداخلية للطائفة، وامتنعت عن استخدام اليهود المحليين، كجواسيس أو عملاء سريين. وقد اقامت الوكالة سياستها هذه، على أساس الافتراض أن مزاولة اليهود اللبنانيين للنشاط السياسي لصالح الصهيونية، من شأنه ان يثير اتهامات بالخيانة، ويعرض للخطر بصورة جدية، أمن الطائفة في حياة أبنائها وممتلكاتهم. فالوكالة أقدمت على التنمية السريعة لصلات كافية في لبنان بحيث أنها لم تكن بحاجة الى الاعتماد على الطائفة اليهودية لمساعدتها. ومع تطور علاقاتها مع شخصيات تحتل مناصب رفيعة، مثل البطريرك عريضة، وإده، لم يكن هناك ما يستدعي إشراك اليهود المحليين في معرفة خفايا اجراءات غاية في الحساسية. وعلى الرغم من أن اليهود اللبنانيين البارزين، كانوا يؤيدون تكراراً، هذا الخط المُتّبع، فإن بعضهم شعر بأنه خط يشير الى انعدام الثقة بطائفتهم[١٠٦].

وعمد العديد من اليهود اللبنانيين، وعلى الرغم من صلات فرحي، الى تجنب الوكالة اليهودية، وأقاموا الصلة بأرض اسرائيل، من خلال مجلس طائفة السفارديم في القدس، وهو منظمة صهيونية، كانت معارضة للوكالة اليهودية، على اساس أن قادتها الاوروبيي المولد، يمارسون التمييز ضد اليهود الشرق أوسطيين[١٠٧].

وكان لتمتّع يهود لبنان بعلاقة وثيقة مع الموارنة، بمعزل عن روابط الوكالة اليهودية بالطائفة المارونية، إضفاء المصداقية على النظرية القائلة بوجود رابط طبيعي بين اليهود والموارنة. وعلى الرغم من أن الطائفة اليهودية كانت تتبرع للمؤسسات الخيرية التابعة للكنيسة المارونية، وتحتفظ بعلاقة ودية مع عريضة ومبارك، فان صلاتها الرئيسية كانت مع بيار الجميّل والكتائب اللبنانية. وكان الجميّل قد أسس الكتائب في العام ١٩٣٦، كحركة شبيبة مسؤولة عن الأمن القومي، مدفوعة بالحس القومي الماروني، ومكرّسة نفسها للحفاظ على لبنان مسيحي مستقل. وكانت الفاشية، الايطالية والالمانية، المُلهمة للكتائب بالاصل؛ ولكن سرعان ما ادركت الاهتمامات الاخرى عنصرها الفاشي بسبب البراغماتية السياسية للجميّل. وليس هناك ما يشير إلى أن الأصول الفاشية للكتائب، كان لها أي علاقة بمعاداة السامية[١٠٨].

ولقد وجد اليهود اقرب الاصدقاء في وسط الكتائب. وعلى الرغم من ان الطائفة كانت تدفع الاموال للشرطة، لضمان أمنها، فإنها لم تكن مستعدة للاعتماد على الحماية الرسمية وحدها، وتوصلت الى اتفاق مالي ايضاً، مع الكتائب لحماية الحي اليهودي، كلما هددت

التظاهرات المؤيدة للفلسطينيين، بالتحرك الى أعمال ضد اليهود المحليين[١٠٩]. وعندما اقترب الانتداب البريطاني في فلسطين من نهايته، وبدت الحرب وشيكة هناك، اخذت الطائفة على عاتقها اعداد شبيبتها للدفاع عن بيوتهم ومصالحهم التجارية، فالتحق الفتيان اليهود بكشافة حزب الكتائب ونواديه الرياضية، ليجري تدريبهم على استخدام الاسلحة النارية. وكانت الكتائب تبيع الاسلحة لليهود ايضاً، بغرض الدفاع عن النفس. وخلال حرب العام ١٩٤٨، وفت الكتائب بوعدها بحماية الحي اليهودي[١١٠].

وكان لاعتماد يهود بيروت على الجميل عوضاً عن اده، ان سلّط الضوء على الطبيعة المنشقة للطائفة المارونية، والتي كانت لها تبعاتها على نشاطات الوكالة اليهودية في لبنان. فعلى الرغم من كون الرجلين من الموارنة القوميين والانفصاليين، فإن الجميل كان احد الخصوم السياسيين الرئيسيين لإده. وكان هذا يعني بان الوكالة اليهودية من جهة، واليهود اللبنانيين من جهة اخرى، قد تحالفا مع شلل مارونية متنافسة. وقد حذر إده ابشتاين مراراً، من الجميّل، واصفاً اياه بالعميل الايطالي والفاشي؛ ولكن ابشتاين رفع تقريراً الى القدس يبلغها فيه أنه لم يستطع إيجاد اي دليل على وجود صلة سياسية بين الكتائب، والايطاليين أو الالمان[١١١]. ومع ذلك لم يكن الجميل ومنظمته، يشاطران اده وعريضة ومبارك، توجههم الواضح المؤيد للصهيونية، على الرغم من اشارة احد الكتائبيين، الى كون هذا الامر يعكس التحفظات العملية تجاه اليهود، كمنافسين اقتصاديين جديّين، ولا يعكس معاداة سياسية للصهيونية[١١٢]. وفي مناسبة واحدة على الاقل، في الثلاثينيات، ابدى الجميّل اعجابه بالطموحات اليهودية، والصناعة اليهودية، في فلسطين، ملمّحاً الى الاستعداد للاقتراب أكثر من الصهيونيين. ولكن معرفته بالعلاقة الوثيقة التي تربط الوكالة اليهودية بمنافسه اده، جعلته يفترض على ما يبدو، أن اده كان رجل الوكالة في الدوائر السياسية المارونية، فيتردد في اتخاذ الخطوات التي تكسبه عواطف الصهيونيين. ويبدو أن الدائرة السياسية، درست في وقت من الاوقات، أمر اقامة علاقات أوثق مع الجميل، ولكنها شعرت بأنها مقيدة بالتزاماتها تجاه اده[١١٣]. وكان هناك تحفظ مماثل ميّز اتصالات الدائرة السياسية بفئة مارونية اخرى، كان يرأسها بشارة الخوري، على الرغم من ان جماعة الخوري كانت من دعاة المشاركة في السلطة مع المسلمين اللبنانيين، وتعترف بالرابط الطبيعي الذي يربط مسيحيي لبنان بالعالم العربي المحيط بهم.

ولقد كانت الصداقات الوثيقة للوكالة اليهودية مع الكنيسة المارونية بقيادة البطريرك عريضة، ومع الفئة السياسية بقيادة اده، هي التي وجّهت التورط الصهيوني المتعمق في لبنان؛ فقد أثر الاعتماد الصهيوني على هاتين الجماعتين المحددتين، في مسار السياسة الصهيونية في لبنان. فحقيقة أن هؤلاء الموارنة، الذين كانت الدائرة السياسية تقيم معهم اوثق العلاقات، كانوا جميعاً، من دعاة شكل متطرف من اشكال القومية المارونية، كان لها تأثيرها في المدركات الصهيونية للبنان. فقد كان هؤلاء القوميون الموارنة المتصلبون، يرون لبنان مسيحياً ومارونياً وغربياً: لبنان منفصلاً عن العالم العربي المسلم، ومتفوقاً عليه ومهدداً منه. وأدت المواقف المعادية للمسلمين والموالية للغرب، الى تقريب هؤلاء الموارنة من الصهيونيين. أما الوكالة اليهودية التي كانت واعية للانقسامات ضمن الطائفة المارونية، الأكثر نفوذاً والأكثر تمثيلاً للموارنة، فقد قللت من اهمية الفئات المارونية، الأخرى، التي لم تكن معنية بتحالف مع الصهيونيين.

وعلى الرغم من أن الدائرة السياسية لم تكن تشكك باخلاص الصداقة التي عرضها عريضة واده، فإنها غالباً ما كانت تشعر بالاحباط من عجزهما المزعوم، على التعبير علانية، عن مشاعرهما المؤيدة للصهيونية، التي كانا يجدان سهولة في التعبير عنها على انفراد. وكان ينبغي لهذا الامر أن يكون ضوء الانذار الواضح، لدعاة سياسة تحالف الأقليات، الذي يلفتهم الى ان الموارنة غير قادرين على تحمل ما يترتب عليهم، في اي صفقة. فاهداف السياسة الصهيونية في لبنان، التي كان يفترض ان تكون سياسة التحالف الصهيوني ـ الماروني في خدمتها، تحولت والى حد كبير، الى الاثبات العلني للعالم، بأن بعض الجماعات العربية المهمة، قد قبلت فعلاً بالصهيونية. ولكن التأكيدات السرّية على الدعم، لم تخدم أي غرض سياسي عملي يتصل بهذا الهدف. فقد وعد اده تكراراً، بان يدافع علناً عن القضية الصهيونية، ما إن يعزز موقعه مرة والى الابد. ولكن لبنان قاوم طوال عقود من الزمن، هيمنة جماعة واحدة من الجماعات، وكان مشكوكاً ان تتسنى لإده، في أي وقت من الأوقات، فرصة الوفاء بوعده.

الاستنتاج:

على الرغم من أن الموارنة الميالين للتجارة، الذين تصادقوا مع الصهيونيين، كانوا بطيئين في الوفاء بوعودهم السياسية، فإنهم كانوا سريعين في توفير الفرص الاقتصادية؛

كما أن العديدين من اللبنانيين غير الموارنة سعوا الى تعاطي الاعمال التجارية مع يهود فلسطين. وقد شجعت الوكالة اليهودية الكثير من المقترحات التي تلقتها، ولكنها وضعت مسافة بينها وبين التورط المالي المباشر في لبنان، مفضّلة عوضاً عن ذلك، تحويل المشاريع الواعدة بصفة خاصة، الى المقاولين اليهود الخاصين. وكان لهذا التبادل التجاري الحيوي، أن عزز الادراك الصهيوني، الذي يلحظ أن الروح التجارية المميزة في لبنان، تفوق في اهميتها المشاعر الشعبية المناهضة للصهيونية، السائدة في انحاء العالم العربي.واعتقد العديد من الصهيونيين الذين سرّهم التعزز المتزايد للروابط الاقتصادية بين البلدين، بأن اللبنانيين لن يدعوا النزاع الصهيوني ـ الفلسطيني، يتدخل في هذه الروابط الاقتصادية، التي تربط لبنان باليشوف.

وقد دعمت الوكالة اليهودية بتشجيع لبناني، الجهود التي بُذلت من أجل إيجاد علاقات ثقافية بين اليهود واللبنانيين. وحاولت الدائرة السياسية، انتزاع فوائد سياسية من هذه النشاطات، بانتهاج مقاربة تبادل الخدمات؛ فشجعت العلاقات الايجابية بين الافراد اليهود واللبنانيين، وحققت إبراز الانجازات الصهيونية الطبية والثقافية، والتكنولوجية، والصناعة الزراعية في فلسطين، بالصورة المؤاتية مهددة بوقف الروابط ذات الفائدة المشتركة، اذا لم تسيطر الصحف اللبنانية على ما تنشره من مواد معادية للصهيونية.

واستهلكت الحملة لكسر الاندفاعة المناهضة للصهيونية، في وسائل الاعلام اللبنانية، الكثير من اهتمام الدائرة السياسية، وطاقتها، ومواردها. ومن غير المحتمل أن يكون أي جهد من الجهود التي بذلتها، قد نفع بالفعل في تسكين القلق الذي كان يساور العرب، او في تهدئة المعارضة العربية لانشاء الوطن القومي اليهودي. ولكن النجاح في زرع مقالات مؤيدة للصهيونية في الصحف اللبنانية، أسهم في ذلك الادراك القائل بان مفتاح العلاقات مع لبنان، كان الشأن المالي، وليس الشأن السياسي. أما موقف الصحف المارونية الذي كان خدوماً بصفة خاصة، فقد عزّز صورة الموارنة كحلفاء. وكان ينبغي لمدرسة تحالف الأقليات، أن تُعير اهتماماً اكبر لحقيقة مفادها أنها وأصدقاءها الموارنة، قد خسروا الحرب الدعائية.

وعلى الرغم من قرار القيادة الصهيونية الذي قضى بان تركيز النشاط الاستيطاني في فلسطين، يقدم أفضل خدمة لأهداف الحركة، بإيجاد الوطن القومي اليهودي، واسكانه، والدفاع عنه، الا أن محنة اليهود الالمان فرضت إعادة النظر في الاقتراح القاضي بجلب

اليهود الى لبنان. فالتقارير التي أبلغت عن تحبيذ العديد من اللبنانيين: من مسلمين ومسيحيين، لهجرة الصناعيين اليهود الألمان الاثرياء، وتدفق عروض بيع الاراضي والخدمات، قد شجّعت انصار خطة إعادة التوطين، كما شجعت اولئك الذي لاحظوا وجود استعداد كبير لدى اللبنانيين لتقبّل اليهود والصهيونية. اما الفيتو الذي فرضه دومارتيل على خطة إعادة توطين اللاجئين، فقد سلّط الضوء على طبيعة العلاقات الغربية التي نشأت بين الوكالة اليهودية (وهي ليست كيان دولة)، وبين لبنان فترة ـ الانتداب (ولم يكن دولة مستقلة تماماً). وعلى الرغم من أن الصهيونيين والموارنة كانوا يتمتعون بشيء من النفوذ في باريس، فإن المندوب السامي الفرنسي، كان هو الطرف الغالب عموماً، في المسائل المحلية، وقد أحبط بالتالي المقترحات الصهيونية ـ اللبنانية الاكثر طموحاً من غيرها، كما فعل في قضيتي سد الليطاني واليهود الالمان.

لقد كان هدف خطة اللاجئين، انقاذ أرواح يهودية، وليس بناء دولة يهودية. ولأنها كانت كذلك، فقد عكست اهتمامات يهودية وليس صهيونية. ولكنها كانت خطة من شأنها ان تغيّر المصالح الصهيونية، باستخدامها كامتحان لقدرة الموارنة على التمسك ببرنامج مؤيد لليهود، ومؤيد للصهيونية، ازاء الادانة الواسعة النطاق. فهذه المسألة كان يمكنها ان تكون العامل الفصل لصالح مفهوم تحالف الاقليات أو ضده. وقد كان الاجدر بالوكالة اليهودية، أن تختبر امكانية اقامة تحالف ماروني ـ صهيوني في هذا التاريخ المبكّر، وكان بامكان الدائرة السياسية صرف النظر عن الفكرة، وتركيز السياسة في اتجاه اكثر واقعية، فيما لو ثبت بأن هذا التحالف غير قابل للتطبيق. ولربما كان اده وعريضة ومؤيدوهما، قد تراجعوا عن مواقفهم المؤيدة في العلن، في ضوء المعارضة العربية/الاسلامية الجدية، فيما يؤكدان على انفراد، ترحيبهم بالهجرة اليهودية الالمانية الى لبنان. ولكن الذي حصل، أن الجهد الذي بُذل لم يخدم إلا تعزيز صورة الموارنة، كحلفاء من دون إخضاعهم للامتحان، مفسحاً في المجال، لمفهوم التحالف الماروني ـ الصهيوني ان يستمر، كخيار من خيارات السياسة الخارجية في التفكير الصهيوني.

واما متابعة طائفة اليهود اللبنانيين صلتها الخاصة بالجميل، وبصورة مستقلة عن روابط الوكالة اليهودية بعريضة واده، فقد كانت مؤشراً على علاقة الوكالة المضطربة بهذه الطائفة. وعلى الرغم من ان القيام باستكشاف انشاء علاقات مع فئات مارونية اخرى، قد اغرى الوكالة في بعض الاوقات، فإنه كان جلياً، بأن قلقها من ان تُفسد علاقاتها بخصوص

اده، العلاقة القائمة معه، أقنعها بوجوب اختيار جماعة من بين الجماعات المارونية المختلفة. ولو لعبت الوكالة بحسب القواعد السياسية اللبنانية التقليدية، المتميزة التي تتسم بالتحالفات السريعة التغيّر، وزيجات المصلحة غير المعقولة، لكانت حاولت تنمية روابط مع عدة مجموعات مارونية في آن. ولكن عدم رغبتها بالتورط في النزاعات المارونية الداخلية، او المجازفة بسلامة العلاقة التي كانت تتمتع بها، جعلها تختار فئة مارونية واحدة، تتابع علاقاتها معها، تاركة يهود بيروت والكتائب لشأنهم، على العموم، وملتزمة مع عريضة واده.

ولكن الوكالة اليهودية بحصرها صلاتها الحميمة بتلك المارونية المتطرفة نفسها، شكلت مدركاتها للبنان، وخططت سياستها، على أساس معطيات محرّفة ومحدودة. ويبدو ان الانقسامات في وسط الموارنة، جعلت أي اقتراح من المقترحات الخاصة بتحالف الأقليات، اقتراحاً ينطوي على خلل جدّي. فقد أدرك المراقبون الفطنون من امثال ساسون، أن الموارنة لا يمثلون جميع اللبنانيين، ولا حتى جميع المسيحيين، وأن عريضة وإده لا يمثّلان حتى جميع الموارنة. أما الوكالة اليهودية التي قلّلت من جدية الشقاقات المارونية الداخلية، وأخطأت في حساب القوة النسبية لمختلف الفئات، فقد راهنت على الكنيسة النافذة، وعلى الرئيس الذي يشغل سدة الرئاسة، وهي واثقة بأنها تحتفظ في زاويتها، بأقوى شخصيتين في السياسة اللبنانية المارونية. ولقد تمتع الطرفان بعلاقات وثيقة، وراودتهما الاحلام بمخططات عظيمة، وراقبا النشاط الجاري بينهما ينمو ليصبح نشيطاً ومربحاً اكثر، حتى ليبدو أن الأسس قد وُضعت من اجل تعاون سياسي جدّي بينهما.

الفصل الرابع

النشاط السياسي الصهيوني في لبنان

كان التوقع بتحقيق فوائد سياسية يقض مضجع العلاقات التجارية والثقافية الوثيقة التي كانت تنمو بين لبنان واليشوف خلال الثلاثينيات. فالنمو السريع للروابط التجارية كان بحسب مدرسة من مدارس الفكر الصهيوني، يعكس استعداداً لبنانياً طبيعياً لتقبّل الصهيونية. وقد أعرب هؤلاء الصهيونيون، الذين كانوا واثقين ان للاقتصاد في لبنان صوتاً أعلى من صوت الايديولوجية، عن رأيهم القائل بأن أسس علاقات اليشوف مع لبنان أسس قوية ومتينة. وكان الاغراء للبناء على هذه الأسس وتعزيز التطلعات السياسية المشتركة بعلاقة سياسية وثيقة على حد سواء، اغراء ماثلاً أمام الطرفين.

فالعلاقات الصهيونية ـ اللبنانية لم تنشأ في فراغ سياسي. وقد طغت الثورة العربية للأعوام ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩، على الأحداث في فلسطين، وأثّرت في أهداف الوكالة اليهودية المتعلقة بالنشاط في لبنان، ما ان تركّز المفتي ومؤيدوه فيه. وسوف تكون نتيجة تفحص العلاقات اليهودية ـ اللبنانية على طول الحدود بين لبنان وفلسطين، نتيجة مفيدة لدرس العلاقات الصهيونية ـ اللبنانية على المستويات العليا، في ظل الظروف المتوترة الناجمة عن الاضرابات في فلسطين. فهل اثبتت التجربة الحدودية المحلية صحة ذلك الادراك لوجود استعداد لبناني طبيعي لتقبّل الصهيونية، واثبتت صحة تلك النظرية القائلة بان الصهيونيين سيجدون حليفاً طبيعياً في وسط المسيحيين؟ لقد قامت السياسة الصهيونية

التي كانت سائدة تجاه لبنان، على هاتين الفرضيتين، وعمد وسطاء صلات الوكالة اليهودية من الموارنة، الى تشجيع الوكالة على الاعتقاد، بان العلاقة بين الطرفين يمكنها ان تعطي مكاسب سياسية واقتصادية لليشوف.

محاولات لعقد اتفاقية صهيونية ـ لبنانية

قام الموارنة والصهيونيون، ابتداء من أواسط الثلاثينيات وحتى نهايتها، بعدة محاولات لاعطاء تعبير سياسي ملموس للمودة والمصالح المشتركة بينهما. وعكست المقترحات المقدمة من الجانبين، اهتمامات مشتركة، كما عكست توقعات متباينة بالنسبة الى ما يستطيع كل طرف منهما تقديمه الى الطرف الآخر، والى ما هو قابل للتطبيق في ضوء الأوضاع السياسية السائدة في المنطقة.

وجاء اول تلميح الى امكانية قيام تحالف رسمي بين لبنان وفلسطين اليهودية، خلال بعثة فكتور جاكوبسون الأولى، من أجل تقصي الحقائق في لبنان، في ربيع العام ١٩٣٣. فقد رفع جاكوبسون تقريراً، ذكر فيه أن البرت نقاش والبطريرك عريضة قدّما الحجج التي تدعم إرساء شراكة اقتصادية، ملمحين الى احتمال ان تليها شراكة سياسية، «ولكنهما»، كما كتب جاكوبسون، «لا يملكان سوى أفكار ضبابية حول هذا الأمر»[1]. بيد أن إميل إده وجورج نقاش استخدما في كلامهما مصطلحات سياسية أكثر تحديداً. فقد رأى الاثنان، بحسب جاكوبسون، تهديداً سورياً للبنان المستقل، وسلّما بحقيقة اعتماد لبنان المستمر على حماية القوة الانتدابية. الا انهما في الوقت عينه، قدما الحجج التي تقول بضرورة ان يعزز لبنان مكانته بالتحالف مع فلسطين اليهودية التي كانت في وضع مشابه لوضعه. فهذان البلدان يستطيعان التمتع بمستقبل آمن، كما أكدا لجاكوبسون، على أساس وحدة وثيقة بينهما. واذا ما أرغمت الظروف قوّتي الانتداب على سحب دعمهما، فان مجهوداً يهودياً ـ لبنانياً منسقاً، يمكنه ان يحمي الخط الساحلي المشترك بينهما ضد اي هجوم من المناطق الداخلية المسلمة. الا ان الموارنة، الذين أعربوا عن أملهم بقيام علاقات ودية بين بلدان المنطقة كافة، قد أصرّوا على ان الاعتبارات الجغرافية والاقتصادية والسياسية السائدة، تُجبر الاقليتين على السعي لايجاد الحماية، في وحدة سياسية وعسكرية وثيقة بينهما. وعلى الرغم من دهشة جاكوبسون لطبيعة هذه المقترحات ذات الآثار البعيدة المدى، فإنه نصح الدائرة السياسية بالنظر فيها.

وبعد مرور عامين على ذلك، دخل شرتوك في مباحثات مع عريضة وكبار قساوسته، حول انشاء جمعية لبنانية ـ فلسطينية، بحسب ما اقترح شاعر «الشبيبة الفينيقية»، شارل قرم، من أجل البناء على الروابط القائمة بين الموارنة اللبنانيين واليهود الفلسطينيين، التي ينبغي لها أن تكون أساساً لنشاط تعاوني في المستقبل. وعلى الرغم من الاهتمام المعلن من جانب الطرفين، فقد أصاب الفكرة فتور، استمر حتى اقدام شارل قرم على احيائها في العام ١٩٣٧[2]. وكانت لجنة بيل قد أوصت في هذا العام نفسه، بتقسيم فلسطين. وكان كلٌّ من قرم ونقاش يريدان وضع الأسس لعلاقات ودية بين لبنان والدولة اليهودية الجديدة على الفور. وهكذا، عمدا الى إحياء فكرة انشاء «جمعية الصداقة» ذات الطابع الثقافي. وعرض الموارنة ان يضمنوا رعاية البطريرك للجمعية من أجل تعزيز هيبتها، واقترحوا بان يحصل ابشتاين على تأييد بعض اليهود الفلسطينيين البارزين لها. وكان الموارنة، من خلال ابقاء اسم الجمعية محايداً، وابقاء أهدافها المعلنة، أهدافاً لا سياسية (أي تنمية علاقات ثقافية واقتصادية واجتماعية ذات فائدة متبادلة، بين لبنان وفلسطين)، كانوا يأملون بجذب أعضاء دروز ومسلمين في نهاية المطاف، ولا سيما من وسط الطبقة التجارية.

وحظي الاقتراح بإعجاب الوكالة اليهودية التي طلبت من «قرم» وضع دستور للمنظمة، واقتراح اعضاء لبنانيين، وتقديم خطة عمل محددة. وبعد طول تأخير عاد «قرم» الى الوكالة حاملاً معه مواد النظام الأساسي لجمعية لبنانية ـ فلسطينية، وحصل على رعاية البطريرك لها[3]. وقد فحص شرتوك الوثيقة شخصياً، واقترح مراجعات بسيطة، لكنه لم يعدّل بأي شكل من الأشكال، المبادىء الأساسية للاقتراح كما صاغها قرم.

وكان دستور الجمعية اللبنانية ـ الفلسطينية، وهو في ظاهره ذو طبيعة غير سياسية، مخططاً هيكلياً في الواقع، لمحاولات جرت فيما بعد من أجل اقامة تحالف سياسي. فالدعوة الى تنمية علاقات اجتماعية وثقافية واقتصادية، شكّلت في الواقع، معاهدة حسن جوار، والهدف المعلن منها، القاضي بتسهيل قيام علاقات سلمية شاملة في أنحاء المنطقة، كان يستدعي بجلاء، قيام نشاط سياسي. وكان من شأن محاولة تحقيق الخطة ان تكون قضية معيارية ممتازة، يكون الحكم فيها معياراً تُقاس به امكانية تحقيق التحالف الماروني الصهيوني، ولكن الظروف الخارجية تدخلت مرة أخرى لتمنع إجراء هذا الاختبار. فقد خلق نشوب الحرب العالمية الثانية أولويات ضاغطة أكثر، لكلا الطرفين، كما ان الاحتلال البريطاني للبنان القى بهذا البلد وبالطائفة المارونية بخاصة، في حالة من الاضطراب؛ وفقد

أفراد كانوا بارزين سابقاً، مثل نقاش وقرم، قدراً كبيراً من نفوذهم؛ حتى ان حلقة الفينيقيين التي شكلها قرم، انقسمت الى فئات متخاصمة ضمن الطائفة المارونية التي كانت متصدعة. وبحسب ما قاله ابشتاين، لقد ماتت الخطة الموضوعة لانشاء الجمعية اللبنانية ـ الفلسطينية موتاً طبيعياً، قبل ان تولد[٤].

ولا يسع المرء، ومثلما كان الأمر مع خطة جلب اللاجئين الألمان الى لبنان، الا ان يتساءل عما اذا كان من شأن الجمعية اللبنانية ـ الفلسطينية فيما لو أُنشئت، ان تثبت او تنفي امكانية تحقيق التحالف الماروني ـ الصهيوني. اذ على الرغم من الطابع اللاسياسي الذي كانت تدّعيه المنظمة، فان المسلمين اللبنانيين ومؤيدي الفلسطينيين من العرب، كانوا سيعترضون بالتأكيد، على تحقيق وحدة وثيقة من هذا النوع بين لبنان واليشوف. وكان من شأن قدرة الموارنة على النجاة من العاصفة السياسية، ان تكون بالغة التأثير، وكان يمكنها ان تؤثر في الوكالة اليهودية، فإمّا أن تقنعها بالتخلي عن خيار تحالف الاقليات او ان تقنعها بملاحقته. ولكن الموارنة حازوا مرة أخرى، على نقاط لصالحهم لدى الوكالة، تقديراً للهفتهم الظاهرة، على التعاون، ولكن من دون ان يكون عليهم ان يثبتوا قدرتهم على الوفاء بما يعرضونه عليها.

ولكن قرم بصفته مواطناً عادياً، لم يكن يستطيع ان يعزز الفعالية السياسية لجمعيته اللبنانية ـ الفلسطينية الا في حدود هذه الصفة. وقد بذلت الوكالة اليهودية، في الوقت الذي كانت تستكشف فيه فكرة قرم، محاولات كانت حتى أكثر جدية منها، للتوصل الى اتفاقية سياسية صريحة مع حكومة لبنان. فما ان انتُخب إده رئيساً للبنان في العام ١٩٣٦، حتى اتصلت به الوكالة تهنئه بمنصبه الجديد، وتذكره بالمقترحات التي طرحها على جاكوبسون، وتُعرب عن أملها بان «تتوافر لكم في منصبكم الحالي، الفرصة لتنمية العلاقات الودية بين بلدكم وفلسطين، لما فيه رفاه كليهما»[٥]. وكان إده قد تحدث مراراً، عن نيته بعقد اتفاق رسمي صهيوني ـ لبناني. وبدا فجأة، في فصل الخريف الأول الذي يمر على رئاسته، وكأن الوقت قد يكون مؤاتياً لعقد اتفاقية من هذا النوع.

ففي ايلول/سبتمبر، عام ١٩٣٦، دخلت الحكومتان الفرنسية واللبنانية، في مفاوضات لعقد معاهدة فرنسية ـ لبنانية؛ واشار رئيس الوزراء الفرنسي ليون بلوم، على وايزمان، بان يشرع الصهيونيون باضفاء الطابع الرسمي على علاقاتهم مع لبنان. وكان بلوم قد ابلغ وايزمان قبل ذلك، عن علمه بان اللبنانيين، (اي اده وفئته المارونية)، «مهتمون

بالتعاون الوثيق مع الوطن القومي اليهودي الذي يتقاسمون معه عدداً من المشاكل والمصاعب»[٦] فعمد وايزامان هذه المرة، الى ابلاغ شرتوك اقتراح بلوم القائل بأنه اذا كان لدينا بعض المقترحات المحددة في الوقت الذي تصبح فيه المعاهدة جاهزة، فقد لا يكون مستحيلاً دمج مثل هذه المقترحات بشكل او بآخر، في المعاهدة، والحصول ليس فقط على موافقة اللبنانيين عليها، بل على مصادقة الجمهورية الفرنسية ايضاً[٧].

ولقد تذكر شرتوك بان الرئيس اده تحدث عندما اجتمع به ابشتاين في شهر آب/اغسطس، «ليس فقط عن رغبته في علاقات ودية معنا، في فلسطين»، ولكن ايضاً، عن نيته «بان يقف ويدلي بتصريح علني لصالح تحالف يهودي ـ ماروني، عندما تجري تسوية مكانة لبنان الجديدة»[٨]. وسارع شرتوك الى ارسال ابشتاين الى بيروت، ليقترح على اده عدم الانتظار حتى تصبح المعاهدة الفرنسية ـ اللبنانية سارية المفعول، لأن عملية التفاوض على هذه المعاهدة، يمكنها أن توفر بحد ذاتها، الوسيلة لاعطاء التحالف الماروني ـ الصهيوني شكلاً ملموساً. ولقد الح ابشتاين، إلى أن الوقت كان مؤاتياً تماماً، خصوصاً بوجود صديقهما المشترك، بلوم، في منصبه الرسمي في باريس، وهو مستعد لتأييد اتفاق لبناني ـ صهيوني.

اما الاتفاقية التي وصفها ابشتاين لإده، فقد كانت تدعو الى تعاون لبناني ـ صهيوني وثيق في المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية[٩]. وقد ابلغ ابشتاين أن اده تلقّى ملاحظاته بحماسة، واجاب عنها بردّ مطول، مكرراً قناعاته المألوفة، القائلة بان الصهيونية تشكل قوة ايجابية في فلسطين؛ وبان ثقافتيهما المتفوقتين والعدو المسلم المشترك، يجعلان من اليهود والموارنة حلفاء طبيعيين؛ وبان معاهدة علنية رسمية بينهما كانت ضرورية بالتأكيد؛ ولقد اصر على ان الامر لو كان يتعلق به وحده، لكان شرع في المفاوضات على الفور. لكنه كان مقتنعاً بانه على الرغم من مباركة بلوم، فان موافقة المندوب السامي الفرنسي في لبنان، داميان دو مارتيل، الذي كان يعارض مثل هذا المشروع معارضة عنيدة، هي وحدها التي يمكنها ان تجعل اي معاهدة لبنانية ـ صهيونية امراً ممكناً. وقد اوضح اده أنه لن يتخذ اي خطوة في هذا الاتجاه، من دون تخويل مسبق من سلطات الانتداب في بيروت[١٠]. وفهم شرتوك من تقرير ابشتاين، بانه «اذا كنا مهتمين برؤية التقدم يتحقق باتجاه اتفاق يهودي ـ ماروني، فيجب علينا إقناع اصدقائنا في باريس، بإرسال التعليمات المناسبة الى بيروت»[١١]. وعمد على الفور، الى الابراق للهيئة

التنفيذية في لندن، لإبلاغ وايزمان ان ادّه يحبذ مقترحات الوكالة، لكنه لن يُقدم على اي عمل إلا اذا تلقى المندوب السامي الفرنسي في بيروت التعليمات المناسبة من باريس. واقترح شرتوك أن يبذل وايزمان كل ما في وسعه لاقناع بلوم بالاهتمام بالامر. وتضمّنت رسالة سرية بعث بها ابشتاين الى أحد وسطاء صلات الوكالة في بيروت، بعد اسبوع، اشارة الى ان بلوم ارسل بعد اجتماعه بوايزمان، التعليمات الملائمة الى المندوب السامي[١٢].

ولكن دو مارتيل، رفض المصادقة على العرض الصهيوني، ورفض ادّه ان يتحدّاه في رفضه. فما كان من شرتوك المحبط الا ان وضع جانباً فكرة الاتفاق الرسمي بين لبنان واليشوف، على الاقل بصورة مؤقتة. الا ان وايزمان، ومن دون علم الدائرة السياسية، بصفته رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية، عمل على شن حملة جديدة للضغط على اده لعقد معاهدة لبنانية ـ صهيونية منفصلة. واعتمد وايزمان في مشروعه هذا، على الصهيوني الفرنسي ايزاك كدمي ـ كوهين كمبعوثه الشخصي. وفي ٢٣ ديسمبر/كانون الاول عام ١٩٣٦، اقدم كدمي ـ كوهين، في خطوة كانت الخطوة الاكثر جرأة حتى الآن، التي تتخذ من اجل اضفاء طابع رسمي على العلاقات اللبنانية ـ الصهيونية، على تقديم مسودّة مفصلة ومُنجزة لمعاهدة صداقة بين الطرفين، الى الرئيس اده[١٣]. وتضمّن هذا الاتفاق اعترافاً بالسيادة الاقليمية للبنان المستقل، وبالدولة اليهودية المستقبلية في فلسطين، متوقعاً تحالفاً سياسياً وعسكرياً بين البلدين، ونصوصاً خاصة بالتعاون الاقتصادي الواسع النطاق بين الاثنين. وذكّرت مسودّة المعاهدة بروح مدرسة «الانسجام الطبيعي للمصالح»، بان القدر يقضي بان يتقارب الطرفان ووطناهما، مُعلنة بان هذه المصالحة مهمة تاريخية.

ولم يكن هناك ما يدعو الى الدهشة، عندما رفع كدمي ـ كوهين تقريراً يبلغ فيه ان ادّه راجع الاتفاقية بحماسة، وأعرب عن موافقته التامة عليها[١٤]. ولكنه كالعادة، عبّر عن قلقه من إقدام المندوب السامي الفرنسي على منع هذه المعاهدة. ولأن وايزمان كان مدركاً ان دو مارتيل كان يفرض الفيتو على مشاركة ادّه في شراكة لبنانية ـ صهيونية، وقد منع تحقيق أي تحالف من هذا النوع حتى الساعة، فقد بذل في هذا الاقتراح، كل المحاولات لتهدئة روع المندوب السامي. وقد تضمن الاتفاق اشارات متكررة الى امتيازات فرنسا في المنطقة، ونص تحديداً، على ان يسلّم الطرفان المعاهدة لفرنسا، بواسطة المندوب السامي شخصياً، للتعليق والموافقة عليها، قبل التصديق عليها رسمياً.

ولكن محاولة تهدئة دو مارتيل فشلت فشلاً ذريعاً. فقد تلقى المندوب السامي مسودّة الاتفاق من ادّه، ثم رفضها رفضاً باتاً[١٥]. وعلى الرغم من ادعائه مناهضته للصهيونية، ومعرفته غير الودية بوايزمان، فان اعتراضات دو مارتيل لم تكن ادعاءات تفتقر الى المنطق، بل عكست قراءة دقيقة للتيارات السياسية التي كانت سائدة. فقد قدّر دو مارتيل، وعن حق، أن التشجيع العلني للتطلعات الصهيونية في فلسطين، والنشاطات الصهيونية في لبنان، أمر ممجوج من المسلمين كافة والمسيحيين غير الموارنة، والعديد من الموارنة المعارضين لإده، وأن الزمرة المارونية وحدها، الممثلة بإدّه وعريضة، كانت ترحب ترحيباً صادقاً بوجود صهيوني في المنطقة، وأن حقيقة كون زعيم هذه الاقلية، رئيساً يزعم التحدث باسم الجمهورية، كانت مجرد واحدة من الغرائب السياسية العديدة في لبنان. فقد كان معظم سكان لبنان يعارضون مثل هذا الاتفاق. ولان المندوب السامي الفرنسي كان مدركاً ادراكاً شديداً لما اسماه بـ«المشاكل الكبيرة التي لا يمكن تجاوزها على الأرجح»، والتي يواجهها الصهيونيون في فلسطين، فانه لم يجد سبباً يدعوه لاستيراد المتاعب الى لبنان. وقد اقلقه بصفة خاصة، ذلك البند الذي نصّ على منطقة نشاط صهيوني مكثّف في لبنان، الذي رأى فيه خطوة أولى باتجاه ضم جنوب لبنان الى فلسطين اليهودية في نهاية المطاف، لافتاً الى أن أي محاولة للتوسع الى داخل لبنان، سيجعل الصهيونية ركيزة الوسط في برنامج كل حزب من الاحزاب المحلية، «وسيكون عليّ التوسط لحل النزاعات. كلا، ان فرنسا لن تسمح بامتداد الصهيونية الى هنا»[١٦].

وعلى الرغم من ان الاحداث بلغت في النهاية، النقطة التي بات فيها التحالف اللبناني ـ الصهيوني الصريح، موجوداً على الورق، فان معارضة دو مارتيل قتلت الخطة قبل ان ينزع الذين سوف يوقعون عليها، الغطاء عن اقلامهم. وبدلاً من ان يؤكد هذا الاقتراح، الاخير في سلسلة مقترحات الشراكة التي اجهضت، او يدحض خيار التحالف مع لبنان، فقد استغلّ فقط في المكايدة، اذ انه زاد قليلاً في التقارب بين الطرفين، من دون أن يوصل العلاقة الى تمامها.

وكانت مناورة وايزمان بارساله كدمي ـ كوهين الى إده، والتي انطوت على تنكّر منه لجماعته، مسيئة الى آلية صنع القرار في الوكالة اليهودية، وشهدت على احساس وايزمان بالمجافاة بينه وبين زملائه، الذين نادراً ما كانوا يعيرون اهتماماً لمشورته. فقد كان لبنان في بال وايزمان حين جاء بكدمي ـ كوهين ليكون مستشاره السياسي الشخصي، في

حزيران/ يونيو، ١٩٣٦، وعندما اثار بلوم امكانية عقد اتفاق صهيوني ـ لبناني[17]. وأرسل الى شرتوك توصية بكدمي ـ كوهين، وكأنما كان يريد اندساس أحد المحسوبين عليه، في الدائرة السياسية، وذلك قبل اربعة اشهر من موعد تقديم مسودّة المعاهدة. لكن ردّ شرتوك على هذه التوصية كان رد من اصابه الذعر[18]. فقد كان كدمي ـ كوهين من رفقاء الصف القدامى، كما ابلغ، وكان رجلاً موهوباً، لكنه كان يجهل حقائق الوضع في فلسطين و«تستحوذ على تفكيره هواجس عديدة، ستتسبب بضرر مؤكد اذا ما اطلقت في اي مجال من مجالات النشاط الصهيوني الذي سيأتيه غريباً عنه كلياً. وهذا التحليل في رأيي، يستبعده عن أي عمل سياسي مستقل»[19]. ونصح شرتوك بفرز كدمي ـ كوهين لـ«التتلمذ» في الدائرة السياسية، مقترحاً تكليفه بمهمة تستغرق وقتاً محدداً في باريس، ثم ارساله في رحلة الى لبنان وسوريا، برفقة ابشتاين كمعلم ومرشد له. وكان رأي شرتوك، أن «الوقت والتجربة وحدهما» سوف يظهران ما اذا كانت الدائرة تستطيع الاعتماد على كدمي ـ كوهين، ليتولى القيام بعمليات وحده، الامر الذي كان من الواضح، ان شرتوك يشك فيه.

وبعد مرور ثلاثة عشر اسبوعاً فقط، كلف وايزمان كدمي ـ كوهين بالمهمة الدقيقة والمحبطة، التي تقضي باقناع دو مارتيل بالموافقة على عقد الاتفاقية بين لبنان واليشوف. وقد أثبت تقرير المندوب السامي عن الاجتماع، شكوك شرتوك بكدمي ـ كوهين[20].

فقد وجد دو مارتيل مبعوث وايزمان مضطرباً ويميل الى اعطاء شروحات مطولة ومرتبكة عندما يتعرّض للمواجهة. ولقد وبخه المندوب السامي توبيخاً حاداً لمحاولته «لعب لعبة مزدوجة»، بانتحال صفة مستثمر فرنسي مهتم بمشاريع الاشغال العامة في لبنان، في البداية، ثم محاولته التقليص الى ادنى حد، من نطاق مهمته السياسية في لبنان، التي كان دو مارتيل على علم واف بها. وقد طرد دو مارتيل كدمي ـ كوهين المحبط، الذي لم يخف نيّته بتجاهل دو مارتيل، وتحصيل الموافقة على المعاهدة من المراتب السياسية الأعلى في باريس.

وخلال الاسبوع نفسه الذي اجتمع فيه كدمي ـ كوهين مع اده، مثل وايزمان امام لجنة بيل، وشهد أن الصهيونيين كانوا في تلك الآونة، «يجرون مفاوضات بشأن معاهدة صداقة مكشوفة، من نوع أو آخر... مع حكومة لبنان الحالية»[21]. وبعد ثلاثة اسابيع على رفض دو مارتيل المعاهدة المقترحة، اجتمع وايزمان ببلوم في باريس، و أبلغه ان دو مارتيل يقف

عقبة في وجه معاهدة صهيونية ـ لبنانية. وتذرّع وايزمان بحجة ان مثل هذا التحالف يخدم مصالح فرنسا، وحاول اقناع بلوم بنقض فكرة دو مارتيل، والسماح لإدّه بإلزام لبنان باتفاقية مع الصهيونيين. وعلى الرغم من أن بلوم «عبّر عن وجهة نظره القائلة بان التحالف اليهودي ـ اللبناني يمكنه ان يكون وزناً مقابلاً مفيداً» للنشاط الاقتصادي والسياسي الألماني في مشرق البحر المتوسط، معرباً مرة اخرى، عن تأييده الشخصي لاتفاق صهيوني ـ لبناني، فإنه رفض مجابهة مندوبه السامي[22].

وكما كان يحصل في أغلب الاحيان، حتى في السعي وراء هذا الاتفاق المطلوب كثيراً عقده مع لبنان، خرج وايزمان على السياسة السائدة في الدائرة. فبعدما فشلت هذه في ادخال الميثاق اللبناني ـ الصهيوني في المعاهدة اللبنانية ـ الفرنسية، تخلت عن حملتها من اجل عقد اتفاق رسمي مع لبنان. وعلى الرغم من أن الوكالة اليهودية سرعان ما توصلت الى اتفاقية مع اده وامثاله من الموارنة، حول سلسلة واسعة من المشاريع التعاونية السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية، فإنها لم تستطع إقناع اللبنانيين بتحويل كلماتهم العطوفة الى أفعال. فقد رفض الموارنة التزحزح، مكبوحين بخوف حقيقيّ من ان تثور ثائرة المسلمين، ومن ان يرفض المندوب السامي التغاضي عن أي اتفاق لبناني ـ صهيوني. وكان ان تركت الدائرة السياسية وايزمان خارجها، فغيّرت مسارها، وحولّت جهودها من السعي لإحراز اتفاقية رسمية، الى السعي لكسب فوائد سياسية عملية، من علاقاتها غير الرسمية مع كبار المسؤولين اللبنانيين.

الثورة العربية والاضراب العام الشامل، ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩

كان استياء الفلسطينيين العرب ينمو على نحو متزايد، وهم يشعرون أنفسهم مهددين من الهجرة اليهودية الى فلسطين، التي كانت تنمو بسرعة، ويحسدون التطور الذي كانت تحققه البلدان العربية الأخرى نحو استقلالها. وفي ابريل/نيسان من العام ١٩٣٦، اجتاحت فلسطين الموجة العنيفة الأولى للثورة العربية. ورأى الحاج امين الحسيني، مفتي القدس، والزعيم القومي العربي الفلسطيني، فرصة لتحويل الانفجار العفوي للعنف المعادي لليهود، الى هجمة منسّقة ضد التطلعات الصهيونية في فلسطين. فرتّب انشاء الهيئة العربية العليا، التي ترأسها، ودعا الى اضراب للعمال وللمؤسسات العاملة العربية، على نطاق البلد. وطرح هذا التمرد مشاكل أمنية واقتصادية وسياسية جدية، على الوكالة

اليهودية، وتتطلب اهتمامها الكامل. وعمد المراقبون للشأن اللبناني ضمن الدائرة السياسية، الى رصد الاضطرابات، ترقباً لتأثير محتمل على علاقات اليشوف بلبنان، وعلى مكان لبنان ضمن النطاق العام للسياسة الصهيونية تجاه البلدان العربية. وقد اختبرت الدعوات العربية الى مقاطعة السلع والاسواق الصهيونية، النظرية القائلة بان العلاقات الاقتصادية النشيطة بين لبنان واليشوف، جعلت لبنان محصّناً ضد الضغوط السياسية الناجمة عن النزاع في فلسطين.

وقد كان الاضراب، كمثل إنزال العقاب بالمجتمع الفلسطيني العربي، فقد ادى عملياً، الى تنشيط الاقتصاد اليهودي في فلسطين، اذ حلّ العمال اليهود محل العمال العرب، وحلت فاكهة المزارعين اليهود وخضارهم محل الانتاج العربي في الاسواق. وحفّز اغلاق ميناء يافا على تطوير ميناء أوسع في تل قصيلة بالقرب من تل ابيب، وضاعف العمل التجاري في ميناء حيفا. وتكيّف اقتصاد اليشوف مع الاوضاع الجديدة التي نشأت عن الثورة، لكن الروابط الاقتصادية التي اعتُبرت لفترة طويلة اساساً للعلاقات الصهيونية - اللبنانية الودية، أظهرت علامات التعب في ظل هذا التوتر.

فالانتفاضة، ودعوة الدول العربية المجاورة الى مقاطعة الاسواق والسلع اليهودية، طرحتا مآزق جدية بالنسبة الى لبنان. فالفرق الفلسطينية العربية كانت تكمن للشاحنات اللبنانية التي تحمل الانتاج والمنتوجات عبر الحدود، وتدمّر حمولاتها، مهددة بالانتقام اذا استمر تعاطي التجارة مع اليشوف[٢٣]. وتلقت الوكالة اليهودية تقارير تفيد أن المواد الغذائية اللبنانية المخصصة للبيع في اليشوف، تقبع في المستودعات، وان الفاكهة تهترئ بسبب انعدام وجود اسواق بديلة. وقد عانت الشركات التي تمتلك فروعاً في فلسطين، كما عانت الشركات التي كانت تسوّق السلع اليهودية المصنوعة في لبنان[٢٤]. وكان من الطبيعي ان ينمو حجم واردات اليشوف من لبنان، مع تنامي الهجرة اليهودية الى فلسطين، وقد تسببت المقاطعة بالضرر لهؤلاء التجار اللبنانيين الذين كانوا يعدّون سكان فلسطين اليهود، باعدادهم النامية من بين أفضل زبائنهم. ولقد ناشدت الوكالة اليهودية الحكومة اللبنانية تكراراً، مشددة على الضرر الكبير الذي يمكن ان تلحقه المقاطعة بالعلاقات الاقتصادية بين فلسطين ولبنان، وهي علاقات كان لبنان يحقق منها فائدة عظيمة[٢٥]. ولم يتردد التجار اللبنانيون، وأصدقاء الدائرة السياسية في المناصب العالية، بالموافقة على أن

اقتصاد لبنان كان يعاني بسبب المقاطعة. ولقد تمكن الاكثر تشبثاً من غيرهم، من التحايل على المقاطعة بطرق خفية ماهرة. ومع ذلك تقلّص حجم التجارة المتبادلة عبر الحدود اللبنانية - الفلسطينية، مما اوحى بأن الروابط الاقتصادية الوثيقة التي راهن عليها العديد من الصهيونيين، من اجل استمرار العلاقات الودية بين اليشوف ولبنان، كانت تنسحق تحت الضغط.

ووجدت الوكالة اليهودية أن التأثير الجانبي للاضطرابات في فلسطين على الرأي العام اللبناني، كان حتى أكثر مدعاة للضيق. فالفلسطينيون العرب الناشطون في الانتفاضة، والذين اجبروا على الفرار إما من البريطانيين، أو من فئات فلسطينية منافسة، تدفقوا على بيروت. وقام دافيد هاكوهين بزيارة بيروت بعد نشوب الثورة بستة اشهر، ليروي أنه وجد في تلك المدينة «أجواء فلسطينية» لا مثيل لها «حتى في فلسطين»[٢٦] وبعد مرور عام على ذلك، أبلغ ساسون أن عامة اللبنانيين يظهرون اهتماماً بالثورة في فلسطين اكثر من اهتمامهم بالانتخابات اللبنانية الآتية[٢٧]. وتلقت الدائرة السياسية معلومات مماثلة تفيد أن الاتهام الاكثر ايذاء من غيره، الذي يمكن ان تجده الاحزاب المتنافسة لترشق به بعضها بعضاً، هو ان تدعي زمرة أن الزمرة الاخرى صديقة لليهود. باختصار، اننا جميعاً، اناس غير مرغوب فيهم، واننا نعرّض للشبهة، هؤلاء الذين يتعاطفون معنا، والذين يؤيدون قضيتنا[٢٨].

وكان العديد من المراقبين، قد تكهنوا في الأشهر الاولى، التي تلت مباشرة نشوب الاضطرابات في فلسطين، بأن المتاعب فيها لن تؤثر تأثيراً كبيراً في لبنان. وقد استندوا في تكهناتهم، على القناعة بأن اهتمامات اللبنانيين بفلسطين، كانت اهتمامات تجارية وليست سياسية؛ وبأن معظم اللبنانيين، يسلّمون بحقيقة ان ازدهار بلادهم يعتمد على شراء الاراضي، والرساميل، والسياحة، والتجارة، والمساعدات اليهودية. وفي آب/اغسطس، من العام ١٩٣٦، أعد القائم باعمال القنصلية البريطانية في بيروت، الجنرال فورلونغ، «مذكرة حول أصداء وضع فلسطين، في لبنان»، أكد فيها أن «الجماهير الغفيرة في لبنان مهتمة كلياً بأمور الكسب الشخصي، وأن ما يحبونه وما لا يحبونه في الامور المتعلقة بالمبادئ والسياسة، يعبرون عنه بكلمات كبيرة، نادراً ما تُترجم بأفعال مقابلة»[٢٩]. وقد اعترف القنصل بوجود مجاهرة متزايدة، بالمشاعر المعادية للبريطانيين (والمعادية للصهيونية)، لكنه اصرّ على أن لا السياسة، ولا المبادئ من شأنها أن تردع اللبنانيين عن

سعيهم الجموح وراء الربح المادي، والذي تقول الحكمة الشائعة بانه يعتمد على استمرار العلاقات الاقتصادية مع فلسطين ـ الانتداب البريطاني.

ومع حلول عام ١٩٣٨، كانت التغييرات في الرأي العام اللبناني قد أصبحت لافتة الى حد باتت تتطلب معه إعادة النظر في مذكرة العام ١٩٣٦. فقد لاحظ القنصل البريطاني الجديد في بيروت، أن حجم التجارة المتبادلة بين لبنان وفلسطين قد انخفض، وأن وجود العديد من الفلسطينيين المحترمين، من ذوي الآراء المعتدلة، في وسط اللاجئين في بيروت، قد أثر تأثيراً مهماً في الرأي العام، وجعله معادياً للبريطانيين واليهود على حد سواء. واعترفت المذكرة بأن الرأي العام ليس كتلة واحدة من لون واحد، وبأن المسيحيين ما زالوا، بمعظمهم، قلقين من المصاعب التي سببّتها الانتفاضة، لكنه أضاف أنه لا مجال للشك في أن نسبة كبيرة ومتزايدة منهم، يُذهلها ما تسمعه وتقرأ عنه بشأن فلسطين ويهزّ مشاعرها... إن صلات القربى الدينية والعرقية بينهم وبين الفلسطينيين العرب، ليست مماثلة لصلات القربى هذه بين المسلمين وبين الفلسطينيين العرب، لكنهم يشعرون شعوراً صادقاً تماماً بأن ثمة ظلماً كبيراً يُرتكب، في حق شعب مجاور بينهم وبينه الكثير مما هو مشترك[٣٠].

وعلى الرغم من ان القنصل العام وصف العمل الملموس لصالح الفلسطينيين العرب، بعمل «عديم القيمة»، فإنه لم يترك مجالاً للشك في أي جهة يكمن التعاطف اللبناني، بما فيه التعاطف المتزايد من جانب السكان المسيحيين. وقد لحظ المسؤولون الفرنسيون، في الوقت نفسه، ازدياداً في الدعاية المعادية للسامية، في كلا المجتمعين، المسلم والمسيحي[٣١].

وفي شهري ايلول/سبتمبر وتشرين الأول/نوفمبر، من العام ١٩٣٨، شددت تقارير ابشتاين من بيروت، على نحو مماثل، على التأثير السلبي للفلسطينيين، «الذين يتدفقون يومياً»، في الرأي العام اللبناني. فالمشاعر اللبنانية «بما فيها [مشاعر] المسيحيين»، باتت تميل الآن نحو العروبة[٣٢]. وعزا ابشتاين هذه النقلة الموالية للفلسطينيين الى عاملين اثنين، الأول، نجاح الثوار في إحباط البريطانيين، والدعاية المؤثرة المعادية للصهيونية، التي ينشرها الفلسطينيون العرب، ولكن على المرء ان يضم اليهما، (وان كان ابشتاين لم يفعل)، ملاحظة القنصل العام البريطاني القائلة بانه حتى المسيحيين بدأوا يشعرون بالحيف اللاحق بالفلسطينيين. ولقد فُجع ابشتاين بالتقدم الذي حققه الفلسطينيون والعرب في استعداء لبنان على اليشوف، واعترف بان ادعاءات الفلسطينيين، التي لم تجد، من قبل،

جمهوراً من المسيحيين الجديين في لبنان، باتت «تلقى الكثير من الأصداء في هذه الأيام، حتى في الأحياء المسيحية... ولأن اللاجئين الفلسطينيين موجودون بشكل رئيسي الآن في لبنان، فقد حققوا تقدماً كبيراً جداً لقضيتهم هنا، حتى في وسط المسيحيين»[٣٣].

وعلى الرغم من ان العلاقات التجارية مع لبنان، استمرت بوتيرة ثابتة، فان التراجع المهم في حجم التبادل التجاري، أوحى بأن الروابط الاقتصادية بين لبنان واليشوف سوف تعاني، اذا ما استمرت الاضطرابات في فلسطين، الى ما لا نهاية. ولكن تأثير الانتفاضة على الرأي العام اللبناني كان موضوع اهتمام آني أكثر من أي موضوع آخر، خصوصاً ما أحدثه من ميل متزايد، موالٍ للفلسطينيين، في وسط المسيحيين اللبنانيين. ومع ذلك، أعاد المراقبون الصهيونيون النظر إلى لبنان كبلد ودّي في جوهره، وأنحوا باللوم لنمو معاداة الصهيونية في وسط اللبنانيين، على الدعاية والترهيب الفلسطيني.

لجنة بيل للعام ١٩٣٧

كان المندوب السامي البريطاني، حتى في الوقت الذي كان يهدد بافلات القوات البريطانية على مجموعات الثوار العرب، يعد الفلسطينيين العرب، بأن تُرسل حكومة صاحب الجلالة، لجنة لتقصي الحقائق، تستطيع الهيئة العربية العليا إسماعها مظالمها، إن هم أوقفوا القتال والاضراب. ولقد وصلت لجنة التحقيق الملكية برئاسة اللورد روبرت بيل، الى فلسطين، في ١١ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٣٦، وأمضت الأشهر القليلة التالية، تستمع الى الشهادات من عرب وصهيونيين، من ذوي المراتب العالية. أما في ما يتعلق بلبنان، فقد أعادت الدائرة السياسية تركيز جهودها على إحراز مساعدة لبنانية عملية في عرض القضية الصهيونية على لجنة بيل، حتى في غياب اتفاقية رسمية صهيونية ـ فلسطينية.

وللمرة الأولى، ولّدت الاستحالة الظاهرة للتوفيق بين الأهداف العربية واليهودية، اقتراحاً بتقسيم فلسطين بين الجماعتين. ففي تموز/يوليو عام ١٩٣٧، أوصت اللجنة بتقسيم فلسطين، الى مجتمعين اثنين يُحكمان حكماً ذاتياً، كحل وحيد للمشكلة، قابل للتطبيق. وبلغت حدة النشاط الصهيوني في لندن، درجة حامية في الأشهر التي سبقت مباشرة تقديم تقرير بيل، وفي الأشهر التي تلته مباشرة. فقد نشطت الوكالة في اتصالاتها الضاغطة من أجل انشاء دولة يهودية مستقلة في فلسطين، ضمن ما يُعتبر حدوداً آمنة

وقابلة للاستمرار. وتطلعت الوكالة الى كل من عريضة وإده، بشكل خاص، ليمارسا ضغطاً فاعلاً، لتكون الحدود بين لبنان والدولة اليهودية المستقبلية، حدوداً متلاصقة.

ولقد وافق أعضاء الوكالة اليهودية بالاجماع، على ضرورة الا تكون هناك منطقة عازلة مسلمة، تكون اسفيناً بين جنوب لبنان والحدود الشمالية للدولة اليهودية. وكان يمكن لهذا الأمر ان يحصل بطريقتين اثنتين. فخلال المفاوضات الفرنسية - اللبنانية في العام ١٩٣٦، كان من المحتمل أن تقرر فرنسا فصل المناطق في جنوب لبنان ذات الكثافة السكانية المسلمة، وتتخلى عنها لسوريا، من أجل ايجاد ممر سوري بين لبنان وفلسطين. أما الامكانية الأخرى، فكانت ضم الجليل الى القسم العربي من فلسطين، التي سيجري تقسيمها. ولكن هوف، يشير الى أنه حتى الحدود المشتركة بين لبنان «المسيحي» وفلسطين اليهودية، ليست بالضرورة، حدوداً خالية من المتاعب بما ان السكان على جانبي الحدود هم بغالبيتهم، من العرب والمسلمين[٣٤]. وكانت السياسة الصهيونية تهدف الى زيادة الحجم السكاني اليهودي، في الجليل، لضمان قدرة اليهود على الامساك بالمنطقة، في حال نشوب الحرب، او تطبيق خطة تقسيم نهائية، وأصبح استملاك الأراضي في الجليل الأعلى، على طول الحدود اللبنانية، أولوية صهيونية. ودخل الصندوق القومي اليهودي في حمأة مفاوضات للاستملاك، كانت فيها الأرض بالقرب من حوض بحيرة الحوله، التي يملكها مسيحيون لبنانيون، من أكبر مشترياته[٣٥].

واطلقت الوكالة اليهودية مدفعيتها الكبيرة في المعركة، من أجل الحدود الشمالية. فأعلن وايزمان أن «على الجمهورية اللبنانية والوطن القومي اليهودي [في المستقبل] «الامساك بأيدي بعضهما بعضاً»، مستخدماً الحجة القائلة بان «هذين المجتمعين سوف يتطلعان الى الغرب عوضاً عن الدول العربية المحيطة بهما»[٣٦]. وأعلن بن - غوريون عن «الحاجة السياسية الى حدود مشتركة مع لبنان، البلد الذي يضم طائفة مسيحية كبيرة، لا تستطيع ان تصمد في محيط مسلم، الاّ صموداً محفوفاً بالخطر. فالمسيحيون اللبنانيون هم في وضع مماثل لوضعنا، ومن المهم لكلينا ان نكون جيراناً»[٣٧]. وكان بن - غوريون قد أسَرّ لابنه في وقت مبكر، بقيمة سياسية أكثر تحديداً، كان يراها في قيام حدود لبنانية - فلسطينية متلاصقة: «لا يكاد المسيحيون يستطيعون البقاء والاستمرار في لبنان من دون دولة يهودية الى جانبهم، ونحن أيضاً مهتمون بتحالف مع لبنان مسيحي»[٣٨]. وعمد بن - غوريون الى الاسهاب بعد يومين بقوله:

يحتاج لبنان الى صداقتنا ودعمنا، بمقدارٍ لا يقل عن حاجتنا نحن الى مساعدته. فسكان لبنان ليسوا جميعاً من المسيحيين، والمسيحيون ليسوا جميعاً من طائفة واحدة، ولكن الطائفة الحاكمة - الموارنة - أقلية فيه، وليس لها مستقبل مستقل من دون الجار اليهودي. وتستطيع الدولة اليهودية، بفضل قوتها وما تملكه من امكانيات، ان تكسب في نهاية الأمر، صداقة كل جيرانها العرب، على الرغم من أن هذه الصداقة لن تنشأ بين ليلة وضحاها. ولأن لبنان جار للدولة اليهودية، فإنه يضمن لهذه الدولة حليفاً مخلصاً ابتداء من اليوم الأول لقيامها[٣٩].

وقال بن - غوريون بحماسة، بان إقطاع جنوب لبنان للدولة اليهودية، سيكون كنقطة انطلاق، ينشأ عنها التفاهم والنوايا الحسنة، بين الدولة اليهودية وجيرانها العرب.

وكان السير أوثر وتشوب، المندوب السامي، آنذاك، في فلسطين، قد التمس رأي شرتوك في اقتراح التقسيم. ورد شرتوك، الذي كان قد أعرب عن تحفظاته العميقة تجاه الفكرة مبدئياً، رداً جلياً، قائلاً بان قدرة الدولة اليهودية المستقبلية على البقاء والاستمرار، تتطلب امتلاك الجليل وحدوداً مشتركة مع لبنان. وبعد أن ساق شرتوك الحجج لصالح تخصيص الجليل لليهود لأسباب عسكرية وزراعية، وأخرى تتعلق بتوليد الطاقة الكهربائية من المياه، لجأ الى علاقة الوكالة اليهودية بالموارنة، ليخوض في أوسع جدل له فيقول:

ان ضرورة ان تبقى منطقة الاستيطان اليهودي منطقة ملاصقة للبنان، أمر له أهمية حيوية لليهود. فروابط الصداقة قد تنشأ بيننا وبين الموارنة، وهناك أمل قوي في وسط الأشخاص الذين يمعنون بالتفكير، في كلتا الطائفتين، بان تتوثق عرى هذه الصداقة في المستقبل، لتصبح تحالفاً اقتصادياً وسياسياً دائماً، لمصلحة كلا المجتمعين والبلدين. وأيّ إسفين يُزرع بيننا وبين لبنان، سيقلص استقرار وازدهار كلا البلدين، وبلدان ساحل البحر الابيض المتوسط ككل... وبفضل الصداقة اليهودية - المارونية وغيرها من العوامل الفاعلة، هناك احتمالات معقولة للاستيطان الزراعي اليهودي في المناطق الحدودية المتاخمة للبنان وسوريا، الذي ستكون له فائدة عظيمة لليهود ولهذين البلدين على حد سواء. ولا يمكن لهذه الاحتمالات ان تتحقق الا اذا حوفظ على تلاصق [الحدود] الذي سبق ان أشرت اليه...[٤٠].

وبما ان العلاقة مع الموارنة برزت الى هذا الحد، في مطالبة الصهيونيين بالجليل وبحدود مشتركة مع لبنان، فقد سعت الدائرة السياسية الى ترتيب امر استماع اللجنة الملكية الى موارنة من ذوي الرتب العالية، يعبّرون عن الرغبة بان يكون اليهود، وليس المسلمون، جيرانهم الجنوبيين. ولقد استغل الصهيونيون في التماسهم دعم الموارنة، المخاوف المارونية التقليدية من السيطرة العربية ومن العروبة المطالبة باسترداد أجزاء الوطن الأم. وأشار ابشتاين ايضاً، الى ان انشاء ممر مسلم يفصل بين لبنان والدولة اليهودية، سيجعل السياحة أكثر صعوبة، ويضع على تجارة الاستيراد والتصدير أعباء ضرائب وتعريفات إضافية، وربما يؤدي الى انشاء ميناء جديد ينافس ميناءي حيفا وبيروت[٤١].

وعلى الرغم من ان إده عبّر على انفراد، عن «رضاه الشديد عن احتمال ان تكون الدولة اليهودية وليس الدولة العربية، جارة [لبنان] الجنوبية» فقد أصرّ على ان منصبه الدقيق في السياسة اللبنانية المحلية يمنع تورطه في موضوع لجنة بيل[٤٢]. وقدّر ابشتاين، أن رفض إده إجراء اتصالات ضاغطة لصالح دولة يهودية ذات صلة مشتركة مع لبنان، يعود الى درجة التأييد التي لا سابقة لها، والتي كان يتمتع بها آنذاك، من الطائفة الاسلامية اللبنانية. فالمعاهدة الجديدة مع فرنسا، وانشاء لبنان كجمهورية برلمانية، انطوتا على وعد بتقليص النفوذ السياسي للبطريرك، وتعزيز نفوذ رئيس الجمهورية، الذي رأى فيه العديد من المسلمين اللبنانيين خطوة في الاتجاه الصحيح. وكان من شأن موقف موال للصهيونية، أن يحدث جفاء بينه وبين أصدقائه الجدد غير المعهودين[٤٣]. ومع ذلك، فقد أسعدته توصية لجنة بيل، بتقسيم فلسطين وانشاء دولة يهودية. وفي اليوم نفسه الذي جرى فيه توقيع بيل رسمياً، التقى بـ «وايزمان» في باريس، وأعلن قائلاً: «الآن وقد أصبح تقرير بيل وثيقة رسمية، يشرّفني ان أهنىء أول رئيس للدولة اليهودية المستقبلية!»[٤٢] وطلب إدّه بان تكون أول معاهدة حسن جوار تعقدها الدولة اليهودية، مع لبنان. ولم يفاجأ أصدقاؤه في الوكالة اليهودية، لا من تأييده للدولة اليهودية، ولا من رفضه العمل النشيط لصالح هذه الدولة. وكتب شرتوك وهو يحدد الخطوط العريضة، لخطة الوكالة من أجل استماع اللجنة الملكية الى شهود موارنة، يؤيدون دولة يهودية ذات حدود ملاصقة لحدود لبنان، يقول: «لن يجد الرئيس الجرأة على قول ذلك، ولكن البطريرك عريضة قد يفعل»[٤٥].

وفي أيار/مايو من العام ١٩٣٧، أبحر عريضة وبطانته الى روما، ثم الى باريس.

وحجز ابشتاين لنفسه مكاناً في الباخرة نفسها، على أمل اقناع البطريرك اثناء الرحلة، بان يطرح مسألة المصالح الصهيونية ـ المارونية المشتركة، في تعيين حدود مشتركة، خلال محادثاته مع البابا والفرنسيين. وذكر ابشتاين في تقريره، ان البطريرك، الذي بدا هرماً ومتعباً جداً، استقبله بحرارة في قَمَرَتِهِ الخاصة. ولكن على الرغم من موافقته بلا تردد، على ان المصالح المارونية تقتضي حدوداً متلاصقة بين لبنان والدولة اليهودية، فقد أكد على ان «مجزرة ضد المسيحيين في لبنان على أيدي جيرانهم المسلمين، سوف تنجم، إذا ما عُرِف لا سمح الله، أنه كان للموارنة يد في إنشاء الحدود بين الدولتين اليهودية والعربية في فلسطين»[٤٦]. وقد غادر ابشتاين، يخامره الشعور بان البطريرك عريضة لن يجاهر برأيه، حول مسألة الحدود. وقد التقى وايزمان بعريضة في باريس، في وقت لاحق من ذلك الشهر، وعلى الرغم من تأكيد البطريرك له بانه سيكون سعيداً اذا أدى التقسيم الى قيام دولة يهودية، ذات حدود ملاصقة للبنان، فقد خرج وايزمان أيضاً، حاملاً الانطباع «بأن علينا ألا نتوقع، لا من البطريرك ولا من اي زعيم ماروني آخر، أي خطوة جدية لصالحنا»[٤٧]. وقد أكدت الملفات الفرنسية هذه المشاعر، وكشفت العديد من الرسائل المرسلة من جهات عربية غاضبة، تحتج على خطة بيل، ولكن لم تكن هناك اي رسالة من أي من الموارنة، تبرز مزاياها[٤٨].

وقد كتب ابشتاين الى شرتوك، وكان يتأبى التخلي عن خيار الموارنة، مقترحاً استخدام البرت نقاش ونجيب صفير، اللذين قد يستطيعان إثارة صرخة في وسط الموارنة، لصالح تعيين حدود لبنانية ـ يهودية مشتركة، بتشديدهما على الخطر الداهم الذي يمثله انشاء ممر عربي بين لبنان وفلسطين[٤٩]. وقد ردّ شرتوك مندهشاً من كون ابشتاين قد فكر في استخدام صفير، لشخصيته المتقلّبة[٥٠]. ولكن ابشتاين بقي مصرّاً، لان صفير كانت له صلات جيدة بتلك الفئة المارونية التي يقودها المطران عبد الله الخوري. فقد كانت مجموعة الخوري معارضة لإدّه، لأسبابٍ ظاهرها أن إدّه كان معتدلاً أكثر من اللازم في معارضته لضغوط المسلمين والعروبيين؛ ولكن الأهم ان معارضة هذه المجموعة كانت جزءاً من الجهود القائمة التي كان يبذلها المطران لتحقيق انتخاب قريبه، وخصم إدّه الرئيسي، بشارة الخوري، لرئاسة الجمهورية. وأبلغ صفير شرتوك بان الوكالة اليهودية اذا كانت تريد من لبنان، تأييداً علنياً، موالياً للصهيونية، فعليها ان تساعد على ايصال مجموعة الخوري الى السلطة[٥١].

وكانت خطة ابشتاين التي تتسم بطموح أقل، تستدعي بان يقدّم المطران رسالة الى الحكومة الفرنسية، يطالب فيها بحدود لبنانية ـ يهودية متلاصقة. وزوّد صفير شرتوك بنسخة من الرسالة، وطلب منه إرسالها الى بلوم[٥٢]. وعلى الرغم من إصرار ابشتاين الأوّلي، على أنه لم يكن يرى اي بديل من استغلال مجموعة خوري الاّ أنه ما لبث ان وافق شرتوك في نهاية الأمر، على أن المجازفة بأن يكتشف إدّه تعاون الوكالة اليهودية مع معارضيه الموارنة، كانت تفوق في أهميتها أي فائدة محتملة قد تحققها رسالة المطران خوري[٥٣]. وكان ان وضع شرتوك الرسالة في جيبه. وفي النهاية، وعلى الرغم من الصمت الماروني، كفلت خطة بيل للتقسيم السيطرة اليهودية على الجليل، وحدوداً مشتركة يهودية ـ لبنانية.

وبذلك تكون الوكالة اليهودية قد استجابت مرة أخرى الى الطابع المتصدّع للطائفة المارونية، باختيارها فريقاً واحداً من بين الأفرقاء تحصر تحالفها معه. وبهذه الطريقة، ارشدت العلاقة مع الفئة الضيقة لإدّه وعريضة، السياسة الصهيونية تجاه لبنان وقيّدتها. لكن رفض إدّه وعريضة مساعدة الوكالة اليهودية في مسألة الحدود، لم يترك للصهيونيين إلاّ خيار المضي وحدهم بالأمر. وقد يظن المرء ان حادثة لجنة بيل شكلت أخيراً، اختباراً للعلاقة المارونية ـ الصهيونية، وأن فشل الموارنة في القيام بما هو متوقع منهم، دفن خيار التحالف الماروني. لكن جهات مهمة في الوكالة اليهودية ابدت تفهمّاً لافتاً لظروف الموارنة الدقيقة، وتفاؤلاً غير عادي، بامكانية تحوُّل التحالف الى واقع، عندما تتغير الظروف. وقد اجتمع إدّه في بيروت، بالمستشار القانوني للدائرة السياسية برنارد جوزف، بعد مرور وقت غير طويل على رفضه الادلاء بشهادته أمام لجنة بيل، واتفق مع جوزف في مشاعره بان «الاتفاقية [بين لبنان وفلسطين اليهودية] موجودة في قلوبنا». ولقد أضاف جوزف الى ذلك قوله بانه «يأمل بألاّ يكون ضرورياً ان نحصر لوقت طويل، اتفاقية كهذه في تفاهمات خاصة، يُعبر عنها في مقابلات شخصية»[٥٤]. ولقد شكل هذا التقليل المستمر من شأن قوة القومية العربية والتضامن العربي، ضعفاً سياسياً رئيسياً في التخطيط الصهيوني، وساهم في الترقب غير الواقعي لاحتمال ان تتمكن جماعة مارونية معينة من فرض سيطرتها على لبنان، وتنجح في إلزام هذا البلد بتحالف موالٍ للصهيونية.

المفتي في لبنان

نشبت الانتفاضة العربية مجدداً في فلسطين بعد نشر تقرير بيل. ويقول لونغريغ إنّ الانفجارات المعادية لليهود في فلسطين «أثارت تعاطفاً كبيراً [في لبنان]، تميّز بالتظاهرات ... وتهريب السلاح وانطلاق المتطوعين المسلحين الى فلسطين»[٥٥]. وتجمّع الفلسطينيون في بيروت والجنوب، يدعون لقضيتهم، ويشنون الغارات ضد المستوطنات اليهودية في شمال فلسطين. وبناء على هذا التطور، نقلت الوكالة اليهودية تركيزها في لبنان، من أصدقائها الموارنة الى أعدائها الفلسطينيين، وما يمثلونه من تهديد من قاعدة عملياتهم الجديدة في بيروت. وكان أخطر المنفيين الفلسطينيين في منظورها، مفتي القدس السابق الحاج أمين الحسيني.

وكان البريطانيون قد عزلوا الحاج أمين من منصبه، وألغوا المجلس الاسلامي الأعلى والهيئة العربية العليا، في ٣٠ ايلول/سبتمبر ١٩٣٧، في أعقاب سيل من الهجمات العنيفة، الدموية منها بصفة خاصة، قادها المفتي ضد أهداف بريطانية في فلسطين. وفرّ الحاج أمين من وجه السلطات البريطانية هارباً الى لبنان، حيث منحه الفرنسيون على مضض، ملاذاً فيه، ولكنهم حصروه في قرية ساحلية نائية في شمال بيروت، وانتزعوا منه عهداً بالامتناع عن مزاولة النشاط السياسي.

ولكن ما أثار روح البريطانيين والصهيونيين على السواء، أن المفتي ظل يمارس نفوذاً كبيراً في السياسة الفلسطينية، واستمر في قيادة الثورة في فلسطين، من ملاذه اللبناني. وكانت الدائرة السياسية، تُرسل أشخاصاً الى لبنان بصورة منتظمة، لمراقبة نشاطاته[٥٦]؛ فيما كان هو يتحدى تعهّده للفرنسيين، فيستقبل سيلاً مطّرداً من الزائرين العرب البارزين، وحافظ على اتصال يومي بالثوار من طريق مساعديه، الذين كان يصدر تعليماته بواسطتهم. وكانت المصادر البريطانية والصهيونية، ترفع التقارير عن حرية تحرك المفتي، واجتماعاته مع الزائرين والوجهاء العرب، وبروزه المستمر في السياسة الفلسطينية[٥٧]. وسجل ابشتاين انطباعه، الذي يفيد بأن كل لاجىء فلسطيني تقريباً، يجيء الى بيروت، كان يسافر الى قرية «الذوق» لمبايعة المفتي[٥٨]. وقد عمل العديد من اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، عملاً دؤوباً من أجل القضية الفلسطينية بالارشاد المباشر للمفتي، الذي وجد ايضاً المؤيدين في وسط السكان المسلمين اللبنانيين. وعمد الحاج أمين، مستعيناً بالمساعدات المالية الكبيرة، التي كان يتلقاها من مصادر مختلفة، الى شراء خدمات مجموعة

من اللبنانيين، من صحافيين، ومسؤولين حكوميين، ومغامرين لا صفة يُعرفون بها. وقد اشتكى وايزمان، من إقدام المفتي على «جعل لبنان مركزاً لشبكة تآمر سياسي واسعة الانتشار، ضد فلسطين [اليهودية]»[٥٩]. فقد تحولت بيروت الى قاعدة لوجستية للثّوار العرب، الذين يعملون ضد المصالح البريطانية واليهودية في فلسطين، ومركزٍ للدعاية الفلسطينية والعربية[٦٠].

وردّ ساسون على ذلك بمضاعفة جهوده، للتخفيف من المضمون المناهض للصهيونية في الصحافة اللبنانية، فراح يكتب المقالات بالعربية، ويدبّر أمر نشرها في صحف بيروت[٦١]. لكنها كانت معركة خاسرة، خصوصاً، بعد أن وطّد المفتي سلطته في بيروت. وكان الشريك التجاري اللبناني لدافيد هاكوهين، قد حذره حالما بدأت الانتفاضة، من أن «الصحف العربية كارثة من الطراز الاول»، والحّ على الوكالة اليهودية، متابعة الخطوات كافة المؤدية الى وقف تحريضها المعادي للصهيونية[٦٢]. وعلى الرغم من انفاق الكثير من الطاقة والجهد والمال، والنجاح في نشر بضع مئات من المقالات الموالية للصهيونية، في الصحف اللبنانية أثناء مسار الثورة، فإن الوكالة لم تستطع بكل بساطة، استدراك الدعم الذي كان يتلقاه المفتي من معظم الصحف اللبنانية، بما فيها بعض المنشورات المارونية. وكان العديد من هذه الصحف يمتدح القضية الفلسطينية من باب القناعة، أما الباقون فقد كانوا يستجيبون بالشكل المؤاتي لإدراج اسمائهم في لائحة الرواتب التي كان يدفعها المفتي. وفي تموز/يوليو من العام ١٩٣٨، أبلغ ساسون شرتوك أن الاسبوعية البيروتية «المكشوف»، نشرت كتيّباً خاصاً يقع في ست عشرة صفحة، يتضمن تفاصيل الكوارث التي انزلها اليهود، على ما يُفترض، بالبلدان المسيحية والاسلامية في الماضي، والخطر الذي ما زالوا يمثلونه. وقد لاحظ ساسون رابطاً ايديولوجياً، بهتلر والفاشية، في بعض النصوص، وذكر أن معظم الصحف البيروتية نبّهت قراءها الى نشر هذا الكتيب، وألحّت عليهم دراسته[٦٣]. وقد استمر ساسون في بذل جهوده لتحدي اندفاعة وسائل الاعلام اللبنانية المعادية للصهيونية، لكنه ما لبث أن رفع تقريراً بعد اجتماعه بناشر صحيفة «الايام»، يبلغ فيه بكآبة أنه لن تكون هناك، برأيه، فائدة كبيرة، حتى ولو استطعنا شراء كل الصحف السورية واللبنانية. علينا ان نهتم اولاً وقبل كل شيء، بإسكات «مكتب الدعاية العربية» الذي يصدر يومياً، نشرة خاصة حول فلسطين، ويوزّع منها حوالى ١٠٠٠٠

نسخة في البلدان العربية كافة. وليس بالامكان اسكاته بالمال، لانه يتلقى مبالغ كبيرة شهرية من المفتي، ومن مصادر عربية، ومن أجانب آخرين[٦٤].

ومن جهتهم، راح مسؤولو الانتداب البريطاني يطاردون نظراءهم الفرنسيين في لبنان، مطالبين باسكات الحملة المعادية للبريطانيين في الصحافة اللبنانية، مرة والى الأبد. وكان المندوب السامي الفرنسي، يتلقى فيضاً منتظماً من الاتصالات البريطانية التي تتهم الصحافة اللبنانية بأنها مأجورة للمفتي، والتي توثّق الأمثلة على التحريفات والأكاذيب التي تنشرها هذه الصحف، والتي تطالب المندوب السامي باغلاق تلك الدؤوبة على الأذى دون غيرها[٦٥]. وقد استجاب الفرنسيون بتعليق صدور منشورات مختلفة بين الحين والآخر، والادلاء بعبارات التعاطف مع الموقف البريطاني. ومع ذلك فقد أثارت شكوى مريرة بصفة خاصة، صادرة عن القنصل العام البريطاني في بيروت، احتجاجاً ممتعضاً من دو مارتيل، الذي ذكّر القنصل أن السلطات البريطانية في الماضي، لم تكن مساعدة كثيراً، عندما تبنت الصحافة العراقية والفلسطينية مواقف معادية للفرنسيين. وكتب دو مارتيل في تقريره عن الاجتماع غير الودي يقول:

مثلما سبق ان أبلَغَنا البريطانيون آنذاك، قلت له الآن، إنني لا استطيع ان أفرض رقابة كاملة على الصحافة العربية في سوريا ولبنان. ولكنني استخدم سلطتي، الى الحد الأقصى الممكن، من أجل جعلها أكثر اعتدالاً[٦٦].

وبدا بعض المسؤولين البريطانيين، في لحظة من لحظات الضعف، مسلّمين تقريباً، بالاندفاع الجامح للمشاعر الموالية للفلسطينيين في الصحافة اللبنانية. وقال أحدهم ان القضية الفلسطينية، كلما ظلت تثير مثل هذه العواطف المعادية للبريطانيين وللصهيونيين، «استمرت بيروت، في حد أكبر أو أقل، بتأدية دور النافورة التي تتدفق منها الدعاية ضد سياستنا الفلسطينية، الى البلدان العربية الأخرى كافة»[٦٧].

وأدّى أحد تكتيكات الوكالة اليهودية، في حربها ضد معاداة الصهيونية النامية في لبنان، الى نتيجة غير النتيجة المرجوّة، وزوّد، عن غير قصد، مروجي الدعاية الفلسطينيين العرب، بالمزيد من الذخيرة. فالوكالة التي كانت تعمل على أساس الفرضية المسلَّم بها، والقائلة بان الطريق المؤدية الى قلب اللبناني تمر عبر حافظة نقوده، أشاعت بان اليهود الفلسطينيين مستعدون لإنفاق أموال عطلاتهم في أماكن أخرى غير لبنان، اذا استمرت

الأجواء غير الودّية فيه. وفي أول صيف يمر في ظل الثورة، وكان صيفاً يحيطه عدم اليقين، اختار العديد من اليهود الامتناع عن السفر، وعلمت الوكالة بأن أماكن الاستجمام اللبنانية عانت نتيجة لذلك[٦٨]. وفي نيسان/ابريل وايار/مايو، من العام ١٩٣٨، تناولت الصحافة اليهودية في فلسطين هذا الخط من التفكير، وشرعت في إطلاق دعوات صريحة بصورة متزايدة، لمقاطعة أماكن الاستجمام، والسلع اللبنانية، ما دام المفتي يحدد طابع العلاقات بين لبنان واليشوف. وقالت صحيفة «بالستاين بوست» بنبرة جافية إنّ «اليهود الذين كانوا في الماضي، عنصراً مهماً بين السائحين القادمين الى لبنان، في فصل الصيف، [قد يمتنعون عن] زيارة هذا البلد ما دام يأوي الحاج أمين»؛ وأعلنت صحيفة «هآرتس» بان الظروف في لبنان، سرعان ما ستجبر اليهود على «استخدام السلاح الاقتصادي في حوزتنا...، إذا لم يفهم جيراننا في سوريا ولبنان، بأنهم لن يستطيعوا شن الحرب ضدنا، وتحقيق الربح منّا في الوقت نفسه»[٦٩]. وقد اغتنمت وسائل الاعلام اللبنانية نشر هذه المقالات، في الصحافة اليهودية، وغالباً ما كانت تعيد نشرها مترجمة، في صحفها. وانقلب التهديد اليهودي بمقاطعة التجارة والسياحة، لمصلحة المنفيين الفلسطينيين، الذين ناشدوا الرأي العام اللبناني مساعدتهم، لافتين إلى أمور من بينها عداوة اليهود للبنان، ونيتهم تدمير اقتصاده، وابقاءه خاضعاً لاقتصادهم. وقد أثارت المقاطعة اليهودية المقترحة، روع أصحاب الفنادق الموارنة بصفة خاصة. ومع ذلك، أوصى ساسون الدائرة السياسية، بالضغط على أعلى المستويات الرسمية اللبنانية، بواسطة التهديد بمقاطعة مراكز الاستجمام، مستنداً إلى ان الأرباح التي يحققها لبنان من خلال علاقته باليهود الفلسطينيين، تملي منطقياً، موقفاً لبنانياً محايداً من النزاع في فلسطين[٧٠].

لكن النتيجة الناجمة عن التهديد بتجنب اماكن الاستجمام اللبنانية، وشبه المقاطعة التي جرت في العام ١٩٣٨، كانت غير النتيجة المرجوة. فمع حلول فصل الخريف كان ابشتاين يُبلغ باكتئاب، أن تدفق السياح من مصر والعراق فاق في أهميته غياب اليهود الفلسطينيين. فالفنادق كانت ممتلئة؛ وقد عمد الرئيس إدّه تقديراً منه للمؤازرة العربية المتزايدة، الى إقامة المآدب للضيوف المصريين والعراقيين البارزين، ونظمت وزارة الإرشاد العامة والاقتصاد الوطني، سلسلة من المحاضرات للزائرين الأجانب الجدد. وتمتعت أماكن الاستجمام بموسم صيفي ممتاز. وقدّر ابشتاين أن عدد السياح ارتفع، على الرغم من المقاطعة اليهودية، من ١٥٠٠٠ سائح في العام السابق، الى ١٧٠٠٠ سائح. واختتم

ابشتاين تقريره قائلاً: «إن هذه الحقيقة يدركها أناس عديدون هنا، كبرهان على ان لبنان ينبغي ألا يثير حنق العرب، باتخاذه موقف المحايد، المحب للخير، تجاه اليهود»[٧١]. وقد تذرع الفلسطينيون والصحف اللبنانية، بحجج مقنعة، تقول بان الموسم السياحي الناجح للعام ١٩٣٨، تحدّى ادعاء الحكومة، بان الاعتماد على السياحة اليهودية يحول دون اتباعها سياسة نشيطة، مؤيدة للفلسطينيين.

وادّعى أصدقاء الصهيونيين في الدوائر اللبنانية العليا، عجزهم في ما يتعلق بالقدرة على وقف احتقان المشاعر المناهضة للصهيونية. وقد أقرّ وايزمان بان أي حكومة لبنانية، ومهما كانت تزدري الحاج امين، لا يمكنها أن تتحمل ثمن تعمدها الخلاف معه، من دون ان تعرّض نفسها للمتاعب الداخلية، عندما يكون كل هذا العدد الكثير من اللبنانيين، اما موالياً موالاة حقيقيةً للفلسطينيين، او أن اسمه مُدرج في لائحة الرواتب التي يدفعها المفتي[٧٢]. ولقد عمد أصدقاء الوكالة من الموارنة، الى تشجيع الصهيونيين، سراً، في جهودهم لإسكات صوت المفتي، ولكنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا أكثر من الاقتراح على الوكالة، بممارسة ضغوط أكبر على فرنسا، لتفرض حظرها الخاص على نشاط الحاج امين السياسي. بيد أنه كان من الواضح، أن فرنسا تتأبى التحرك ضد المفتي. اما إدّه وجماعته، الذين كانوا ممزّقين بين أصدقائهم الصهيونيين، وحماتهم الفرنسيين، فقد رفضوا في النهاية، مجابهة الفرنسيين، الذين كانوا يُجرون معهم آنذاك، مفاوضات حساسة من أجل استقلال لبنان. وعمدت الوكالة اليهودية، وقد اقرّت مرة أخرى، بعجز حليفها الماروني عن اتخاذ اجراء حاسم، إلى توجيه جهودها نحو الضغط على الفرنسيين، لكبح النشاطات الفلسطينية في لبنان.

لكن الاحتكاك الناجم عن الخلاف في الرأي، بين الحكومة في باريس والمندوب السامي في بيروت، أحبط مسعى الوكالة اليهودية في هذه المقاربة. وقد اتفق رئيس الوزراء ليون بلوم، مع وايزمان، بان التجييش الذي يثيره الفلسطينيون العرب في لبنان، أمر خطير وينبغي وقفه؛ لكن المندوب السامي دو مارتيل خطّأ باريس لكونها بعيدة عن حقائق الوضع، معرباً عن قلقه، من أن تؤدي اي مساهمة فرنسية في جهود البريطانيين لقمع الانتفاضة الشعبية في فلسطين، الى اشعال ثورة في لبنان. وقد وافق العديد من المسؤولين في الكي دورسيه، على موقف المندوب السامي، الذي يرفض المجازفة باغضاب المسلمين في المستعمرات الفرنسية، في شمال افريقيا بجعل المفتي شهيداً[٧٣]. وكانت

الاستخبارات الفرنسية، ترصد نشاطات المفتي ومخابراته الهاتفية وزائريه؛ لكن رفض دو مارتيل الثابت، للتحرك ضد المفتي، والتأييد الذي لاقاه موقفه من عناصر مهمة في الكي دورسيه، اقنع وايزمان بان التعليمات الصريحة التي يصدرها رئيس الوزراء في باريس، هي وحدها القادرة على إرغام المندوب السامي على التحرك. وقد شجع شرتوك وايزمان على اقناع بلوم بـ «الضرورة الحيوية» لطرد المفتي من لبنان[٧٤]. ولكن فشل التحرك الصهيوني الضاغط في التأثير على باريس، سرعان ما اقنع وايزمان بان البريطانيين وحدهم، قادرون على ممارسة الضغط المطلوب على الكي دورسيه، لتحقيق طرد المفتي، وكبار مساعديه من شرق البحر المتوسط[٧٥].

ولقد توسّل وايزمان الى البريطانيين، بمطالبة الفرنسيين بطرد الحاج امين من الاراضي الخاضعة للانتداب الفرنسي، على أساس مسؤوليته عن الاضطرابات المستمرة في اراضي الانتداب البريطاني. وكتب وايزمان، المُحبط من الاستقبال الفاتر الذي لاقاه في الكي دورسيه، يقول: «اذا تلقى الفرنسيون مطالبة ملحّة من داوننغ ستريت، سيكون من السهل على بلوم التغلّب على العمل التخريبي، الذي يمارسه موظفوه المعادون للسامية، والمندوب السامي في بيروت»[٧٦]. ولكنه عمد، في لحظة اكثر هدوءاً، الى اعادة صياغة مشاعره، فقال في معرض المجادلة، إن «يديّ المستر بلوم سوف تقوى الى حد كبير، وسوف تقدم السلطات الفرنسية على اتخاذ الاجراءات، اذا عالجت الحكومة البريطانية الأمر على أساس أنه اهتمام من اهتماماتها الملحّة، وضغطت على الفرنسيين[٧٧]. لكن البريطانيين الذين لم يكونوا راضين قط على الدعاية المناهضة للبريطانيين والعنف الصادر من بيروت، كانوا قد شرعوا من تلقاء انفسهم، بالضغط على الفرنسيين من اجل اتخاذ اجراءات قاسية ضد المفتي، وضد ما كانوا يعتبرونه تجاوزات للفلسطينيين العرب في الصحافة، ولكنهم لم ينجحوا إلاّ نجاحاً هامشياً. فالمراسلة الحثيثة بين المندوب السامي ووزارة الخارجية، تشير الى حصول تحرّك بريطاني ضاغط شديد، في باريس. ومثل دو مارتيل من قبله، كان المندوب السامي الجديد غابرييل بوو يؤكد تكراراً، لوزارة الخارجية، أنه يبذل كل ما في وسعه، ليشفي غليل الشكاوى البريطانية من النشاط الفلسطيني في لبنان[٧٨]. ولكن دو مارتيل كان قد أبلغ ابشتاين، عندما بدأت اعداد الثوار واللاجئين الفلسطينيين العرب، تتضخم في لبنان، أنه على الرغم من ادراكه الخطر الذي يمثله هذا الامر، «فإنه علينا مع ذلك، أن نمنح اللاجئين السياسيين المنافع التي تقتضيها قواعد

الضيافة»[٧٩]. واقترح مسؤول فرنسي في القدس، مقاومة الضغط البريطاني للتحرك ضد المفتي، الذي وصفه كـ «شخصية ليس لدينا شكوى ظاهرة ضدها»[٨٠]. وعلى الرغم من الكلام المتكرر عن المصالح المشتركة الفرنسية ـ البريطانية، فان النظرة الفرنسية الى الحاج امين ونشاطات مؤيديه، كانت حتماً نظرة أقل عدائية. والسلطات الفرنسية، التي كانت، بلا شك، مسرورة في سرّها من خيبة مسعى الخصوم البريطانيين، اتخذت الحد الادنى من الاجراءات ضد المفتي.

ونظراً لوجود رجال المفتي في لبنان، الذين كانوا يعملون بأمان نسبي من العقاب، تدهور الوضع الأمني على طول الحدود اللبنانية ـ الفلسطينية، واجبرت الدائرة السياسية، على اعادة النظر، بمكانة جنوب لبنان غير الخطرة، في خارطة السياسة الخارجية الصهيونية. فجنوب لبنان البعيد عن سياسة بيروت، والمُهمل من الحكومة هناك، استمر كامتداد اقتصادي لشمالي فلسطين، على الرغم من التعيين الرسمي للحدود. ففرص العمل التجاري العديدة، التي حاول اللبنانيون اثارة اهتمام اليهود بها، كانت في جنوب لبنان. وكان الناس يعبرون الحدود المفتوحة، بأقل ما يكون من الصعوبة، من اجل العمل في الزراعة، وفي شؤون تجارية في الجانب الآخر. ولكن انعدام الاهتمام الحكومي، الذي اتاح لجنوب لبنان المحافظة على علاقات لا يعترضها شيء، مع اليشوف، هو نفسه الذي خلق ايضاً الفراغ في السلطة، الذي أقدمت القوات العربية غير النظامية على ملئه بسرعة، ما ان بدأت الثورة العام ١٩٣٦.

فقد جرى تجنيد المجموعات العربية، وإلحاقها بالقواعد، وتدريبها، في هذه المنطقة التي كانت تعبر الحدود منها بين الحين والآخر، لتُسَدِّدَ الضربات جنوباً، ضد المستوطنات اليهودية. وقد تلقت الوكالة اليهودية معلومات تفيد أن المفتي، وكان لا يزال في فلسطين، قد رشا مسؤولين حكوميين لبنانيين، ذوي روابط عائلية تربطهم بقرى الجنوب، لحماية العصابات، وتنظيم عملية تزويدها بالاسلحة، وتسهيل عبورها للحدود، في عربات حكومية في بعض الاحيان[٨١]. وكان هؤلاء يهرّبون كميات كبيرة من الاسلحة الى الثوار العرب في فلسطين، فيما كان المُطاردون الفارّون من البريطانيين، يعبرون الى شاطئ الامان في لبنان. وكانت السلطات المحلية في الجانب اللبناني، عازفة عن محاولة وقف النشاطات الفلسطينية، إما بسبب تأييدها للثوار، أو بسبب خوفها منهم، وأيضاً، بسبب جني الكثيرين منهم الارباح، من جرّاء تهريب الرجال والذخائر عبر الحدود. وبمقدار ما

كانت حكومة إدّه، تحاول منع حركة الرجال والسلاح من لبنان الى فلسطين، كانت وسائل الاعلام تتهم الرئيس بالعمل، بالتوافق مع الصهيونيين[٨٢].

ولم تلق الجهود الفرنسية والبريطانية لضمان أمن المنطقة الا نجاحاً محدوداً. فقد زاد الفرنسيون على مضض، عدد قواتهم على طول الحدود، نتيجة الضغط البريطاني. وأقامت قوى الأمنَ والشرطة والسلطات الانتدابية الفرنسية، صلات منتظمة مع نظرائها البريطانيين. وتشهد رسائل من مسؤولين بريطانيين، تشكر الفرنسيين على تعاونهم في العمليات الحدودية، التي كانت تستهدف الثوار العرب، على درجة من الاستجابة الفرنسية لاهتمامات البريطانية[٨٣]. ولكن على الرغم من أن المسؤولين الفرنسيين، كانوا يستطيعون الاشارة الى عمليات اعتراض للثوار، والتهريب بين الحين والآخر، فقد استمر الرجال والذخائر بالتدفق بحرية عبر الحدود. فالتهريب استمر من دون كلل، وخصوصاً في الليالي الممطرة، عندما كان أفراد الدوريات يلتزمون ثكناتهم. وذكرت مصادر صهيونية أن بعض الجنود الفرنسيين، الذين أقدموا فعلاً على توقيف ثوار مسلحين، تركوا الجيش بعدما تلقوا تهديدات بالقتل[٨٤]. ولأن فرنسا كانت مدركة إدراكاً متيقظاً، لارتفاع عدد الضحايا في فلسطين، وكانت تخشى ان تستفزّ ردّة معادية للفرنسيين في مشرق البحر المتوسط، من خلال ظهورها بمظهر المساعد، في احباط الانتفاضة الشعبية في فلسطين، فإن ترددها في التحرك ضد الثوار واللاجئين، يُمكن أن يعزى الى تبصّرها في العواقب. ولكن بعض البحّاثة يؤكدون أن السلطات الفرنسية غضّت النظر عن نشاطات الثوار الفلسطينيين المتمركزين في جنوب لبنان، على نحو متعمد، انتقاماً للدعم البريطاني المزعوم، للثوّار الدروز، الذين كانوا يجابهون الفرنسيين في ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦، وهذه الشكوك افصح عنها ابشتاين في اجتماع عقده مع دو مارتيل[٨٥].

اما البريطانيون، فقد صادقوا من جهتهم، على اقتراح تقدم به السير شارلز تيغارت، المستشار الامين لحكومة فلسطين، يقضي بأقامة أسيجة من الاسلاك الشائكة، من طوقين وثلاثة أطواق، تمتد على طول الحدود الفلسطينية ـ اللبنانية. ولكن هذا الجدار، الذي أنجز في ايار/مايو، وحزيران/يونيو، ١٩٣٨، وسمي «جدار تيغارت»، سرعان ما أثار غضب السكان المحليين على جانبي الحدود، لأنّه افضى الى تقسيم المراعي والاملاك الخاصة. كما أنه كان عرضة للهجمات من كلا الجانبين لأنه أصبح حاجزاً في وجه التجارة الشرعية وغير الشرعية، التي كان يعتمد عليها الكثيرون من سكان المنطقة الحدودية. ولم يتمكن

البريطانيون من المحافظة على سلامة الجدار الى حد ما، الا بالمساعدة الفرنسية التي قدمت على مضض. وقد جرى تفكيكه بسرعة، مع نهاية الثورة في العام ١٩٣٩[٨٦].

لقد تطلّب الهدف الصهيوني الاساسي، القاضي بحماية اليشوف، قدراً كبيراً من الدفاع الذاتي اليهودي، خصوصاً عندما وجدت المستوطنات اليهودية أن الحماية البريطانية ضد المجموعات العربية، حماية لا تفي بالحاجة. وكانت القيادة العسكرية اليهودية قد ردت في البداية، على أعمال العنف، للعام ١٩٣٦، بالدعوة الى سياسة دفاعية محضة. ولكن مع تزايد العنف، بلور القائد الميداني لقوات الهاغاناه اسحق ساديه، مفهوم «الدفاع النشيط»، الذي يتميز بالدوريات المتحركة للهجمات الوقائية. ومع اشتداد حمأة القتال، وافق البريطانيون الذين كانوا يعانون نقصاً في القوة البشرية، على تسليح نحو ٣٠٠٠ رجل، كقوة أنصار من رجال الشركة اليهود، لحماية المستوطنات النائية. وعيّن البريطانيون نقيباً من نقبائهم، ويدعى اورد وينغايت، قائداً لهذه القوة من الانصار، من رجال الشرطة اليهود، من دون أن يكونوا على علم، بأنه من المؤيدين المتحمسين للصهيونية. وقد نظم وينغايت المجنّدين في «فرق ليلية خاصة»، وابتكر عمليات عسكرية ذات طابع هجومي، يفوق طابع عمليات ساديه. وفي العام ١٩٣٨، وسّعت الفرق الليلية الخاصة مجال نشاطها، بحيث أنه بات يشمل شن غارات داخل الاراضي اللبنانية، لمهاجمة قواعد الثوار، ومخابىء الذخيرة فيها[٧٨]. وكان اليهود الذين كانوا يعبرون الحدود الى لبنان في السابق، لأسباب اجتماعية او تجارية، ان وجدوا انفسهم الآن، يزحفون مع بنادقهم عبر هذه الحدود نفسها، تحت جنح الظلام، باحثين عن معاقل الثوار العرب.

وقد شكل هذا الامر نوعاً من التعاطي الجديد وغير المستحب، بين اليشوف ولبنان. وفي نهاية المطاف، واجهت القيادة الصهيونية في أواخر الثلاثينيات النتائج الناجمة عن التعيين النهائي للحدود، الذي أجري في أوائل العشرينيات. فالصهيونيون الذين استندوا في مطالبتهم بجنوب لبنان، على أساس اعتبارات اقتصادية، وأخرى تتعلق بانتاج الطاقة الكهربائية، بالدرجة الاولى، حدّدوا اهتماماتهم الأمنية بصورة، كانت اقل مما تقتضيه الحال، حتى لا يغضبوا القوى الكبرى، التي كانت ستتولى سلطة الانتداب. وبدت الانتفاضة، وكأنها تبرر مخاوف الصهيونيين، من العيوب العسكرية والجغرافية للحدود. وقد أشار هوف إلى أن أمن المستوطنات اليهودية القائمة في شمال فلسطين، قد أقيم على

اساس «الافتراض المضمر... بأن السيادة البريطانية بحد ذاتها، سوف تكون الضمانة الامنية الملائمة. ولكن المشكلة الحقيقية التي انكشفت خلال اعوام ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩، كانت أن شمالي فلسطين، منطقة قابلة للاختراق في كلّ الأماكن تقريباً»[٨٨].

فالتجربة على طول الحدود، خلال الثورة، أظهرت للمرة الاولى، أن جنوب لبنان الهادئ، يمكنه ان يَؤدي دوراً تهديدياً، كملاذ لأعداء فلسطين اليهودية، ونقطة انطلاق لهم. ان لبنان نفسه، لم يهدد اليشوف، ولكن عجز حكومته عن السيطرة على الثوار العاملين على اراضيه، أتاح لهؤلاء، تهديد المواقع اليهودية، في شمالي فلسطين. وكان يجب ان يكون اخفاق حكومة اده في السيطرة على الاحداث في لبنان، تحذيراً آخر، من ضعفه، كحليف.

أما الثورة في فلسطين، التي نفّرت معظم المجتمع المسيحي اللبناني من اليشوف، فهي نفسها التي عزّزت أيضاً قناعة أصدقاء الوكالة اليهودية الموارنة، بارتباط مصيرهم بمصير الصهيونيين. وقد لاحظ شرتوك أن الاضطرابات أدّت على الصعيدين السياسي والاقتصادي، دوراً «مفيداً لنا، في ما يتعلق بعلاقاتنا مع الموارنة... فقد جعلت الموارنة، يدركون الخطر الكامن في عدوانية المسلمين». وكان شرتوك واثقاً أيضاً من ان تقلّص التجارة السياحية صيف الثورة الاول، والتأثير المدمّر للإضراب في فلسطين، على أسواق الخضار والفاكهة اللبنانية، «اوضح للموارنة توضيحاً وافياً مدى مصلحتهم الحيوية في سلامة يهود فلسطين وازدهارهم»[٨٩]. ولكن على المرء ان يتذكر (حتى ولو أن الوكالة لم تكن تفعل ذلك عادة) أن المقصود بـ «الموارنة»، هو تلك الفئة، التي تدين بالولاء إمّا لإدّه، أو لعريضة.

وقد سافر ابشتاين الى لبنان للتشاور مع إده وعريضة، خلال الاشهر الاولى للانتفاضة، ورفع تقريراً الى شرتوك، افاده فيه أن الرجلين ينظران الى الاضطرابات في فلسطين كبرهان على معنى حكم الاكثرية المسلمة... وهما خائفان خوفاً شديداً من احتمال كسب العرب لهذه الحرب. فانتصار كهذا، لن يبشر بالخير بالنسبة الى الموارنة، ولا بالنسبة الى الاقليات المسيحية كافة. واذا كان المسيحيون في فلسطين، يؤيدون المسلمين، فإن ذلك يعود الى كونهم سجناء في وسطهم، ولا يجرؤون على عزل أنفسهم[٩٠].

وتشير الادلة إلى ان بعضهم في الوكالة اليهودية، اقترح بان يستخدم المسيحيون

نفوذهم في وسط المسيحيين الفلسطينيين، لشق الانتفاضة على أساس ديني، وربما تشجيع تفاهم مشترك يهودي ـ مسيحي[٩١]. لكن الموارنة اثبتوا مرة أخرى، أنهم عاجزون او غير راغبين في العمل لصالح الصهيونيين، مصرّين على ان الوقت لم يكن ناضجاً بعد، لدعاية علنية موالية لليهود. ولكنهم مع ذلك، استمروا في حثّ الوكالة سراً، على المضيّ بجهودها، لكبح الاضطرابات.

وأبلغ ساسون في ذروة الانتفاضة، في العام ١٩٣٨، أن «الموارنة كانوا قلقين جداً من خطر ان تُمنى الصهيونية بانتكاسة، وان يصبح المسلمون العرب في فلسطين أقوى»[٩٢]. وروى ابشتاين عن محادثة مماثلة مع صديق مسيحي جنوب لبنان قال فيها إن أبناء ديانته يتابعون النزاع اليهودي ـ العربي في فلسطين «بفزع شديد»، وإن معظمهم كان واثقاً من أن الانتصار العربي، من شأنه ان يحضّ على المزيد من «التعصّب المسلم» في المنطقة، ويقود الى هيمنة المسلمين على المسيحيين[٩٣]. ولكن صديق ابشتاين، لم يُشر الى استعداد المسيحيين للانضمام فعلياً الى الصهيونيين في هذه الحرب، التي يدّعون أن لهم فيها مصالح مرتهنة كبيرة، فهو لم يملك سوى اقتراح أن يواصل الصهيونيون «النشاط الحذر» في وسط الموارنة، بأمل الحصول على شيء من المساعدة. وقد حافظت الوكالة اليهودية على اتصالها المنتظم بإدّه وعريضة بخصوص المشاكل في فلسطين بالطبع. ولكن كان رأي الرجلين، ان قوى الانتداب هي العناصر الوحيدة القادرة على العمل بفعالية لوقف الانتفاضة، ومارسا الضغط على الوكالة لاستخدام نفوذها القوي المزعوم في أوروبا، لإرغام السلطات الانتدابية على العمل. فقد كان الصهيونيون يلاحظون في أغلب الأحيان، أن الموارنة (وكل العرب في الواقع) يغالون في تقديرهم لقوة النفوذ الصهيوني في باريس، خصوصاً خلال ولايتي رئيس الوزراء اليهودي ليون بلوم (١٩٣٦ ـ ١٩٣٧، ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧)[٩٤]. وقد أثبت إدّه وعريضة مرة أخرى، عجزهما عن تقديم أي مساعدة للصهيونيين، تجاوز عبارات التشجيع التي كانا يهمسان بها سراً.

وفي هذا السياق، كانت علاقة الوكالة اليهودية بأقلية أخرى من الأقليات الرئيسية في لبنان، وهي الدروز، علاقة مفيدة أكثر من غيرها. فقد رد قادة الدروز الفلسطينيين على المناشدات الصهيونية، ببعث رسائل ومبعوثين عبر الحدود، لحثّ أشقائهم اللبنانيين على الامتناع عن الانضمام الى مجموعات الثوار الفلسطينيين، أومساعدتهم[٩٥]. فالدروز الذين كانوا متحالفين مع الموارنة، ضد ما كانوا يدركونه، كتهديد عربي لاستقلال لبنان،

أثبتوا أنهم أقلّ تكتماً من حلفاء الدائرة السياسية المسيحيين، في تأييدهم الصريح لليهود الفلسطينيين، ومعارضتهم النشيطة للقضية العربية الفلسطينية. وعلى الرغم من ان الوكالة كانت مسرورة من المساعدة الدرزية على المستوى المحلي، في منع الدروز اللبنانيين والفلسطينيين، من تضخيم صفوف قوات الثوار، فإنها ظلت تتطلع مع ذلك، الى السلطات الحكومية البريطانية، والفرنسية، واللبنانية (التي كانت في الواقع صلاتها المارونية)، من أجل احتواء النشاطات الفلسطينية العربية على صعيد المنطقة.

ومن السخرية بمكان، ان تجيء العروض الوحيدة بالمساعدة السياسية في الحرب ضد المفتي، من رئيس الوزراء اللبناني، خير الدين الأحدب، المسلم السنّي، ومن مجموعة من الفلسطينيين العرب، من معسكر النشاشيبي على ما يبدو، المنافسين الرئيسيين للمفتي. ففي أوائل العام ١٩٣٨، قام الأحدب بزيارة القدس واجتمع بشرتوك. وروى شرتوك في تقريره الى الهيئة التنفيذية، عن قلق الأحدب من المعارضة النامية لادارة إدّه في لبنان، وحاجته الشخصية الى الأموال اللازمة لتعزيز مكانته. وبحسب شرتوك، فقد أفاض رئيس الحكومة عن الفوضى التي يحدثها المفتي ومؤيدوه في لبنان، وأبدى قلقه من إقدام المفتي، على تحويل بيروت الى مركز للدعاية العربية والارهاب. وقد امتدح الأحدب الجهود التي تبذلها الوكالة اليهودية، لإرغام الفرنسيين على إبعاد المفتي من لبنان، ليطلب بعد ذلك، الدعم المالي لخطته الخاصة المناهضة للمفتي. واقترح أن تموّل الوكالة صحيفة جديدة في لبنان، من أجل الدعاية لصالح طرد المفتي من البلاد. وقد عبّر شرتوك عن اهتمامه بالأمر (على الرغم من ان المبلغ المطلوب كان مستحيلاً) ولكنه أجل بتّه بانتظار إجراء المزيد من التحقيقات[٩٦]. وفي غضون ثلاثة أشهر لم يعد الأحدب في منصبه. ولكنه بقي على اتصال وثيق بالوكالة اليهودية، وتفجّع عليه ابشتاين لأنه «ربما كان باستطاعته فعل المزيد [من أجلنا] فيما لو بقيت مقاليد السلطة في لبنان، بيديه»[٩٧].

وتلقت الوكالة اليهودية من وفد اسلامي لبناني، اقتراحاً أكثر تفصيلاً، يهدف الى كبت المفتي، وإقامة علاقات سلمية بين لبنان وفلسطين، وقد أرسل هذا الاقتراح على ما يبدو، من طريق وسيط لأحد المنافسين الفلسطينيين الرئيسيين للمفتي، فخري النشاشيبي[٩٨]. وقد وعد خصوم المفتي، بالغاء الأعمال العدائية ضد اليشوف من خلال تقييد نشاطات المفتي في لبنان، أو من خلال طرده، إذا فشلوا في تقييده. وتعهّد الجانب العربي أيضاً، بتشكيل وحدات مسلحة، لقمع التظاهرات المعادية لليهود، وإنشاء حزب سياسي في لبنان، يدعو

لعلاقات سلمية بين لبنان وفلسطين، ويتولّى الدعاية بهذا المعنى، في وسط عامة اللبنانيين، واجتثاث كل الدعاية والنشاطات المناهضة لليهود من لبنان. وتوقع العرب في مقابل ذلك، ان يموّل الصهيونيون الميليشيا والحزب الجديد، وصحيفة عربية كبرى تكون ناطقة باسمه، وحملة لاستمالة الصحف اللبنانية الأخرى الى وجهة نظر موالية للصهيونية. ولا شك في ان الكمية الضخمة من المال المطلوب، والتشكيك الطاغي في قدرة الجانب العربي على تنفيذ برنامج كاسح موالٍ للصهيونية، قد أسهما في رفض الوكالة الموافقة على الاقتراح[٩٩].

وتضافرت عناصر تعزيز المفتي لسلطته في لبنان، والدعاية الفلسطينية، والتعاطف الصادق مع الفلسطينيين العرب، للتشجيع على معاداة الصهيونية في لبنان. وراحت الوكالة اليهودية تبحث عن حليف لبناني، عندما تبيّن لها فشل حملتها الصحافية العربية، وفشل التماساتها للفرنسيين بمكافحة نفوذ المفتي، على السواء. ومن الطبيعي أنها تطلعت أول ما تطلعت، نحو أصدقائها الموارنة. وعلى الرغم من عدم تفعيل أي اقتراح من المقترحات المختلفة، التي قُدّمت من أجل إحباط مساعي المفتي، فإن تلك المقترحات قدمت اثباتاً مثيراً للاهتمام لبعض الفرضيات في التفكير الصهيوني حول لبنان. فالمصالح المشتركة القائمة على أساس عدو مشترك، كانت موجودة، مثلما كان الاشخاص المستعدون لبحث تلك المصالح بجدية. والتفكير في إجراءات تعاونية. ومن السخرية بمكان، أن يأتي الاقتراح الأشمل ليس من موارنة، بل من مسلمين من السنة، يخوضون صراعاً على السلطة، مع ابن ملّتهم الحاج أمين الحسيني.

العلاقات الصهيونية ـ اللبنانية على طول الحدود

فيما كان القادة الصهيونيون والموارنة يجهدون لانتزاع فوائد سياسية من علاقتهم، كان اليهود واللبنانيون على طول الحدود، يواصلون مشاغل الحياة اليومية. وكانت السياسة الصهيونية تستهدف زيادة السكان اليهود في النقاط الاستراتيجية ضمن الجليل، في محاولة إبقاء المنطقة في أيدي يهودية، في حال نشوب الحرب، او تنفيذ خطة تقسيم نهائية. وبذلك، انتشرت المستوطنات اليهودية، نقاطاً على الحدود مع لبنان. أما النشاط الذي قام بين المستوطنين الصهيونيين وجيرانهم اللبنانيين، على مستوى خفيض، فقد شكّل نتيجة طبيعية بليغة، للنشاط السياسي على المستوى الرفيع، الذي كان قائماً بين أعلى الرُتب الصهيونية واللبنانية، في هذه الفترة. أما المسائل التي يتوجب النظر فيها، فهي

ما اذا كانت الوكالة قد حاولت أن تربط بين التجربة اليهودية - اللبنانية المحلية، والخطط الصادرة عن الدائرة السياسية، الهادفة إلى اقامة علاقات صهيونية - لبنانية، وما اذا كان تفاعل اليهود مع جيرانهم اللبنانيين، يعكس المحاباة الصهيونية الرسمية للمسيحيين اللبنانيين.

وكانت المطلة وكيبوتس كفار جلعادي في الشرق، وكيبوتس حانيتا في الغرب، ثلاث من أبرز المستوطنات اليهودية، على الحدود مع لبنان. وقد أُنشئت مستوطنة حانيتا في آذار/مارس ١٩٣٨، في خضم الانتفاضة الفلسطينية. وقد عمد شرتوك الى تسكين مخاوف البريطانيين، من أن يؤدي موقع حانيتا وتوقيت إنشائها، إلى مفاقمة الوضع الذي كان متوتراً على طول الحدود، بإبرازه رسائل متبادلة مع صديقه الأحدب، رئيس الوزراء اللبناني، يكفل فيها امن المنطقة الحدودية من حول حانيتا[١٠٠]. وكانت الوكالة اليهودية قد أعلنت أن الانشاء الناجح لمستوطنة حانيتا، يشكل برهاناً على أن النزاع في فلسطين لن يقطع علاقاتها الودية مع لبنان. وقال وايزمان باغتباط: «إن الأمر لا ينحصر فقط في حقيقة أن انشاء حانيتا، لم تعقبه أي ثورة، [ولكن] في حقيقة أن هذه المستوطنة، اقامت علاقات جيدة مع القرى العربية المجاورة، بل تلقّينا عروضاً بالمزيد من الأراضي في الجوار»[١٠١].

ان لهذه العلاقات التي اقامتها حانيتا مع جيرانها اللبنانيين، صلة بهذه الدراسة، كامتحان لأطروحة تحالف الاقليات، وكمؤشر على المدى الذي كانت الدائرة السياسية مستعدة، أو غير مستعدة، للذهاب إليه، في قيادتها للشؤون المتصلة بالعلاقة بين اليشوف ولبنان. وقد عكست تجربة حانيتا من هذه الناحية، تجارب المستوطنات الحدودية الأخرى. فمعظم القرى اللبنانية على طول الحدود، كانت قرى شيعية؛ اما القرى الباقية فكانت قرى مارونية. وكان المستوطنون اليهود، يتمتّعون بعلاقات جيدة على نحو متشابه، مع هذه القرى الشيعية والمارونية على حد سواء. وقد نمت بينهم علاقات اجتماعية، فكان اليهود يتلقّون الدعوات الى الاعراس، وولائم الأعياد والاحتفالات، وكانوا يبادلونهم بالمثل[١٠٢]. أما اليهود الذين شبّوا في المناطق على طول الحدود، فقد كانوا يتكلّمون العربية بالاضافة الى العبرية، وهم يتذكّرون الرحلات المدرسية الى قلعة الشقيف، ومباريات كرة القدم مع نظرائهم اللبنانيين، ورحلاتهم الى بيروت مع أهاليهم[١٠٣]. وعموماً، كان المستوطنون اليهود يسافرون بسهولة الى مدن جنوب لبنان الرئيسية، مثل صور وصيدا والنبطية،

فيما كان اللبنانيون يعبرون بحرية الى فلسطين، ويتجاسرون بالتوغّل جنوباً، وصولاً الى حيفا وتل أبيب. وكانت الطريق من لبنان الى السوق العربية الفلسطينية في البصه، تمر عبر حانيتا مباشرة[١٠٤].

أما اليهود الذين أمضوا سنوات شبابهم المبكرة على الحدود، فيذكرون أربعة مجالات للنشاط اليهودي - اللبناني، التي كانت تجاوز المجال الاجتماعي المحض: ١- كان المهاجرون اليهود غير الشرعيين، يدفعون المال لأشخاص لبنانيين لمرافقتهم الى حدود فلسطين، حيث كان القرويون المحليون يُخطِرون المستوطنين بوجودهم، ويهرّبونهم عبر الحدود. ٢: - كان المستوطنون يشترون البنادق من جيرانهم اللبنانيين، الذين كانوا يساعدونهم في تهريبها الى فلسطين. ٣: - كان اليهود يستخدمون صلات الجوار، لإيجاد ملاّكين لبنانيين، يملكون عقارات للبيع في فلسطين. ٤: - كان اليهود واللبنانيون، يشترون ويبيعون عبر الحدود، المواد الغذائية والمواشي والمنتوجات الزراعية والسلع المصنوعة، بصورة شرعية وغير شرعية، وكانت هذه العلاقة هي الأكثر ازدهاراً بينهم[١٠٥].

ويسارع اليهود الذين كانوا يعيشون على طول الحدود، إلى التأكيد أن المنطقة لم تكن شاعرية الأجواء. وقد شبّه احدهم تلك الفترة بفترة الغرب الاميركي العاصفة: فقد كانت تحدث بعض جرائم القتل، وكان هنالك بعض لصوص الأحصنة، وجو عام يتميز بانعدام القانون. ولكن المقيمين كافة في المناطق الحدودية، كانوا يعانون على حد سواء[١٠٦]. وغالباً ما كانت المستوطنات اليهودية، تتعرّض للهجمات اثناء الاضطرابات في فلسطين، ولكن سكانها كانوا مجمعين في تأكيدهم، على أن المهاجمين كانوا دائماً من الزمر العربية المسلحة غير النظامية، المتركّزة في قواعد في لبنان، وليس من جيرانهم اللبنانيين على الاطلاق[١٠٧]. ويؤكد مستوطنون سابقون، أن لا اعمال الشغب في فلسطين ولا المقاطعة العربية، قلّصتا النشاطات مع اللبنانيين، ويتشاطرون جميعاً الانطباع بان جنوب لبنان كان كياناً قائماً بحد ذاته، منفصلاً الى حد بعيد، عن سياسة بيروت، ولا صلة له بالفلسطينيين العرب[١٠٨].

وعلى الرغم من تردّد المرء عن الاعتماد على ذاكرة الناس، فان ذكريات الذين أُجريت معهم المقابلات، والتي كادت تكون متماثلة، تُضفي المصداقية على رواياتهم تماماً، مثلما تفعل رسائل المستوطنين من تلك الفترة[١٠٩]. ويمكن للمرء ان يجمع تقاريرهم ليرسم صورة الحدود ما قبل - الدولة. وتبرز من تحليل العلاقات اليهودية - اللبنانية عند الحدود،

ثلاث نقاط لها أهمية كبيرة في هذه الدراسة. النقطة الأولى، ان اليهود على المستوى المحلي، لم يُظهروا اطلاقاً، اي تفضيل لجيرانهم المسيحيين على جيرانهم المسلمين، على الرغم من تبني الدائرة السياسية لمفهوم الرابط الطبيعي بين الاقليات المسيحية واليهودية في الشرق الأوسط، كما ان المستوطنين السابقين يُجمعون في إصرارهم، على أنهم كانوا يتمتعون بعلاقات حميمة ومُربحة مع الشيعة، مثلما كان أمرهم مع الموارنة. وهناك نقطة أخرى ذات صلة بموضوعنا هي ان كل مستوطنة يهودية وضعت ترتيباتها التجارية الخاصة، المشروعة وغير المشروعة، مع القرى المجاورة لها. ويظهر هنا عاملان اثنان بارزان، الأول انه لم يكن هناك إحساس بوجود مصالح خاصة مشتركة مع المسيحيين مقارنة بالمسلمين، والثاني، ان الوكالة اليهودية تركت المواقع الأمامية اليهودية وشأنها، في علاقاتها مع اللبنانيين.

اما نقطة الاهتمام الثالثة، فتركّز على هذا الانعدام للتواصل بين الدائرة السياسية، وأولئك اليهود المقيمين على طول الحدود اللبنانية. وقد يفكّر المرء، بأنه كان حريّاً بالدائرة السياسية، ما دامت تعمل من أجل قيام تحالف مع لبنان، أن تُطلع المستوطنين على سياستها تجاه لبنان، وتعطيهم بعض الارشادات الخاصة باقامة العلاقات وتعزيز المصالح الصهيونية الأوسع فيه.

وكان يمكن لمخاتير المستوطنات، الذين خدموا كمنسقين امنيين وضباط ارتباط مع السلطات المحلية، ان يكونوا قناة ممكنة بين الدائرة السياسية واليهود المقيمين على الحدود. وقد عمد مختار واحد منهم على الاقل، إلى إرسال التقارير من تلقاء نفسه، إلى الدائرة السياسية. وكان هذا المختار يدعى يوسف فين من مستوطنة المطلة، (ومختار حانيتا فيما بعد)، الذي كان يكتب الى شرتوك بانتظام، والذي كان شرتوك يجد تقاريره قيّمة.[١١٠] وقد أدهش المستوطنين الذين كانوا يرافقون فين في رحلاته الى لبنان، الصلات الواسعة التي أقامها مع حرس الحدود، والافندية، والتجار، والمسؤولين الحكوميين، وأعضاء الهيئة العليا. ولكن فين، كان يمثل الشذوذ عن القاعدة. فقد كان يعمل في خدمة جهاز الاستخبارات، التابع للهاغاناه والصندوق القومي اليهودي، عندما جاء الى حانيتا، وكان الأكبر سناً من غيره من المخاتير، الذين كان يجري اختيارهم عادة، من بين المستوطنين الشباب. وعلى الرغم من أن الهاغاناه استخدمت اليهود المحليين استخداماً كاملاً، في

عمليات الاستخبارات، فإن الوكالة اليهودية، فضلت الامتناع عن استخدام المستوطنين، أو المخاتير لمؤازرة سياستها في لبنان.

ويستطيع المرء تصوّر بضعة أسباب وجيهة لعدم استخدام الدائرة السياسية لليهود المقيمين على الحدود كعملاء. فمعظم المستوطنين كانوا لا يكادون يجاوزون العشرين من عمرهم، وكانت الدائرة تشعر دائماً بالقلق، من إمكانية أن يعمد مساعدون متوقدون حماسة، ومفتقرون الى الخبرة، الى اساءة تمثيل أهداف الوكالة اليهودية، أو أن يقدّموا تعهّدات لا تستطيع الوكالة إجازتها. كما أن طبيعة العلاقات الصهيونية ـ اللبنانية (ولا سيما العلاقات السرية مع الموارنة من أعلى الرتب)، جعلت معظم نواحي السياسة تجاه لبنان غاية في السرية. والصحيح أيضاً، أنّ وزراء الخارجية يعملون على اساس الفرضية القائلة بأن العلاقات بين الدول تُقام وتُنجز على مستوى الدولة؛ وقد انطبق ذلك حتى على شبه الوزارة التابعة لشبه الدولة اليهودية.

ومع ذلك، فإن الدائرة السياسية، بابتعادها عن الواقع اليومي للعلاقات اليهودية ـ اللبنانية، لم تدرك أن هذا الواقع يتحدى الفرضية التي قام عليها اقتراح تحالف الاقليات، ومعظم سياستها تجاه لبنان، والقائلة بأن اليهود والمسيحيين يتشاطرون علاقة تجانس طبيعية تحابي الموارنة، وتستبعد المسلمين كحلفاء ممكنين. ومن الناحية الاخرى، فإن العلاقات الودية على الحدود الشمالية، بالمقارنة مع التوتّر على الحدود الاخرى كافة، عززت ذلك الإدراك ضمن اليشوف، أن لبنان يختلف عن غيره من الدول العربية؛ باستعداده لإقامة علاقات ودية مع فلسطين اليهودية.

الاستنتاج

أنتجت المحاولات التي بذلتها الوكالة اليهودية في اواسط الثلاثينيات وأواخرها، من اجل تحويل العلاقات الودية مع لبنان الى امتياز سياسي ملموس، سلسلة من المقترحات الرسمية لعقد تحالف معه، ولكن لم تؤدِّ إلى معاهدات فعلية. كما أن الاستعداد الماروني المستمر، لمناقشة النشاطات التعاونية، على الرغم من الرفض الماروني المتكرر للتعاون مع الوكالة علانية، في قضيتي لجنة بيل والمفتي على سبيل المثال، لم يوغر صدر الصهيونيين على ما يبدو، ضد مفهوم التحالف الماروني ـ الصهيوني. فقد عبّرت الوكالة عن شعورها بالإحباط؛ ولكنها عبرت أيضاً، عن تفهّمها للمكانة الدقيقة التي يحتلها اده وعريضة في

السياسة اللبنانية. وكان للمقترحات المختلفة التي عرضها هذان الرجلان، او التي نظرا فيها، تأثير في أولئك الصهيونيين الذين كانوا يميلون الى سياسة الاقليات، ما شجعهم في توقعهم بان يكون التحالف وشيكاً، وما ان تسمح الظروف بذلك. لكن الحملة من اجل احراز اتفاق رسمي صهيوني ـ لبناني، انهارت أمام خصوصيات النظام اللبناني. فقد كان على الوكالة اليهودية وهي تتعامل مع الرئيس اللبناني، ان تكافح ضد نفوذ المندوب السامي الفرنسي على إده، وحاجة إده الى استرضاء مواطنيه المسلمين، والانقسامات العميقة ضمن طائفة اده المارونية. فقد كانت السلطات الانتدابية الفرنسية تتحكم بلبنان تحكماً شديداً، جعل الرئيس عاجزاً عن اجراء مفاوضات، أو توقيع معاهدة باسم بلده، من دون اذن من المندوب السامي. وزاد الانقسام بين السلطات الفرنسية في باريس، وبيروت، في تعقيد المحاولات الصهيونية واللبنانية لكسب موافقة الفرنسيين على معاهدتهما المقترحة. وفي هذه الاثناء، بلغ الفشل في تطبيق أي اقتراح من هذه المقترحات، مبلغ الفشل في اختبار إمكانية قيام شراكة مارونية ـ صهيونية، مما اتاح لسياسة تحالف الأقليات، الاستمرار كخيار ممكن. وعلى المرء أن يلاحظ أن الافتراض كان دائماً، الافتراض القائل بان التحالف مع الموارنة، اذا ثبت، فهو غير قابل للتنفيذ، وإن السبب في ذلك يعود الى عجز الموارنة عن الوفاء بما يترتب عليهم في الصفقة. ولم يفكر أحد في أي وقت من الاوقات، أن الوكالة لن تستطيع تلبية ما يتوجب عليها من التزامات تتضمّنها أي معاهدة تعقدها.

وكانت للطبيعة الفئوية للطائفة المارونية اهمية كبيرة جداً، بالنسبة الى متابعة السياسة الصهيونية في لبنان. فالمنافسات المريرة بين المجموعات المارونية المختلفة، جعلت الوكالة اليهودية تعدل عن تنمية الروابط، مع أكثر من فئة واحدة، في الوقت نفسه. والقرار الذي قضى، باختيار سلة مارونية واحدة، لوضع البيض الصهيوني كله فيها، ألزم الصهيونيين بالالتصاق بإده وعريضة في السرّاء والضرّاء، بغض النظر عمّا اذا كانت هذه العلاقة تعطي نتائج ملموسة، أو عمّا اذا بدا أن هناك مجموعة مارونية أخرى، تعرض عليهم مساعدة عملية اكثر، في أي لحظة محدّدة. فالتنافسات المارونية الداخلية، استبعدت تحالفاً صهيونياً ـ مارونياً موحّداً.

كما ان صداقة الوكالة اليهودية مع الاحدب، والمقترحات المناهضة للمفتي، التي قدّمها خصوم الحاج أمين، عززت إدراك الصهيونيين أن المصالح الذاتية العملية، أو المصالح

الوطنية في لبنان، سوف تتغلّب على الإغراء الايديولوجي للعروبة، ومعاداة الصهيونية. وهذه الصداقة وتلك المقترحات، وهي استشعارات من خارج المجتمع المسيحي، كان ينبغي لها أن تبين ايضاً، الطبيعة القصيرة النظر، لتركيز الوكالة الضيّق على الموارنة. فالتجربة المحلية دلّت بالتأكيد، على إمكانية قيام صلة مزدهرة ذات فائدة مشتركة، بين الصهيونيين واللبنانيين، مسيحيين كانوا ام مسلمين. فالمستوطنون اليهود على طول الحدود اللبنانية، الذين تركتهم الدائرة السياسية وشأنهم، لم يُظهروا أي تفضيل للجيران المسيحيين على الجيران المسلمين، بل أقاموا علاقات مرضية مع الاثنين على السواء. وفيما عززت هذه الحقيقة، نظرية الاستعداد اللبناني على تقبل الصهيونية، فانها تحدّت ايضاً، الفرضية الموالية للموارنة، والقائلة بأن اليهود والمسيحيين يتشاطرون انسجاماً عضوياً في المصالح.

وعلى الرغم من أن الموارنة لم يكونوا قادرين على التعاون مع الوكالة اليهودية، في تلك المناسبات التي طلب فيها الصهيونيون مساعدتهم، فإن التأثير لمقترحات التحالف المستمرة، خلق وهماً بإحراز التقدم. فقد اقترح إده على جاكوبسون اقتراحات جامحة وكاسحة من أجل عقد معاهدة لبنانية ـ صهيونية، وشجّع عريضة اقتراح إقامة جمعية الصداقة في أوائل الثلاثينيات، ومع حلول العام ١٩٣٦، كان إده مستعداً للتفاوض حول اتفاق يجري تضمينه في المعاهدة الفرنسية ـ اللبنانية. ومع حلول العام ١٩٣٧، كانت مسودّة معاهدة مقبولة من الصهيونيين واده، مكتوبة على الورق. وفي العام ١٩٣٨، كان الميثاق الذي وُضع للجمعية اللبنانية ـ الفلسطينية، الحائز على قبول كلا الطرفين، مكتوباً على الورق ايضاً. وكان اولئك الذين يميلون الى موقف موالٍ للموارنة قادرين بكل سهولة، على لوم الظروف الخارجية، والهيمنة الفرنسية على لبنان بالدرجة الاولى، لعدم تحوّل اي من هذه الاتفاقيات، الى اتفاقية سارية المفعول. وكان البديل من ذلك، الاعتراف بإن إده وعريضة يمثّلان فئة صغيرة واحدة، من فئة متقلصة واحدة في المجتمع اللبناني، ولن يكون باستطاعتهما اطلاقاً، الالتزام علناً، بتحالف صهيوني مكروه من معظم مواطنيهم. ومن سوء حظ الاستراتيجيين الصهيونيين، فشلهم في الادراك بأن هذا الأمر، يشكل تقييماً للوضع، أكثر واقعية من أي تقييم آخر.

ولقد خطت الوكالة اليهودية ووسطاء صلاتها الموارنة، بعلاقاتهما الى الامام، بخطى بطيئة وصغيرة؛ ولكن هل كان هؤلاء متوجهين في الواقع، الى أي وجهة محددة على الصعيد العملي؟ لقد تنبأ المعسكر الموالي للموارنة في الدائرة السياسية، بأن يؤدي أي

انسحاب فرنسي من لبنان، إلى منح إده الحرية التي كان يفتقر إليها، لتوقيع معاهدة مع الوكالة اليهودية، والى ترك المجتمع المسيحي يشعر نفسه معرّضاً، الى درجة تكفي لتوحّد مختلف الفئات حول سياسة من هذا النوع، موالية للصهيونية. ولقد انتهى تركيز الوكالة على الحاج امين، بانتهاء الثورة في فلسطين، في العام ١٩٣٩، وفرار المفتي من لبنان الى العراق، وفي النهاية، إلى برلين. ولكن الكتاب الأبيض البريطاني في العام نفسه، ونشوب الحرب العالمية الثانية، خلقا ظروفاً جديدة وعصيبة في الشرق الأوسط. وفي سياق الأزمات التي ستعصف بلبنان وفلسطين في الاربعينيات، سوف تكون هنالك محاولات ضاغطة أكثر من ذي قبل، من أجل جعل التحالف الصهيوني ـ الماروني قابلاً للتنفيذ.

الفصل الخامس

التحالف الصهيوني ـ الماروني: ضغوط من اجل تحقيق نتائج

لم ترحم حالة الطوارئ الشاملة الناشئة عن الحرب العالمية الثانية، لا لبنان ولا فلسطين. فقد حملت هذه الفترة للصهيونيين أولويات جديدة ضاغطة، كمثل المعارك المتضاربة ضد الكتاب الابيض البريطاني للعام ١٩٣٩، وكمثل تحالفهم مع البريطانيين ضد النازيين. وعندما انتهت الحرب العالمية، احتدمت الحرب على فلسطين؛ فقد راح اليشوف يكافح من اجل إنشاء دولة مستقلة فيما كان يخوض نزاعات مع الفلسطينيين العرب والبريطانيين، وفيما كانت تمزقه الفئات الصهيونية المتنافسة. ومع حلول العام ١٩٤٥، كان بن - غوريون يركز اهتمامه بصورة حصرية تقريباً، على الجهوزية العسكرية، واثقاً من أن ولادة الكومونولث اليهودي الجديد سوف يكون دموياً، فيما استمرت الدائرة السياسية برئاسة شرتوك، في بذل جهودها الديبلوماسية لتعزيز المكافحة السياسية لليشوف، وضمان انشاء الدولة اليهودية، من دون ان يكون ذلك بالضرورة، بسبب اختلافها في الرأي مع بن ـ غوريون.

وتولى الياهو ابشتاين منصب مدير المكتب السياسي للوكالة اليهودية في واشنطن، في العام ١٩٤٥. وعلى الرغم من ان لبنان كان قد اصبح الآن، اقل اهمية بالنسبة الى الاهتمامات الاخرى التي كانت تُشغل الصهيونيين، فقد حاول ابشتاين، النصير الاول

للسياسة المؤيدة للموارنة، في الدائرة السياسية، استخدام منصبه الجديد وصلاته الاميركية، لدفع العلاقة الصهيونية ـ المارونية قدماً الى الامام. وقد مثّلت الجولات في الشرق الاوسط التي قامت بها لجنة التحقيق الانجلو ـ أميركية في العام ١٩٤٦، ولجنة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين للعام ١٩٤٧، فرصاً سانحة للتعاون الصهيوني ـ الماروني.
ولم تكن الوكالة اليهودية في هذا الوقت الذي دخل فيه النضال من اجل الاستقلال مراحله الاخيرة، رافضة اجراء محاولة اخيرة، للالحاح بطلب مساعدة عملية من صلاتها المارونية؛ ولكن لم تكن تراودها توقعات كبيرة بان تعطي العلاقة الصهيونية ـ المارونية القائمة منذ وقت طويل، ثمارها السياسية فجأة. إلاّ أنّ الدائرة السياسية راقبت بشيء من الفزع، أحداثاً في لبنان تشير الى انزلاق «لبنان المسيحي» الى الحظيرة العربية. وكان السؤال عمّا إذا كان قلق صلاتها المارونية من هذا الادراك نفسه، قلقاً يكفي لجعلها تتحرك اخيراً، تحركاً حاسماً من أجل المصالح المسيحية ـ الصهيونية المشتركة؛ فقد كانت النتيجة الاهم لاحداث لبنان في زمن الحرب، وفي فترة ما بعد الحرب، بالنسبة الى الوكالة اليهودية، هي سقوط اصدقائها اللبنانيين الرئيسيين من السلطة. فالفئات المتنافسة في البلد، التي كانت تطالب بالانسحاب الفرنسي وبلبنان مستقل استقلالاً حقيقياً، كانت تتصارع على قيادة الدولة الجديدة. وعمدت السياسية اللبنانية المضطربة في النهاية، الى احالة تلك الدوائر الاقرب الى الوكالة اليهودية، الى الهوامش السياسية، فيما اعلن خصومهم برعاية البريطانيين، سياسة اكثر توفيقية تجاه المسلمين اللبنانيين والعالم العربي ـ المسلم. ووجد الموارنة من أمثال إده وعريضة، هذا المزيج من الصعود الاسلامي وخسارتهم لنفوذهم، امراً لا يطاق. فهل اصبحوا اخيراً، على درجة من اليأس كافية ليقدموا على اتمام العلاقة مع الوكالة اليهودية، في محاولة اخيرة لاستخدام المساعدة الصهيونية، من اجل استعادة مواقعهم ومواقع طائفتهم؟ اذا كان الامر كذلك، فهل كان ما تبقى لهم من نفوذ كافياً لاسناد التزاماتهم؟

النفوذ الصهيوني في لبنان: ضحية من ضحايا الحرب

مع نشوب الحرب العالمية الثانية في ايلول/سبتمبر من العام ١٩٣٩، اعلن المندوب السامي الجديد في لبنان غابرييل بوو، حالة الطوارئ، وحلّ البرلمان، وعلّق الدستور. واستبقى بوو اده رئيساً، لكنه حدّ من سلطته حدّاً شديداً، أما إده، الذي كرّس حياته السياسية برمتها لبلوغ الرئاسة، فقد وجد هذا المنصب مثيراً لخيبة كبيرة. وكتب كمال

اكثر في عهد بوو». وإن لم يكن التدخل الفرنسي مجهداً بما فيه الكفاية، فإن الرئيس في ادارته للحكم، كان يواجه عند كل خطوة، عراقيل خصمه القديم بشارة الخوري. وإزاء مواجهته لكل هذه المصاعب، أقلع اده في النهاية، عن الحضور الى مكتبه في قصر الحكومة. فالقليل الذي بقي له من السلطة، كان يستطيع ممارسته بسهولة من بيته الخاص[١].

وبعد مرور اربعة اشهر على تثبيت بوو لإده كرئيس للدولة، رفع ساسون تقريراً يقول فيه إن سلطات الانتداب تحكم البلد، وإن اده، وهو الشخصية المحورية في العلاقات الصهيونية مع لبنان، «لم يكن سوى رمز»[٢]. اما إده المذعور، المستميت لتقوية مكانته، فقد تحدث مرة اخرى، عن التحالف مع الصهيونيين، وطالب باجتماعات اسبوعية مع ممثل للوكالة اليهودية؛ ولكن ساسون لم يعده بأكثر من زيارته، كلما جاء الى بيروت، إلاّ اذا اصبح مستعداً لتقديم خطة للعمل[٣].

وفي الرابع عشر من حزيران/يونيو من العام ١٩٤٠، احتلت القوات الالمانية فرنسا، وجاءت الى السلطة في فيشي، بنظام متعاون، برئاسة هنري بيتان. ومع حلول نهاية العام استبدل بوو بموالٍ مخلص لحكومة فيشي، أكثر حماسة منه، هو الجنرال هنري دينتز. وعندما اخفقت حكومة إده المزعزعة في احتواء الاضطرابات، استغل دينتز الفرصة ليجبر اده على الاستقالة. وهكذا، لم يعد إده، اكثر الحلفاء السياسيين وفاء للصهيونيين، رئيساً للجمهورية، بل اصبح احد اعضاء المعارضة الخائبين. ومع سقوط إده فقد مؤيدون آخرون للصهيونية، مثل شارل قرم او البرت نقاش، مصدرهم الرئيسي للدعم الحكومي الرسمي، ان لم نقل فقدوا مكانتهم ايضاً.

وفي نيسان/ابريل، من العام ١٩٤١، عيّن دينتز ألفرِد نقاش، وهو قاضٍ ماروني ثري، خلفاً لإده. وكان ألفرد نقاش يشاطر قريبه، وصديق الوكالة اليهودية الحميم، البرت نقاش، عواطفه الموالية للصهيونية. ومع ذلك شكل تعيينه ضربة لنفوذ الوكالة في لبنان. فقد اثبت نقاش أنه حتى اكثر تحفظاً من إده، في ما يتعلق بالعمل الحاسم من اجل المصالح المارونية ـ الصهيونية؛ بل قيده الفرنسيون في سلطاته الرئاسية اكثر مما فعلوا مع اده. وعلى عكس اده، فقد حافظ نقاش على علاقة باردة فحسب، مع عريضة. وكان لتدهور الروابط بين الرئيس الجديد والبطريرك، خلال الاشهر العاصفة التالية، ان زاد في اضعاف كتلة الدعم الماروني، التي كانت للصهيونيين في السابق.

ولقد اكتسب لبنان اهمية جديدة في ما يتعلّق بالمجهود الحربي للحلفاء، في ربيع العام ١٩٤١، عندما هدد التقدم الذي كان يحرزه الالمان، المواقع البريطانية في الشرق الاوسط. وكان البريطانيون والصهيونيون على حد سواء، يراقبون بقلق، تسلل الدعاية الالمانية الى وسط اللبنانيين والسوريين. وكان شرتوك يشعر بالقلق في بداية الامر، من امكانية ان يميل حتى المسيحيون، الى قوى المحور، في حال ادى الضعف المستمر للموقف الفرنسي، الى دفع الموارنة نحو التطلع الى ايطاليا، الدولة الكاثوليكية الرئيسية ومقر الفاتيكان، كحاميتهم الجديدة[٤]. ومن الواضح، أن لهفة دينتز الى التعاون مع المانيا النازية جعلت شرق البحر المتوسط الفرنسي على خلاف مع فلسطين البريطانية، وانتاب بريطانيا القلق من ألاّ يمرّ وقت قصير إلاّ وجحافل النازيين تكون قد دخلت عبر البوابة اللبنانية التي فتحها دينتز بهذه الصورة المضيافة. وبلغت الوكالة اليهودية شائعات، مفادها أن حكومة فيشي وقّعت اتفاقية مع برلين تطلق المانيا بموجبها اسرى الحرب الفرنسيين، في مقابل اطلاق يدها في انحاء لبنان وسوريا، وان غرف الفنادق حجزت في انحاء المنتجعات اللبنانية، من اجل السيل الالماني المتوقع[٥]. واصبح التهديد الالماني لا يطاق، بالنسبة الى الحلفاء، عندما بدأت القوات المسلّحة الالمانية تستفيد من تسهيلات الانزال، والتزوّد بالوقود وغيرها، التي منحها لهم دينتز في لبنان وسوريا الخاضعين لانتداب حكومة فيشي[٦].

وبدأت عملية «اكسبورتر» في الثامن من حزيران/يونيو، من العام ١٩٤١، ودامت ٣٤ يوماً، استولت خلالها قوات الحلفاء على بيروت، وطردت نظام فيشي وقواته من شرق البحر المتوسط[٧]. واطلق البريطانيون والفرنسيون الاحرار في البيانات الأولى الصادرة عنهم، اثناء دخول قوات الحلفاء الى لبنان، مناشدات تطلب الدعم المحلي، وتتعهد بان يجلب انتصار الحلفاء، الاستقلال الكامل لكل من سوريا ولبنان[٨]. وفي بيروت استُقبل زعيما فرنسا الحرة ، الجنرال شارل ديغول والجنرال جورج كاترو، استقبالاً ودياً تميز بدعم ماروني كامل وبتفاؤل مسلم حذر[٩]. وحل كاترو محل دينتز «مندوباً عاماً» جديداً للانتداب الفرنسي في لبنان وسوريا.

وسارع ساسون الى بيروت، في اعقاب اجتياح الحلفاء، لتقييم الوضع الجديد، فاكتشف أن النفوذ البريطاني في لبنان، حتى من بعد عودة الفرنسيين الاحرار الى السلطة هناك، كان يثير المخاوف في وسط الموارنة، من ضم لبنان الى وحدة عربية، يرقبها البريطانيون. وقدّر ساسون الشكّاك عادة، أن يكون الموارنة وغيرهم من المسيحيين، قد

اصبحوا مستعدين الآن، للتعاون السياسي مع الصهيونيين، خصوصاً لأنهم كانوا يخشون ان تنجح بريطانيا في تشكيل وحدة عربية[١٠]. وقد اسهم حتى بشارة الخوري، نصير التعايش المسيحي ـ المسلم، في تقدير ساسون لقلق الموارنة، عندما درس، كما يزعم، مسألة استخدام المساعدة الصهيونية لضمان المكانة المارونية[١١]. واتضح لساسون وهو يحقق في الوضع، أن إده وجماعته قد فقدوا معظم قوة تأثيرهم؛ ولكنه لاحظ ايضاً، وجود اشارات تدل على تراجع مكانة «عريضة» السياسية ايضاً. فقد اسرّ الاسقف عبدالله الخوري لساسون، بعد مرور شهرين على الاجتياح، بان اي مسؤول بريطاني او فرنسي، لم يستمزج بعد آراء البطريرك حول مستقبل لبنان السياسي[١٢]. واسهم ادراك الوكالة اليهودية لتدهور مكانة صلاتهم المارونية طيلة هذه الفقرة، في انخفاض مرتبة لبنان في سلم الاولويات الصهيونية.

وفي تشرين الثاني/نوفمبر من العام ١٩٤١، اعلن الجنرال كاترو استقلال لبنان، واعاد تثبيت الفرد نقاش رئيساً، لكنه احتفظ لفرنسا بامتيازات خاصة مستمرة[١٣]. واثار إعلانه هذا مشاعر العداء في انحاء لبنان، كما اثار ازمة كاملة في العلاقات بين الرئيس والبطريرك، كانت لها تبعات كبرى بالنسبة الى النفوذ الصهيوني في هذا البلد. فقد اعترض عريضة على الاستقلال غير الكامل الذي منحه كاترو للبنان، واستاء من تجاهل كاترو الصارخ لمرشحه الرئاسي بشارة الخوري. فعلى الرغم من دعوة الخوري الى التعاون الحذر مع المسلمين، فإن عريضة ادرك ان في اذعان النقاش للهيمنة الفرنسية المستمرة على لبنان، الخطر الاكبر على استقلاله. وبحسب رواية ساسون، اذهل البطريرك المجتمع اللبناني، برفضه ارسال ممثل عنه الى حفل تنصيب نقاش، مختاراً عوضاً عن ذلك، عقد مؤتمر خاص في عيد الميلاد، في بكركي، «هاجم فيه النظام الجديد، والاستقلال الزائف، واعضاء الحكومة [مطالباً] الشعب اللبناني بالامتناع عن الاعتراف بالحكومة القائمة، وعن الالتزام باي اتفاقيات»[١٤].

وقام ابشتاين بزيارة نقاش المحاصر، ناقلاً اليه اطيب تمنيات الوكالة اليهودية، وملاحظاً بسرور، اهتمام نقاش باليشوف. وقد اثار الرئيس بحسب ابشتاين، مسألة التعاون الماروني ـ الصهيوني بالاشارة الى «الاهمية الخاصة لتوثيق العلاقات بيننا من اجل الدفاع عن مصالحنا المشتركة، في مؤتمر السلام القادم، الذي سيحضره بالتأكيد، الاعداء المشتركون للبنان المسيحي، وفلسطين اليهودية[١٥]. واكد له ابشتاين بان الوكالة

متلهفة للقائه مرة اخرى، للبحث في هذه المصالح المشتركة بتفصيل اكبر(١٦). وعلى الرغم من ان ابشتاين وجد عواطف النقاش الموالية للصهيونية مشجعة، فان موقع الوكالة في لبنان كان يزداد سوءاً في الحقيقة. فالصهيونيون وجدوا بشخص النقاش، وهو الرئيس الضعيف المكروه من الشعب، والمفروض على البلد من قوة اجنبية، حليفاً ودوداً ولكنه غير مؤثر. اضف الى ذلك، ان النزاع بين عريضة ونقاش، شق التحالف الموالي للصهيونية، للمؤسستين الدينية والسياسية، الذي تمتعت الوكالة بوجوده خلال سنوات عريضة ـ اده.

وأسهم التوتر بين بريطانيا وفرنسا، حول مسألة الانتخابات الحرة في لبنان ونتائج تلك الانتخابات، في زيادة تدهور النفوذ الصهيوني هناك. فقد طالب ضابط الارتباط البريطاني في سوريا ولبنان، الجنرال ادوارد سبيرز، كاترو مراراً بالسماح باجراء انتخابات حرة، ولكن كاترو الذي كان يخشى فوز القوميين كان يرفض تكراراً ايضاً. ولقد انحازت الفئات اللبنانية وفقاً لرأي كاترو، فقاد اده الجماعة المارونية (بما فيها الفرد نقاش) التي كانت تفضّل تأجيل الانتخابات والاحتفاظ بعلاقة خاصة مع فرنسا. فيما اختارت جماعة خوري، التي انضم اليها المسلمون والقوميون العرب، الجانب البريطاني، مطالبة باجراء انتخابات فورية، وبلبنان مستقل ومندمج اندماجاً كاملاً بالعالم العربي(١٧). ووافقت فرنسا على مضض، بضغط بريطاني متواصل، على السماح باجراء الانتخابات اللبنانية في صيف وخريف عام ١٩٤٣، ولقد تحققت المخاوف الفرنسية بسرعة، بانتخاب بشارة الخوري رئيساً.

في تحليله لهذا التحوّل الاخير في الاحداث، وصف ساسون انتخاب بشارة الخوري انتصاراً للعروبة، واستطاع ان يفهم، على الرغم من الضربة التي سددها انتخاب الخوري الى العلاقات الصهيونية ـ اللبنانية، أن الرئيس الجديد، «الماروني المخلص واللبناني المخلص» لم يخن الطائفة المارونية بتعاونه مع العروبيين. واعترف ساسون للخوري، بقدرته على الادراك بان التيارات السياسية والديموغرافية كانت تحدث تآكلاً في المكانة المارونية، يتعذّر الغاؤه. وفيما دعا اده الى الاعتماد على الدعم الفرنسي لمساندة لبنان مسيحي معزول عن العالم العربي، كانت استراتيجية الخوري انقاذ ما يستطيع انقاذه من الامتيازات المسيحية، من خلال التعاون اللبناني مع العالم المسلم، بشروط لبنانية؛ اي ان لبنان، في مقابل قبوله لمكانه الطبيعي بين الامم العربية، يطالب بألا يتقلّص استقلاله، بفعل

اي مقترحات لوحدة عربية، وبأن يعترف العالم المسلم بالعنصر المكوّن المسيحي الفريد فيه.

وكانت لدراية بشارة الخوري بالسياسة، تأثير في فرنسا، اقل بكثير من التأثير الذي تركته في ساسون. ولقد رد خلف الجنرال كاترو، جان هيلو، بقوة على النية المعلنة لادارة الخوري بتولي كامل السلطات الحكومية وخفض مكانة البعثة الفرنسية الى مكانة السفارة العادية. وعلى الرغم من تحذير هيلو من أن فرنسا لن تحتمل تعديلات لبنانية من طرف واحد، للدستور، فإن الحكومة اللبنانية الجديدة استمرت في خطها. وفي الساعة الرابعة من صباح الحادي عشر من تشرين الثاني/نوفمبر من العام ١٩٤٣، ارسل هيلو قوات فرنسية لاعتقال بشارة الخوري ووزرائه من فراشهم(١٩).

وفي لحظة ستكون آخر لحظة اذلال له، قبل اميل اده اعادته الى منصبه كرئيس جديد للدولة. وردّ الشعب اللبناني بغضب شديد، وكتب البرت حوراني أن «القضية الوطنية اخذت [للمرة الاولى] الاسبقية على النزاعات الطائفية المترسخة، وقلة حتى من بين الموارنة، عزلت نفسها عن الجبهة الموحدة»(٢٠).

وعمد وزيران افلتا من الاعتقال، الى ادارة الحكم من قرية جبلية معزولة، متمتعين بالتأييد العلني للبطريرك والمسيحيين كافة، وكل السكان تقريباً، فيما «فشل اده الجالس وحيداً تقريباً، في مبنى فارغ، في تشكيل حكومة»(٢١). ولاحظ ساسون أن الفرنسيين بسجنهم لبشارة الخوري واعضاء حكومته، جعلوا منهم ابطالاً؛ وعلّق كاترو بأنّ «خطوة هيلو... وحّدت الامة اللبنانية برمتها ضد فرنسا، في ليلة واحدة»(٢٢). واستنتج هوروفيتس أن «الفرنسيين الاحرار [بتحركهم ضد حكومة الخوري] قد احدثوا بالضبط، التأثير المعاكس للتأثير الذي كانوا يتوخونه، لانه زاد في حدة الرغبة المسيحية والمسلمة على السواء، في اعلان الاستقلال؛ وفي تصميمهم على منع فرنسا، من انقاذ اي مكانة مميزة لها على ارضهم»(٢٣). وبعد مرور اثني عشر يوماً، لان الفرنسيون واعادوا الخوري واعضاء حكومته الى مناصبهم.

ووجدت الوكالة اليهودية لبنان ما بعد الانتخابات، بلداً مضيفاً أقلَّ من ذي قبل بالتأكيد. وحتى الشبيبة الفينيقية الموالية بحماس للصهيونية، انشقت الى معسكرين احدهما معسكر موالٍ لإده، والآخر موالٍ للخوري. ففرنسا، بمعاملتها الغاشمة لحكومة

الخوري المنتخبة على الاسس الصحيحة، خلقت اعداء لدودين لها في وسط معظم اللبنانيين، وفقدت ايضاً، قدراً كبيراً من التأييد الماروني. وانقضت ثلاث سنوات تقريباً، قبل ان يغادر آخر مسؤول فرنسي البلد؛ وفي هذا المناخ، كان اللبنانيون الاقل شعبية، هم اولئك الموارنة، الذين بقوا مخلصين لفرنسا، أي الاصدقاء القدامى للصهيونيين، من امثال اده والنقاش وقرَم. وكتب ابشتاين أن الدائرة السياسية، وجدت كواليس السلطة السياسية في لبنان، حتى أقل تشويقاً من ذي قبل، بسبب إقدام بشارة الخوري على توظيف اولئك المسيحيين غير الموارنة، (وكان العديد منهم عروبيين)، في الادارة العامة، بعدما كانت روابطهم المتوترة مع فرنسا قد منعتهم في السابق، من تولي مناصب ذات نفوذ سياسي(٢٤). ولكن الامر الذي كانت له اهمية بالغة بالنسبة الى الصهيونيين كان ذلك الفارق اللافت بين منظور اده للعالم العربي، ومنظور الرئيس الجديد له.

ويقارن الصليبي بين الرجلين، فيصف اده بالشخص «الفرنسي تماماً في ثقافته... المتعجرف [و] السريع الغضب»، الذي لم يحظ يوماً بالتأييد، خارج نطاق السكان المسيحيين، تستحوذ على رؤيته فكرة تهديد المسلمين لبلده وطائفته(٢٥). اما بشارة الخوري، فيظهر بالمقارنة، رجلاً يتميّز بالتكتم الهادئ، طليقاً بالعربية، وعلى معرفة عميقة بثقافتها، له على الصعيد السياسي، صلات جيدة بدوائر مسلمة ودرزية. وعلى الرغم من ان ابشتاين كان يكن عطفاً اكبر، لصديقه الحميم اده؛ إلاّ أن وصفه للخوري كان متطابقاً مع الصورة التي رسمها الصليبي، لرجل يشعر كأنه في بيته عندما يكون وسط المفكرين العرب، ومقبول من المسيحيين والمسلمين على حد سواء(٢٦). وفي الوقت الذي كان فيه تأييد اده للصهيونية سرّاً شائعاً، اكتسب بشارة الخوري صفته المميزة كمؤيد للفلسطينيين، خلال اضطرابات العام ١٩٣٦، من خطاب لاذع ألقاه في البرلمان، هاجم فيه اده والمشاركة اللبنانية في معرض اقيم في تل ابيب، في ذلك العام.

ولم يكن الخوري، كما لاحظ ساسون، اقل مارونية من إده، ولا اقل منه اهتماماً بالنفوذ المسيحي في لبنان، ومن المؤكد أنه لم يكن غافلاً للخطر الكامن الذي يواجه المسيحيين كاقلية في الشرق الاوسط، وربما في لبنان نفسه. وقد اثبت الخوري أنه رجل سياسي عملي اكثر مما هو ايديولوجي. فقد كان يؤمن بان «لبنان الصغير» لا يمكنه ان يبقى ويستمر، فيما يستطيع لبنان الكبير البقاء والاستمرار، فقط في سياق شراكة مسيحية ـ اسلامية. ولقد سلّم بشارة الخوري، بصحة ان لبنان لا يمكن فصله عن البلدان

مسيحية ـ اسلامية. ولقد سلّم بشارة الخوري، بصحة ان لبنان لا يمكن فصله عن البلدان
الناطقة بالعربية المحيطة به، وهي النقطة التي يتفق بشأنها القوميون العرب من مسيحيين ومسلمين. وعلى عكس اده، لم يكن بشارة الخوري يرى في فرنسا ضامناً للاستقلال اللبناني، بل عقبة في طريق التعاون المسيحي ـ المسلم، الذي يستطيع وحده ضمان هذا الاستقلال. وكان يقول بضرورة ان يكون المسيحيون في مقدمة العاملين لاخراج الفرنسيين، وان يعترفوا بالروابط التي تربط لبنان بالعالم العربي، فينالوا بالتالي، ثقة المسلمين، ويضمنوا امنهم. وفيما كان اده يرى في المسلمين اعداء للبنان المسيحي، كان بشارة الخوري يراهم كحلفاء في النضال ضد الاستعمار الفرنسي(٢٧). ولأن ابشتاين وغيره من الذين كانوا يميلون الى مفهوم تحالف الاقليات، كانوا على صلة وثيقة بإده اكثر من اللازم؛ فانهم لم يعطوا الاهتمام الكافي لتلك العوامل التي دفعت بالعديد من الموارنة الى اعتناق سياسة توفيقية حذرة مسيحية ـ اسلامية. ولكن ساسون وغيره من المحللين، الذين كانوا يماثلونه في الرأي، فهموا أنه في ما يخص هؤلاء الموارنة، فان اتخاذ موقف موال للصهيونية، لن يجدي نفعاً، إلاّ في إحباط المصالحة التي كانوا يحاولون تحقيقها، مع مواطنيهم المسلمين.

ودفعت فلسفة التعاون المسيحي ـ الاسلامي هذه، ببشارة الخوري، مثلما دفعته حاجته الى تصوير نفسه كنقيض لإده، في سياق تنافسهما، الى اعتناق الخط القومي العربي (مع شرط يكرر مراراً، استقلال لبنان)، ولم يكن هناك برهان على عروبة المرء اكبر من معاداته للصهيونية(٢٨). وعلى الرغم من ان الوكالة اليهودية حافظت على صلة أدبية، غير منتظمة مع الرئيس الجديد، فإنه كان واضحاً أن بشارة الخوري لم يكن صديقا لها، فقد اتخذ لبنان في ظل ادارته موقفاً رسمياً، معادياً للصهيونية، وحل الموارنة المعادون للصهيونية في المقدمة. وعلمت الوكالة أن الخوري اصدر تعليمات صريحة الى ممثله الديبلوماسي في لندن كميل شمعون، تقضي بان «يتخذ موقفاً مغالياً لا هوادة فيه، ضد التطوير اليهودي لفلسطين(٢٩). وبلغ الدائرة السياسية تقرير آخر، يفيد بانشاء «مكتب لمناهضة الصهيونية» في بيروت، تديره لجنة تتألف من مسيحيين بصورة رئيسية(٣٠). وكتب رجل اعمال يهودي في لبنان، الى بن ـ غوريون مباشرة، ليبلغه عن النشاطات المتزايدة، المعادية للصهيونية، التي تقوم بها الشبيبة المارونية(٣١). وفي خريف العام ١٩٤٤، سافر ابشتاين الى بيروت للاحتجاج على تهجمات موارنة بارزين، على الصهيونية، في مجلس النواب اللبناني، ولكن احد مخبريه ابلغه أن بشارة الخوري، وفي

ضوء المنازعات البريطانية ـ الصهيونية، دعا إلى «ان يحذر المسيحيون في صلاتهم بيهود فلسطين، بما ان اي خير لن يأتيهم من هذه العلاقة، بل سيدمرون انفسهم في نظر المسلمين والبريطانيين [على السواء]»[٣٢].

وقد توسعت داخل لبنان، بدعم رسمي من ادارة بشارة الخوري، المشاعر المناهضة للصهيونية، منَ دون ان يعترض سبيلها شيء. وعكست المعاداة الشعبية للصهيونية، المعارضة لمكاسب اليهود في فلسطين، كما عكست المخاوف من النوايا الصهيونية تجاه لبنان نفسه[٣٣]. اما التهم باقدام الصهيونيين على شراء قطع كبيرة من الاراضي في لبنان، وشراء جميع الاسهم ايضاً في مصالح تجارية لبنانية، فقد حضّت على اصدار قوانين جديدة تحدّ بطريقة متشددة من تسلل رؤوس الاموال الاجنبية، ومن شراء الاجانب لأراضٍ في لبنان[٣٤]. وكان جهاز الامن الفرنسي، يرصد تحركات المسؤولين الصهيونيين الذين يسافرون الى لبنان، والمشتبه بمحاولاتهم شراء ممتلكات فيه من اجل توطين لاجئي ما بعد الحرب من اليهود الاوروبيين، في الوقت الذي خضع فيه المندوب السامي لضغوط شديدة لتطبيق القيود المفروضة على مبيعات الاراضي[٣٥]. وعلى الرغم من القوانين اللبنانية الجديدة، فإن ممثل البطريرك عريضة في فلسطين فاتح، سراً، الصندوق القومي اليهودي مرات عديدة، بشأن عروض زعم بانها من البطريرك، لبيع عقارات في لبنان لليهود الفلسطينيين او المؤسسات الصهيونية[٣٦].

وقد انكر شرتوك علناً وبصراحة، وجود مخططات صهيونية تجاه لبنان؛ لكن الصحافة اللبنانية غير المقتنعة، استمرت في نشر التقارير التي تقول بان شركات يهودية تعمل في لبنان، وبان بعض الشركات اللبنانية كانت في الحقيقة، واجهات تعمل من اجل استغلال لبنان لما فيه صالح الصهيونية[٣٧].

ومما زاد في هلع الصهيونيين ان بشارة الخوري اثبت صدق دعواته الى التعاون المسيحي ـ المسلم، داخل لبنان، والى تعاون لبناني اوثق مع باقي العالم العربي. فقد تحالف خلال حملته الرئاسية مع رياض الصلح، الذي انضم الى الدعوة للبنان عربي ولكن مستقل. واسبغ الرجلان، الاول بصفته رئيساً للجمهورية، والثاني بصفته رئيساً للوزراء، الطابع الرسمي على هذه التسوية المسيحية ـ الاسلامية، في اتفاقية شفهية عرفت باسم الميثاق الوطني للعام ١٩٤٣[٣٨]. وفي الجوهر، تخلى المسيحيون عن اعتمادهم على فرنسا، في مقابل تخلي المسلمين عن المطالبة بضم لبنان إلى وحدة عربية. وادخل الميثاق الوطني

ايضاً، الوصف غير المعهود للبنان كأمة ذات «وجه عربي»، يفسره وليد الخالدي كـ «نص يسوّي بين الوصف الصريح للبنان كـ «بلد عربي»، وبين تجريد لبنان من اي خصائص عربية»[٣٩]. وقد نصّ الميثاق على نسبة ستة الى خمسة لصالح المسيحيين، في توزيع المقاعد البرلمانية، وفي توزيع المناصب على اساس طائفي، واعطى صفة رسمية لتقليد تولي الماروني لمنصب الرئاسة. واتاحت هذه التسوية في ما يخص لبنان بشكل عام، بروز جمهورية مستقلة موحدة، كما ضمنت تفوق الموارنة، لعقود ثلاثة اخرى.

وشكّل الميثاق الوطني ضربة اخرى، للصهيونيين، سدّدت الى امكانية قيام اي نوع من انواع التعاون الماروني ـ الصهيوني الواسع النطاق. فقد ارسى الميثاق، الذي قبلت به الاكثرية الساحقة من الموارنة، المشاركة المسيحية ـ الاسلامية كاساس لأمن المسيحيين ونفوذهم في لبنان. ولم يعد هناك في ما يتعلق بالتيار الماروني السائد، بعد تأكيد التزامه بالتعاون مع المسلمين، اي حافز لمتابعة علاقة نشيطة مع الصهيونيين، والمجازفة بتحطيم النظام الدقيق للمشاركة في السلطة، الذي قبل فيه المسلمون باستمرار الهيمنة المارونية. ووجهت اصوات من اليشوف مناشدات الى لبنان داعية اياه الى ازالة «قناع العروبة المزيف الذي قُيّد به من الخارج»، ولكن لبنان استمر في ميله الجديد نحو العالم العربي[٤٠].

وانسجاماً مع برنامجها لدمج لبنان بالعالم العربي، وقعت حكومة بشارة الخوري برتوكول الاسكندرية للعام ١٩٤٤، واصبح لبنان عضواً مؤسساً لجامعة الدول العربية في العام ١٩٤٥. وقال الخالدي مجادلاً، بان المشاركة اللبنانية في الجامعة، لم تعكس قبول الموارنة بصفة لبنان العربية، او بمبادئ العروبة، بقدر ما عكست «انحناءة احتفالية موجهة نحو مشاعر العروبة للمسلمين اللبنانيين»[٤١]. ويلاحظ لونغريغ أنه على الرغم من أن «جزءاً مهماً [من سكان لبنان] كان معروفاً بمعارضته للعروبة وفتوره تجاه العالم الاسلامي»، فإن لبنان تصرّف كعضو مخلص في جامعة الدول العربية[٤٢]. وفي الواقع، رفع مسؤول بريطاني في بيروت، تقريراً الى لندن، يفيد بان بشارة الخوري، سعى الى اقناعه بان جامعة الدول العربية وليس الصهيونية، «هي المصلحة الحيوية البريطانية»، وضغط من اجل ان يتبنى البريطانيون، سياسة واضحة مؤيدة للعرب في فلسطين[٤٣]. وعلى نحو مماثل، شارك لبنان باقي الدول العربية في ربيع العام ١٩٤٥، في بعث رسائل الى وزير الخارجية الاميركي، تحدد الخطوط العريضة للمخاوف العربية، من فلسطين

خاضعة لسيطرة اليهود. وشددت الرسالة اللبنانية على ان «لبنان الذي يتاخم فلسطين، متوجس خيفة، وبصفة خاصة، من امكانية دولة يهودية، بما ان الصهيونية تملك كل هذه الدينامية التي تجعلها دائماً، قابلة لان تتدفق عبر حدوده»[٤٤]. وعلى الرغم من مقاطعة إده، ورئيس حكومته الأحدب مؤتمر بلودان للعام ١٩٣٧، فإن بشارة الخوري شغل منصب الرئيس المشارك للمؤتمر العربي في بلودان للعام ١٩٤٦، الذي كُرّس لتنسيق الحملة العربية ضد الصهيونية[٤٥]. واصبح لبنان «المسيحي»، الذي ارشدت فكرته سياسة الوكالة اليهودية تجاه لبنان، يتصرف كما لو كان بلداً «عربياً».

ان لبنان بانضمامه الى جامعة الدول العربية، الزم نفسه رسمياً، بالمشاركة في مقاطعة اليشوف التي أعلنت في الاول من كانون الثاني/يناير، من العام ١٩٤٦. وقد تلقفت الصحف العبرية الفكرة القائلة بان المصلحة الذاتية العملية سوف تجبر لبنان على ان يستأنف بهدوء، علاقاته الودية، ذات المنفعة المشتركة، مع فلسطين اليهودية، نظراً للمصاعب الاقتصادية التي يعاني منها المزارعون، ورجال الاعمال اللبنانيون، والمنتجعات السياحية. ولكن على الرغم من التغطية الاعلامية البارزة، للاستياء المسيحي المزعوم، من الحظر الذي فُرض على مزاولة العمل التجاري مع الصهيونيين، وعدم الاهتمام اللبناني عموماً بالسياسة الفلسطينية، فإن هذه الصحف لم تستطع ذكر اي اشارة تدل على تراجع لبنان عن موقفه الرسمي المؤيد للمقاطعة[٤٦].

لقد سقط النجم الموالي للصهيونية من كوكبة لبنان السياسية المتغيرة. وبدا التيار السائد للمشاعر المسيحية والاسلامية، مستعداً لإعطاء الفرصة للتعاون المسيحي ـ المسلم، المؤسس حديثاً. اما الجماعة الاهم من بين الجماعات التي كانت تراقب هذا الاختبار اللبناني بالتشكيك، فكانت كتائب بيار الجميل. فمع حلول العام ١٩٤٥، اشار جهاز الاستخبارات التابع للوكالة اليهودية، الى «تمتع حزب [الكتائب] بعدد من الانصار الكثر، وبقوة اكبر مما يتمتع به اي تنظيم آخر في لبنان»[٤٧]. ولقد هاجمت الكتائب كلا من اولئك الموارنة الذين كانوا يقدمون الحجج لصالح استمرار الحماية الفرنسية على حساب استقلال لبنان، واولئك المسلمين الذي يرغبون في رؤية المسيحيين اللبنانيين غارقين في بحر عربي شاسع. وفيما كان هذا التنظيم ينمو ويزداد قوة، كانت النتائج الممكنة لولاء الوكالة اليهودية لإده على مرّ السنين، تتضح اكثر فاكثر. وكان ممثلو الوكالة وممثلو الكتائب، يلتقون بالصدفة بين الحين والآخر؛ ولكن، وكما هي الحال مع العديد من الموارنة، فان

معارضة الكتائب لحكومة بشارة الخوري، لم تُترجم الى موقف مؤيد للصهيونية. وقد ادرج بيان رابطة الاحزاب اللبنانية المناهضة للصهيونية، الصادر في تشرين الثاني/نوفمبر من العام ١٩٤٥، حزب الكتائب في قائمة العضوية، كحزب ملتزم بالاصول[٤٨]. اما الصهيونيون، الذين كانوا يتابعون بقلق، اعمال المدّ والجزر في السياسة اللبنانية، فقد كانوا يراقبون، فيما كان مجرى الاحداث ينقلب على اصدقائهم؛ وقد اصبح بشارة الخوري في الداخل، والجميّل محافظاً على موقعه، واده في الخارج بالتأكيد.

اليأس كحافز للتعاون

اما الموارنة من محبّي فرنسا، الموالون للصهيونية، والذين وجدوا انفسهم فجأة، على الهامش السياسي، ولا قوة لهم على ما يبدو، لوقف تدهور موقعهم، فقد اختاروا الا ينسحبوا بلياقة. لقد كانوا مستميتين لاستعادة سيطرتهم على مستقبل لبنان، ولكن هل كانت تلك الاستماتة على درجة كافية لجعلهم يتحولون الى الوكالة اليهودية، حاملين معهم عروضاً ملموسة للعمل المشترك؟ ان عضوية لبنان في جامعة الدول العربية اخافت هذه المجموعة من رؤيا استيعاب لبنان في دولة عربية موسعة، على الرغم من التطمينات العربية بخلاف ذلك، والى حد انها حاولت تقويض حكومة بشارة الخوري. وقد دان الاسقف مبارك، بشارة الخوري لتخلّيه عن مصالح المسيحيين، ونددّ تكراراً بادارته. وعلى الرغم من ان عريضة أيّد في البداية، انتخاب الخوري، الا انه لم يستطع القبول بـ«الوجه العربي» الذي اعطي حديثاً للبنان، فانضم الى المعارضة. ويبدو ان الرئيس السابق ألفرد نقاش والبطريرك عريضة واميل اده تركوا خصومتهم المريرة وراءهم في مواجهة هذه الحالة الطارئة. وقد حرص النقاش على احاطة الصحف العبرية علماً باجتماعه وعريضة مع اده، لتخطيط استراتيجية من اجل حماية «الطابع [المسيحي] الخاص» بلبنان[٤٩]. وفي هذا السياق، استمر هؤلاء الموارنة في ايمانهم بفائدة المساعدة الصهيونية.

وحاول اده مراراً، اقناع الوكالة اليهودية بقدرته، بواسطة الدعم المالي الصهيوني، على استعادة الرئاسة في انتخابات العام ١٩٤٧، وتعهد بان يوقع لبنان في النهاية، في ظل ادارته الجديدة، معاهدة صداقة علنية مع اليشوف[٥٠]. ويكتب باري روبين عن رسالة موجهة على ما يفترض، من لجنة اده ـ عريضة ـ نقاش، سلمها وايزمان الى الرئيس روزفلت؛ وعن رسالة اخرى من عريضة موجهة الى الجالية المارونية الاميركية، سلّمها طوبيا ارازي من الوكالة اليهودية. وتضمنت كلتا الرسالتين ذمّاً بجامعة الدول العربية،

محذرة من مخططات توسعية ازاء لبنان[٥١]. وجاهر عريضة بارتيابه من الجامعة العربية، في مقابلة مع صحيفة «اخبار اليوم» المصرية، ابدى فيها لا مبالاته بالضمانات العربية لسيادة بلده، مشدداً على خوفه من ان تكون الجامعة العربية مجرد خطوة اولى نحو كيان عربي اكبر[٥٢].

وقد تبنّى الياهو ابشتاين، المحابي دائماً للموارنة، خط «عريضة» في مقالة تحمل العنوان البليغ التالي: «صعود لبنان: الملاذ المسيحي والوطن القومي الماروني». وقد اختتم ابشتاين مقاله مشيراً الى الجامعة العربية، بالإشارة إلى أن «معظم الرأي العام اللبناني ينظر بريبة وقلق الى بدايات الامبريالية العربية التي تهدد وحدة الاراضي اللبنانية وسلامتها[٥٣]. ومع حلول العام ١٩٤٥، كان الشاب الذي عمل للوكالة اليهودية في وقت فراغه، وهو يدرس في بيروت، قد اصبح الى حد ما، مرجعاً عن لبنان في الدائرة السياسية. لكن كتاباته تشير الى ان الاعجاب الشخصي الذي كان يكنّه لعريضة واده والنقاش، جعله ينسب الى وجهات نظرهم وزناً اكبر، مما يعطيهم اياه نفوذهم الفعلي في لبنان. فادعاؤه بان «معظم» السكان يرفضون عضوية لبنان في الجامعة العربية، لم يكن له اساس، حتى ولو كان يشير الى السكان المسيحيين فقط. وتظهر تقاريره أن الانطباعات التي سجلها في مقاله هي تلك التي كان يتشاطرها مع الدائرة السياسية ايضاً، وانها بالتالي، شجعت الدائرة على المبالغة في تقديرها لوزن المعارضة لحكومة بشارة الخوري، ولاحتمال قيام تحالف ماروني ـ صهيوني موجه ضد «تعريب» لبنان. ولقد عزز البطريرك هذه المدركات بتنديده المتكرر بالجامعة العربية، واصراره على ان للبنان الحق في اقامة علاقات ودية مع البلدان المجاورة كافة[٥٤]. ولم تفت مراقبو الوكالة اليهودية، في اي وقت من الاوقات، الملاحظة أن البطريرك كان يستخدم بالتحديد، عبارات محايدة مثل «البلدان المجاورة»، ليشمل ضمناً فلسطين اليهودية.

وعلى الرغم من عنترية مبارك وعريضة، فقد كان واضحاً ان تقليد الهيمنة المارونية كان في طور الأفول. ولقد اعترف بشارة الخوري بذلك علناً، عندما اعلن ان موقع الموارنة لا يمكن ان يبقى، الا بالتعاون مع المسلمين، وليس بمعارضتهم. وكانت الدائرة السياسية تعي وعياً شديداً، أن صلاتها المارونية التي كانت نافذة في السابق، لم تعد تتحكم بمواقع القوة، وأنها بموافقتها على الميثاق الوطني، وعلى عضوية لبنان في جامعة الدول العربية، خسرت قدراً كبيراً من تفوقها. ولقد نشرت الصحف العبرية الأنباء التي تحدثت عن ارسال

البطريرك مبعوثين الى الخارج لالتماس المساعدة الخارجية، من اجل حماية المسيحيين. وكان قراء اليشوف يطلعون على الذعر المزعوم الذي يستحوذ على المسيحيين، لان الوتيرة السريعة للتكاثر الاسلامي واستمرار اندماج لبنان في العالم العربي، حكما على هيمنتهم بالهلاك. وتفجّعت صحيفة «هابوكر» على «مأساة جماعة تشهد تدهورها من قمة العظمة»[٥٥]. فالتردي الظاهر لنفوذ الموارنة اوقع الحزن الشديد في نفوس اولئك الصهيونيين الذين كانوا يراهنون على العامل المسيحي، لابقاء لبنان متميزاً عن العالم العربي ومائلاً نحو فلسطين اليهودية. ولم يستطع الموارنة الذين يشاركون عريضة واده قناعاتهم، تحمّل هذا الوضع، فطرحوا وبعض مؤيديهم الصهيونيين خططاً كانت الواحدة تفوق سابقتها جموحاً، ولم يكن ممكناً إلا ان تكون ناشئة عن اليأس.

وسعى بعض الموارنة، في ضوء التهديد الذي تشكله وتيرة التكاثر الاسلامي الاعلى، للاكثرية المسيحية الضئيلة، الى تضخيم عدد السكان المسيحيين بوسائل اخرى. ولكن عندما اعرض الموارنة في الخارج، ولم يستجيبوا للدعوة الى عودتهم الجماعية الى وطنهم الام، اقترح بعضهم وجوب احتساب المغتربين من ضمن عدد سكان لبنان، ويُذكر أن ايوب ثابت الذي خلف النقاش في الاشهر التي سبقت انتخابات العام ١٩٤٣، خسر منصبه بسبب الاحتجاج الذي اعقب محاولته تحديد توزيع النواب في البرلمان، بين المسلمين والمسيحيين، بحسب النسبة التي يشكلونها من عدد السكان، على اساس تقديرات تشمل المغتربين الموارنة[٥٦]. وطالب عريضة بمجرد السماح للمغتربين اللبنانيين كافة، واكثريتهم الساحقة من الموارنة، بالاقتراع غيابياً في الانتخابات العامة اللبنانية[٥٧].

ان الانفصاليين الموارنة الاكثر تطرفاً من غيرهم، والذين رفضوا طوال السنين، النظر في موضوع التخلي عن المناطق التي ألحقت بلبنان في العشرينيات، والتي يشكل المسلمون فيها الاكثرية الساحقة، «اصبحوا الآن مستعدين اذا استدعت الضرورة، للقبول بتقليص حجم لبنان الذي من شأنه ان يعطيه مجدداً، اكثرية مارونية كبيرة»[٥٨]. وقد رفع «افي» العميل السري للوكالة اليهودية في بيروت، تقريراً ذكر فيه بان الاسقف مبارك ايد الفكرة بحسب ما يزعم. وقد اورد «افي» في تقريره معلومات زعم المخبر الذي نقلها اليه بانه سمعها مباشرة من مبارك، وكان بعضها:

ان الخطة التي يمكن ان تعكس الحالة الذهنية الراهنة لشخصيات مارونية بارزة، هي خطة تقسيم لبنان (التي تعيد الى ذاكرة [المرء] بطريقة من الطرق، خطة تقسيم فلسطين)...

واذا اصبح الوضع السياسي الحالي للموارنة اسوأ مما هو عليه، فلسوف يقترح هؤلاء انشاء دولة صغيرة تتألف من جبل لبنان فقط، حيث يكون السكان موارنة بكليتهم، فيما يجري ضم جنوب لبنان الى سوريا. وهذه الدولة المصغّرة، بحسب مخبري، سوف تحميها حامية فرنسية، «ولن يكون هناك ما تخشاه من النمو الطبيعي السريع للعناصر المسلحة في الجنوب وفي بيروت»[٥٩].

ولقد وجد «افي» في هذا الاقتراح بالتقسيم، مسألة ذات مغزى، بسبب «طابعه اليائس بالدرجة الاولى. وقد ذيّل بن - غوريون هذا التقرير، بالاحرف الاولى من اسمه. ومن المحتمل ان يكون قد القى عليه نظرة جدية اكثر مما فعل «افي»، بما ان المعلومات فيه جاءت مطابقة لمعلوماته الخاصة عن تأييد ديغول للانفصالية المارونية، من اجل «ان تتضامن قوى [الدولتين] اليهودية والمسيحية [في المستقبل] ضد العدو الهائل للسكان المسلمين»[٦٠].

ورفع طوبيا ارازي تقريراً، افاد بان اده وثابت ونقاش هم الذين يقودون تلك الفئة المارونية التي تبدي استعدادها لتقليص حجم لبنان من اجل تخليصه من الكثير من السكان المسلمين، واكد أن «معظم مسيحيي لبنان يؤيدون التقليص الاقليمي»[٦١]. وان القول بان معظم مسيحيي لبنان يحبذون تقسيم لبنان، قول غير صحيح، فان تأييد اده للفكرة، لم يكن مفاجأة بالتأكيد. فهو الذي كان قد اقترح الامر نفسه بهدوء، في العام ١٩٢٦، وبعدها بعشرين عاماً، ارسل نجله الى وايزمان، حاملاً تحويراً جديداً لفكرته القديمة: التخلي لليهود عن تلك المناطق من لبنان غير المرغوب فيها. الا ان وايزمان لم ينظر الى الاقتراح بجدية، كما شهدت على ذلك تعليقاته عليه في اجتماع للجنة التنفيذية للوكالة اليهودية في شهر شباط/فبراير من العام ١٩٤٥:

> ان آخر ما اود قوله، وربما سيكون هزلياً - انتم تعرفون الفوضى في لبنان لقد جاءني نجل الرئيس السابق، وهو مسيحي يخضع لتأثير فرنسي كبير، يحمل اقتراحاً. اما الاقتراح فهو انه يريد تسليمنا صور وصيدا من اجل الوطن القومي اليهودي. والحاصل انهم يريدون اعطاءنا صور وصيدا لان هناك ١٠,٠٠٠ مسلم فيهما. قلت له إن جدّاً لي كان يقول إنه يكره ان يتلقى «هدية تأكل»، ولكنه لم يكن يريد ان يتركني وشأني، حتى بعد ان اخبرته ذلك، ووعد بانه سوف يأتي مرة أخرى[٦٢].

ومن الواضح بان اده لم يكن يريد ان يستسلم بهذه السهولة؛ فقد قدم عرضه مرة ثانية، الى ارازي في شهر تموز/يوليو، ومرة اخرى في شهر كانون الاول/ديسمبر، من العام ١٩٤٦. وابلغ ارازي شرتوك ان ممثل الفاتيكان يحبذ الاقتراح، وان مبارك اقنع الجنرال سبيرز، ضابط الارتباط البريطاني في لبنان، بحكمة فصل بعض المناطق الاسلامية عن لبنان[٦٣].

ولقد اثار الاحتمال بان تهتم القوى الكبرى باعادة رسم خارطة فلسطين ولبنان وسوريا، الذعر في وسط هذه الفئة المارونية، عندما سرت شائعة تقول بان بريطانيا سوف تعمد الى فصل جزء من شمال فلسطين لضمه الى لبنان. فسارع عريضة الى كتابة رسالة لوزير الخارجية البريطاني، يبلغه فيها أن اللبنانيين يرفضون هذه الفكرة رفضاً باتاً. وحذا مبارك حذوه، واضاف قائلاً:

> اذا كان من الضروري تغيير الحدود، فلسوف يكون مرغوباً بالنسبة الينا نحن المسيحيين، فصل جزء من جنوب لبنان عوضاً عن ذلك - وحتى نهر الليطاني، على سبيل المثال، واعادة توحيده بفلسطين، وبالتالي، تقليص عدد المسلمين في لبنان من اجل اعادة طابعه الحقيقي كبلد مسيحي[٦٤].

ولم تكن المخاوف من احتمال ان تضحي المكائد البريطانية والفرنسية في المنطقة، بالمطالب المارونية، مخاوف جديدة. وقد تلقت الوكالة اليهودية معلومات تفيد بان اده، وقد فقد ثقته بالفرنسيين، حاول في لحظة من اللحظات، الاتصال بالسلطات الاميركية، ليقترح عليها ان تتولى الولايات المتحدة مسؤولية ضمان استقلال لبنان، وحماية المكانة المسيحية. وبحسب مصدر من مصادر الوكالة اليهودية، فقد عرض اده في المقابل، الموانئ والقواعد الجوية والفرص الاقتصادية، والسيطرة الاميركية على سياسة لبنان الخارجية[٦٥].

وتبيّن أن المقترحات الصهيونية، كانت مذهلة على حد سواء. فقد كتب مواطن خاص في بتاح تيكفا، الى وايزمان مراراً، مدعياً وضع خطة سرية مع عريضة، من اجل توحيد لبنان المسيحي مع فلسطين اليهودية[٦٦]. ودعت مذكرة غير موقعة، الى اثارة الاقليات الاقليمية المختلفة بعضها ضد بعض، واستغلال ذلك لفضح «اسطورة» الوحدة العربية امام العالم برمته[٦٧]. وأوصت صيغة للاقتراح السابق، اقل هستيرية منه بقليل، بان تُبطل الوكالة اليهودية مفعول مشاعر العروبة بتقديم المساعدة الفاعلة لمختلف الاقليات في الشرق الاوسط لتقاوم ذوبانها في الاكثرية الاسلامية السنية[٦٨].

وفي اواخر العام ١٩٤٣، اسس بنيامين الياف حزباً سياسياً اطلق عليه اسم «تنوعات هاعام»، يناصر رسمياً تحالف الاقليات في الشرق الاوسط. وعمل الياف بصورة وثيقة مع آري جابوتنسكي، الذي حمل الى «تنوعات هاعام» تلك الميول الكامنة في نظرية «فسيفساء الاقليات» التي تتبناها الدائرة الفنية للتصحيحيين الراديكاليين، ولا سيما الشاعر يوناتان راطوش، وهو صديق قديم من اصدقاء الياف[٦٩]. وقد حازت «تنوعات هاعام» على مقعد في الجمعية المنتخبة في العام ١٩٤٥، ولكن لم يكن لها اي نفوذ على السياسة الصهيونية السائدة.

الا ان هذه المقترحات المؤيدة للموارنة، التي قدمها افراد يقفون في هامش صناعة القرار الصهيوني، او ما وراءه، لم تولّد الا القليل من الاهتمام في الوكالة اليهودية. فالوكالة في ظل سيطرة بن غوريون القوية، جعلت الامور العسكرية والامنية اولويّتها الاولى. اما الدائرة السياسية التي منيت صلاتها المارونية بخسارة واضحة لنفوذها، فقد دفعتها هذه الخسارة ومشاكلها الخاصة في فلسطين، الى تجاهل هذه الخطط الجموحة من اجل التعاون الصهيوني ـ الماروني.

وكان على الياهو ابشتاين ان يُبقي على المقاربة المؤيدة للموارنة والمؤيدة للاقليات، في داخل الدائرة السياسية. فقد اقترح في العام ١٩٤٥، انشاء رابطة للدفاع عن الاقليات في الشرق الاوسط، لا ترتبط رسمياً بالوكالة اليهودية، ولكنها تخدم المصالح الصهيونية، كوزن مقابل لنشاطات العرب والفلسطينيين العرب[٧٠]. وكان ابشتاين، بفعل صداقاته الشخصية، يتطلع عادة الى لبنان، من خلال اعين الموارنة، ويشاطرهم نظرتهم للبنان كالوطن القومي الشرعي للموارنة[٧١]. وفيما كان ساسون يفهم، بل يحترم تعليل بشارة الخوري، القائل بان التعاون المسلم ـ المسيحي يمكنه ان يحافظ على قدر كبير من سلطة الموارنة، كان ابشتاين يوافق اده رأيه القائل بان الضغوط الاسلامية والعربية النامية، تشكل خطراً مميتاً على امن الموارنة. فقد كان يرى وجه شبه واضح بين نضال الصهيونيين لانشاء دولة يهودية في فلسطين، وجهود الموارنة لجعل لبنان بلداً مسيحياً، على الرغم من انه مع حلول العام ١٩٤٥، اصبح يعتقد بان الموارنة يواجهون المهمة الاصعب[٧٢].

ولكن ابشتاين، كان يفهم أن اولئك الموارنة الاكثر ميلاً الى التحالف مع الصهيونيين كانوا ايضاً، الاقل قدرة على القيام بما يترتب عليهم في اي صفقة يعقدونها. ويُظهر تقرير

اعده ابشتاين في العام ١٩٤٢، بعد اجتماع عقده مع اده، الى اي حد كان يتمزق بين عجز اصدقائه الموارنة والفوائد النظرية التي كان يعد بها تحالف الاقليات. ولقد اقرّ بانه على الرغم «من كل اخلاص اده... فانه لم يقترح قط، لا هو، ولا اي زعيم ماروني آخر، خطة فعلية لتوحيد الاقليات، ولم يأت الينا في اي وقت من الاوقات بمخطط مناسب»[٧٣]. لكن ابشتاين بدا غير قادر على دفن الورقة المارونية. فقد استأنف في تقريره تشديده المألوف، على اهمية الصلة الفعّالة مع الاقليات، واضعاً حرفياً، خطاً تحت قناعته القائلة «**بأن علينا ان نعزز هذا الرابط اكثر من اي وقت، والعمل بحسب خطة موضوعة منذ البداية، لتوثيق علاقاتنا مع الموارنة والدروز وباقي الاقليات**». وكانت فكرته بانشاء رابطة للدفاع عن الاقليات، قد نمت نمواً طبيعياً، من جرّاء عواطفه تجاه الموارنة التي ولّدها تورطه بلبنان، على الرغم من انه كان ايضاً، على علم بخفايا علاقة الوكالة اليهودية مع الدروز وغيرهم من الاقليات[٧٤]. وبحسب قول ابشتاين، أعجبت الدائرة السياسية بفكرته؛ لكن احداً في القدس لم يتابع خطته بعدما عينته الوكالة في الولايات المتحدة، وسقط مشروع الرابطة على قارعة الطريق.

ولكن على الرغم من ان اقتراح ابشتاين لم يولّد اهتماماً اكثر مما ولدته الخطط اليائسة الاخرى، لضمان سيطرة الموارنة على لبنان، وانشاء جبهة مارونية ـ صهيونية فإنه واصل ممارسة نفوذ كبير على مسار العلاقات المارونية ـ الصهيونية، من منصبه الجديد في اميركا. اما المعارضة المارونية المتطرفة، التي لم تحقق سوى تقدم ضئيل في لبنان، فقد التقت بابشتاين في العاصمة واشنطن، وتابعوا قضيتهم المشتركة من هناك.

التنسيق الصهيوني ـ الماروني في الولايات المتحدة

كانت الحركة الصهيونية ناشطة في الولايات المتحدة، ولذلك فان وجود جالية اميركية مارونية لبنانية هناك، عرض امكانات للتعاون الصهيوني ـ الماروني. فهل كانت الجالية المارونية ـ الاميركية معنية بالمناورات بين الخوري واده وعريضة؟ وهل كان اده وعريضة يملكان المبادرة والنفوذ اللازمين، لاستقطاب الجالية المارونية الاميركية، وحشدها للعمل باسمها؟ لقد تطلع ابشتاين الى قيام تنسيق صهيوني ـ ماروني في الولايات المتحدة، حتى قبل ان ينضم الى المكتب السياسي للوكالة اليهودية هناك. وكان قد طرح الموضوع بالحاح، قبل بضع سنوات، على شارل قرم الذي كان في ذلك الحين، مسؤولاً عن المعرض اللبناني

في المعرض العالمي للعام ١٩٣٩، في نيويورك؛ فقد دبّر ابشتاين احد الفنانين اليهود من الجناح الفلسطيني للمساعدة في المعرض اللبناني، ومنح قرم رسائل تعريف به وجهها الى اصدقائه الصهيونيين في نيويورك[٧٥]. ولكن حافز ابشتاين على وضع صلاته الاميركية في تصرّف قرم كان حافزاً سياسياً، وليس فنياً؛ فما افصح به لقرم كان مجرد الدعوة الى اقامة صلة بين الجناحين في المعرض، وايضاً بين الجالية اللبنانية الاميركية والجالية اليهودية الاميركية، ولكنه اضاف الى ذلك لأحد الصهيونيين في نيويورك بتحديد اكبر، أنه «سيكون في وسعك بمساعدة منه [من قرم] لقاء العديد من اللبنانيين المقيمين بصورة دائمة في الولايات المتحدة، وربما وجدت وسيلة للعمل المشترك ضد الدعاية العربية، التي يمقتها اللبنانيون انفسهم»[٧٦].

ولا شك في ان ابشتاين وجد تشجيعاً في الرسالة المفتوحة التي وجهها الى الرئيس روزفلت الماروني، المدعو الياس شمعون، رئيس «اتحاد اللبنانيين الاميركيين في نيوانغلند»، يلح فيها عليه، إبقاء بوابات فلسطين مفتوحة امام اللاجئين اليهود، من المانيا النازية. ولحظ شمعون في رسالته، الازدهار الاقتصادي الذي تتمتع به فلسطين، بسبب جهود الصهيونيين، واستشهد بالدعوة التي وجهها عريضة الى اللاجئين اليهود، من اجل اللجوء الى لبنان، واختتم بقوله: «لان لدينا الكثير مما هو مشترك مع اليهود المضطهدين، فاننا نأمل بان يكون قريباً ذلك اليوم الذي يصبحون فيه محررين هم ايضاً، ويصبح الوطن اليهودي في فلسطين حقيقة قائمة»[٧٧]. وبعث ابشتاين بنسخة عن الرسالة الى اده معلناً «أن الرابط الوثيق الذي يوحد اللبنانيين واليهود في الولايات المتحدة، شهادة جديدة على المشاعر الاخوية التي توحّد بين شعبين تحفزهما الروح نفسها، وكذلك التطلّعات الاجتماعية والسياسية نفسها»[٧٨].

وعندما وصل ابشتاين الى واشنطن بعد ست سنوات، بدت الفوائد المشتركة من شن حملة منسقة صهيونية ـ مارونية في الولايات المتحدة، امراً مناسباً للمتطلبات كما كان في اي وقت مضى. فالقوميون الموارنة المعارضون الآن، لنظام بشارة الخوري، يستطيعون استخدام الصلات والخبرات الصهيونية، لإقناع الاميركيين بتبني موقف موالٍ للمسيحيين ومناوئ للجامعة العربية، فيما تستطيع القضية الصهيونية استغلال موقف متعاطف تقفه الجالية اللبنانية الاميركية. وكان للصهيونيين ايضاً، مصلحة في اعتراف اميركي بلبنان كدولة «مسيحية»، «يخلق» بالنتيجة، سابقة لدولة «يهودية». لكن الموارنة غير المنظمين، والبطيئين في التحرك، كانوا بحاجة الى الوكالة اليهودية لدفعهم.

وفي العام ١٩٤١، اقترح اده اليائس على ساسون اقتراحاً مفاده انه يستطيع بالمساعدة الصهيونية، استقطاب موارنة الشتات، ولكنه مع ذلك، لم يقدم اي خطة عمل اطلاقاً[٧٩]. وفي العام ١٩٤٢، التقى برنارد جوزف، وكان مستشاراً قانونياً للدائرة السياسية، الرئيس النقاش، ووجده قلقاً من احتمال ان يُسلّم الاميركيون باستيعاب لبنان في اتحاد عربي. فاقترح جوزف عليه، إرسال مبعوث ماروني الى الرئيس روزفلت مباشرة، وعرض مساعدة اصدقاء صهيونيين في الولايات المتحدة[٨٠]. لكن النقاش لم يعمل قط باقتراح جوزف. وبعد مضي ثلاث سنوات، سافر احد مسؤولي الوكالة اليهودية الى بيروت ليضغط مرة اخرى، بشأن فكرة ارسال وفد ماروني الى الولايات المتحدة. ورفع هذا المسؤول تقريراً ذكر فيه بان عريضة وعبدالله الخوري واده والنقاش وثابت، وافقوا جميعاً، على الحاجة الى تنسيق الانشطة المارونية ـ الصهيونية في الخارج. ولقد اقتنع اده وعريضة، وكانا مستميتين في هذا الوقت، على عكس مسار التآكل في مكانتهما، بارسال مبعوثين الى ابشتاين في واشنطن، من اجل المساعدة في اطلاق حملة اميركية، لدعم مسيحيي لبنان[٨١].

ولقد سُرّ ابشتاين من النشاطات الاولى، التي قام بها مبعوث البطريرك الاول، المونسنيور بول عقل. وافاد في التقرير الذي رفعه بان عقل، في كلامه الواضح والصريح ضد التهديد المسلم للبنان، غالباً ما شبّه نضال المسيحيين بنضال اليهود في فلسطين، «ولم يتردّد عن الاعراب علناً، عن تعاطفه مع الصهيونية ويهود فلسطين [و] سوف يسرّه الاجتماع بنا للبحث في امكانيات النشاطات المشتركة في هذا البلد، لما فيه صالح القضيتين اللبنانية والصهيونية»[٨٢]. ولكن سرعان ما تعكّرت علاقة ابشتاين مع عقل، الذي اتهمه ابشتاين بالتخلي عن مهمته، بعد ادلائه بخطاباته القليلة الاولى، وتكريس نفسه عوضاً عن ذلك، لجمع الاموال من اجل مؤسسة خيرية في بيروت. اما مبعوث عريضة الثاني حبيب ج. عواد فقد وصفه ابشتاين بـ« الرجل الامين... الوفي بصدق للقضية المسيحية في لبنان»، ولكن الرجل الذي تنقصه الهيبة الشخصية، والمواهب الضرورية للمهمة التي يقوم بها[٨٣]. وقد حاول عواد بالمساعدة الصهيونية، الاتصال بالبيت الابيض، والصحافيين الاميركيين البارزين، لكنه فشل ايضاً في مهمته.

وثبت أن المبعوثين المسيحيين التاليين، الى الولايات المتحدة، المونسنيور أ. معلوف والياس حرفوش كانا فاشلين على حد سواء. وافاد ابشتاين في تقريره بان معلوف اهمل

القضية المسيحية من اجل مصالح شخصية، بل ادلى بملاحظات عديدة مناهضة للصهيونية[٨٤]. اما حرفوش فقد ناقش الاستراتيجية مع ابشتاين، وعمل بنشاط لصالح الموقف الماروني (وان، من دون ان يذكر الصهيونية)، ولكن، اتضح أن دعوته لتقليص لبنان اقليمياً كانت مثيرة للفرقة والشقاق، ولا تحظى بالشعبية، الى درجة انه سرعان ما غادر البلد[٨٥]. وحاول ابشتاين ان يأتي بوفد اكثر خبرة الى الولايات المتحدة، وناشد مباشرة الرئيسين السابقين، اده ونقاش، والمساعد السياسي الاعلى للبطريرك عريضة، الشيخ توفيق عواد، طالباً تأييدهم، وشارحاً لهم جدية العمل الذي ينتظر ناطقين من أمثالهم في اميركا، ومؤكداً «استعداد مكتبنا ومؤسسات صهيونية اخرى، واشخاص صهيونيين في هذا البلد، لتقديم كل المساعدة الممكنة، من اجل نجاح بعثة مسيحية الى اميركا في مهمتها»[٨٦]. وكان الرد اللبناني، ان مواعيد متضاربة تمنع اجراء زيارة من هذا النوع.

لكن ابشتاين، وجد حليفه الاول في وسط الجالية المارونية الاميركية؛ وكان هذا الحليف المدعو سلوم مكرزل، رئيس الجمعية الوطنية اللبنانية في اميركا، ورئيس تحرير صحيفة «الهدى» اليومية، الصادرة في بروكلين. ولقد كان مكرزل، المعادي بصلابة للمسلمين، قد استخدم صحيفته لادانة الجامعة العربية وسياسة التقارب المسيحي - الاسلامي التي ينتهجها بشارة الخوري. وكان مكرزل، المؤمن بالانسجام الطبيعي للمصالح المسيحية - الصهيونية في الشرق الاوسط، قد وصف نفسه كـ«صديق للصهيونية»، وسمى ابشتاين «حليفاً له في قضية مشتركة»[٨٧]، ووضع بحماسة موارده في خدمة المبعوثين المسيحيين القادمين من لبنان، ولكن فقط ليخيب امله خيبة مريرة من كل واحد منهم. وقد يئس مكرزل، مثله مثل ابشتاين، من انعدام تنظيم النشاط في وسط الموارنة الاميركيين، وشكا من الجالية اللبنانية الاميركية التي لن يستطيع الا مبعوث بطريركي ذو مكانة ان يستحثها على العمل، فيما حذّر ابشتاين من أن الصهيونيين لا يستطيعون تدبير امور القضية المسيحية، بل تقديم المساعدة فقط، عندما يُظهر المسيحيون المبادرة اللازمة[٨٨].

ولكن حتى مبعوث مقتدر اكثر من سابقيه، كان سيجد مشقة في مواجهة نفوذ المندوب اللبناني الرسمي الى الولايات المتحدة، شارل مالك. وقد اجتمع معه طوبيا ارازي مرتين في بيروت، ما ان علم بتعيينه، وحاول ان يقنعه بضرورة التعاون الصهيوني - المسيحي. فقد شدد ارازي على اوجه الشبه بين لبنان المسيحي وفلسطين اليهودية، وشجع

مالك على العمل مع الصهيونيين الاميركيين، وجماعة الوكالة اليهودية، الذين كانوا ينتظرونه في الولايات المتحدة[٨٩]. وفي الواقع، نشأت صداقة بين ابشتاين ومالك، لكن مالك لم يصبح في اي وقت من الاوقات حليفاً صهيونياً كما كان ارازي يأمل. وقد وجده ابشتاين عوضاً عن ذلك «خصماً شهماً»، وفيلسوفاً وارثوذوكسياً تقياً، عمل بحماسة من اجل قضيته، في الوقت الذي كان يحتفظ فيه باحترام خصومه، واستعداده على تبادل وجهات النظر معهم؛ وكان واحداً من العرب القلائل الذين يملكون «الشجاعة» الكافية للقاء الصهيونيين علناً[٩٠]. وقد حاول ابشتاين اقناع صديقه بان «الحلفاء الطبيعيين الوحيدين للبنان المسيحي هم اليهود في فلسطين، وبان فلسطين اليهودية فقط هي التي تستطيع المحافظة على وجود لبنان مسيحي». ولكن على الرغم من ان مالك كان يرى تهديداً اسلامياً ممكناً لمكانة المسيحيين في لبنان، فإنه كان يؤمن بان الامن المسيحي يعتمد على التعاون مع المسلمين[٩١]. وقد كان ابشتاين والوكالة اليهودية متلهفين لمساعدة المعارضة المارونية، ولكن مالك كان يفرض احتراماً كبيراً في الدوائر الديبلوماسية، ويمثل باقتدار حكومة بشارة الخوري ويحجب الضوء بسهولة عن المبعوثين الذين كانت ترسلهم الكنيسة الى الولايات المتحدة. وقد تابعت السياسة الاميركية نهجها تجاه الشرق الاوسط من دون مساعدة المشورة المارونية - الصهيونية المشتركة.

لجنة التحقيق الانجلو - اميركية للعام ١٩٤٦

اتاح انشاء لجنة التحقيق الانجلو - اميركية، فور انتهاء الحرب العالمية الثانية، فرصة للوكالة اليهودية واصدقائها الموارنة لتنسيق تعبيرهم عن مصلحتهم المشتركة في انشاء دولة يهودية. ولكن الاداء اللبناني امام لجنة بيل قبل عقد من الزمن، اوحى بان اده وعريضة سيتأبيان التعبير عن مواقفهما المؤيدة للصهيونية، إلا - ربما - اذا اجبرهما يأسهما السياسي، الحالي، على العمل بحزم اكبر لصالح الاهتمامات الصهيونية. وبعثت الدائرة السياسية بعملاء الى بيروت، للاجتماع الى وسطاء صلاتها الصهيونيين الرئيسيين هناك، وتشجيعهم على عرض شهادة مؤيدة للصهيونية امام اللجنة[٩٢].

وقد شكّلت الولايات المتحدة وبريطانيا هذه اللجنة في اعقاب الحرب من اجل حل مشكلة اللاجئين اليهود. وادلى صهيونيون وقوميون عرب بارزون بشهاداتهم، وهم يتجادلون بحماس حول امكانية ان تكون فلسطين ملاذاً لليهود. ودافع الرئيس بشارة

الخوري عن مطالب الفلسطينيين العرب، وتوسل الى اللجنة وقف الهجرة اليهودية. ومثل بيار الجميل امام اللجنة ليقول مجادلاً بان زيادة عدد سكان فلسطين من اليهود سوف يؤذي لبنان، عاكساً، بحسب ما يقول حداد، «الخوف الاقتصادي من دولة يهودية سوف تجلب معها افكارها وتكنولوجيتها الغربية المتفوقة»[٩٣]. واوصت اللجنة في تقريرها الاجماعي، المؤرخ في الأول من ايار/مايو، عام ١٩٤٦، بالسماح الفوري بدخول ١٠٠٠٠٠ لاجئ يهودي الى فلسطين، لاسباب انسانية، لكنها رفضت فكرة الدولة اليهودية. ودانت البلدان العربية التدفق المقترح لليهود الاوروبيين؛ اما لبنان فقد ردّ على تقرير اللجنة مثله مثل غيره، بالاضرابات والتظاهرات. وخلال جلسات الاستماع الى الشهادات، سجل عضو اللجنة القاضي جوزف ب. هاتشيسون في مفكرته أن الشهود اللبنانيين كافة، من مسيحيين ومسلمين، قد عرضوا مواقف «معارضة بعنف للصهيونية وتصميماً على مقاومتها بأي ثمن، رافضين التسليم بهجرة يهودي واحد»، واختتم يقول بانه في الوقت الذي قد يوجد فيه على الارجح، بعض الاستثناءات للمعارضة اللبنانية الساحقة للصهيونية، فان هذه «الاستثناءات ضئيلة، الى حد انها عديمة الاهمية تقريباً»[٩٤].

وكان هاتشيسون على حق في كلتا النقطتين. فقد لاحظ لونغريغ أنه في الوقت الذي شجبت فيه أكثرية اللبنانيين التوصيات الانجلو ـ اميركية، أعلن مبارك التأييد الماروني للصهيونية. وفي الواقع، قابل مبارك وعريضة وعبدالله الخوري عضوين اثنين على الأقل، من أعضاء اللجنة، وحاولوا اقناعهما بان الشهود اللبنانيين الرسميين، لا يمثلون المشاعر الحقيقية لمعظم اللبنانيين، ولا سيما المسيحيين منهم. وقد اجتمع جيمس ماكدونالد، وهو عضو اميركي آخر من أعضاء اللجنة، بثلاث موارنة، أكدوا أن المسيحيين اللبنانيين يخشون «الهيمنة» و«التعصب» المسلمين، معربين بوضوح عن تفضيلهم لدولة يهودية في فلسطين على دولة عربية فيها. ولاحظ ماكدونالد أن مبارك، كان قد أعلن قبل فترة قصيرة وجهات نظره المؤيدة للصهيونية، في مقابلة أجراها معه مراسل صحافي أميركي.

وكانت مقابلة مبارك مع جيرولد فرانك قد نُشرت في صحيفة «بالستين بوست» ودان فيها إدانة مقذعة القيم والمدنية والثقافة الاسلامية، فيما امتدح الصهيونية، ودعا الى شراكة مسيحية ـ صهيونية[٩٦]. وكان يمكن للصهيونيين ان ينشدوا حليفاً اكثر نفوذاً، ولكن بالتأكيد ليس حليفاً بمثل انفعاليته وفصاحته. وقد اعرب اسحاق ـ بن زفي، في مقالة نشرت في الصفحة الاولى، في صحيفة «هاعولام» العبرية، عن الشكر والامتنان لاعلان

مبارك المؤيد، ورد بالمثل، بوصف مقتضب، لدور لبنان كملاذ للمسيحيين[٩٧]. وعلى الرغم من ان بن ـ زفي، كان يردد الدعوة الى قيام تحالف بين الاقليات في المنطقة، فإنه اختتم قوله بان تصريح مبارك لا يحتمل ان يغير في اندفاعة السياسة اللبنانية المناهضة للصهيونية، في عهد بشارة الخوري.

ولقد شاطر اعضاء اللجنة وغيرهم من المراقبين، بغالبيتهم الكاسحة، انطباع القاضي هاتشيسون، عن المعارضة اللبنانية الصلبة للصهيونية[٩٨]. ولكن الدائرة السياسية العاملة بصورة وثيقة مع اصدقائها الموارنة، فشلت في فهم الامر نفسه. ومع ذلك، ومن تجربة ماكدونالد، بلقائه مع مبارك وعريضة وعبدالله الخوري، ومن مقابلة مبارك مع فرانك، تبرز نقطتان لافتتان للانتباه. النقطة الاولى هي انه حتى في هذا التاريخ المتأخر، كان بعض الأقدمين من وسطاء صلات الوكالة اليهودية ما زالوا يعتقدون بان المصيرين، الماروني والصهيوني، يرتبط الواحد منهما بالآخر. وقد رحبت الوكالة اليهودية بشهادتها المؤيدة للصهيونية، حتى في الوقت الذي كانت تدرك فيه، أن حافزهم كان اليأس الذي اصابهم من تفكك النفوذ الماروني المتطرف في لبنان. اما النقطة الثانية، فهي ان هؤلاء الانصار الثلاثة كانوا جميعا من القادة الدينيين. فسقوط اصدقاء من امثال اده والنقاش من السلطة، حدَّ من الخيارات السياسية الصهيونية في لبنان؛ ومع حلول العام ١٩٤٦، بدا أن اي صهيوني ما زال يبحث عن حليف لبناني يستطيع ان يتطلع فقط الى الكنيسة. ولكن بعد مرور اسبوعين على اجتماعات ماكدونالد، كانت هذه الكنيسة هي التي جاءت تبحث عن هؤلاء الصهيونيين.

المعاهدة الصهيونية ـ المارونية ولجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين

في أوائل نيسان/ابريل، من العام ١٩٤٦، تلقى يعقوب شمعوني وهو من أفراد المرتبة الثانية في الدائرة السياسية، خبراً مفاده أن توفيق عطية من بيروت، موجود في تل أبيب، ويحمل معه الى الدائرة، معلومات غاية في الأهمية. وكان شقيق عطية من الشخصيات البارزة في وسط الطائفة اليهودية في بيروت. وبحسب التقرير الذي رفعه شمعوني، ادعى عطية أنه آت للاتصال بالوكالة اليهودية، باسم أصدقاء موارنة «مهمين ومسؤولين»، يتهيأون للعمل ضد العناصر العربية، والمسلحة السائدة في لبنان[٩٩]. واكد عطية أن اصدقاءه الموارنة راغبون في التحالف مع الصهيونيين، ووعد بكشف هويات صلاته

وخططهم، ما ان تلتزم الوكالة اليهودية مبدئيا، بعقد هذه الشراكة. ولكنه ألمح الى ان هؤلاء الموارنة قد يريدون دعماً صهيونياً لصحف مارونية، ومساعدة في تدريب الفرق شبه - العسكرية الكتائبية. وابلغ شمعوني الامر، الى برنارد جوزف الذي كان آنذاك، مديراً للدائرة السياسية بالوكالة، لافتاً نظره الى كون المعلومات الحديثة التي تملكها الوكالة تؤكد الوصف الذي اعطاه عطية لِلْجَيَشَانِ المتزايد في وسط الموارنة، بسبب المكاسب التي يحرزها المسلمون.

فما كان من جوزف، الذي اثارت رسالة عطية فضوله، الا ان استنجد بدايفد هاكوهين، (الذي كانت شركته، سوليل بونيه، تتمتع بصلات واسعة النطاق في لبنان)، يبلغه «حاجة [الدائرة] الملحة، الى ارسال شخص ما... الى لبنان» طالباً منه استخدام صلاته هناك للحصول على تأشيرة دخول لجواز سفر شمعوني[١٠٠]. وعلى الرغم من موافقة هاكوهين، فإنه نصح بعدم تكليف مسؤول صغير، لا تجربة سابقة له في لبنان بمهمة خاصة، وذات شأن، مثل هذه المهمة. وذكرت مصادر هاكوهين امتعاض توفيق عطية من كون وسيط صلاته في الوكالة اليهودية في تل ابيب هو شمعوني الشاب المغمور[١٠١]. وكتب جوزف على الفور، الى عاموس لاندمان، وهو يهودي فلسطيني آخر، له صلات جيدة في بيروت، ووسيط عطية الاول لدى الوكالة اليهودية، ليدافع عن شمعوني، ويطلب مساعدة لاندمان في رعاية مبادرة عطية. وطلب جوزف من لاندمان ايضاً، وضع تقرير مفصّل عن كل ما يعرفه بشأن مهمة عطية. كما كانت احدى مهمات لاندمان الاخرى، تشجيع عطية على العودة لعقد اجتماع آخر، على ان يأتي هذه المرة، مع بعض اصدقائه الموارنة. ولكن القسم الاخير من رسالة جوزف كان مفاجئاً الى اقصى الحدود.

> وفي الختام، اود ان ابلغكم - وان ابلغ عطية بواسطتكم - أن السيد جوزف عواد، وهو ابن عم البطريرك، وابن شقيق الشيخ توفيق عواد، قد قام بزيارتنا في هذه الاثناء... حاملاً معه مقترحات مشابهة [لمقترحات عطية]. ومن المستحب ان يلتقيه عطية في بيروت لتبادل الآراء، ومساعدة بعضهما بعضاً[١٠٢].

ويبدو من ذلك، ان جماعتين مارونيتين قررتا في الوقت نفسه، أن وضعهما اليائس لم يترك لهما اي خيار سوى السعي وراء المساعدة الصهيونية لحمل جماعتهما الى السلطة؛ ومن الواضح ان هذا ما ظنه جوزف ايضاً.

وقدّر شمعوني بان «اصدقاء» عطية، كانوا اما من دوائر الكنيسة او من الحكومة[١٠٣]. ولكن من المحتمل ان تكون مبادرة عطية ناشئة اصلاً، من داخل حزب الكتائب. فعريضة واده ومبارك لم يكونوا بحاجة الى استخدام وسيط غير معهود، مثل عطية، ولا سيما أن لكل واحد منهم صلاته الخاصة المباشرة مع الدائرة السياسية. والاحتمال أن يكون لشقيق عطية، كزعيم للطائفة اليهودية في بيروت، اصدقاء داخل حزب الكتائب، هو اكبر من احتمال ان يكون له اصدقاء في الكنيسة، او في وسط جماعة اده؛ كما ان الاتصال غير المنتظم بين الكتائب والوكالة اليهودية، يجعل يهود بيروت قناة منطقية للجميل، اذا اراد الاتصال بالدائرة السياسية. اضف الى ذلك، ان تلميح عطية الاول لشمعوني، بان أصدقاءه قد يكونون مهتمين بوضع الخبرات الصهيونية، بتصرّف الكتائب (للاستفادة من تجارب الهاغاناه) يورط الكتائب في الامر ايضاً. وعلى الرغم من الحجج الاولى القائلة بان الكتائب انضمت الى الحركة الشعبية المناوئة للصهيونية، وربطت مصيرها بمصير هذه الحركة، في البيئة المتقلبة للسياسة اللبنانية، فإن إقدامها على استكشاف الخيار الصهيوني حتى في الوقت الذي كانت تتبنى فيه خطاً مناوئاً للصهيونية، ليس أمراً غير عادي، أو يفتقر الى الحكمة.

أمّا عواد من جهته، فقد أشار من طرف خفي، إلى أن وسطاء صلاته كانوا في اعلى المراتب في البطريركية[١٠٤]؛ ولكن حقيقة انسحابه من الموضوع، فور علمه بأمر اقدام البطريرك على مفاتحة الوكالة اليهودية، تعطي دعماً اضافياً لنظرية حزب الكتائب. وقد سبق ان سجلنا، أن الجميل كان يحترم العلاقات التي كانت قائمة بين الوكالة والكنيسة واده؛ لذلك، وبسبب هذا الاحترام، كان من الطبيعي له، أن يلجأ الى البطريرك يسأله رأيه. ويبدو مرة اخرى، أن تورط الوكالة اليهودية مع فئة مارونية واحدة (فئة عريضة) دون غيرها من الفئات، قد حال دون اقدامها على استكشاف الروابط مع فئة اخرى (الجميل)، على الرغم من أنه ليس هناك بالتأكيد، ما يضمن أن العلاقة الصهيونية - الكتائبية كان من شأنها في نهاية المطاف، أن تثمر أكثر مما أثمر غيرها[١٠٥]. وليست هناك أدلة على حصول اجتماع بين عطية وعواد، لتنسيق نشاطات زملائهم؛ ولكن عطية اختفى، وترك عواد والوكالة اليهودية يتابعان موضوع التحالف الماروني - الصهيوني.

لقد قام عواد بزيارة فلسطين، بصفته الصحفية في الظاهر، وبعد مرور اسبوع تقريباً، على اجتماع عطية بشمعوني. وكان عواد بحسب ما يقول مرافقه في اليشوف، قد

ابدى حماسته للانجازات الصهيونية، وردّد مراراً، الملاحظات عن حاجة لبنان الى القيام بأنشطة زراعية، وتقنية مماثلة للمساعدة الصهيونية. وقد رتّب ساسون لهذا الزائر اجتماعاً سرّياً مع جوزف، الذي شدّد عواد أمامه مرة اخرى، على الحاجة الى المساعدات المارونية ـ الصهيونية المتبادلة. وردّ جوزف على ذلك بالقول بان الوكالة تقدر حق التقدير الاعلانات المؤيدة للصهيونية، وبأنها «مستعدة بالطرق الممكنة كافة، لمساعدة الموارنة في تحقيق تطلعاتهم، ولكن... عليهم أن يظهروا المبادرة... وان يجدوا الطريقة لتعزيز روابطهم معنا»[١٠٦].

وقد ناقش عواد وساسون خيارات التعاون الماروني ـ الصهيوني بصورة تفصيلية أكبر، واتفقا في النهاية على ان يعود عواد الى فلسطين حاملاً رسالة من البطريرك تخوّله تمثيل الكنيسة في المفاوضات، وعلى امل ان يكون برفقته قريبه الاكثر منه نفوذاً، توفيق عواد، الذي كان في السابق وزيراً لبنانياً، والمؤتمن على أسرار البطريرك[١٠٧]. وفي المرة الثانية التي ظهر فيها عواد في القدس، كان يحمل البرهان المطلوب على أن البطريرك عريضة قد خوّله الدخول باسم الكنيسة، في مفاوضات مع الوكالة اليهودية[١٠٨].

وعندما اجتمع ساسون وشمعوني وعواد في القدس، نجحوا في عقد اتفاقية رسمية بين الوكالة اليهودية والكنيسة المارونية، في ٣٠ ايار/مايو، عام ١٩٤٦[١٠٩]. وقد مثّلت هذه المعاهدة التي اضفت اخيراً، طابعاً رسمياً على العلاقة الطويلة الأمد بين الوكالة والبطريرك، ذروة التعاون الماروني ـ الصهيوني، ووقّعها جوزف وعواد بالنيابة عن وايزمان وعريضة على التوالي. واعترفت هذه الاتفاقية، وبالتبادل، بالمطالب اليهودية بالاستقلال في فلسطين، وبالطابع المسيحي المستقل للبنان. وكان هناك تكهن، بأن يصار الى تطبيق نصوص المعاهدة تطبيقاً نشيطاً، ما إن يكتسب الصهيونيون صفة الدولة، وما إن تحرز الكنيسة بالفعل، السلطة السياسية في لبنان. فقد تعهّدت الكنيسة في المادة الاولى، بتأييد الهجرة اليهودية الحرة الى فلسطين، وحق اليهود بانشاء دولة ذات سيادة هناك. وفي المقابل، شكّلت المادة الثانية، تعهداً من الوكالة اليهودية للكنيسة بعدم وجود اي مخططات للحركة الصهيونية في الاراضي اللبنانية، واي نية لتوجيه مهاجرين يهود الى لبنان. والزمت المادة الثالثة ممثلي الطرفين، في الداخل والخارج، وفي المؤتمرات الدولية، بمعارضة القرارات التي يمكنها ان تسيء الى برامج اي طرف من الطرفين، وبالعمل على منع اطراف اخرى من احباط الاهداف المارونية او الصهيونية.

وفي ما يتعلق بتحقيق الهدفين المزدوجين، هدف تقوية الكنيسة وهدف تحقيق التطلعات القومية اليهودية، ألزمت المادة الرابعة كلا الموقعين؛ باعتماد التبادل الثقافي والتجاري والاستخباري، وتنفيذ المشاريع المشتركة، الصناعية والزراعية والسياحية، وبالتعاون الامني، وباطلاق حملة منسّقة للعلاقات العامة. وتعهدت الكنيسة، علاوة على ذلك ، بتسهيل هجرة اليهود الى فلسطين من طريق لبنان، واعتبار المعاهدة سمة من سمات سياسة الحكم، ما ان تحرز سيطرتها السياسية على لبنان. وتعهدت الوكالة اليهودية من جهتها، باحترام الحقوق المدنية والدينية لغير اليهود في الدولة اليهودية العتيدة، وتخصيص ممثلي البطريرك بمعاملة خاصة، تشمل مساعدتهم على شراء الارض، وتشييد مبنى للبطريركية في القدس. كما تعهدت بأن تنشط مكاتبها في الخارج، في الترويج لقضية الكنيسة. وفي بند يستهدف بوضوح، المجموعات العربية التي تضايق هجماتها المستوطنات اليهودية في شمال فلسطين والقرى المارونية في جنوب لبنان، حيث تُقيم مخيماتها، تعهّد الطرفان بمنع تحرك العناصر المعادية عبر الحدود، واعتراض مصادر دعمهم. ونصت المادة الخامسة على ان يتعاطى الطرفان تعاطياً مباشراً مع بعضهما بعضاً، بواسطة ممثلين مخصصين لهذه الغاية، وسمّت توفيق عواد ممثلاً لعريضة حتى إشعار آخر. اما المادة السادسة، فقد نصّت على ان تصبح المعاهدة سارية المفعول فور توقيعها.

ان هذه المعاهدة، برؤيتها الضمنية للبنان المسيحي وفلسطين اليهودية، المرتبطين ارتباطاً وثيقاً ببعضهما بعضاً، واللذين يحققان الازدهار في وجه العداء الاسلامي، قد اعتنقت الفرضيات الرئيسية كافة لأطروحة تحالف الاقليات. فمن الواضح أن مهندسي المعاهدة، كانوا يفترضون وجود انسجام طبيعي للمصالح السياسية والاقتصادية والثقافية بين الموارنة واليهود، كما كانوا يتشاطرون موقفاً دفاعياً مشتركاً من تطلعات بعضهما بعضاً. وكان التعبير الأوضح عن التفكير القائم على اساس مفهوم تحالف الاقليات، ذلك الإيمان بان لبنان المسيحي وفلسطين اليهودية يستطيعان ضمان مواقعهما برصّ صفوفهما ضد الاكثرية المسلمة في المنطقة، عوضاً عن السعي الى التوافق معها. في الواقع، عمد هذا النظام الاقليمي الجديد، الذي انطوت عليه المعاهدة، الى تقليص المعارضة العربية الاسلامية بطريقة سحرية، وجعلها مجرّد معارضة ممثلين بلا اسماء، يمكنهم اتخاذ «قرارات او اجراءات» معاكسة للمصالح المارونية والصهيونية، او مجرد «عناصر

معادية يمكن تعطيل خططها من طريق رد ماروني - صهيوني منسّق. ان اي طرف من الطرفين، ما كان يستطيع ان يأمل بحليف موافق، ومساند، اكثر مما وجد واحدهما في الآخر. فقد كانت المعاهدة، بكلمات شمعوني، «معاهدة رائعة» وان كانت غريبة عن مقاربة ساسون[١١٠].

وهكذا، اصبحت هناك آلية رسمية قائمة، تضفي الشرعية على مطالب الموارنة من الوكالة اليهودية، بتقديم المساعدات لهم لتمويل المشاريع والمنشورات السياسية. إلاّ ان الكنيسة، ومثلما كانت الحال في التاريخ للمساعي المارونية - الصهيونية، اصرّت على إبقاء المعاهدة سرّية. وأدرج شرط الامتناع عن إعلان هذا الاتفاق «السرّي للغاية»، في رسائل متبادلة ومتطابقة، أُرفقت بالاتفاقية[١١١]. وقد أدى هذا البند الخاص بسرية المعاهدة، الى حرمان الوكالة من المكسب الرئيسي الذي كان يمكن للاتفاق الصهيوني - الماروني ان يقدمه لها، اي الدليل العلني، على ان بعض العرب يمكنهم القبول بانشاء دولة يهودية في فلسطين.

ومع هذا، تشير الوثائق الارشيفية الى ان عدة محاولات بُذلت للعمل بروح الاتفاق، كما تشير مراسلات غامضة مكتوبة بالشيفرة، بين جوزف وعواد، جوزف و«وديعة»، الى ان الدائرة السياسية كانت ترسل مرتبات شهرية الى «الوالدة» في بيروت، تدل دلالة واضحة على الصلة الوثيقة المستمرة بين الطرفين[١١٢]. ويبدو أن المراسلة مع عواد، كانت الغاية منها وضع شيفرة معينة، يستطيع جوزف بواسطتها استدعاءه الى القدس. اما «وديعة»، فقد شكت من المال غير الكافي، والذي لم يكن يصل الى «الوالدة» بالسرعة الكافية. وقد رد جوزف بانه لا يستطيع زيادة المبلغ او ارسال قرض، وبانه ليس مسؤولاً عن التأخير. ويشير الرجلان في مراسلاتهما، الى زيارات «وديعة» للقدس، فيما يعقّب جوزف على عودة احد رجاله من بيروت. ولكن ليس هناك ما يشير الى هوية «الوالدة». ومع ذلك، يُقال بان ساسون وعد جوزف عواد بان تعمد الوكالة الى «تقديم الدعم لصحيفة (صوت الاحرار) في اي حال»، وبغض النظر عن نتيجة المفاوضات المارونية - الصهيونية.

وفي نيسان/ابريل، العام ١٩٤٧، وانسجاماً ايضاً مع نصوص المعاهدة، ابرق ساسون الى شرتوك في واشنطن، بخصوص المباحثات التي جرت مع الموارنة بشأن التمويل الصهيوني لمكتب لبناني جديد في الولايات المتحدة. ولا شك في ان هذا المكتب الذي يفترض ان يكون على نمط المكتب السياسي التابع للوكالة اليهودية في العاصمة الاميركية،

كان يراد به صوتاً لبنانياً بديلاً من الصوت الرسمي الذي يمثل ادارة بشارة الخوري. ولقد ابلغ ساسون شرتوك أن الوكالة سوف تدفع كلفة الاحتفاظ بهذا المكتب، على الرغم من اعتقاده بان تبرعات اللبنانيين الاميركيين سوف تمدّه بعد اشهر قليلة، بكل ما يكفل استمراره، وفي المقابل، فان هذا المكتب سوف «يعمل بموجب تعليماتنا»[١١٤]. ولكن بحسب ما قاله ابشتاين، الذي كان يمثل الوكالة اليهودية في واشنطن آنذاك، انهارت الخطط بسبب الأولوية المتدنية التي اعطاها الموارنة لهذا المشروع، على الرغم من استعداد الصهيونيين لتمويله[١١٥].

وفي حزيران/يونيو عام ١٩٤٧، تبادل عريضة وبن - غوريون رسائل جدا فيها تأكيدهما على الاحترام المتبادل بينهما وبين شعبيهما؛ وشكر بن - غوريون البطريرك على جهوده التي بذلها من أجل «المحافظة على علاقاتنا الودية المتبادلة»، مؤكداً لعريضة نوايا الوكالة اليهودية على «التعاون مع الطائفة المارونية العظيمة بروح الاتفاق المعقود [بيننا]»[١١٦]. وكانت أكثر المحاولات تضافراً لاجبار الموارنة على العمل، محاولة ابراهام لوتسكي، عضو الهيئة العاملة في الدائرة السياسية، الذي كان يستخدم عمله كصحافي، غطاء له.

فقد قام لوتسكي بزيارة عريضة في تموز/يوليو عام ١٩٤٨، وأمضى بضع ساعات برفقته، ورفقة مساعديه الرئيسين. وكان السؤال الأساسي الذي طرحه على البطريرك يتعلق بخططه من أجل «حماية مسيحيي لبنان، وتطبيق المعاهدة المعقودة بيننا»؛ وقد أجابه عريضة بالقول بانه سوف يتأكد شخصياً من تحقيق المسألتين[١١٧]. وعلى الرغم من تأكيد لوتسكي أن البطريرك «يعرف تمام المعرفة نص المعاهدة التي وقعها الشيخ توفيق»، فان تقريره عن المقابلة، يعكس بصورة واضحة، نفاد الصبر الصهيوني من الطبيعة المعطّلة للاتفاق، كما يعكس جهوده التي بذلها بلا هوادة، لحمل البطريرك على التحرك. ولم يستطع لوتسكي اقناع البطريرك بتقديم دعمه العلني، لحزب مؤيد للصهيونية في لبنان، ولكنه نجح أكثر في موضوع المكتب اللبناني، الذي يحاول شق طريقه بصعوبة في الولايات المتحدة. وأصرّ لوتسكي على ان ما تتطلبه الحملة الدعائية الحديثة، يستدعي ما هو أكثر تعقيداً من زيارة يقوم بها كاهن لبناني بين الحين والآخر؛ واقنع عريضة، باسناد المهمة الى مثقف ماروني أكثر معرفة بأميركا. كما ضغط عليه ليباشر العمل فوراً، ووقف

يتطلع من فوق كتف عريضة، وهو يكتب رسالة قصيرة الى مكرزل في صحيفة «الهدى»، وأقنعه بتسمية الوكالة اليهودية، بالاسم، كمصدر إرشاد ودعم مادي[١١٨].

ولقد زعم عريضة أن المطارنة كافة موافقون على روابطه بالوكالة اليهودية، ولكن المطارنة كانوا برأي لوتسكي، يشعرون بانهم ملزمون بتأييد سياسات البطريرك بغض النظر عن آرائهم الشخصية؛ ولقد اقلقه مساعد عريضة، بيار عواد، لموقفه غير الودي بصفة خاصة، تجاه الصهيونية، واستفاض في رواية ما قام به من الاعيب لاحباط الجهود التي بذلها عواد هذا من أجل ابطال النتائج الايجابية لحديثه مع عريضة. وعندما غادر لوتسكي كانت في حوزته صورة تذكارية للبطريرك، ونسخة عن رسالة ثانية كان قد اقنع عريضة بكتابتها، الى ممثل جبل لبنان في البرلمان، يُعرب فيها عن الأسى لاستمرار المقاطعة المناهضة للصهيونية[١١٩].

وفي شباط/فبراير عام ١٩٤٧، كانت بريطانيا قد حوّلت مشكلة فلسطين الى الأمم المتحدة التي عيّنت مجلس تحقيق مؤلف من احد عشر بلداً، لاجراء بحث في النزاع واقتراح حل له. واسترجعت لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين، (UNSCOP)، خطى لجنة التحقيق الانجلو-اميركية للعام السابق. وعلى الرغم من ان المعاهدة المارونية الصهيونية كانت قد وُقّعت في هذه الأثناء، فإن شيئاً لم يتغير، عندما وصلت اللجنة الجديدة الى بيروت: فقد أثبتت الشهادة اللبنانية الرسمية أنها شهادة مناهضة للصهيونية على نحو موحد، فيما أدلى إده وعريضة بشهادتهما المؤيدة للصهيونية بصورة سرية فقط، وكان مبارك وحده، هو الذي جاهر بطريقة لا لبس فيها، بأقوال تحبذ انشاء دولة يهودية في فلسطين.

وكان المارونيان كميل شمعون، رئيس البعثة اللبنانية الى الأمم المتحدة، وحميد فرنجية وزير الخارجية اللبناني، هما اللذين تقدما على الآخرين، في آرائهما عن وجهة النظر المؤيدة للفلسطينيين العرب والمعادية للصهيونية، عندما اجتمعت لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين مع البعثة الرسمية للجامعة العربية في بيروت[١٢٠]. وقد التقت هذه اللجنة بصفة غير رسمية، مع أعضاء في كتلة إده الوطنية، المارونية في غالبيتها. ووصفت جماعة الكتلة الوطنية إعادة انتخاب بشارة الخوري رئيساً قبل فترة وجيزة، بالانتخاب الاحتيالي، وزعمت أن أكثرية اللبنانيين تقبل الارث المسيحي الغربي للبنان، وتأسف لعضوية لبنان في الجامعة العربية. وجاهر عدة أشخاص بتحبيذهم انشاء دولة يهودية في

فلسطين، محذّرين من خطأ «الاعتقاد بان هذه المنطقة بكاملها، منطقة اسلامية عربية»[١٢١]. اما إده بالذات، فقد تحفظ. وزعم لوتسكي أنه ابلغ إده معلومات موجزة قبل وصول اللجنة، وانتزع منه وعداً بأن يتحدث صراحة، لدعم انشاء دولة يهودية. ولكن لوتسكي، الذي عزل نفسه في غرفة مجاورة، كتب تقريراً يقول فيه تملّك [إده] خوف شديد قبل دقائق من وصول الضيوف، وبوصول العضو المسلم [في الكتلة الوطنية]، وابلغني... أن ظهور هذا العضو المسلم يجعل الصراحة صعبة... وسيكون مضطراً للتكلم بديبلوماسية في البداية، وبانه لن يستطيع إبداء رأيه الحقيقي الا على انفراد[١٢٢].

وبحسب تقرير لوتسكي، عمد إده عندما سئل عن الحل الذي يراه لمشكلة فلسطين، فور انعقاد الاجتماع، الى طلب المزيد من الوقت لدراسة المسألة، في الوقت الذي دعا فيه زملاؤه بدون تردد، الى تقسيم فلسطين الى دولتين، عربية ويهودية. حتى ان العضو المسلم في الكتلة الوطنية الذي أثار حضوره أعصاب إده، وافق على الرأي القائل بان «ليس هناك شيء يحتاج الى البحث، والتقسيم ضروري»[١٢٣]. وكان إده القلق بشأن أمن مكانته داخل حزبه، قد سارع الى رفض اقتراح عرضه عليه لوتسكي في وقت سابق، ويقضي بان يفاوض على معاهدة بين الكتلة الوطنية والوكالة اليهودية، على نسق الاتفاق الذي عقدته الوكالة مع الكنيسة، فيما كان في هذه الساعة، متردداً بالمجاهرة برأيه، حتى في هذا المنتدى المغلق[١٢٤]. ولقد سجّل المندوب الغواتيمالي في لجنة UNSCOP، جورج غارسيا غرانادوس، أن اده اخذه جانباً في وقت لاحق، ليعبّر له عن «مشاعره الحميمة جداً» تجاه الدولة اليهودية، على الرغم من ان أعضاء اللجنة كانوا في هذا الوقت، قد أخذوا علماً بوجود تأييد للسيادة اليهودية في فلسطين، بين المعارضة اللبنانية، ولا سيما بين المسيحيين[١٢٥].

وقد قام مبعوثان من لجنة UNSCOP بزيارة عريضة في اليوم التالي، وعلى الرغم من ان عريضة تحدث والمطارنة الذين يلازمونه، عن الحاجة الى إنشاء دولة يهودية من خلال تقسيم فلسطين، فإن لوتسكي قد شعر بالأسى، من حقيقة ان البطريرك بدا، وكأنه لم يترك تأثيراً قوياً جداً في زائريه[١٢٦]. اما السرية التي أحاطت بشهادة عريضة المؤيدة للتقسيم، فقد اتضحت في ارتباك المؤرخ متى موسى، حول ما يسميه «القول المذهل» للكاتب اللبناني أنيس صايغ، ومفاده ان عريضة طالب بإنشاء دولة صهيونية في فلسطين عندما قامت لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين بزيارة بيروت[١٢٧].

لقد اكتشف الصهيونيون مرة أخرى، أنه على الرغم من العلاقة الطويلة الأمد بإده، والمعاهدة التي وُقعت مع عريضة، فان مبارك وحده هو الذي يجاهر بتأييده انشاء دولة يهودية. وجاء في تقرير رفعه أن «الزمرة الحاكمة [نجحت في] ارغام المونسنيور مبارك على مغادرة لبنان، على الأقل بصورة مؤقتة»[١٢٨]. لكن مبارك الذي لم يكن مستعداً لخنق صوته، عبّر عن آرائه من الخارج، في رسالة بعث بها الى لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين، كانت مطالبته الأكثر انفعالاً وصراحة من أي وقت مضى، بانشاء دولة يهودية في فلسطين. وبعدما انكر فيها اي حقوق يدّعيها العرب بفلسطين، وقارن بين اليهود (والمسيحيين) المتنوّرين، والمسلمين العرب «المتخلفين وغير التقدميين»، مشيراً الى الحاجة لملاذات من أجل الأقليات المتعاونة في الشرق الأوسط، اختتم رسالته بالتأكيد بأحرف كبيرة، ان «لبنان يطالب بالحرية لليهود في فلسطين ـ بقدر ما يشتهي حريته واستقلاله»[١٢٩].

واجتاحت لبنان عاصفة من الاحتجاجات عندما نشرت صحيفة «الديار» هذه الرسالة. وبحسب جهاز الاستخبارات التابع للوكالة اليهودية، كان كميل شمعون قد حصل على نسخة من هذه الرسالة، وسلمها الى الحكومة التي ناشدت مبارك شخصياً، ثم ناشدت الفاتيكان ايضاً، للضغط عليه من أجل سحب أقواله. وقد كشفت الحكومة فحوى الرسالة للصحافة عندما فشلت في مناشداتها[١٣٠]. ضربت رسالة مبارك لبنان «كالقنبلة»، فاشعلت التظاهرات، وأثارت الدعوات المنادية بكل شيء، ابتداء من اعتقاله، وانتهاء بترحيله[١٣١]. وقد قاد الهجوم آنذاك، نواب موارنة في البرلمان اللبناني، أصابهم الذعر، طرحوا مشروع قرار يدين رؤية مبارك الضيقة للبنان المسيحي، ويرفض تقسيم فلسطين، وانشاء دولة يهودية، ويشدّد على ان مبارك انما يعبّر عن رأيه الشخصي، وليس عن رأي الطائفة المارونية[١٣٢]. ومع ذلك، ردّت الجماعة الصغيرة المتطرّفة من اتباع مبارك بازدراء، على الدعوة الى الاضراب العام، وحضّت الاقليات الأخرى ايضاً، على إبقاء حوانيتها مفتوحة. ومما يدعو الى السخرية، ان يوم الاضراب صادف يوم «عيد المظلة» اليهودي، وان الطائفة اليهودية في بيروت وجدت نفسها تُغلق محلاتها التجارية اسوة بالذين كانوا يذمّون مبارك[١٣٣]. لكن مبارك تمسّك بأقواله كلها، على الرغم من الإدانة الكاسحة.

ولكن، بعد سنوات من التأكيدات التي كانت تُعطى على انفراد، والاحتجاجات التي كانت تُطلق في العلن، لم تكن ردة فعل عريضة مفاجئة بالنسبة الى الوكالة اليهودية. فقد

أفادت التقارير الأوّلية بان عريضة دان مبارك، وحجب الأموال عن أبرشية بيروت، معرباً عن معارضته للتقسيم وانشاء دولة يهودية[١٣٤]. كما تبنى عريضة في مقابلة اجرتها معه صحيفة «الحياة»، لهجة محايدة، مكرّراً اعتقاده بان على لبنان السعي لاقامة علاقات ودية مع جيرانه كافة، وعدم الانحياز الى اي طرف في شؤون الآخرين، بما في ذلك شؤون فلسطين[١٣٥]. ولكن لوتسكي رفع تقريراً يفيد بان صحف بيروت نشرت تصريحاً لعريضة، يشدد فيه على ان مبارك كتب رسالته الى UNSCOP باسمه فقط، وليس باسم البطريرك او الطائفة المارونية[١٣٦]. ويزعم بعض البحّاثة، أن البطريرك وبّخ مبارك نتيجة لهذه الحادثة، واعفاه من مهامه، ونفاه الى أحد الأديرة، فيما عزا آخرون سبب النقمة عليه الى معارضته لحكومة بشارة الخوري، التي كانت معارضة تنطوي على تهديد متزايد[١٣٧]. فقد دعا مبارك علناً، وبعد مرور ثلاثة أسابيع على كتابة رسالته الى UNSCOP، الى تمرّد مدني على «الحكم الاستبدادي» لبشارة الخوري، ويزعم بانه فاتح لوتسكي طالباً من الوكالة اليهودية الأموال والمساعدة في إطاحة الحكومة[١٣٨]. وبغض النظر عن العامل المسبب، فقد خسرت الوكالة اليهودية بذهاب مبارك، أكثر مؤيديها حماسة في لبنان.

ولقد أعطى البطريرك عريضة صورة مسبقة عن موت المعاهدة الصهيونية ـ المارونية، عندما أقدم على وضع مسافة بينه وبين موقف مبارك المؤيد علناً للصهيونية. ففي كانون الثاني/يناير، من العام ١٩٤٨، تحوّل خلاف نشب بينه وبين توفيق عواد الى حملة افتراءات. وعلى الرغم من ان هذا الخلاف، لم يكن يشمل اليهود، فقد عمد عواد، في سعيه للاساءة الى البطريرك، الى اتهام عريضة علناً، بإرساله للتفاوض مع الوكالة اليهودية بشأن عقد معاهدة. وسارع البطريرك في ردّه، الى اتهام عواد بالتشهير بسمعته ونفى عن نفسه تهمة اي تعاط مع الصهيونيين[١٣٩]. وبقي تبادل الاتهامات على ما يبدو، ضمن دائرة صغيرة في المقر البطريركي، لانه لا وجود لاي أدلة تشير الى تسبب هذه الاتهامات المتبادلة، بذلك النوع من الاحتجاجات العامة التي يتصورها المرء. ومع ذلك، لم يقترب عريضة مرة أخرى، من الوكالة اليهودية، لا لطلب تفعيل الاتفاق، ولا لتأكيد التزامه به سراً. وسرعان ما أصبحت المعاهدة، التي استغرق تحقيقها ما يزيد على عقد من الزمن، شهادة سرية ساكنة، على رؤية لمصير صهيوني ـ ماروني مشترك.

وفي أعقاب حادثة مبارك، التزم الصمت حتى أولئك الحلفاء الذين كانوا يعبّرون سرّاً،

عن آراء مؤيدة للصهيونية. اما الرد الغاضب من معظم الجهات المارونية، الذي اثارته رسالة مبارك الى UNSCOP، فقد تحدّى الفكرة الصهيونية عن لبنان المسيحي الودي، تماماً مثلما تحدّتها فيما بعد، التبرعات اللبنانية للحملات العربية التي كانت تهدف الى احباط تقسيم فلسطين، وانشاء دولة يهودية. ونسب حداد الى ممثل لبنان لدى الأمم المتحدة، الارثوذوكسي شارل مالك، القيام بدور «المعلن غير الرسمي في الغرب، عن المعارضة العربية لانشاء دولة اسرائيل»[١٤٠]. فقد رسم مالك صورة لبنان كالقوة القائدة في جامعة الدول العربية، فيما عمل كميل شمعون الماروني، مع وفود الدول العربية الأخرى، لمحاولة منع تمرير قرار التقسيم. ومع ذلك، أقرت غالبية الثلثين المطلوبة في الجمعية العامة للأمم المتحدة، في ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر من العام ١٩٤٧، تقسيم فلسطين واقامة دولة يهودية، وقررت فرنسا الرافضة، التصويت لصالح هذا القرار في اللحظة الأخيرة[١٤١]. اما شارل حلو، وهو ماروني آخر، فكان سفيراً للبنان في الفاتيكان، وقد أدى دوراً في اقناع البابا بحجب الاعتراف الديبلوماسي عن دولة اسرائيل الجديدة[١٤٢].

وإزاء هذا العداء اللبناني، تذكر وايزمان تأييد مبارك الوفي، فبعث اليه بتحياته بمناسبة تصويت الأمم المتحدة، معرباً عن شوقه لقيام علاقات حسن جوار مع «اصدقائنا في لبنان، ومنهم انت، ممثلهم المتميّز الى هذا الحد»[١٤٣]. ومن بين المؤيدين الآخرين الأوفياء للصهيونيين، كان قرم والنقاش قد توفيا، ولكن كان مبارك وعريضة ما يزالان على قيد الحياة لرؤية «الكيان الاسرائيلي». وقد علم ابشتاين من صديق مشترك أن انعدام العلاقات السلمية بين الدولة اليهودية ولبنان، كان وحده الذي خفف من غبطة اده بنجاح الصهيونيين[١٤٤]. ولقد وُلدت اسرائيل من دون مساعدة حلفائها اللبنانيين، وعلى الرغم من جهود خصومها اللبنانيين ايضاً.

الاستنتاج

كانت الحرب العالمية الثانية ونتائجها، هي التي املت العلاقة الصهيونية مع لبنان، في العقد الاخير السابق لقيام الدولة. فقد راح النفوذ الصهيوني في لبنان يتضاءل باستمرار طوال الاربعينيات، مثلما راح يتضاءل احتمال التحالف الماروني ـ الصهيوني. إذ إنّ الزعماء المؤيّدين للصهيونية في كل من الدوائر السياسية والدينية، فقدوا الكثير من سلطتهم، إن لم

تكن سلطتهم كلها، نتيجة ضغوط حكومة فيشي وضغوط البريطانيين والقوميين. وعكس تدهور العلاقات بين الرئيس والبطريرك، التدهور المتواصل لحظوظ الصهيونيين في لبنان. وكانت الوكالة اليهودية تتمتع بشخصي اده وعريضة، بتحالف مؤيد للصهيونية بين اعلى المراتب في المؤسستين السياسية والدينية. ولكن النزاع بين النقاش وعريضة، وكلاهما من اصدقاء الوكالة، ادى الى تدمير هذه الشراكة السياسية ـ الدينية، واضعاف القوة الكلّية للقوى المؤيدة للصهيونية في لبنان. وانطلق لبنان بثبات بقيادة بشارة الخوري، على طريق التقارب المسيحي ـ الاسلامي، الذي اكسب هذا الرئيس عداوة «عريضة» الجامحة، ووضع حداً للخيارات السياسية للصهيونية في لبنان[١٤٥].

ولم يتقبّل اصدقاء الوكالة اليهودية هزيمتهم بهدوء، فراحوا ومؤيديهم الصهيونيين، يعرضون المقترحات الجموحة من اجل اعادة الموارنة المؤيدين للصهيونية، والطائفة المارونية، الى مواقع الهيمنة. ولكن مخططاتهم الهستيرية لم تكسب قاعدة تأييد مهمّة، ولم تخلق جدلاً جدّياً. فاي امرئ يبلغ به اليأس مبلغاً يجعله يأتي بافكار من هذا النوع، يكون على درجة من اليأس تجعله غير قادر على متابعة هذه الافكار حتى تمامها. وكان ابشتاين وحده يملك المصداقية والموارد الكامنة لتعزيز المصالح الصهيونية ـ المارونية المشتركة. ومع انه لم يكن يستطيع وحده، السير قُدماً بفكرته القاضية بإنشاء رابطة دفاع للاقليات، فقد استخدم صلاته لمساعدة المعارضة المارونية في حملتها الاميركية. ولكن اللامبالاة حالت دون الامر نفسه في لبنان. فالشهادات المؤيدة للصهيونية، التي ادلوا بها امام اللجنة الانجلو ـ الاميركية ولجنة الامم المتحدة، في بيروت، كانت شهادات سرية وضعيفة.

ومع انغلاق الخيار السياسي، برزت الكنيسة ممثلاً لبنانياً وحيداً، يملك الميل والقدرة على محاولة انقاذ الامتيازات المسيحية في لبنان، من خلال التحالف مع اليشوف وقدرة الوصول الى الموارد الصهيونية. ولكن على الرغم من التوصل اخيراً، الى اتفاق رسمي مكتوب، فقد اثبت هذا الاتفاق في نهاية المطاف، انه ليس اكثر فعالية من اي محاولة من محاولات التحالف الفاشلة، التي سبقته. فهذه «المعاهدة الرائعة» التي استندت الى سيناريو بعيد الاحتمال، تفرض فيه الكنيسة ارادتها السياسية على الفئات العديدة في لبنان، والى الاحتمال (غير الموثوق ايضاً) بانشاء دولة يهودية، كانت معاهدة محكوماً عليها بالفشل.

فالكنيسة بتجاهلها اعداد القوميين العرب من مسيحيين ومسلمين، المعادين للصهيونية، وتأثيرهم، كانت تتصور «لبنان مسيحياً» غير موجود في الحقيقة. واثبت الجانب الصهيوني لهفة بالقدر نفسه، على الانشغال بافكار مبنية على التمني، موهماً نفسه باكتساب الامن للدولة اليهودية، من خلال التفاوض مع جهات محيطة بالفلسطينيين العرب، الذين كانٍ مشتبكاً معهم في نزاع بدت السيطرة عليه غير ممكنة.

ولقد شكلت المعاهدة مع «عريضة»، خطوة منطقية في العلاقة المستمرة بين الطرفين، ولا سيما أن فكرة الشراكة اليهودية ـ المارونية الخاصة، كانت فكرة متأصلة منذ زمن طويل، في التفكير الصهيوني. ومع ان هذه المعاهدة كانت بالنسبة الى موقعيها، تحمل فوائد سياسية مشكوكاً فيها، إلاّ ان قيمتها كتعبير جليّ لفرضية تحالف الاقليات، لا تُقدر بثمن. فقد كانت من نواحٍ عديدة، خلاصة لنقاط القوة والضعف في العلاقة الصهيونية ـ المارونية. ولقد جرى التفاوض بشأنها بسهولة وسرعة، لان الصهيونيين والموارنة الذين كانوا يشاركون عريضة في معتقداته السياسية، كانوا يتشاطرون مصالح مشتركة فعلاً. ولكنها كانت عملياً، عديمة الجدوى في ما يخصّ العلاقات الصهيونية مع الدولة اللبنانية. فالموقعون اللبنانيون كانوا يمثلون شريحة واحدة فقط، من الطائفة المارونية التي كانت بدورها، واحدة من فئات لبنانية عديدة. ولم تكن الكنيسة في ذروة قوتها، تملك السلطة لالزام لبنان باتفاقية سياسية، وان كانت قد مارست نفوذاً سياسياً. وهذه الكنيسة التي وقّعت المعاهدة، تحالفت مع الصهيونيين من باب الضعف، وليس من باب القوة. اما الوضع اليائس الذي دفع عريضة في النهاية، الى الدخول في تحالف رسمي، فقد ضمن أن البطريرك سوف يكون حليفاً لا تأثير له. وبدا عريضة، عندما نفى ما كشفه توفيق عواد عن وجود المعاهدة، كأنه يؤكد في نفيه شكوك اولئك الصهيونيين الذين لم يؤمنوا قط، بتحالف الاقليات: ففي النهاية، لن يجرؤ اي ماروني على المجازفة بتدمير العلاقة المسيحية ـ الاسلامية الهشة، بانتهاج سياسة مؤيدة علناً للصهيونية.

وتعيد تجارب مبارك تأكيد هذه النظرية. فقد دين، وتعرض للسخرية، وعانى من اعلاناته المتكررة المؤيدة للصهيونية، بل، قد يكون خسر ابرشيته نتيجة لذلك. وكان من شأن السياسي الذي يعتمد على تأييد شعبي واسع، خلافاً لقائد كنسي معيّن تعييناً، ان يفقد منصبه على الفور لتبنيه آراء مبارك. وتعزيز تماسك لبنان الكبير كان يعني أن على

السياسيين الموارنة، محاولة تنمية دوائر انتخابية اسلامية. وهذا بالطبع، ما يفسر جزئياً، رفض اده العمل، على اساس ميوله الشخصية المؤيدة للصهيونية.

وتثبت نشاطات مبارك ايضاً، عجز معاهدة العام ١٩٤٦. فعلى الرغم من ان عريضة تفاوض مع الوكالة اليهودية حول المعاهدة، في غضون ذلك، فقد اثبت في شهادته المؤيدة للصهيونية، امام لجنة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين، أنه لم يكن اكثر شجاعة مما كان قبل عام، امام لجنة التحقيق الانجلو ـ اميركية. وكان مبارك، الذي لم تكن له يد في المعاهدة، وحده الذي جاهر برأيه بقوة، لصالح الدولة اليهودية[١٤٦]. فالوكالة اليهودية كان لها مع عريضة، حليف متحفظ ومعاهدة، ولكن مع مبارك لم يكن لديها معاهدة بل حليف غير متحفظ؛ بيد ان الاثنين في النهاية، كانا غير مؤثرين. فقد صارع مبارك وحده، وجُرِّد ببطء، من اي نفوذ كان يمكنه ان يدفع المصالح المارونية ـ الصهيونية قدماً الى الامام. اما التعاون الواسع النطاق الذي رُسمت معالمه المحددة في معاهدة عريضة، فلم يتحقق قط. وإن معاهدة العام ١٩٤٦، تبقى مهمة كشهادة على ذلك الادراك المغري للبنان، الذي ظهر الى هذا الحد البارز في المخيلة الصهيونية الاولى: رؤية انسجام طبيعي للمصالح بين طائفة الاقلية اليهودية، وطائفة الاقلية المسيحية في الشرق الاوسط المسلم، وتشابك مصيريهما.

الفصل السادس

الخاتمة

ان النجاح في عقد معاهدة صهيونية ـ مارونية رسمية، وفشل هذه المعاهدة الذريع، في انتاج تحالف سياسي، له مغزاه، يعكس بايجاز، تاريخ الاهتمامات الصهيونية بلبنان، ما قبل قيام الدولة، ونتائج مقاربة تحالف الاقليات. وعلى الرغم من ان متابعة هذه السياسة، أثبتت أنها غير منتجة، فإن دراسة الجهود الصهيونية التي بُذلت لانجاح هذه السياسة تعطي معلومات مفيدة عن العملية البيروقراطية لصناعة القرار، وكيفية استمرار المدركات الخاطئة، ما إن يجري ادخالها في نظام صناعة السياسة. وحتى نكون اكثر تحديداً نقول بان تحليل مسار التورط الصهيوني مع لبنان والموارنة في فترة ما قبل الدولة، يكشف الكثير عن رؤية الصهيونيين للشرق الاوسط، والمستقبل الذي كانوا يرونه للدولة اليهودية. اما الافكار الصهيونية الأولى حول دمج كيان سياسي يهودي في الشرق الاوسط المسلم، فانها افكار ما زالت مطابقة لمقتضى الحال، بما أن العملية لم تكتمل فصولاً بعد، بطريقة شافية. ويكتسب إجراء التحليل لبرنامج تحالف الاقليات، أهمية خاصة، إذا كانت هذه الفكرة تحتفظ باي تأثير في التفكير الاسرائيلي حول لبنان، ولا سيما انها اثبتت فشلها.

ويدعي الصهيونيون الذين كانت لهم صلة بنشوء المعاهدة، أنهم في الوقت الذي اغتبطوا فيه لانجاز معاهدة صداقة رسمية، فإن عدم جدواها لم يفاجئهم، وإنها لهذا

السبب، لم تعكّر الانسياب الطبيعي لعملية صناعة القرار. ومع حلول العام ١٩٤٦، كما يقولون، كانت الوكالة اليهودية قد تعلّمت بألا تتوقع عائدات كبيرة من تعاملها مع الموارنة. ولكن لا يسع المرء، إلاّ أن يفكر في أن عجز الموارنة المتكرر عن تقديم مساعدة سياسية عملية على مرّ السنين، كان من شأنه أن يلقن الدائرة السياسية هذا الدرس في وقت مبكر اكثر. ويتبادر الى ذهننا، على الفور، ان الاخفاق في العمل على أساس خطة إعادة توطين اليهود الألمان في لبنان، وفي إتمام المقترحات العديدة، لانشاء جمعيات سياسية وغير سياسية، وفي تنفيذ حملة منسّقة، أمام لجنة بيل، والذي حصل كلّه قبل عشر سنوات من عقد المعاهدة مع «عريضة». كما أن فحصاً شاملاً للسياسة الصهيونية ما قبل ـ الدولة، تجاه لبنان، خصوصاً ما يتعلق منها بفكرة تحالف الاقليات، يستدعي السؤال التالي: لماذا لم تُسحب الثقة من سياسة، كان ينبغي الإدراك أنها سياسة مُضللة، وبلا ريب في آواخر الثلاثينيات، ولم يجر التخلي عنها في ذلك الوقت؟

ان هذه الدراسة، تستجمع أحداثاً في السياسة الصهيونية تجاه لبنان، لتوجد، انسياباً صافياً للاحداث. ولكن على المرء ان يتذكر، في تحليل هذه السياسة، أن الوكالة اليهودية لم تتمتع في أي وقت من الاوقات، بترف القدرة على تفحّص موجز خطي، لجهودها كلها في لبنان. فقد انقضى زمن بين الرسائل التي تبادلتها مع وسطاء صلاتها اللبنانيين، والعمليات التي جرت محاولات لتنفيذها. وفي غضون ذلك، كانت الوكالة تجاهد في سبيل التعامل مع ظروف اكثر جدية، ناشئة عن مقاومة الفلسطينيين العرب، والعراقيل البريطانية في وجه تحقيق الطموحات الصهيونية في فلسطين. أما في مجال المصالح الصهيونية في العالم العربي الأكبر، فكان لبنان غالباً ما يخسر، لصالح بلدان، مثل سوريا، كانت تعتبر أكثر اهمية واكثر تهديداً[1]. فقد احتل لبنان في هرم الاولويات الصهيونية، ما قبل اقامة الدولة، موقعاً ذا أهمية ثانوية فحسب، فارضاً اكبر قدر من الاهتمام به، خلال فترة نشاط الحاج أمين فيه.

ولقد تضافرت طبيعة عملية صنع القرار في الدائرة السياسية، التي كانت تتميز بمعالجة كل موضوع على حدة، حال نشوئه، مع مشاكل الصهيونيين الضاغطة، مع البريطانيين والفلسطينيين، لتعمل ضد سياسة مترابطة، محددة بدقة، تجاه لبنان. فقد كانت الدائرة السياسية، في الفترات الفاصلة بين نشاطاتها مع أصدقائها الموارنة في لبنان، تتابع عملياتها في الأماكن الاخرى، وتواجه عموماً، محاورين أكثر عداء. ولا بد، أن كل

خطة جديدة للتعاون الصهيوني ـ الماروني، كانت تبدو في حينها، عنصر ترويج مُستحبّ، واحتمالاً جديداً يستحق الاستكشاف. ولم تترك إخفاقات الموارنة المتكررة، في ترجمة كلماتهم العطوفة الى افعال، ذلك التأثير السلبي في المنظورات الصهيونية على مرّ الزمن، كما كان يمكن للمرء ان يتوقع، وذلك لبضعة أسباب. فالدائرة السياسية، المنهكة بالعمل، والتي تعاني من نقص في هيئتها العاملة، وفي ميزانيتها، لم تكن تملك سياسة معينة تجاه لبنان تعمل على تطبيقها (والتي كان فشلها سيتضح بعد سنوات قليلة)، بل كانت بالاحرى تستجيب للعروض، وللامكانيات، كلما نشأت. ولم تأخذ الدائرة على عاتقها في اي وقت من الأوقات، إجراء تحليل دقيق لأحداث الماضي، الذي كان من شأنه ان يسلط الضوء على نمط المبادرات والاهتمامات المارونية، وفي نهاية المطاف، على القصور الذي ميّز الجهود الصهيونية لتنسيق الأنشطة. كما أن النجاحات الصغيرة جداً، التي تحققت هنا وهناك، وقد حجبت رؤية الفشل الشامل للعلاقة الصهيونية ـ المارونية في إعطاء ثمارها. كما أن التأثير المتراكم لسنوات من المفاوضات الجارية، وحركة الانتقال من مقترحات التحالف الجموحة الاولى، الى مسودّات المعاهدات، وفي النهاية الى اتفاق رسمي، قد ولّدا وهماً بحصول التقدم. وعندما ينظر المرء في المصاعب، التي واجهتها الوكالة اليهودية في تعاملها مع باقي الدول العربية الأخرى، لا يعود هناك ما يدعو الى الدهشة، لأنها لم تحاكم القيمة الفعلية لسياستها اللبنانية، محاكمة أكثر قسوة.

ومن الضروري أيضاً، طرح السؤال عما كانت تترقبه الدائرة السياسية بواقعية، من نشاطاتها في لبنان، قبل تحديد ما اذا كانت قد نجحت أو أخفقت. ففي ما يخص جمع المعلومات، واقامة الصلات بدوائر عربية مختلفة، على سبيل المثال، تستطيع الدائرة ان تسجل لصالحها نجاحات مهمة. ولكن هل كانت شروط معاهدة العام ١٩٤٦ معروفة على نطاق واسع، وهل توقّع الصهيونيون حقيقة، أن يصبح التحالف السياسي الملموس تحالفاً ساري المفعول؟ يقول يعقوب شمعوني، الذي شارك في وضع مسودّة المعاهدة، بان وايزمان وبن ـ غوريون وشرتوك، وأعضاء الهيئة التنفيذية، علموا جميعاً بأمر المعاهدة، ووافقوا على المبدأ الاساسي القائل بأن امكانية التحالف مع لبنان، أو حتى مع الكنيسة المارونية وحدها، اذا كانت امكانية قائمة، فان على الوكالة اليهودية أن ترد بايجابية[2]. وكان هذا، بعد كل شيء، نتيجة منطقية لما يزيد على ما قيمته عشر سنوات من الاجتماعات والمفاوضات، مع اده وعريضة. ومع ذلك، يؤكد شمعوني بانه في الوقت الذي اغتبطت فيه

الدائرة السياسية من التحالف الرسمي واحتمالات الفائدة السياسية الكامنة، فان السياسة الصهيونية المستمرة تجاه لبنان، لم تعتمد على هذه المعاهدة. وفي ضوء العداء الذي كانت تواجهه الوكالة اليهودية في أماكن اخرى، فان رفض عرض البطريرك كان من شأنه ان يكون حماقة، مثلها مثل حماقة إسناد النشاطات المستمرة في لبنان، على أساس ذلك التحالف. وبحسب شمعوني، فان الدائرة السياسية كانت حكيمة في عقدها أفضل اتفاق ممكن مع عريضة، ثم في مواصلتها العمل، وكأن المعاهدة غير موجودة.

وكانت انتفاضة ١٩٢٦ـ ١٩٣٩ العربية في فلسطين، قد أقنعت الوكالة اليهودية بعدم جدوى محاولة التوصل الى تسوية، مع الفلسطينيين العرب، ودفعت الدائرة السياسية الى تركيز اهتماماتها على البلدان العربية، المحيطة عوضاً عن ذلك. كما ان نجاح المفتي السابق بتحويل بيروت الى معقل فلسطيني، وجنوب لبنان الى نقطة انطلاق للهجمات ضد اليشوف، قد ادى الى وضع لبنان في مقدّمة هذه البلدان. وأصبح خيار الموارنة اكثر جاذبية في ضوء الاهتمام الصهيوني، بايجاد حليف خلف خطوط المفتي اللبنانية؛ وحالما ثبتت الطبيعة العاصية للنزاع العربي ـ اليهودي على فلسطين، الاندفاعة الصهيونية لاحباط الفلسطينيين، من خلال التوصل الى اتفاق مع العرب الآخرين. ولربما ان امكانية الاتمام الفعلي لتحالف صهيوني ـ ماروني فعّال، لم تبدُ اقل من إمكانية التوصل الى ترتيب مؤقت للتعايش مع الفلسطينيين العرب، بل شكّلت جهداً مريحاً أكثر بكثير.

وكان الاستعداد لعقد صفقة مع الموارنة، موقفاً منسجماً مع المجهود الصهيوني العام، للتفاوض حول اتفاقيات مع زعماء عرب غير فلسطينيين، في السنوات التي سبقت مباشرة حرب ١٩٤٨، كما شهدت على ذلك التفاهمات التي توصلت إليها الوكالة اليهودية، مع رئيس وزراء مصر، اسماعيل صدقي، ومع ملك شرق الاردن، عبدالله[٣]. اما الجهود التي بُذلت لصياغة تحالف درزي ـ صهيوني، فلربما عكست اكثر من غيرها، صورة التجربة مع الموارنة. فقد كان الدروز والموارنة طائفتين من الاقليات التي لا دولة لها خاصة بها في الشرق الاوسط، قد اقامت الوكالة اليهودية معهما، ولعشرات السنين، علاقات كانت تتوقد وتخبو باستمرار. واستطاعت الدائرة السياسية في كلتا الحالتين، ان تشير الى احراز نجاحات صغيرة، في ادارتها لأحداث معزولة، لما فيه المصلحة الصهيونية. ولكن ثبت في نهاية المطاف، أن الارباح المتأتية منها كانت أرباحاً هزيلة، بالمقارنة مع ما تنفقه الصهيونية من الطاقة والرساميل لتنمية العلاقات، وفي ضوء حاجة الصهيونيين الى تحالفات مفيدة

في المنطقة. وفي ربيع العام ١٩٤٦، وفي الوقت نفسه الذي كانت الدائرة السياسية تتفاوض فيه مع الكنيسة المارونية حول معاهدتهما، بذلت الدائرة مجهوداً مماثلاً من اجل التوصل الى اتفاقية رسمية مع الدروز الفلسطينيين[٤]. وفي سنوات الانتداب الاخيرة، كانت الديبلوماسية الصهيونية في العالم العربي، القابلة القانونية البائسة، للمحاولة الفاشلة التي بذلت من أجل عقد تحالف درزي ـ صهيوني، والقابلة القانونية البائسة ايضاً، للمعاهدة المارونية ـ الصهيونية التي ولدت ميتة، وللاتفاقيتين القصيرتي الأجل مع صدقي وعبدالله.

لقد برز تعريب النزاع في فلسطين، كأحد أهم نتائج الاضطرابات فيها. ففيما كانت الدول العربية تورط نفسها أكثر فأكثر في مسألة فلسطين العربية، كانت الحركة الصهيونية تتبنى موقفاً معادياً، بصورة متزايدة عن العروبة. ويقول ايان بلاك مجادلاً، بأن الصهيونيين في سعيهم لتشويه سمعة العروبة، علقوا في شرك الانقسام المطلق بين حركتهم وحركة خصومهم. وأصبحت المعركة بالنسبة اليهم، صراعاً بمصطلحات مطلقة، بين ما كانوا يرونه كقوى العروبة المدمرة، وقوى الصهيونية التقدمية[٥]. ويضيف بلاك أن الصهيونيين الذين لم يروا في العروبة، لا ميزة شرعية ولا حسنة واحدة، استهانوا بأهمية المسألة الفلسطينية في انحاء العالم العربي. وبالفعل، فقد أثبت الاستراتيجيون الصهيونيون باستمرار، عدم قدرتهم على تقدير قوة القومية العربية والتضامن العربي، حق قدرها. فالصهيونيون الذين الفوا الخصومات العربية، كانوا يميلون الى رؤية العروبة، والقومية العربية ايضاً، كأداتين سياسيتين فاسدتين ومؤقتتين، يستعملهما القادة العرب لمآربهم الخاصة. وكان صانعو السياسة الصهيونيون، بمبالغتهم في تقدير ضعف العروبة والقومية العربية واستهانتهم بقوتهما، قد ضللوا أنفسهم بشأن احتمال عثورهم على شريك عربي مستعد لاتخاذ موقف مؤيد للصهيونية، بمعزل عن باقي العالم العربي المسلم. أما في ما يتعلق بحالة لبنان بصفة خاصة، فقد كان هناك اجماع عام، على أن معاداة الصهيونية لم تكن تعكس موقفاً لبنانياً معادياً عداء حقيقياً لليشوف، بقدر ما كانت تعكس التأثير المؤقت للارهاب، وللرعاية الفلسطينية العربية. ولقد ترتب على ذلك، الاعتقاد بان إطلاق الدعاية المضادة الفعّالة، وانتهاء الاضطرابات في فلسطين، سوف يتيح للاستعداد الطبيعي اللبناني والماروني، لتقبّل علاقات تعاون مع اليشوف، بان يعيد تأكيد نفسه.

وقد فهم اده وعريضة عمق التضامن العربي، بصورة افضل، مما فهمه وسطاء

صلاتهم في الوكالة اليهودية، على الرغم من استمرارهما في الاعتقاد بقدرتهما على الامساك بالسلطة في وقت ما، في المستقبل، وبدرجة من القوة التي تمكّنهما من مقاومة الغضبة العارمة العربية ـ الاسلامية، من انتهاجهما سياسة مؤيدة للصهيونية. لكن احداً منهما لم يتوان عن محاولة استخدام النفوذ والموارد الصهيونية لمنفعته الخاصة. وكان الموارنة اكثر نجاحاً، في سعيهم لتحصيل مساعدات مادية وديبلوماسية، من هذه العلاقة، بصورة كتومة، فيما أُحبط الصهيونيون، في محاولاتهم لتحصيل تصريحات علنية تدعم انشاء دولة يهودية. وربما كان اصرار الموارنة على ابقاء المشاريع المشتركة سرية، هو الذي انقذ حياتهم، حتى في الوقت الذي ادى فيه هذا الاصرار الى ابطال الفائدة السياسية لهذه المشاريع. فشيوع أمر معاهدة العام ١٩٤٦، كان من شأنه على سبيل المثال، أن يكلّف الكنيسة المارونية ما تبقى لها من شرعية، كقوة سياسية في السياسة اللبنانية، ولكان من المحتمل جداً، ان يؤدي الى هجوم عربي ـ اسلامي شامل على الرؤساء الموارنة.

وعلى الرغم من أن السياسة البراغماتية وحدها، تقول بوجوب ان تجد الدول العربية في اسرائيل القوية حليفاً مرغوباً فيه، في النزاعات الناشبة فيما بينها («عدو عدوي»)، كما يقول غلين أ. بيري في بحثه، إلا أن المواقف الشعبية المناهضة لاسرائيل، تمنع الانظمة من الدخول في تحالف معها، وتجعلها تتأبى المجازفة بالظهور بمظهر المدعوم علناً، من اسرائيل، حتى في لحظات اليأس[٦]. ويلاحظ بيري بأنه حتى الموارنة الذين لا يشاركون العرب والمسلمين الآخرين، مواقفهم المعادية عداء متوقداً للصهيونية، كانوا مقيدين بالاعتبارات الاقليمية الأكثر اتساعاً. ومع ان بيري يناقش في الاساس، فترة التدخل الاسرائيلي في السياسات العربية ـ العربية، بعد قيام دولة اسرائيل، فإن ملاحظاته تنطبق على فترة ما قبل الدولة ايضاً. وعلى الرغم من مطالبة الموارنة المتكررة باعتماد السرية، والنفي الماروني العلني للمشاعر المؤيدة للصهيونية التي كان يُعبّر عنها سراً، فان معظم صانعي السياسة الصهيونيين، لم يكونوا مدركين عشية قيام الدولة الاسرائيلية، الى اي حد باتت حركتهم منبوذة اقليمياً.

وربما كانت الحرية التي تنقّل بها الممثلون الصهيونيون في انحاء الشرق الاوسط، ليتداولوا مع شخصيات عربية بارزة، تنتمي الى جميع المشارب السياسية، قد حجبت رؤية هذا التطور المؤسف. فقد تطلّب السعي وراء الحلم اليهودي، في البداية، درجة مهمة من الاستقلال بالرأي والمثالية، في اوقات كانت فيها أي مراجعة موضوعية للعقبات التي

تقف في وجه السيادة اليهودية، تشير الى أن هذه السيادة هي هدف غير واقعي. ولقد افلح الصهيونيون بتجاهلهم لتلك العوامل التي كانت تدل على أنهم محكومون بالفشل. ولكن هذه الاستراتيجية لم تعط نتائج ايجابية مماثلة، في ما يتعلق بالتحالف الصهيوني ـ الماروني. فالدائرة السياسية بتقليلها من أهمية العقبات التي تواجه الموارنة المؤيدين للصهيونية، أبقت على قيد الحياة، فكرة كان ينبغي ان تُدفن قبل وقت طويل. ففي اوائل الثلاثينيات، عمد الصهيونيون، ولا سيما بن ـ غوريون، الى البحث مع القادة العرب في حلول خلاقة، يشارك الوطن القومي اليهودي من خلالها، في اتحاد اقليمي للدول العربية. وفي أوائل الاربعينيات، تبنّى العرب موقفاً مؤيداً للفلسطينيين العرب، كان كفيلاً بجعل الدولة اليهودية تقف ضد جيرانها العرب، وليس في وسطهم. وهكذا انهار الهدف الصهيوني، بتشجيع فئات عربية مهمّة على تأييد انشاء دولة يهودية، على صخرة النجاح في تعريب النزاع على فلسطين، والذي لم يستطع قهره، حتى الموارنة المعادون بحماس للعروبة. فهل كان الصهيونيون مضللين في مقاربتهم اللبنانية برمتها؟ ولماذا استمر هذا الاهتمام بالتعامل مع الموارنة لوقت طويل، بعد ان اثبت هؤلاء تكراراً، أنهم حلفاء لا يمكن الركون اليهم؟ إن بعضاً من المسؤولية يُلقى على عاتق الياهو ابشتاين وامثاله، الذين تأذت موضوعيتهم، بسبب ميولهم الشخصية الى أصدقائهم الموارنة. فبعد ان اصبح ابشتاين يشارك إده وعريضة نظرتهما الى الوضع اللبناني، راح يبالغ في تقدير قوة المعارضة المارونية، لبشارة الخوري، وقوة المقاومة المارونية العامة لـ «تعريب» لبنان.

وعلى الرغم من أن الدائرة السياسية، لم تبن مدركاتها للبنان على أساس تقارير ابشتاين وحدها، فان اعتمادها على تلك الجماعة المارونية الضيقة، التي كان يمثلها اده وعريضة، أسهم في اساءة التقدير نفسه، للقوة النسبية لمختلف المجموعات اللبنانية المتنافسة على السلطة. اما الوكالة اليهودية التي كانت تتلمّس طريقها بحذر بين الفئات اللبنانية العديدة، فقد حصرت علاقاتها الجدية بمجموعة معينة واحدة. وعلى الرغم من انها حافظت على اتصالات غير منتظمة مع اطراف اخرى، مارونية (وغير مسيحية)، فإنها حصرت تعاملها الرئيسي مع لبنان، بأولئك الموارنة الذين كانوا يشاطرون اده وعريضة توجههما. ويتضح من وثائق الوكالة والدائرة، أن الصهيونيين عندما كانوا يتحدثون عن التأييد والتشجيع «الماروني» كانوا يقصدون في الواقع، تلك الفئة المارونية التي كانت تتبنى وجهة النظر المؤيدة للصهيونية. فهل كان هذا مجرد اختزال كلام؟ ام انه كان يعكس

الادراك الخاطئ، أن قطاعات مهمة من الطائفة المارونية الكبيرة والقوية، وليس مجرد فئة صغيرة واحدة مشكوك بنفوذها، ترى في الصهيونية حليفاً ضد العدو المسلم؟

يؤكد جدعون رفائيل، الذي خدم الوكالة اليهودية بصفات مختلفة، خلال الفترة التي سبقت قيام الدولة، أن بن - غوريون، على سبيل المثال، نادراً ما كان يميّز بين الفئات المارونية، او بين الموارنة والكثيرين غيرهم من الملل المسيحية في لبنان؛ واستمر في جمع كل «المسيحيين» معاً، في لبنان «المسيحي»[٧]. وبالنسبة الى اليشوف، فان تحالفاً «مارونياً» يُفسّر كـ «مسيحي لبناني»، كان من شأنه أن يبدو امراً ذا مغزى حقيقي؛ وهناك شواهد تدل على ان بن - غوريون، والى الحد الذي كان يراعي فيه هذه الفكرة، قد وجدها فكرة جذابة. وقد اشار الى ذلك في العام ١٩٣٧، وسجّل ثلاث مرات في يومياته لحرب ١٩٤٨، ايمانه القائل بان بروز دولة مسيحية قوية في لبنان، ومتحالفة مع اسرائيل، سوف تكون نتيجة منطقية وايجابية لهذه الحرب[٨]. ولكن بن - غوريون الذي كان منشغلاً بمشاكل ضاغطة اكثر، لم يعمل جدياً على الاطلاق، لدفع الخيار الماروني قُدماً الى الامام، ولم يأمر قط، باجراء التحقيق الاكثر تعقيداً، الذي كان من شأنه ان يكشف النقاب عن الانقسامات داخل المجتمعين المسيحي والماروني.

أما العلاقات الوثيقة التي كانت تربط اده وعريضة بالوكالة اليهودية، فكانت تعني أن موقفهما المتطرف المعادي للمسلمين، كان يلاقي إصغاء، لا يتناسب مع نفوذه في وسط العقائد اللبنانية، وحتى المارونية، المتنافسة. وعلى الرغم من إدراك شرتوك وساسون، أن صلاتهما المارونية لا تتحدث باسم كل الموارنة، وأن الموارنة لا يمثلون المسيحيين اللبنانيين كلهم، وأن مسيحيي لبنان في طور خسارة هيمنتهم، فإن الدائرة السياسية قد وجدت صعوبة في مقاومة ميلها الى متابعة العلاقة الودية التي يعرضها عليها غلاة القوميين الموارنة في الوقت الذي كانت فيه عروضها التمهيدية، في أماكن اخرى تصل إلى لا شيء. ولقد اتضحت تبعات الروابط الصهيونية الحصرية، مع تلك الفئة المارونية المحددة، غداة سقوط إده من السلطة، عندما وجدت الوكالة اليهودية نفسها منقطعة عن الدوائر السياسية اللبنانية، ولم يبق لها سوى الكنيسة، كحليف محتمل.

لقد كانت احدى السمات الغريبة للحياة اللبنانية، ان افراداً اقوياء في الظاهر، يشغلون بعض أعلى المناصب في القطاعات السياسية والدينية، والخاصة، لم يكونوا يملكون في الواقع، إلا عدداً قليلاً جداً من الاتباع، ونفوذاً محدوداً. فهل كانت الوكالة اليهودية في ذلك

الوقت، قادرة فعلاً على الادراك أن رئيسي جمهورية، وبطريرك الموارنة، واسقف بيروت، وصناعياً بارزاً، وشاعراً بارزاً ايضاً، كانوا جميعاً في الواقع، الشذوذ عن القاعدة، ولا يستطيعون إقناع ناخبيهم وزملائهم بمشاطرتهم وجهات نظرهم المؤيدة للصهيونية؟ يسمي وليام حداد وجهة نظر اده، والفرد نقاش، وعريضة، ومبارك، والبرت نقاش، وقرم، «المباركية» تيمنا باسم اكثر دعاتها جمهورية وحيوية[٩]. وهو يقول مجادلاً، بان «المباركية» لم تجد في يوم من الايام جمهور مستمعين في وسط المسيحيين غير الموارنة، ولم تستطع ادعاء امتلاكها إلا لعددٍ قليل من الأتباع ضمن الطائفة المارونية، مستشهداً بالاحتجاجات التي كانت تنطلق من وسط الموارنة، بعد كل تصريح من التصريحات المؤيدة للصهيونية، التي كان يدلي بها الأسقف. ولقد عمد حميد فرنجية، وهو احد منافسي إده الموارنة، في اجتماع سرّي عُقد بعد تأسيس دولة اسرائيل، الى الشرح لزائر اسرائيل عن سبب امتناع المسيحيين اللبنانيين، (بمن فيهم معظم الموارنة)، عن اعتناق الفلسفة «المباركية»، مشدداً على وجوب ان تفهم اسرائيل موقف المسيحيين في لبنان، وقال:

> فإما ان يعلنوا الحرب المقدسة ضد المسلمين، أو يعيشوا بسلام معهم... إن الاسقف مبارك والبطريرك [عريضة]... يناديان بالحرب المقدسة. هذه سياسة غير ناضجة يمكن ان تُغفر لاناس امضوا حياتهم كلها في الاديرة من دون اتصال بالعالم الحقيقي. لقد ولت الحروب المقدسة، وعلى الرغم من الهيبة الدينية للاسقف وللبطريرك، فإننا ننصت الى السلطة الدينية العليا، وهذه هي سلطة صاحب القداسة البابا، الذي يدعو الى ضبط النفس والسلام مع المسلمين. لقد اصطدم اده واتباعه [مع المسلمين] وكان ذلك ممكناً عندما كانت الحراب الفرنسية هنا لحمايتهم. [ولكن] كل مسيحي... رجل اعمال، يدرك في حياته اليومية، الرابط الذي يربطه بجيرانه المسلمين... ان بشارة الخوري وأتباعه، هم الطرف المسيحي الذي ينتهج سياسة مسيحية، السياسة الوحيدة الممكنة: العيش بسلام مع المسلمين وحماية وحدة لبنان وسلامة اراضيه[١٠].

لقد استمرت فكرة تحالف الاقليات بقيادة صهيونية ومارونية قائمة طوال فترة ما قبل قيام الدولة، لأن قادة موارنة نافذين على ما يظهر، كانوا يقترحونها تكراراً، ولأن الصهيونيين المتورطين بلبنان، أصبحوا متماثلين مع وجهة النظر المارونية تلك؛ ولأن الدائرة السياسية لم ترسِ في أي وقت من الأوقات، سياسة لبنانية بديلة ثابتة، ولم

تتفحص تفحصاً ناجعاً نمط أنشطتها الشامل هناك، مع مرور الزمن؛ لان الظروف تدخّلت مراراً، لاستبعاد الامتحان الحقيقي لقدرة الجانبين على الالتزام بعلاقة تعاون بغيضة بالنسبة الى معظم المسلمين العرب. وكان الصهيونيون، يبدون تفهماً استثنائياً للقيود الداخلية والانتدابية التي يواجهها أصدقاؤهم في تلك المناسبات التي كانت الوكالة اليهودية تطلب فيها المساعدة المارونية، وكان الموارنة يرفضون تقديمها.

ولكن على المرء ان يعي بأن هؤلاء الرجال، الذين تُحدد هويتهم هنا كـ «موارنة مؤيدين للصهيونية»، أناس غارقون تماماً في السياسة الداخلية اللبنانية اليومية، وبأن تأييدهم للطموحات اليهودية في فلسطين، كان مجرد عنصر ثانوي في سلسلة برامج سياسية واسعة النطاق، تتركز أولاً واخيراً، على الشؤون والمنافسات اللبنانية الداخلية. والعلاقة مع الوكالة اليهودية كانت واحدة فقط، من وسائل عديدة لتحقيق هدف لبناني أكبر (مثل إرساء السيطرة المارونية الثابتة على لبنان)، ولم تكن هدفاً بذاته. وان الذي دفع موارنة من امثال اده وعريضة، الى تحالف مع الصهيونية، كان بحثهم عن موارد ومساعدات من الخارج، في سياق الصراعات السياسية الداخلية على السلطة. لكن اهتمامهما نفسه، بمكانتهما وشرعيتهما ضمن الدولة اللبنانية، هو الذي كبح استعدادهما لمتابعة جدول أعمال مؤيد للصهيونية، متابعة نشيطة.

وغالباً ما كان الموارنة يدّعون، أن معارضة فرنسا لاشتراكهم في مشاريع مارونية - صهيونية مشتركة، منعتهم من اتخاذ الخطوات التي كانوا يرغبون باتخاذها حقاً. اما الاعتراضات الفرنسية، فكانت ناشئة عن مخاوف منطقية، من حصول حركة تمرد شاملة في المناطق العربية والاسلامية، الخاضعة للسيطرة الفرنسية، وعن مخاوف أخرى مبالغ فيها، من الصهيونيين كعملاء للبريطانيين. وتكشف ملفات الكي دورسيه والمفوضية السامية في بيروت، أن السلطة الانتدابية الفرنسية التي طغت عليها الازمات في الشؤون الفرنسية - المارونية، والمارونية - المارونية، والمارونية - الاسلامية، والفرنسية - الاسلامية لم تكرّس الا قدراً يسيراً من اهتمامها للعلاقات المارونية - الصهيونية. في الواقع، وعلى الرغم من معرفة المسؤولين الفرنسيين بالتعاطف الماروني مع الصهيونية، وتفهّمهم للجاذبية الكامنة في تحالف الأقليات؛ فإن السجل الوثائقي، يشير الى انهم كانوا غافلين، والى حد بعيد، عن معظم النشاطات الصهيونية - المارونية، التي كانت تجري بين الحين والآخر. والمحفوظات الفرنسية لافتة للانتباه الى حد بعيد، بسبب الصمت الملحوظ فيها، بشأن علاقات الموارنة، واجتماعاتهم، وخططهم، مع ممثلي الدائرة السياسية. ولا غرابة ان

الاعتراضات الانتدابية المتوقعة، مضافاً إليها الكوابح السياسية الداخلية، جعلت حلفاء الوكالة الموارنة، يتستّرون على صلاتهم الصهيونية. ولكن الشكاوى المارونية من ان التدخل الفرنسي الفاعل، قد أحبط خططاً مارونية - صهيونية، كان الفريقان، لولاه، على استعداد لمتابعتها، تبدو شكاوى مخاتلة نوعاً ما، في ضوء الجهل الفرنسي العام، بالنسبة الى تعاملات مارونية - صهيونية محدّدة. وهناك العديدون في الدائرة السياسية الذين استهانوا بقوة المناوئين للصهيونية في لبنان، وركّزوا بإحكام زائد عن اللازم، على العقبات التي تضعها السلطات الانتدابية الفرنسية، فسمحوا لأنفسهم بالاعتقاد بأن لبنان المستقل، الخاضع لحكم صلاتهم المارونية، سوف ينضم الى اليشوف في نهاية المطاف.

وقد عانت السياسة الصهيونية تجاه لبنان من سلسلة من الفجوات أيضاً، بين النظرية والممارسة؛ بين الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية الأكبر، والدائرة السياسية؛ بين المراقبين الصهيونيين في الميدان، وصانعي القرار في القدس؛ وبين النخبة المارونية والجماهير. فعلى الصعيد النظري، كانت السياسة البراغماتية هي التي أملت تقريباً، خط التحالف الصهيوني - الماروني؛ ولكن على صعيد الممارسة، فقد ادت المعاداة العربية الشعبية للصهيونية، الى تقييد الموارنة في تعاملاتهم مع الوكالة اليهودية. وعلى العموم، فإن الصهيونيين الذين حبذوا أكثر من غيرهم، السياسة المؤيدة للاقليات، كانوا أولئك العملاء المتورّطين بلبنان على أضيق نطاق، وليس صانعي السياسة. وكان اللاعبون على مسرح الأحداث اللبناني الصغير، من أمثال عريضة ومبارك واده، يبدون كباراً؛ وتبدو قيمتهم، كحلفاء، مضخمة. أما هؤلاء المهتمين بالدراما الأوسع للنضال الصهيوني داخل فلسطين، وبالعالم العربي خارجها، فقد شكّل المسيحيون بالنسبة اليهم، شخصيات ذات أدوار ثانوية فقط. ولا شك في ان استمرار خيار التحالف استفاد من حقيقة ان الدائرة السياسية كانت تقوم بنشاطاتها «كلها تقريباً، من دون التشاور المسبق مع الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية، التي كانت مسؤولة، رسمياً على الأقل»[١١]. وأخيراً، فان الدائرة لم تعر الاهتمام الكافي، لتلك التقارير الميدانية التي كانت تلحظ ذلك التباين، بين الموقف الواضح المؤيد للصهيونية، الذي تقفه النخبة المارونية المحبة لكل ما هو فرنسي، والتي زاولت معها الدائرة السياسية معظم أعمالها، وبين الميول الأكثر التباساً، والمعادية للصهيونية في بعض الأحيان، التي كان يبديها الموارنة العاديون. وكان من شأن أي تحليل دقيق لهذه الظاهرة، ان يرغم الصهيونيين على سؤال انفسهم الى اي مدًى، يمكن أن تذهب القيادة المارونية، في الالتزام بتحالف يبغضه الكثير من ناخبيها.

ولربما كان باستطاعة الموارنة والصهيونيين، إقامة علاقة مثمرة أكثر فيما لو التقوا في زمن مختلف. فالنجم الصهيوني كان في صعود، بينما كان النجم الماروني في هبوط، طوال فترة القصة الغرامية الصهيونية ـ المارونية، على الرغم من ان المراقبين لم يكونوا قادرين على رؤية ذلك. وفيما كانت الهجرة تضخّم عدد اليهود في فلسطين، كانت عمليات شراء الأراضي تتواصل من دون كلل. ويقول كينث ستين بانه مع حلول العام ١٩٣٩، «لم يكن السؤال في الحقيقة، عمّا اذا كانت الدولة اليهودية ستدخل حيّز الوجود، بل كان السؤال بالأحرى، متى تفعل ذلك»[١٢]. وبالمقابل، كان عدد السكان المسلمين في لبنان، قد جاوز عدد السكان المسيحيين؛ وكان القوميون الموارنة المتطرفون قد خسروا لصالح اشقائهم الأكثر ميلاً الى التوافق، فيما خسر الموارنة ككل، قدراً كبيراً من تفوقهم السياسي. وقال ابشتاين (ايلاث)، وهو يفكر في اجتماع وايزمان ـ إدّه للعام ١٩٣٧، الذي شرب فيه رئيس الدولة اللبنانية نخب الزعيم الصهيوني، إن «وايزمان أصبح رئيساً كما تنبأ إدّه، ولكن إدّه اختفى»[١٣]. وأصبح مفهوم «لبنان المسيحي»، الذي لم يكن مفهوماً غير منطبق كلياً، على واقع الحال في العشرينيات والثلاثينيات، من بنات خيال الصهيونيين والموارنة، في الوقت الذي بدأ فيه الميثاق الوطني للعام ١٩٤٣، رسمياً، عملية «تعريب» لبنان.

ومع ان وضع مسيحيي لبنان الذي كان يزداد صعوبة، لم يكن خافياً تماماً على الصهيونية، فقد رأت هذه الصهيونية عينها، أنه سوف يدفعهم نحو شراكة دفاعية مع مجتمعات غير أسلامية أخرى في المنطقة[١٤]. ولم يكن الصهيونيون، الذين عجزوا من جهتهم، عن عقد اتفاقية مع الفلسطينيين العرب، يضعون ثقة كبيرة في الجهود التي كان يبذلها بشارة الخوري، من أجل التعاون المسيحي ـ الاسلامي في لبنان. وكان اليأس في الواقع، هو الذي دفع عريضة في النهاية، الى عقد معاهدة العام ١٩٤٦. ومع ذلك، فان افتراض الدائرة السياسية أن فشل التحالف مع الموارنة اذا حصل سيكون سببه عجز الموارنة، وليس الصهيونيين، عن تنفيذ ما يترتب عليهم من الصفقة، كان افتراضاً يلمح الى الحقيقة: فالمسيحيون المؤيدون للصهيونية، في وضعهم الضعيف والمتدهور باطّراد، لم يكونوا، بكل بساطة، يستطيعون تحمّل علاقة علنية مع الصهيونيين. والظروف التي قادت عريضة الى التحالف مع الوكالة اليهودية، هي نفسها التي كفلت أن يبقى هذا التحالف تحالفاً غير ساري المفعول.

ولكن، ماذا كان سيحصل، فيما لو عمد الطرفان الى القاء الحذر جانباً والالتزام

ببرنامج لتحالف الاقليات؟ ماذا كان سيحصل، لو أقدم الموارنة، سعياً وراء تحسين فرص نجاح البرنامج، على التخلي عن تلك المناطق الاسلامية من لبنان، وتراجعوا، بكلمات ايتامار رابينوفيتش، الى «لبنان الحصن»، لبنان مسيحي ـ ماروني صغير في حالة نزاع مع المسلمين والعرب؟[١٥]. لقد قال حميد فرنجية لمحاوره الاسرائيلي بان لبنان المسيحي من دون صيدا وصور وطرابلس وبيروت، لن يكون إلا «بضع قرى بائسة في الجبال»[١٦]. ويحدد وليد الخالدي، سلسلة من المشكلات، التي تطرح حججاً ضد إنشاء دولة مسيحية صغيرة في لبنان. فهو يقول بأن وقوف اللبنانيين المسلمين والمسيحيين من غير الموارنة، والسوريين، والدول العربية كافة، والقوى العظمى، وفرنسا وسائر البلدان الأوروبية، والفاتيكان، ضد تقسيم لبنان، يجعل مثل هذا الطرح افتراضياً محضاً:

> ولكن حتى ولو كان قابلاً للتنفيذ فانه لن يكون في صالح الموارنة والمسيحيين غير الموارنة في لبنان، او الطوائف المسيحية في العالم العربي. إذ، وبمعزل عن المعاناة الاضافية التي سيجلبها أثناء عملية وضعه موضع التطبيق، فانه سوف يعزل الدولة عن أي صلة بالعالم العربي؛ وسوف يحرم الموارنة بضربة واحدة، من جني أي فائدة من دور لبنان وبيروت كمركز تجاري في الشرق الأوسط... فالتقسيم، سوف يستثني الدولة المارونية من المساعدات المالية العربية، ويُغلق سبيل وصول المواهب التجارية المارونية الى الدول العربية الغنية بالنفط، ويفرض ضغطاً لا يُطاق على الطوائف المسيحية في أنحاء العالم العربي، ويضع الدولة المارونية على طريق الآلام، لنزاع لا نهاية له، مع خلفيتها العربية[١٧].

ولقد أبدى الياهو ايلاث، باستعادته لما مضى، موافقته على هذه الصورة الكئيبة التي يرسمها الخالدي[١٨]. فهل كان لهذا اللبنان المسيحي المبتور، ان يؤدي الى قيام حصن يهودي ـ مسيحي حصين، في شرق أوسط اسلامي معاد؟ لو حصل هذا الأمر لبقيت هاتان الاقليتان معاً، أقلية واحدة في أحسن الأحوال، ولما كانت شراكتهما أدت الى تغيير مهمّ في مسار النزاعين العربي ـ الاسرائيلي، والفلسطيني ـ الاسرائيلي، بل لكان من المحتمل أكثر، ان يعمد سكان هذا اللبنان المُعدم اقتصادياً، والمعزول إقليمياً، في نهاية المطاف، الى إبدال قيادتهم المارونية المتطرفة، بحكومة توفيقية أكثر منها، ولربما كانوا سيختارون في النهاية، إعادة التوحّد مع مواطنيهم المسلمين في سوريا الكبرى. ولكن الأمر المرجح أكثر

من غيره، هو ان رفض المسلمين العرب، القبول بتقسيم لبنان، كان سيؤدي الى هجمة شاملة على هذه الدولة الجديدة الضعيفة، ولربما على حليفتها الصهيونية أيضاً. ولا يبدو ان التحالف بين اليشوف ولبنان المسيحي المصغّر، كان سيعزز أمن أي منهما.

ان البحثِ الذي تقدم، توسع في تناوله مفهوم تحالف الاقليات حتى محصلته النهائية. ولكن من الضروري ان التذكّر مرة أخرى، أن الدائرة السياسية لم تفعل ذلك. وعلينا ان نقول، حتى نكون منصفين مع الياهو ابشتاين، الذي برز في هذه الدراسة، واحداً من ابرز انصار التوجه المؤيد للموارنة في الوكالة السياسية، بان اهدافه الرئيسية من التعاون الصهيوني - الماروني، ركّزت على المساعدات العملية التي كان الجانبان قادرين على تقديمها الواحد منهما للآخر، وليس على تحالف فخم ورسمي لذاته.

وأدى الاهتمام غير المنتظم الذي اولته الدائرة السياسية للبنان، وهي تركز على المسائل الاكثر الحاحاً، الى انتهاجها سياسة غير منتظمة ازاءه. واستمرت فكرة تحالف - الاقليات قائمة، لان الدائرة لم تتخذ في أي وقت من الاوقات: قراراً جازماً ضدها، وليس لان ثمة قراراً اتخذ لصالحها. وعلى الرغم من ان الخيار الماروني لم يكن خياراً من غير المنطقي السعي وراءه، فإنه لم يكن بالضرورة، خياراً من غير المنطقي أخذه بعين الاعتبار. فلبنان كان يختلف بالفعل، عن غيره من الدول العربية، وبسبب الموارنة أساساً. اما انبعاث الاهتمام بين الحين والآخر، بالتحالف الصهيوني - الماروني، طوال فترة الانتداب، فكان يعكس الجاذبية الطبيعية الكامنة في هذا المفهوم. وتكشف المحفوظات، أنه كلما التحق شخص جديد بقسم الأبحاث في الدائرة السياسية، كان من المحتم عليه ان «يكتشف» الموارنة، وان يبرز متحمساً، خطة «جديدة» للتعاون الصهيوني - الماروني. والذاكرة المؤسساتية، كانت هي التي أبقت على قيد الحياة، الفكرة القائلة بان الموارنة الودودين قد يكونوا حلفاء مفيدين؛ فيما كان فقدان الذاكرة المؤسساتي، هو المسؤول عن الفشل، في التذكّر أن محاولات التحالف الماضية كافة ،كان مصيرها الفشل. فهل يُعقل، بعد نفي فعالية سياسة تحالف الاقليات بقيادة صهيونية - مارونية، ان نصف السياسة الصهيونية تجاه لبنان، ما قبل قيام الدولة، بالسياسة المضللة، والقصيرة النظر، والفاشلة؟ ليس علينا بالضرورة، ان نفعل ذلك. فقد ثبت بان معظم الفرضيات الصهيونية حول لبنان كانت فرضيات دقيقة. فلبنان كان يختلف فعلاً عن باقي البلدان العربية، وكانت طائفته المارونية فعلاً، مصدر فرادته؛ كما ان لبنان اثبت بالفعل، ودّه نحو الصهيونية اكثر مما فعلت اي

دولة عربية أخرى. والنمو السريع للروابط التجارية المربحة، والعروض اللبنانية لبيع العقارات، ومقترحات المشاريع المشتركة، والمناشدات الموجهة الى السائحين اليهود، والعلاقات الصهيونية - اللبنانية الودية على طول الحدود، أكدت كلها، الاستعداد اللبناني الخاص، من جهة المسلمين والمسيحيين على السواء، لتقبّل قيام علاقة مع فلسطين اليهودية. وقد بدت العلاقات الشخصية الحميمة بين افراد الوكالة اليهودية، وبين شخصيات من أعلى المراتب المسيحية المارونية، كأنها تشهد على وجود رابط يهودي - ماروني خاص. ولعبت الخلفيات ووجهات النظر والطموحات المتشابهة، دور الحوافز الايجابية الدافعة الى رابط صهيوني - ماروني، فيما شكّل النضال ضد عدو اسلامي مشترك، قوة سلبية تزيد الطرفين تقرّباً: عدو عدوي صديقي.

بيد ان السياسة الصهيونية، والى الحد الذي يمكننا فيه تسميتها بالسياسة، قد فشلت في ثلاثة افتراضات رئيسية، ثبت بانها كلها خاطئة: ١- القناعة بان هذه الروابط اللاسياسية، الودية، وغير الرسمية، يمكن دفعها لتعطي منافع سياسية؛ ٢- الاعتقاد بان قيام علاقة اقتصادية صحية وبراغماتية بين لبنان واليشوف، يمكنه ان يكون قوة موازنة للضغوط العربية المعادية للصهيونية، الناشئة عن النزاع في فلسطين؛ ٣- الآمال الصهيونية بان يستطيع لبنان، على اساس علاقاته مع اليشوف، ذات المنفعة المتبادلة، فصل نفسه عن البلدان العربية الاخرى، بتبنّيه موقفاً مؤيداً للصهيونية. ولقد ظن الصهيونيون أنهم اخذوا في الحسبان ضعف لبنان، بالاستناد الى الحكمة المأثورة التي غالباً ما كانت تردد، والقائلة بأن لبنان، سوف يكون البلد العربي الثاني الذي يصنع السلام مع اسرائيل، ولكنهم كانوا بهذا الظن، يستهينون بتأثير مشاعر العروبة المؤيدة للفلسطينيين، وبوضع المسيحيين غير المأمون في لبنان.

ولكن، على الرغم من الأحكام الخاطئة للوكالة اليهودية، والفشل في احراز تحالف فاعل مع شركائها اللبنانيين الموارنة، «فان عمق الصلات ومداها بينهما [استمر] على نطاق اوسع بكثير مما كان عليه مع أي بلد من البلدان الاخرى المحيطة بفلسطين... فالاساس الايديولوجي للصداقة المارونية مع الصهيونيين انطوى، كإمكانية على الاقل، على وعد بحليف مستقر أكثر بكثير» من استقرار اي صلة من الصلات الصهيونية الاخرى، في فترة ما قبل قيام الدولة[١٩]. واذا ما تكلمنا على أساس نسبي، نقول بان اهم انجازات الصهيونيين، في كسبهم الحظوة لدى طائفة عربية، وفي ايجادهم ارضية مشتركة للتعايش والتعاون، وكسب تأييد عربي للصهيونية، جاءت من وسط الموارنة.

ومع تأسيس الكيان الاسرائيلي، أصبح بن - غوريون أول رئيس لوزراء الدولة اليهودية. وعلى الرغم من انه اثار مسألة التحالف مع مسيحيي لبنان مرات عديدة خلال السنوات الاولى من عهده، فإنه لم يحاول يوماً جعل الفكرة معمولاً بها، موجهاً اهتمامه الظاهر بمجتمعات الاقليات الاقليمية، ليصب عوضاً عن ذلك «سياسة المحيط»، ومركزاً السياسة الخارجية الاسرائيلية على دول اخرى غير عربية وغير سنيّة، تقع على محيط منطقة النزاع العربي - الاسرائيلي، مثل تركيا وايران واثيوبيا وقبرص. وتولى وزارة الخارجية الاسرائيلية موشيه شرتوك (شاريت)، الذي طالما كان يرتاب من حكمة انتهاج سياسة تجاه لبنان مؤيدة للمسيحيين. أما الياهو ابشتاين، الذي عُيّن أول سفير اسرائيلي لدى الولايات المتحدة، فقد تخلى عن اهتماماته المارونية ليهتم بالمسائل الاميركية - الاسرائيلية الاكثر الحاحاً. وانطلق الياهو ساسون، الى العمل على تغيير المقاربة التقليدية الصهيونية من لبنان. وكان ساسون يشك في قدرة المعارضة المسيحية في لبنان، على الاستيلاء على السلطة حتى بالمساعدة الاسرائيلية، وأوصى بألاّ تدعم اسرائيل اللبنانيين المسيحيين (او أي فئة اخرى)، حتى تحدّد الدولة العبرية لنفسها، أهداف سياستها العامة. وعمد الى وضع لائحة بما كان يراه، كموجبات للسياسة الاسرائيلية الناجحة، ومن بينها، (وما كان ينطوي على ملابسات خاصة للبنان)، خطة عمل مدروسة جيداً ومحددة مسبقاً، عوضاً عن مسلك ردّات الفعل اليومية على الاحداث كلما نشأت، وبذل محاولة جدّية لصنع السلام مع العالم العربي، وليس فقط مع دولة عربية واحدة[٢٠]. اما جدعون رافائيل الذي أدّى دوراً في المباحثات مع الكتائب في السنوات ١٩٤٨ - ١٩٥١. فقد عيّن المشكلة الرئيسية التي أقضّت مضجع العلاقات الصهيونية - المارونية منذ البداية، قائلاً:

> لا استطيع في الظروف الحاضرة في الشرق الاوسط، أن أتصوّر حركة مسيحية تجرؤ، عندما تصل الى السلطة في لبنان، على الدخول في نزاع مع العالم الاسلامي، من خلال اقامتها روابط ودية مع اسرائيل. بل على العكس من ذلك، ارى بان لبنان، وكلما ثابرت الدول العربية الاخرى، على سياستها العنيدة تجاه اسرائيل، لن يكون قادراً على اعطاء تعبير ملموس لميوله الودية، حتى في ظل حكومة مسيحية ودية[٢١].

ولقد أجرى كلٌّ من مبارك واده، اتصالاً بمعارفهما القدامى في الحكومة الاسرائيلية، بعد وقت قصير من نشوء الكيان الاسرائيلي، طالبين الدعم لخطتي انقلاب منفصلتين، فيما

ناشدت الكتائب هذه الدولة، طالبة مساعدتها في نضالها للوصول الى السلطة ايضاً[٢٢]. ولكن ايتامار رابينوفيتش يزعم أن وزارة الخارجية الاسرائيلية كانت في هذا الوقت، قد ادركت أن «معظم الموارنة قد قبلوا بالنظام التعددي اللبناني لفترة ما بعد ١٩٤٣، وأن على اسرائيل ايضاً، ان تقبل به كحقيقة قائمة... وهذا بحق، ما كان معمولاً به في السنوات العشرين التي تلت، والتي شكلت خلالها العلاقات الاسرائيلية مع لبنان، جانباً هامشياً من جوانب سياساتها الشرق اوسطية»[٢٣].

ان العزلة الصهيونية والحقائق الديموغرافية اللبنانية السابقة للعام ١٩٤٨، جعلتا من المنطقي ان تفكر الوكالة اليهودية في انتهاج سياسة تجاه لبنان مؤيدة للمسيحيين. لكن فشل العلاقة الصهيونية - المارونية في اعطاء منافع سياسية مهمة، يثبت أنها كانت سياسة لم يكن من الحكمة اتباعها. وعلى الرغم من أن الاوهام المستمرة بشأن امكانية تحقيق تفاهم صهيوني - ماروني، لم تكن بالضرورة، مؤذية للمصالح الصهيونية، إلاّ أنها أدت دورها كطرح خاطئ لسياسة كانت بالنتيجة سياسة خاطئة. فهل كان ينبغي ان تكون لدى الاستراتيجيين الصهيونيين آنذاك، القدرة على إدراك ان العوامل المانعة لتحالف فعّال مع الموارنة، تفوق العوامل التي تشجع عليه؟ ان تصورنا للامر بعد مرور الزمن، يجعلنا نردّ بالايجاب؛ ولكن اجراء تحليل للوضع من منظور ما قبل قيام الدولة، يشير الى ان الجواب غير جازم الى هذا الحد. فأنصار اقامة علاقة خاصة مع الموارنة، تمكنوا، وعن حق، من التعرّف الى الطبيعة غير العادية لانسجام المصالح بين طائفتيهما. وقد أساء هؤلاء الصهيونيون الحكم، في ما يتعلق بامكانية تحويل هذه المصالح المشتركة الى فوائد سياسية متبادلة، إلا انهم لم يكونوا على خطأ في تصوّرهم، أن الموارنة كانوا، من بين أعدائهم كافة، المرشحين الأكثر استعداداً من غيرهم، لاقامة علاقة صداقة.

* * *

الملاحق

أ ـ من انطوان بيار عريضة الى حاييم وايزمان، ٢٤ ايار / مايو، ١٩٤٦.

ب ـ من توفيق عواد الى برنارد جوزف، ٣٠ ايار / مايو، ١٩٤٦.

ج ـ من برنارد جوزف الى توفيق عواد، ٣٠ ايار / مايو، ١٩٤٦.

د ـ من برنارد جوزف الى انطوان بيار عريضة، ٣٠ ايار / مايو، ١٩٤٦.

هـ ـ المعاهدة بين الوكالة اليهودية لفلسطين والكنيسة المارونية، ٣٠ ايار/ مايو، ١٩٤٦.

A

من انطوان عريضة الى حاييم وايزمان ٢٤ ايار ١٩٤٦

بكركي، ٢٤ ايار ١٩٤٦

الى صاحب الدولة الاستاذ وايزمان

رئيس الوكالة اليهودية

القدس

سيدي الاستاذ،

ان ابننا العزيز، الشيخ توفيق عواد، الوزير السابق ومُعتمدنا الدائم، قد أبلغنا تفاصيل المحادثات التي أجراها مع ممثلكم الدكتور برنارد جوزف. وتقديراً منكم لمشاعر المودّة التي نكنُّها دائماً للشعب اليهودي، أردتم ان تتفضّلوا بالمساعدة في العمل الشعبي والوطني الذي نحن في صدد تنظيمه.

لقد تأثّرنا كل التأثر لاهتمامكم بأعمالنا، ونحن نشكر لكم صنيعكم.

والمفهوم، أن علاقاتنا مع الشعب اليهودي كانت دائماً مبنيّة على روح العدل والمشاعر الانسانيّة. وهي لم تكن يوماً تنطوي على مصلحة. وبدافع هذا الإحساس، سنكمّل دائماً متابعة مسلكنا ذاته، الذي استمرّ حتى الآن.

لقد خوّلنا ابننا الشيخ توفيق عواد، عقد كل الاتفاقات اللأزمة، لما فيه مصلحة بلدكم وبلدنا. وأجزنا له ايضاً، ان يتسلّم كل مبالغ مالية محتملة.

على أمل ان نراكم بيننا، نرجو دولتكم ان تتفضّلوا بقبول مشاعرنا المميّزة.

البطريرك الماروني لأنطاكية وسائر المشرق

انطوان بيار عريضة

المصدر: أرشيف بن - غوريون

B

من توفيق عواد الى برنارد جوزف

٣٠ ايار ١٩٤٦

القدس : ٣٠ ايار ١٩٤٦

السيد الدكتور ب . جوزف ،

الوكالة اليهودية لفلسطين ،

القدس .

عزيزي الدكتور جوزف،

استناداً الى الاتفاق المعقود بتاريخ هذا اليوم بيني، بصفتي ممثلاً لغبطة البطريرك الماروني في لبنان وبينكم، بصفتكم ممثلاً للوكالة اليهودية، أتشرّف بأن أؤكد لكم بهذه الرسالة، اتفاقنا الشفهيّ على النقطة التالية:

«ان الاتفاق المعقود، يجب أن يُعتبر في الوقت الحاضر سرّياً للغاية، ولن يُصار الى نشره إلا بموافقة مشتركة، حين يرى الفريقان الفرصة المناسبة للشروع في نشره».

هذه الرسالة تُعتبر ملحقاً للاتفاق المذكور.

وتفضلوا، عزيزي الدكتور جوزف، بقبول تأكيدنا على أسمى اعتبارنا.

توفيق عواد

المصدر: أرشيف بن - غوريون

C

من برنارد جوزف الى توفيق عواد
٣٠ ايار ١٩٤٦

القدس، ٣٠ ايار ١٩٤٦

الشيخ توفيق عواد،

القدس.

عزيزي الشيخ توفيق،

استناداً الى الاتفاق المعقود بتاريخ هذا اليوم بينكم، بصفتكم ممثلاً لغبطة البطريرك الماروني للبنان، وبيني، بصفتي ممثلاً للوكالة اليهودية، أتشرّف بأن أؤكد لكم بهذه الرسالة، اتفاقنا الشفهيّ على النقطة التالية:

«إن الاتفاق المعقود، يجب أن يُعتبر في الوقت الحاضر سرياً للغاية، ولن يُصار الى نشره الاّ بموافقة مشتركة، حين يرى الفريقان الفرصة المناسبة للشروع في نشره».

هذه الرسالة تُعتبر ملحقاً للاتفاق المذكور.

وتفضّلوا عزيزي الشيخ توفيق، بقبول تأكيدنا على أسمى اعتبارنا.

ب.ج.

برنارد جوزف

المصدر: أرشيف بن ـ غوريون

D

من برنارد جوزف الى انطوان بيار عريضة
٣٠ ايار ١٩٤٦

القدس، ٣٠ايار ١٩٤٦

غبطة البطريرك الماروني

انطوان بيار عريضة

بطريرك انطاكية وسائر المشرق

بكركي

صاحب الغبطة،

ان رئيسنا الاستاذ وايزمن، قد فوّضني بأن أعلمكم بوصول رسالتكم تاريخ ٢٤ ايار، وأن أقدّم لكم الشكر الجزيل، على مشاعر الصداقة للشعب اليهودي، التي عبّرتم عنها.

لقد قدّرنا دائماً الموقف المتعاطف لغبطتكم، تجاه طموحاتنا الوطنية. وقد طلب اليّ الدكتور وايزمن، ان أؤكد لكم أننا، من ناحيتنا، نحفظ دائماً المشاعر وأسمى التقدير للشعب اللبناني، وبالأخصّ الطائفة المارونية؛ وأنه كان سعيداً ان يرى تحقيق الاستقلال اللبناني، ويريد ان يتمنّى لمستقبل بلادكم كل النجاح. وهو مسرور جداً للاتفاق الذي أُبرم بين غبطتكم، بواسطة ممثلكم الشيخ توفيق عواد، وبين الوكالة اليهودية بواسطتي، ويأمل ان يفتح هذا الاتفاق عهداً من التعاون الكامل بين الشعبين اليهودي واللبناني.

وقد فوّضني أيضاً، أن أُعبّر لكم عن أطيب أمانيه، لصحة جيدة، ويأمل بأن يُسرّ برؤيتكم، حينما تسمح الظروف بذلك.

وتفضلوا، غبطتكم، بقبول تحياتنا، وأسمى اعتبارنا.

برنارد جوزف

الوكالة اليهودية لفلسطين.

المصدر: ارشيف بن ـــ غوريون

E

معاهدة بين الوكالة اليهودية لفلسطين
والكنيسة المارونية
٣٠ ايار ١٩٤٦

نحن الموقعين أدناه:

١ـ غبطة البطريرك الماروني، انطوان عريضة، العامل باسم الكنيسة والطائفة المارونية، أكبر طوائف الجمهورية اللبنانية، ـ التي يُحسب منها ايضاً الموارنة التابعون لبلدان أخرى، ممثّلاً بالشيخ توفيق عواد، الوزير السابق، بموجب تفويض موجّه الى رئيس الوكالة اليهودية، الاستاذ وايزمن [كذا] بتاريخ ٢٤ ايار ١٩٤٦.

وقد سُمّي «المتعاقد الأول»

٢ـ الدكتور برنارد جوزف، العامل باسم الوكالة اليهودية لفلسطين، المعروفة في القانون الدّولي، كممثّل للشعب اليهودي في العالم كله، بقصد إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين.

وقد سُمّي «المتعاقد الثاني»

أثبتنا وأقرّينا ما يلي:

المادة الأولى: أن المتعاقد الأول، يعترف اعترافاً كلياً، بشرعية الرابط التاريخي الذي يجمع الشعب اليهودي في فلسطين، وطموحات الشعب اليهودي في فلسطين، وأيضاً حق الشعب اليهودي في هجرة حرّة الى فلسطين، والإقامة بحريّة في البلاد. وهو يُعلن موافقته على البرنامج السياسي الحالي، المُعلن للوكالة اليهودية، الذي يتضمّن بالأخصّ إنشاء الدولة اليهودية.

المادة الثانية: أن المتعاقد الثاني، يعترف اعترافاً كليّاً باستقلال لبنان، وبحقّ أهله في تثبيت نظام بلادهم، بالشكل الذي يعتبرونه ملائماً.

وأن المتعاقد الثاني يعلن أيضاً،خلوّ برنامجه من فكرة التوسع والامتداد في لبنان، بل إنه على العكس من ذلك، يُعلن احترامه للدولة اللبنانية بشكلها الحالي. كما يعلن أن الهجرة اليهودية لا تشمل لبنان.

المادة الثالثة: أن الفريقين، يتعهّدان بالامتناع عن خرق الطموحات، والمكانة الخاصّة لكلٍّ منهما. وأن التعهُّد المذكور، يقتضي التزام ممثّلي الفريقين ـ رسميين او غير رسميين ـ في داخل البلاد، وفي خارجها، وفي المؤتمرات الدوليّة، الغربيّة او الشرقية ـ بالامتناع عن إعطاء اي دعم للقرارات، أو للأعمال التي يُشتبه بانتهاكها للفريق الآخر؛ وليس هذا فقط، بل الالتزام أيضاً، ببذل كل ما في وسعهما، من جهد، لمنع اتخاذ قرارات كهذه أو الشروع في أعمال كهذه.

المادة الرابعة: يتعهّد الفريقان، بالتعاون في المجالات السياسية والتجارية والامن الاجتماعي، بهدف دعم وضع الفريق الأول، وتحقيق طموحات الفريق الثاني. وهذا التعهُّد يتضمّن:

أـ تنوير الرأي العام في الشرق والغرب، في قضية كلٍّ من الفريقين، بروح هذا الاتفاق.

ب ـ اجتهاد الفريقين، بهدف فتح أبواب البلدين، الواحد منهما على الآخر من أجل توثيق الروابط الثقافية والاجتماعية، والمبادلات التجارية، وتبادُل وسطاء، وتنمية علاقات حسن جوار.

جـ ـ أن الفريق الأول، الذي يُقرّ لكل يهودي بحقّ الهجرة الى فلسطين، يتعهّد بمساعدة هذه الهجرة، بأفضل امكاناته، في حال اضطرّ المهاجرون لأن يمرّوا بلبنان.

د ـ يتعهّد الفريق الثاني ـ في حين إقامة الدولة اليهودية ـ ان يحترم كليّاً الحقوق المدنيّة والدينيّة للطوائف غير اليهودية، والطابع المقدّس لأماكنهم المقدّسة في فلسطين. ويتعهّد الفريق الأول، حين يصل الى السلطة في بلاده ـ أن يعتبر هذا الاتفاق جزءاً لا يتجزأ من برنامج حكمه.

هـ ـ يتعهّد الفريقان بتبادُل المساعدة ـ في حال طلبها، الواحد من الآخر ـ لصيانة الأمن في بلديهما. وهذا التعهُّد، يقتضي الالتزام بأخذ وسائل الاحتياط الضروري، لمنع دخول

وخروج العناصر المعادية، المُشتبه بتعكيرها للنظام العام، والالتزام بمنع كل مساعدة لعناصر كهذه.

و ـ يتعهّد الفريقان، بتبادل المعلومات في المواضيع كلها ـ مثلاً... في سياسة بلادهم، واقتصادهم، وأمنهم، وعلاقاتهم بالآخرين، الخ.

ز ـ يتعهّد الفريقان، بتبادل المعلومات والاستشارات على الصُعُد الصناعية والزراعية والبحوث العلمية، من أجل جعل جهود اليهود واللبنانيين متزامنة، لضمان الإنماء الأفضل لصناعاتهم (بما فيها السياحة) وزراعاتهم، وبحوثهم، على أساس التعاون المشترك.

حـ ـ أن الفريق الثاني، حين ينشىء الدولة اليهودية، يتعهّد بأن يُخصّ ممثلي البطريرك الماروني بمعاملة صداقة، وأن يسهّل له شراء أرض، وبناء بطريركية جديدة بالطائفة المارونية.

ط ـ أن الفريق الثاني، يتعهّد بأن تدعم مكاتبه في جميع البلدان، قضية الفريق الأول، وتعاضد ممثليه في واشنطن، ولندن، وباريس، وفي المؤتمرات الدولية.

المادة الخامسة: بخصوص وسائل تحقيق الالتزامات السابقة، وبخصوص الوسائل العملية الاضافية للتعاون والمساعدة، سيتشاور الفريقان مباشرة او بواسطة ممثلين، بحسبما تُملي الظروف.

إن الفريق الأول، يُسمّي منذ الآن الشيخ توفيق عوّاد ممثّلاً مخوّلاً، وذلك حتى صدور إشعار جديد في المستقبل.

المادة السادسة: إن هذا الاتفاق الحالي، سيكون ساري المفعول، حالما يوَقّع. وكلٌّ من الفريقين سيكون له الحق في إنهائه، بإشعارٍ مُسبق في غضون ستّة أيام.

إثباتاً لذلك، وقّع الفريقان الاتفاق الحالي.

وُضعت في نسختين أصليتين من أجل مفعول واحد، في القدس في ٣٠ ايار ١٩٤٦.

باسم غبطته
المونسينيور انطوان بيير عريضة
توفيق عواد

عن الوكالة اليهودية
لفلسطين
برنارد جوزف

الاختصارات

AD ـ مركز محفوظات نانت الديبلوماسي، وزارة الخارجية، نانت.
AE ـ أرشيف وزارة الخارجية، الكي دورسيه، باريس.
BGA ـ أرشيف بن ـ غوريون، سيدي بوكر
CZA ـ الارشيف الصهيوني المركزي، القدس.
ED ـ أرشيف التربية اليهودية في اسرائيل والشتات، جامعة تل أبيب.
HA ـ ارشيف الهاغاناه، تل أبيب.
ISA ـ ارشيف دولة إسرائيل، القدس.
JAE ـ الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية.
LCW ـ رسائل وأوراق حاييم وايزمان.
SC ـ مجموعة شوادران، معهد شيلواح، جامعة تل أبيب.
WA ـ ارشيف وايزمان، رحوفوت.

ملاحظة للقارىء: عمدت شخصيتان رئيسيتان اثنتان في هذه الدراسة، الى تغيير اسميهما في العام ١٩٤٩. فأصبح موشيه شرتوك، موشيه شاريت، وأصبح الياهو ابشتاين، الياهو ايلات. ويظهر اسماهما الأول والثاني، في الهوامش بحسب تاريخ المرجع.

الهوامش

الفصل الأول

١ـ من ايدر الى وايزمان، ٢١ حزيران/ يونيو ١٩٢٠، CZA,Z4/16033 .

٢ـ من وايزمان الى ايدر، ٢٧ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٢١، في LCW,Vol.10, letter 266 .

٣ ـ كان استعداد كالفاريسكي لمنح تنازلات للعرب أكثر بكثير مما كان في نية التفكير الصهيوني السائد، السبب في إقصائه عن القيادة الصهيونية. انظر: Neil Caplan, *Futile Diplomacy* (London: Cass, 1983 - 86), Vol. 1, pp. 65-68;

وايضاً *Palestine Jewry and the Arab Question* (London: Cass, 1978), pp.40-45

و Aharon Cohen, *Israel and the Arab World* (New York: Funk and Wagnalls,1970) pp.153- 60,322-29

و Yehoshua Porath, *The Palestinian Arab National Movement, 1929 - 1939,* (London:Cass, 1977), pp. 67-69.

٤ ـ من كيش الى كالفاريسكي، ٢٦ آذار/ مارس ١٩٣١، CZA, S25/3039

٥ ـ من كيش الى سليم مان، ٢٠ كانون الثاني/ يناير ١٩٢٨، CZA, S25/9947. وشرح كيش لسليم مان، وهو رئيس تحرير صحيفة مستقلة مؤيدة للصهيونية، تصدر في بيروت، لماذا لم تعد الهيئة الصهيونية تستطيع تمويل صحيفته.

٦ ـ من أجل تحليل لمؤسسة اليشوف كشبه دولة،

Moshe Lissak and Daniel Horowitz, *Origins of the Israeli Polity* (Chicago: University of Chicago Press, 1978); J.C. Hurewitz, The Struggle for Palestine (New York: Norton, 1950), Chap.3.

٧ ـ من ارلوسوروف الى سليغ برودیتسكي، ١٧ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣١، ومن ارلوسوروف الى لويس براندیس، ٨ ايار/ مايو ١٩٣٢، وكلاهما في CZA, S25/3061

٨ ـ غير شرتوك اسمه الى شاريت في العام ١٩٤٩. وانني استخدم كلا الاسمين عندما استشهد به، تبعاً للتاريخ.

٩ ـ يعقوب شاريت، في مقابلة مع المؤلفة، نيسان/ ابريل ١٩٨٧، تل ابيب.

١٠ ـ انظر من أجل مقارنة شخصيتي بن ـ غوريون وشرتوك، ومنظوريهما السياسي،

Michael Bercher, *The Foreign Policy System of Israel* (New Haven: Yale University Press, 1972), Chap. 12; Gabriel Sheffer, "The Confrontation Between Moshe Sharett and David Ben - Gurion", in *Zionism and the Arabs*, ed. Shmuel Almog (Jerusalem: Zalman Shazar Centre, 1983), pp. 95-147; Itamar Rabinovich, *The Road Not Taken: Early Arab - Israeli Negotiations* (Oxford: Oxford University Press, 1991), pp. 5-6, 31-34; Amos Perlmutter, Israel: *The Partitioned State* (New York: Charles Scribner's Sons,1985), pp. 145-58; Ya'acov Bar-Simon-Tov, "Ben-Gurion and Sharett: Conflict Management and Great Power Constraints in Israeli Foreign Policy", *Middle Eastern Studies* 24 (July 1988): 330-56; and Avi Shlaim, "Conflicting Approaches to Israel's Relations with the Arabs: Ben-Gurion and Sharett, 1953-1956", *Middle East Journal* 37, no.2 (Spring 1983): 180-202.

١١ـ غيّر ابشتاين اسمه الى ايلاث في العام ١٩٤٩. وانني استخدم كلا الاسمين عندما استشهد به، على أساس التاريخ.

١٢ـ من الياهو ابشتاين الى اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية، ٣ تشرين الثاني/نوفمبر، ١٩٣٢، WA.

١٣ـ الياهو ساسون، «باديرخ هاشالوم» (على طريق السلام)، تل أبيب : عام عوفيد، ١٩٧٨، ص: ١١ـ١٦.

١٤ـ على الرغم من ان نشأة ساسون الدمشقية كانت مفيدة له على العموم، داخل العالم العربي، فإنها اعطت عكس النتائج المرجوة عندما أُرسل في العام ١٩٤٩، للقاء المرشح الماروني للرئاسة اللبنانية، حميد فرنجية. فقد تذمر فرنجية لانه «كان يأمل بالتعاطي مع يهود غربيين» [ينعمون بموهبة] الرؤية الواسعة، ولكن أرسلت [اسرائيل عوضاً عن ذلك] عنصراً شرقياً بشخص ساسون ولم يكن [فرنجية] بالتالي، راضياً تماماً... بل خاب امله». (تقرير الى وزارة الخارجية، ١٥ كانون الاول/ديسمبر ١٩٤٩، ISA, 184/7، مُقتبس من Amikam Nachmami, "Middle East Listening Post: Eliahu (Sasson and the Israeli Legation in Turkey, 1949-1952", *Studies in Zionism* [Autumn 1985]: 280) ومن أجل أدلة على احتمال وجود تنافس بين ساسون وابشتاين، انظر الرسالة من ساسون الى برنارد جوزف، ١٢كانون الثاني/يناير، ١٩٤٠. CZA S25/5568 (بالعبرية).

١٥ـ Neil Caplan, "Negotiation and the Arab- Israeli Conflict", *Jerusalem Quarterly*, (Winter 1978):13.

١٦ـ انظر على سبيل المثال، الرسالة من ن. غولدمان الى اسحق بن ـ زفي، ٥ حزيران/ يونيو، ١٩٣٦. CZA S25/9164 (بالعبرية).

١٧ـ من حاييم وايزمان الى فيلكس م. واربورغ، ١١ شباط/ فبراير ١٩٣٧ CZA, S24/17026B

١٨ـ Caplan, "Negotiation", p.13.

١٩ـ شهادة دافيد بن ـ غوريون امام اللجنة الملكية الخاصة بفلسطين، ٧ كانون الثاني/ يناير ١٩٣٧، CZA S25/4246

٢٠ـ Ian Black, "Zionism and the Arabs, 1936-1939", Ph.D. diss., University of London, 1978, pp. 205-6.

٢١ـ Caplan, "Negotiation", p.10.

٢٢ـ المصدر نفسه، ص: ١٤ـ ١٥ . ومن أجل تحليل لتأثير اعتبارات الدول الكبرى على المفاوضات الصهيونية ـ العربية، انظر Caplan, *Futile Diplomacy*, esp. Vol.1, pp. 117-19, and Vol.2, pp. 169 -72.

٢٣ـ من أجل تدقيق في النشاطات الصهيونية لشراء الأراضي في فلسطين، انظر: Kenneth W. Stein, *The Land Question in Palestine, 1917-1939* (Chapel Hill: University of North Carolina Press,1984).

٢٤ـ تشكل «الخطة من أجل النشاط في وسط العرب»، وهي خطة ساسون، مثالاً ممتازاً على الأنشطة الواسعة النطاق التي كانت تنظر فيها الدائرة السياسية؛ من الياهو ساسون الى دافيد بن ـ غوريون، ٢١ نيسان/ابريل ١٩٣٩، CZA S25/8163 (بالعبرية).

٢٥ـ جميع اللاعبين الرئيسيين في الوكالة اليهودية، الذين يشكلون موضوع بحث هنا، خلفوا وراءهم روايات عن اجتماعاتهم العديدة مع بعض ابرز القادة في العالم العربي. انظر بصفة خاصة، David Ben-Gurion, *My Talks with Arab Leaders* (Jerursalem: Keter,1972)؛ موشيه شاريت، «يومان مديني» (المفكرة السياسية)، ٥ مجلدات، تل ابيب: عام عوفيد، ١٩٦٨ ـ ١٩٧٩)؛ ساسون، «باديرخ» (على الطريق)؛ الياهو ايلاث، «شيبات تسيون فاعراف» (حركة الهجرة الى فلسطين والعرب)، تل ابيب: دفير ١٩٧٤.

٢٦ـ انظر على سبيل المثال، دافيد بن ـ غوريون، ١١ تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٣٨، «زكرونوت» (يوميات)، تل ابيب: عام عوفيد، ١٩٧١ـ ٨٧)، المجلد الخامس، ص ٣٢٠ . انظر من أجل بحث عام في هذه الظاهرة على مرّ الزمن، Caplan, *Futile Diplomacy*, Vol.2, pp.68-105, 142-64.

٢٧ـ من أجل ترتيب توزع السكان اللبنانيين بحسب المذاهب الدينية والمناطق في العام ١٩٤٤، انظر Albert Hourani, *Minorities in the Arab World* (London: Oxford University Press, 1947), Chap.9.

٢٨ـ امنون يوناي، مقابلة مع المؤلفة، ١٢ ايار/ مايو ١٩٨٧، نتانيا، اسرائيل.

٢٩ـ انظر تعليقات آرثر روبين خلال اجتماع الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية، ٢٠ ايار/مايو ١٩٣٦، CZA، ومحاضر اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية، المجلد ٢٥ / ٣ (بالعبرية)؛ و«رسالة من بيروت»، مغفلة التوقيع، ١ تموز/يوليو ١٩٤٥، CZA S25/4556 (بالعبرية).

٣٠ـ الياهو ايلاث، مقابلة مع المؤلفة، ١٤ تشرين الأول/اكتوبر ١٩٨٦، القدس.

٣١ـ Glenn E. Perry, "Israeli Involvement in Inter - Arab Politics", *International Journal of Islamic and Arab Studies 1*(1984):16.

٣٢ـ يعقوب شمعوني، مقابلة مع المؤلفة، ٤ آذار/مارس ١٩٨٧، القدس؛ المصدر نفسه، محاضرة في معهد شيلواح، جامعة تل ابيب، ٧ كانون الاول/ديسمبر ١٩٨٧؛ يهوشواع بورات، مقابلة مع المؤلفة، ١٠ آذار/مارس ١٩٨٧، القدس؛ المصدر نفسه، «شيلاح فا ات بيادو» [حياة اريئيل شيلاح (يوناتان راطوش)]، تل ابيب: محبروت لسيفروت، زمورا، ص: ٧٥، ٨١، ٩٠ـ ٩١ .

٣٣ـ Cohen, *Israel and the Arab World*, pp. 90-98; Barry Rubin, *The Arab States and the Palestine Conflict* (Ithaca: Syracuse University Press, 1982), P.26; Walter Laqueur, *A History of Zionism* (New York: Schocken Books, 1976), p. 212.

٣٤ـ Amos Elon, *The Israelis: Founders and Sons* (New York: Bantame Books, 1972),P.214.

٣٥ـ من شرتوك الى ابشتاين، ١٥ تشرين الثاني/نوفمبر، ١٩٣١، CZA S25/3561 (بالعبرية).

٣٦ـ حاييم ارلوسوروف، «يومان يروشالمي» (مفكرة القدس)، تل ابيب: مفليغيت بوعالي اريتزيسرائيل ١٩٤١، ١٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣١: ص ١١٢ـ ١١٣.

٣٧ـ من ارلوسوروف الى سيلغ بروديتسكي، ١٧ تشرين الثاني/نوفمبر، ١٩٣١، CZA S25/3061

٣٨ـ من ارلوسوروف الى فيكتور جاكوبسون، ٢ كانون الثاني/يناير ١٩٣٣، CZA, Z 4/20177

٣٩ـ Epstein, "The Character of the Pan-Arab Movement: Its Political and Social Value", 4 February,1938,CZA S25/5682

٤٠ـ من وايزمان الى اغناطيوس مبارك، ٥ كانون الاول/ديسمبر ١٩٤٧، في LCW, Vol. 23, lettre 87

٤١ـ تقرير برنارد جوزف الى مركز ماباي، ١٨ ايلول/سبتمبر، ١٩٣٧، CZA S25/10.475 (بالعبرية)؛ وابشتاين، «حديث مع رئيس الجمهورية اللبنانية السيد اميل إدّه» (بيروت)، ٢٢ ايلول/سبتمبر ١٩٣٦، CZA, S25/5581 (بالعبرية).

٤٢ـ مفكرة مكتب برنارد جوزف، ٢٨ كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٢، CZA, S25/4549

٤٣ـ شمعوني، محاضرة في معهد شيلواح، جامعة تل ابيب، ٧ كانون الاول/ديسمبر ١٩٨٣.

٤٤ـ بالنسبة الى مقترحات المعاهدات، انظر الرسالة من ابا حوشي الى شرتوك، ٣ تموز/يوليو ١٩٣٦، CZA, S25/9165 (بالعبرية)؛ Yoav Gelber, "Antecedents of the Jewish-Druze Alliance in Palestine", *Middle Eastern Studies* 28, no.2 (April 1992): 352-73؛ «اقتراح معاهدة مع جماعة من اللبنانيين: لم تُنفّذ: مفاوضات أجريت مع لبناني يدعى ايليا حلبي»، نيسان/ابريل ١٩٤٧، S25/9025، CZA, (بالعربية).

٤٥ـ من ساسون الى شرتوك، ١٢ حزيران/يونيو ١٩٣٨، CZA, S25/5568 (بالعبرية). المصدر نفسه، «باديريخ» (على الطريق)، ص: ١٢٣ـ ١٢٥؛ ابا حوشي، «مفاوضات مع سلطان باشا الأطرش»، ١٤ـ ١٧ آذار/مارس ١٩٣٩. CZA, S25/8221 (بالعبرية).

٤٦ـ اهارون كوهين، «مصير علاقاتنا مع الدروز»، ٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣٧ S25/6638 CZA, (بالعبرية).

٤٧ـ Michael Hudson, *The Precarious Republic: Political Modernization in Lebanon* (New York: Random House, 1968), p.6.

٤٨ ـ Epstein, "Conversation with Mr. George Hakim, Counselor of the Lebanese, Legation, Washington, D.C.", 3 February 1947,CZA, A263/18.

٤٩ـ Fouad Ajami, *The Arab Predicament* (Cambridge: Cambridge University Press, 1981), p. 159.

٥٠ـ Rubin, *Arab States and the Palestine Conflict*, p. 140 لم تكن المحاولة المسيحية لفصل الهوية العربية عن الهوية الاسلامية مصدر استياء كلي للعديد من المسلمين. فالتماثل المسيحي مع القومية العربية العلمانية من شأنه ان يحرم الأوروبيين من الزبائن المسيحيين المعارضين، وان يحرم الصهيونيين من شركاء في تحالف الاقليات، برصّه الصفوف المسيحية والاسلامية. وبالنسبة الى القومية العربية المسيحية، انظر

George Antonius, *The Arab Awakening* (Philadelphia: Lippincott.1939), esp. chap. 3; David C. Gordon, *The Republic of Lebanon: Nation in Jeopardy* (Boulder: Westview,1983), pp.24, 44-45, 50; Sylvia Haim, *Arab Nationalism* (Berkeley: University of California Press, 1962); Kamal S. Salibi, *The Modern History of Lebanon* (New York: Praeger,1965), pp. 151-59; Albert Hourani, Arabic Thought in the Liberal Age, 1798-1939 (London: Oxford University Press, 1962), pp. 95-102, 245-59, 319-23.

٥١ـ انظر William W. Haddad, "The Christian Arab Press and the Palestine Question: A Case Study of Michel Chiha of Beirut's "Le Jour", *Muslim World* 65, no. 2 (April,1975): esp. pp. 128-29.

٥٢ـ حداد، «النشاط الاعلامي في وسط مسيحيي لبنان: حديث مع الممثل البابوي في لبنان»، ٢٤ حزيران/يونيو، ١٩٤٣، CZA, S25/5577 (بالعبرية). ويقول آخرون بانه في الوقت الذي كان فيه العداء السياسي حافزاً للمشاعر الاسلامية المعادية لليهود، فان المسيحيين، ولاسيما الموارنة، غالباً ما عبروا عن معتقدات تقليدية معادية للسامية (حاييم ليفكوف، مقابلة مع المؤلفة، ١١ ايار/مايو، ١٩٨٧، حولون، اسرائيل؛ ميخائيل ساسون للمؤلفة، ٢٤ نيسان/ابريل، و٢٣ حزيران/يونيو ١٩٨٧؛ شولا كوهين - كيشك، مقابلة مع المؤلفة، ٢٠ ايار /مايو ١٩٨٦، القدس).

٥٣ ـ من الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية الى رابطة السيفارديم، ٥ شباط/فبراير ١٩٣٦ CZA,S25/5576 (بالعبرية) من[شرتوك؟] الى بن - زفي. ٢٦ تشرين الاول/اكتوبر١٩٣٧ CZA S25/5812(بالعبرية).

٥٤ـ محاضر اجتماع الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية، ٢٦ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٤١.

CZA, Vol. 35/1. (بالعبرية)

٥٥ ـ ساسون، «تعليقات على علاقاتنا مع الدروز»، ٥ تشرين الثاني/نوفمبر١٩٣٧، CZA,S25/6638. (بالعبرية)

٥٦ ـ بورات، مقابلة مع المؤلفة، ١٠ آذار/مارس، ١٩٨٧؛ شمعوني، مقابلة مع المؤلفة، ٤ اذار/مارس، ١٩٨٧؛ يهوشواع بالمون، مقابلة مع المؤلفة، ٢٦ آذار/مارس، ١٩٨٧، كفار شمارياهو، اسرائيل.

٥٧ ـ محاضر اجتماع الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية، ٢٠ ايار/مايو١٩٣٦، القدس، CZA, Vol. 25/3.

الفصل الثاني

١ـ انظر بخصوص انعدام دقة المصطلحات الجغرافية في سواحل شرقي المتوسط،

Kamal Salibi, *A House of Many Mansions: The History of Lebanon Reconsidered* (Berkeley: University of California Press, 1988), pp. 60 - 71.

من اجل تحليل مفصّل للتفسيرات المختلفة للحدود التوراتية لارض اسرائيل، انظر

Yehezkel Kaufmann, *The Biblical Account of the Conquest of Canaan* (Jerusalem: Magnes, 1953).

٢ـ من وايزمان الى فيرا وايزمان، ٨ ايلول/سبتمبر، ١٩٠٧، في LCW, Vol. 5, letter 54.

٣ ـ من وايزمان الى يوهان كريمينيتسكي، ٢٦ ايلول/سبتمبر، ١٩٠٧ في LCW, Vol. 5, letter 60 ولم ينجم اي شيء عن هذه المشاريع.

٤ ـ من ب. شليكوفير الى لجنة اوديسا، ٢٠ نيسان ٥٦٦٨ [٢١ نيسان/ابريل، ١٩٠٨]. CZA, A24/51/II(بالعبرية).

انظر ايضاً جوزف كاتس، «توخنيوت تسيونوت لرخيشات كركعوت باليبانون باتحيلات هاميئا هاعسريم» [الخطط الصهيونية لشراء املاك في لبنان في اوائل القرن العشرين]، كاثيدرا ٣٥، ابريل/نيسان، ١٩٨٥، ص: ٥٣ ـ ٥٧.

٥ ـ من م. اوسيشكين الى دافيد ولفسون، ٤ ايار ٥٦٦٨ [٥ أيار/مايو ١٩٠٨]، CZA,Z2/647 (بالعبرية).

٦ ـ عريضة من الطائفة اليهودية في صيدا، [حوالى ١٩١٩؟] ED، الملف رقم ١١٣٨ (بالعبرية).

انظر ايضاً بنحاس نئمان، «الطائفة اليهوديةفي صيدا على عتبة الموت»، عال همشمار ٢٣ ايار/مايو، ١٩٤٨، ED، الملف رقم ١٦٣٠ (بالعبرية)؛

دافيد سيتون، «كهيلوت يهودي سفراد فهامزراح بيامينو» (المجتمعات اليهودية في اسبانيا والشرق في عالمنا اليوم] القدس: تعاونية اهافا ١٩٧٤، ص ٥٩؛ و

Norman Stillman, *the Jews of Arab land in Modern Times* (Philadelphia: Jewish Publication Society, 1991), pp. 197 - 98.

٧ ـ سفر التثنية ١:٧، ٣: ٢٥، ١١، ٢٤؛ يوشع: ١: ٤؛ «الحدود الشمالية لفلسطين التوراتية»، ١ كانون الثاني/يناير، ١٩٢٠، Kaufmann, *Biblical Account*. CZA, Z4/16024.

٨ ـ اقتباس من تقرير فوكس في رسالة من حاييم وايزمان الى ديفيد لويد جورج، ٧ كانون الثاني/يناير، ١٩٢٠، في LCW, Vol. 9, letter 252

٩ ـ من المنظمة الصهيونية الى ديفيد لويد جورج، ٢٩ كانون الاول/ديسمبر، ١٩١٩، ومن حاييم وايزمان الى ديفيد لويد جورج، ٧ كانون الثاني/يناير، ١٩٢٠، في LCW, Vol. 9, letter 251 and 252 و؛ ومن (آرون ارونسون؟)، "A Memorandum on the Boundaries of Palestine" and "the Boundaries of Palestine", 191 9, CZA,24 / 160 24; ومن لويس ناميير الى لويس برانديس، ٣ تشرين الاول/اكتوبر ١٩١٩، CZA, 24/ 16024.

١٠ـ «بيان المنظمة الصهيونية بشأن فلسطين،» ٣ شباط/فبراير، ١٩١٩، في LCW, Vol. 9, app. 2, pp, 392, 397.

١١ـ Shabatai Teveth, *Ben Gurion and the Palestinian Arabs* (Oxford: Oxford University Press, 1985). p. 34.

١٢ـ (Aaronsohn?) "A Memorandum on the Boundaries of Palestine," 1919, CZA,Z4/ 16024.

١٣ ـ Frederic Hof, *Galilee Divided: The Israel - Lebanon Frontier, 1916 - 1984* (Boulder: Westview, 1985), pp. 7 - 8.

من اجل رواية مفصلة للمفاوضات الفرنسية ـ البريطانية حول حدود فلسطين ـ لبنان، وتحليل للمضامين السياسية والامنية والاقتصادية، لتعيين الحدود انظر الفصول الخمسة الاولى. وانظر ايضاً

Howard Sachar, *A History of Israel* (New-York: Knopf, 1981), pp. 116-117

١٤ ـ Hof, *Galilee Divided*, pp. 17- 20'

المحافظ يوسي غولدبرغ، ودافيد سندلر، وشالوم فين، مقابلات مع المؤلفة، ٢٨ نيسان/ابريل، ١٩٨٧، المطلة، اسرائيل.

١٥ ـ من بنحاس نئمان الى اللجنة الصهيونية، ٨ تموز/يوليو، ١٩٢٠، و ١٢ تموز/يوليو، ١٩٢٠، CZA, L3/625 (بالعبرية) من ل.ك فايس الى كدمي ـ كوهين بشأن ارض للبيع بالقرب من صور وصيدا [حوالى ١٩٢١ ـ ١٩٢٤] CZA, A 174/20/5 (بالعبرية).

١٦ ـ من غاستون موغرا الى وزارة الخارجية، ٢٩ تموز/يوليو، ١٩٢٥، ومن باليرو (القنصل العام في فلسطين) الى وزارة الخارجية، ١ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٢٥، AE, Série E - LE 18- 29/ PAL, Vol. 28 (بالفرنسية).

انظر ايضاً من ويغان (المفوضية السامية في بيروت) الى وزارة الخارجية، ٢٧ ايلول/سبتمبر، ١٩٢٤، ومن الوزارة الى ويغان ٤ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٢٤، LE 18 - 29 PAL 28 (بالفرنسية)؛ ومن وزارة الخارجية الى ج. ساراي (المفوضية السامية في بيروت)؛ ٢ حزيران/يونيو، ١٩٢٥، و١٧ آب/اغسطس، ١٩٢٥، ومن ساراي الى الوزارة، ٣٠ايلول/ سبتمبر، ١٩٢٥، AD, MAN/ 1064 (بالفرنسية).

١٧ ـ من جوفنيل الى اريستيد بريان، ٢٧نيسان/ابريل، ١٩٢٦، WA (بالفرنسية)؛ ومن جوفنيل الى بريان، ٨ أيار/مايو، ١٩٢٦، AE, LE 18- 19/ PAL 29 (بالفرنسية).

Chaim Weizmann, *Trial and Error: The Autobiography of Chaim Weizmann* (New-York: Harper and Brothers, 1949), pp.366-67.

١٨ ـ Kisch, "Visit to Syria", 18 April, Diary Notes,

CZA, S25/9022 ومن وايزمان الى فيليب برثيلوت، آب/اغسطس، ١٩٢٦، في LCW, Vol. 13, letter 71.

١٩ ـ من جوفنيل الى بريان، ٢٧نيسان/ ابريل، ١٩٢٦، WA.

Kisch, "Visit to Syria" 18 April, 1926, Diary Notes,

CZA, S25/9022 ، من وايزمان الى فيليب برثيلوت، ٢ آب/اغسطس، ١٩٢٦، في LCW, Vol, 13, letter 71;

Barnet litvinoff,ed,. *The Essential Chaim Weizmann* (New York: Holmes and Meier, 1982) pp. 226 - 27 حاييم ارلوسوروف، «يومان بروشالمي» (مفكرة القدس)، تل ابيب ميفليغيت بوعالي اريتز يسرائيل، ١٩٤١، ص ـ ١١١.

٢٠ ـ من جوفنيل الى بريان، ٢٧نيسان/ابريل، ١٩٢٦، WA؛ من وزارة الخارجية الى جوفنيل، ٤ ايار/مايو، ١٩٢٦، ومن جوفنيل الى الوزارة، ٦ أيار/مايو، ١٩٢٦، AE LE 18 - 40/PAL 29, (بالفرنسية).

٢١ ـ وزارة الخارجية الفرنسية، ملاحظات حول مخطط جوفنيل لتوطين يهود في شمالي سوريا، ايار/مايو وحزيران/يونيو، ١٩٢٦، FO/371/11518 E 3112 محفوظة في ISA.

٢٢ ـ من وايزمان الى السير جون شوكبورغ، ٢٨ ايار/مايو، ١٩٢٦، في LCW, Vol, 13. letter 24.

٢٣ ـ اجتماع الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية، ٢٤ حزيران/يونيو، ١٩٢٦، CZA, Z4/302/13,

Kisch, Diary Notes, 18 April, 1926,CZA, S25/9022

محاضر اجتماع لجنة العمل (لندن)، ٢٦ تموز/يوليو، ١٩٢٦، المقتبسة في Jon Kimche, *There Could Have Been Peace* (New York: Dial, 1973) pp.314 - 15

٢٤ ـ Kimche, *There Could Have Been Peace*, pp.314- 15

٢٥ ـ اجتماعات الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية، ٢٤ حزيران/يونيو، و ١٥ تموز/يوليو، ١٩٢٦، CZA,Z4/302/13

٢٦ ـ تقارير عن زيارتي وايزمان وجاكوبسون لفيليب برثيلو والمسيو كانيه، ٢ و٤ ايار/مايو، ١٩٢٧، AE, LE 18-40/ PAL 29 (بالفرنسية)؛ من دومال (القنصل العام الفرنسي في القدس) الى هنري بونسو (المفوض السامي في بيروت)، ١٢ شباط/فبراير، ١٩٣٠؛ من وزارة الخارجية الى برثيلو، ١٢ آذار/مارس، ١٩٣٠؛ من وزارة الخارجية الى سانت كوينتين، ٣نيسان/ابريل، ١٩٣٠؛ من بونسو الى وزارة الخارجية، ٥ حزيران/يونيو، ١٩٣٠؛ تقرير عن زيارة ليون بلوم لبرثيلو، ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر، ١٩٣٠، وجميعها في AE, LE 18-40/PAL 69 (بالفرنسية). انظر ايضاً «سوريا والصهيونية»، ٣٠ أيار/مايو، ١٩٣٠ AE, LE 18- 40/PAL 64 (بالفرنسية). يشير وايزمان في سيرته الشخصية وخلافاً للادلة الوثائقية، الى انه لم ينظر بعين الجد الى اقتراح جوفنيل.

٢٧ ـ من اوسيشكين الى الحاخام اسرائيل ليفي، ٢١ نيسان/ابريل، ١٩٢٦، ومن ليفي الى اوسيشكين، ٦ أيار/مايو، ١٩٢٦، وكلاهما في CZA, S25/590.

٢٨ ـ من كيش الى وايزمان، ١٠ حزيران/يونيو، ١٩٢٦، CZA, S25/590 ، ومن وايزمان الى كيش، ٢٤ حزيران/يونيو، ١٩٢٦، LCW, Vol. 13 letter 24 انظر ايضاً شموئيل دايان، «بيامي حازون او متسور» [في ايام الرؤيا والحصار] تل ابيب: ماسادا، ١٩٥٣، ص: ١٦ ـ ٤١، ٥٤، ٥٦.

٢٩ ـ «زيارة حاخام فرنسا الرئيسي»، ٢ ايار/مايو، ١٩٣٠، AE, LE 18-40/PAL 64 (بالفرنسية).

٣٠ ـ انظر رسائل وتقارير متعددة في AE, LE 18-40/PAL 69 (بالفرنسية).

٣١ ـ من الصندوق القومي اليهودي الى القنصلية الفرنسية في القدس، ٩ كانون الاول/ ديسمبر، ١٩٢٩؛ من القنصلية في القدس الى المفوضية السامية في بيروت، ١١ كانون الاول/ديسمبر، ١٩٢٩؛

من دومال الى وزارة الخارجية، ٢٠ كانون الاول/ديسمبر، ١٩٢٩؛ من وزارة الخارجية الى وزارة المالية، ٦/كانون الثاني/يناير، ١٩٣٠، وجميعها في AD, MAN/808 (بالفرنسية).

٣٢ ـ من بولاك الى وايزمان، ٢٣ ايار/مايو، ١٩٣٠، WA.

٣٣ ـ مفكرة مكتب الدكتور جوزف، ٢٤ ايلول/سبتمبر ١٩٣٧، CZA, S 25/1511.

٣٤ ـ Hudson, *The Precarious Republic: Political Modernization in Lebanon*, (New-York: Random House, 1968), pp. 25- 26;

David C. Gordon, *The Republic of Lebanon, Nation in Jeopardy* (Boulder: Westview, 1983) p. 5.

انظر ايضاً،

Kamal Salibi, *A House of Many Mansions: The History of Lebanon Reconsidered* (Berkeley: University of California Press, 1988), chap. 5.

٣٥ ـ Matti Moosa, *The Maronites in History* (Syracuse: Syracuse University Press, 1986) p. 284.

٣٦ ـ Albert Hourani, "Ideologies of the Mountain and the City" in *Essays on the Crisis in Lebanon*, ed. Roger Owen (London: Ithaca, 1976) pp. 36-37

٣٧ ـ Hourani, "Ideoligies" pp. 360-37

٣٨ ـ Ibid

٣٩ ـ Itamar Rabinovich, *The War for Lebanon, 1970-1983* (Ithaca: Cornell University Press, 1984) pp. 18-19.

٤٠ ـ Moosa, *Maronites in History*, pp. 286- 87; Rabinovich, *War for Lebanon* p.19.

٤١ ـ انظر «المذكرة التي قدمها البطريرك الماروني الحويك الى مؤتمر باريس للسلام»، ٢٥ تشرين الاول/اكتوبر ١٩١٩ (بالفرنسية)، ونصّها في

Meir Zamir, *The Formation of Modern Lebanon* (London: Croom Helm, 1985) pp. 269- 78.

وكتاب زمير هو التحليل الحاسم لانشاء لبنان الكبير وما ترتب عن ذلك.

٤٢ ـ Hof, *Galilee Divided*, p. 25

انظر ايضاً،

Rabinovich, *War for Lebanon*, pp 19-21; Zamir, *Formation of Modern Lebanon*, p. 97.

٤٣ ـ Zamir, *Formation of Modern Lebanon*, pp. 76-77, 91-93, 118-119;

المؤلف نفسه،

"Smaller and Greater Lebanon- The Squaring of a Circle?" *Jerusalem Quarterly* 23 (Spring 1982): 35-37; Rabinovich, *War for Lebanon*, p. 21

٤٤ ـ من كليمنصو الى الحويك، ١٠ تشرين الثاني/نوفمبر، ١٩١٩ (بالفرنسية)، النص في

Zamir, *Formation of Modern Lebanon*, pp. 117 -20

٤٥ ـ Hudson, *Precarious Republic*, p. 127.

انظر ايضاً،

Zamir, "Smaller and Greater Lebanon" p. 39;

وللمؤلف نفسه،

Formation of Modern Lebanon, pp. 70-72, 78.

٤٦ ـ Zamir, "Smaller and Greater Lebanon", pp. 38-40;

للمؤلف نفسه،

Formation of Modern Lebanon pp. 117-20

انظر من أجل مناقشات مطولة لتبعات تشكيل لبنان الكبير،

Zamir, *Formation of Modern Lebanon*, Chap. 3; Hof, *Galilee Divided*

٤٧ ـ جورج سمنه، الذي استشهد به زمير في "Smaller and Greater Lebanon" p.40

٤٨ ـ امين سعيد «الثورة العربية الكبرى» المجلد ٣، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٣٤، ص: ٤٣٣.

٤٩ ـ Zamir, "Smaller and Greater Lebanon" p. 40;

المؤلف نفسه،

"Emile Eddé and the Territorial Integrity of Lebanon" *Middle Eastern Studies* 14, no. 2 (May 1978): 232 - 35;

المؤلف نفسه،

Formation of Modern Lebanon, p. 119 - 20, 125; Rabinovich, *War for Lebanon*, pp. 21- 22.

٥٠ ـ Hof, *Galilee Divided*, pp. 25-26, 113.

٥١ ـ Hourani, "Ideologies" p.38.

٥٢ ـ Albert Hourani, Minorities in the Arab World (London: Oxford University Press, 1947), pp. 71-73.

٥٣ ـ Tewfik Khalaf, "The Phalange and The Maronite Community: From Lebanonism to Maronitism," in *Essays on the Crisis in Lebanon*, ed. Roger Owen, pp. 44-46.

٥٤ ـ Hof, *Galilee Divided*, pp. 44-45; Zamir, *Formation of Modern Lebanon* pp. 169-78; Stephen Longrigg, *Syria and Lebanon under French Mandate* (London: Oxford University Press, 1958), p.161.

٥٥ ـ Hof, *Galilee Divided*, p.45.

٥٦ ـ اسحق بن جاد، «اهتمام اسرائيل بمسيحيي لبنان،» هاتسوفيه، ١ ايلول/سبتمبر، ١٩٧٨، ص: ٣ (بالعبرية).

٥٧ ـ Sachar, *History of Israel*, p. 22

٥٨ ـ الياهو ايلاث، «الهجرة الى فلسطين والعرب» تل أبيب: دفير، ١٩٧٤، ص: ٣٠٣؛ الياهو ايلاث، مقابلة مع المؤلفة، ٢٩ تموز/يوليو، ١٩٨٦، القدس؛ رسالة عريضة الى يهود بيروت، التي اقتبسها ابشتاين في رسالة الى شرتوك، ١ حزيران/يونيو، ١٩٣٣، CZA, 19/350 B (بالعبرية)؛ اوري م. كوبر شميت، «تميخات هاباتريارخ هاماروني عريضة بيهوديم نردافي هاناتزيم» (تأييد البطريرك الماروني عريضة لليهود المضطهدين من النازيين) بعاميم ٢٩، ١٩٨٦، ص: ٧٤.

٥٩ ـ Barry Rubin, *The Arab States and the Palestine Conflict* (Syracuse: Syracuse University Press, 1981), p. 26; Aharon Cohen, *Israel and the Arab World* (New- York: Funk and Wagnalls, 1970). pp. 90-98.

من هوشبرغ الى جاكوبسون، المقتبسة في

Walter Laqueur, *A History of Zionism* (New York: Schocken Books, 1979), p. 212; Neville J. Mandel, *The Arabs and Zionism Before World War I* (Berkeley: University of California Press, 1876) pp. 154-56.

٦٠ ـ Cohen, *Israel and the Arab World*. p. 92.

٦١ ـ ابراهام الميليخ، «تقرير شهر آب، ١٩١٩» CZA, L4/794.

٦٢ ـ دافيد تدهار، «انتسيكلوبيديا لحالوتسي هايشوف او بوناف (موسوعة رواد اليشوف وبناته)، تل ابيب: سفريات ريشونيم، ١٩٤٧ ـ ٧١، ص: ٤٦٦٤ ـ ٦٦.

٦٣ ـ من نئمان الى اللجنة الصهيونية، ١٣ تموز/يوليو، ١٩٢٠، CZA, L3/625 (بالعبرية).

٦٤ ـ من نئمان الى اللجنة الصهيونية، ٨ تموز/يوليو، ١٩٢٠، CZA, L3/625 (بالعبرية).

٦٥ ـ من قرية دير ميماس الى المنظمة الصهيونية في القدس، ٧ تموز/يوليو، ١٩٢٠، CZA, L3/625 (بالعبرية).

انظر ايضاً رسائل الشكر من جديدة مرجعيون بتاريخ ٥ تموز/يوليو، ١٩٢٠، ابو القمح بتاريخ ٧ تموز، ١٩٢٠، دير ميماس، ٨ تموز، ١٩٢٠، مرجعيون بتاريخ ٨ تموز، ١٩٢٠، وكلها في CZA, L3/625 (بالعربية). كما ان الرسالة من المتصرف رشيد جنبلاط، اثّرت في نئمان. فقد وضع جنبلاط بطلب من

نئمان، لائحة باسماء اللاجئين المسيحيين الاكثر عوزاً من غيرهم، اختتمها بدعاء الى الله لـ «يعطي المجتمع الصهيوني حسن الطالع الذي يستحقه». ولقد رفع نئمان تقريراً الى القدس، يبلغ فيه بان رشيداً كان ابن شقيق الزعيم الدرزي ناصيف جنبلاط ووريثه السياسي، وبان اقامة علاقات وثيقة مع هذا الشخص الذي سيصبح زعيماً درزياً في وقت قريب ستفيد المصالح الصهيونية انظر الرسالة من رشيد جنبلاط الى بنحاس نئمان، ٣ تموز /يوليو، ١٩٢٠ (بالفرنسية)، والرسالة من نئمان الى اللجنة الصهيونية، ٨ تموز/ يوليو، ١٩٢٠ (بالعبرية) وكلاهما في CZA, L3/625.

٦٦ ـ من نئمان الى اللجنة الصهيونية، ٨ تموز/ يوليو، ١٩٢٠، CZA, L3/625 (بالعبرية).

٦٧ ـ من اللجنة الصهيونية الى نئمان، ١ و ٢٢ تموز/يوليو، ١٩٢٠، CZA, L3/625 و CZA, S2/579 (بالعبرية)

٦٨ ـ بنحاس نئمان، «في سوريا»، [حوالى تموز/يوليو، او آب/اغسطس، ١٩٢٧؟]، ED، الملف رقم ١٦٣٠ (بالعبرية).

٦٩ ـ من ج.ج كاليب الى وايزمان، ٦ حزيران/يونيو، CZA, Z4/16078 (بالفرنسية).

٧٠ ـ المصدر نفسه.

٧١ ـ مسودة معاهدة، بدون تاريخ.، CZA,Z4/16078 (بالعبرية)؛ المعاهدة، ٢٦ آذار/مارس، ١٩٢٠، CZA, S25/9907 (بالعبرية والفرنسية والعربية).

٧٢ ـ المعاهدة، ٢٦ آذار/مارس، ١٩٢٠، CZA, S25/9907؛ Yehoshua Porath,"History of Friendship," *Jerusalem Post*, 22 May 1981, p. 7, Benny Morris, A"The Phalange Connection", *Jerusalem Post Magazine*, 1 July 1983, p. 7.

٧٣ ـ Caplan, *Futile Diplomacy*. Vol. 1 (London: Cass, 1983-86), p.69

ايلاث، مقابلة مع المؤلفة، ٢٩ تموز/يوليو، ١٩٨٦.

٧٤ ـ من صفير الى وايزمان، ٣ ايار/مايو، ١٩٢٠، CZA,Z4/16078 (بالفرنسية)؛ من ايدر الى وايزمان، ١٧ ايار/مايو، ١٩٢٠، CZA,Z4/16033. عمد س. فيلمان، وهو نشيط صهيوني في دمشق، بعث اليه ايدر على ما يبدو، تقريراً تلقاه من صفير وشركائه، عمد الى تحذير ايدر من صفير حتى قبل ان يوقع حانكين على الاتفاق. وقد ابلغ فيلمان الى ايدر بان التقرير كان مليئاً بالاكاذيب، ووصف كاتبيه بالدجالين، ونصح بالامتناع عن التعامل معهم. انظر الرسالة من فيلمان الى ايدر، ٢١شباط/فبراير، ١٩٢٠، CZA,L3/278 (بالفرنسية)؛ انظر أيضاً Neil Caplan, *Futile Diplomacy*, Vol. 1, p.68 (بالفرنسية).

٧٥ ـ "Information", 30 January 1930, AD, MAN/1064

٧٦ ـ موشيه شاريت، «يومان مديني» (المفكرة السياسية) تل ابيب: عام عوفيد، ١٩٦٨ ـ ٧٩، ١٧ شباط/فبراير، ١٩٣٦، المجلد ١، ص: ٦٥، و ٢٣ ايار/ مايو، ١٩٣٧، المجلد٢، ص: ١٤١.

الفصل الثالث

١ - Stephen Longrigg, *Syria and Lebanon Under the French Mandate* (London: Oxford University Press, 1958), pp. 203-5, 252.

٢ - الياهو ايلاث، مقابلة مع الكاتبة، ٢٩تموز/يوليو، ١٩٨٦، القدس؛ الياهو ابشتاين، «اجتماعات واحاديث خلال زيارتي لسوريا، تشرين الاول، ١٩٣٤»، كانون الاول/ديسمبر، ١٩٣٤، CZA, S 25/10225، (بالعبرية).

٣ - Matti Moosa, The Maronites in History (Syracuse University Press, 1986) pp. 288-92.

٤ - من عريضة الى وايزمان، ٤نيسان/ابريل، ١٩٣٤، WA (بالفرنسية).

٥ - مبارك، «الاسقف مبارك يشهد على الحقيقة: كتاب مفتوح الى صاحب الفخامة الشيخ بشاره الخوري»، ٢٦ أيار/مايو، ١٩٤٧، و «من المطران مبارك الى الشعب اللبناني المكرّم»، ٢٤ آب/اغسطس، ١٩٤٧، وكلاهما في ISA, 2569/19 (بالعربية)؛ «تقرير عن خطاب للمطران مبارك»، ٢ آذار/مارس، ١٩٣٨، CZA, S 25/6639 (بالعبرية).

٦ - William W. Haddad, "Christian Arab Attitudes Toward the Arab-Israel conflict *Muslim World* 67, no. 2 (April 1977): 141.

٧ - «شيفات تسيون فعراف» (الهجرة الى فلسطين والعرب)، تل ابيب: دفير، ١٩٧٤، ص: ٣٠٨.

٨ - المصدر نفسه، ص: ٣٠٨ - ٣٠٩.

٩ - المقتبس في رسالة جوزف د. فرحي الى أ. بن - زفي، ١٩ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٣٧، CZA, S 25/5580.

١٠ - الياهو ايلاث، «هاتسيونوت هافينيكيت باليفانون» (الصهيونية الفينيقية في لبنان)، كاشيدرا ٣٥ نيسان/ابريل، ١٩٨٥: ٩٠-١٠٩؛ المؤلف نفسه،

"Phoenician Zionism in Lebanon", *Jerusalem Quarterly* 42 (Spring 1987): 38-56

١١ - ايلاث، «هاتسيونوت هافينيكيت» ص: ١٠٩ - ١١٠؛ ايلاث، مقابلة مع المؤلفة، ٢٩ تموز/يوليو، ١٩٨٦.

١٢ - «رسالة من أ. ابشتاين الى الهيئة التنفيذية» (بيروت)، ٣ تشرين الثاني/نوفمبر، ١٩٣٢، WA. وكان وصفه لمحبة الموارنة للفرنسيين اصدق بالنسبة الى النخبة المارونية منه الى عامة السكان الموارنة.

١٣ - ايلاث، «هاتسيونوت هافينيكيت»، ص: ١١١.

١٤ - المصدر نفسه، ١١٠ - ١١٦؛ ايلاث، «شيفات تسيون فعراف» (الهجرة الى فلسطين) ص: ٣٠٦ - ٣٠٨؛

I. Ben- Zvi, "Zones of the Arab World", *Palestine Post*, 24 July, 1936, p.5; Moosa, *Maronites in History*, p. 303. Albert Hourani, "Ideologies of the Mountain and the City", in *Essays on the Crisis in Lebanon*, ed. Roger Owen (London: Ithaca, 1976), p. 39; Kamal Salibi, *A House of Many Mansions* (Berkeley: University of California press, 1988) pp. 87-107, 167-81.

يتحدى صليبي النظرية الفينيقية ويقترح اصولاً يمنية للموارنة (المصدر نفسه، ص: ٨٨ - ٨٩).

١٥ - Eliahu Elath, *Zionism at the U.N* (Philadelphia: Jewish Publication Society, 1976), p. 255.

المؤلف نفسه، «شيفات تسيون فعراف»، ص: ٣٠٨.

١٦ - أ. ابشتاين، «اجتماعات واحاديث خلال زيارتي لسوريا، تشرين الاول، ١٩٣٤»، كانون الاول/ديسمبر، ١٩٣٤، CZA, S 25/10225 (بالعبرية).

١٧ - Elath, *Zionism at the U.N*, p.256;

المؤلف نفسه، «شيفات تسيون فعراف» ص: ٣٠٦. بحسب التوراة العبرية تعاون سليمان مع احيرام في مناسبات عديدة، وخصوصاً خلال بناء الهيكل المقدس في القدس، عندما اقدم احيرام في صور، على تزويد سليمان بكل ما احتاجه من خشب الارز والسرو، وتلقى بالمقابل تزويدات منتظمة من الحنطة والزيت. وانطلق الملكان معاً فيما بعد، على اساس ذلك المشروع المشترك الناجح، في «مغامرة بحرية مشتركة عظيمة الشأن كانت المجازفة فيها كبيرة» (Alexander Flinder, "Is This Solomon's Seaport?" *Biblical Archaeology Review* 15, no. 4 [July/August, 1989]: 32-35)

ولقد وفر سليمان سبيلاً للوصول الى البحر الاحمر وعدداً غير محدود من الايدي العاملة، فيما اسهم احيرام بمهاراته في الملاحة وبأرز لبنان الشهير من اجل بناء الاسطول. وازدهرت هذه الشراكة واستمرت سنوات عديدة.

ويقترح هسكل حداد علاقة نسب بين الفينيقيين والاسرائيليين التوراتيين. وبحسب تفسير حداد للتاريخ التوراتي فقد عبر ابراهيم الى كنعان، ثم استقر اخيراً مع معظم اتباعه في الريف حول بلدة الخليل، لكن بعضاً من رفاقه «ذهبوا للسكن في الشمال بين جبال لبنان والبحر المتوسط، واصبح هؤلاء الفينيقيين، وقد اعتُبروا حتى عهد سليمان عبرانيين وابناء عم»،

(Heskel M. Haddad, *Jews of Arab and Islamic Countries* (New York: Shengold, 1984), p. 15).

وعمد الصهيونيون اليمينيون (الاصلاحيون الراديكاليون) والحركة الكنعانية المناهضة للصهيونية،

في بعض الاحيان، الى تبني الرابط العبري - الفينيقي لاغراضهم الخاصة. انظر ابراهام ستيرن، «هاعفريم كيكولونيزاتوريم فلوحميم» (العبريون كمستعمرين ومحاربين) في «لوحمي حيروت يسرائيل، كتافيم اليف» ، تل ابيب ١٩٥٩، النسخة في CZA ؛ و Ya'akov Shavit "Hebrews and Phoenicians: An Ancient Historical Image and Its Usage" *Studies in Zionism* 5, no. 2 (Autumn 1984): 157-80.

١٨ - أ. ابشتاين، «اجتماعات واحاديث خلال زيارتي لسوريا، تشرين الاول، ١٩٣٤»، كانون الاول/ديسمبر، ١٩٣٤، CZA S 25/10225 (بالعبرية). ان الصهيونيين الذين امضوا اوقاتاً في لبنان، يتذكرون الشبيبة الفينيقية، (اذا كانوا يذكرونها)، كمجموعة صغيرة جداً لا اهمية سياسية لها. حتى ان بعضهم يقترح بان افتقارهم الى النفوذ هو الذي دفعهم نحو الصهيونيين: «بدونا اقوياء وارادوا ان يستفيدوا من قوتنا». (حاييم ليفكوف، مقابلة مع المؤلفة، «١١ ايار/مايو، ١٩٨٧، حولون، اسرائيل؛ شولا كوهين كيشك، مقابلة مع المؤلفة، ٢٠ ايار/مايو، ١٩٨٧، القدس؛ يهوشواع بالمون، مقابلة مع المؤلفة، ٢٦ آذار/مارس، ١٩٨٧، كفار شماریاهو، اسرائيل). ولقد اصر ايلات على ان الشبيبة الفينيقية، وبغض النظر عن تأثيرهم كانوا مؤمنين حقيقيين، وحالمين، واغنياء ولم يكونوا بحاجة الى الربح الشخصي، ولم يراكموا المكاسب الشخصية، من موقفهم المؤيد للصهيونية، بل كانوا في الواقع، اصدقاء حقيقيين للحركة الصهيونية (مقابلة مع المؤلفة، ٢٩تموز/ يوليو، ١٩٨٦).

١٩ - من وايزمان الى فكتور جاكوبسون، ٢٥ كانون الاول/ديسمبر، ١٩٢٤ في LCW, Vol 12, letter 220 ; Yoav Gelber, "Antecedents of the Jewish-Druze Alliance in Palestine" *Middle Eastern Studies* 28, no. 2 (April 1992): 352-73; ايلاث، مقابلة مع المؤلفة، ٢٩تموز/يوليو، ١٩٨٦.

٢٠ - Gelber "Antecedents of the Jewish-Druze Alliance"

شمعوني، مقابلة مع المؤلفة، ٤آذار/مارس، ١٩٨٧.

٢١ - من ايدر الى وايزمان، ١٩ آذار/مارس، و٢٠ايار/مايو، ١٩٢٢، CZA, Z4/16056

من وايزمان الى ايدر، ٢١ و ٣٠ آذار/مارس، ١٩٢٢، و٣حزيران/يونيو، ١٩٢٢، في LCW, Vol. 11, letters 75 76 and 109

Yohoshua Porath, *The Palestinian Arab National Movement* (London: Cass, 1977), pp, 112-14;

Howard M. Sacher, *A History of Israel* (New York: Knopf, 1981) pp. 168;

Neil Kaplan, *Futile Diplomacy* (London: Cass, 1983-86), Vol. 1, pp. 54, 60, 113.

٢٢ - من ايتامار بن - افي الى وايزمان، ١٠ كانون الثاني/يناير، ١٩٣٠، وتقارير متعددة اخرى من العام ١٩٣٠، WA. ومن اجل انطباعات وايزمان عن الصلح وماذا يستطيع ان يفعله للحركة الصهيونية

باعتقاده، انظر الرسالة من وايزمان الى فيلكس م. واربورغ، ١٥ ايار/مايو، ١٩٣٠، في LCW, Vol, 14, letter 272.

٢٣ - من وايزمان الى واربورغ، ١٥ايار/مايو، ١٩٣٠، LCW, Vol, 14, letter 272

"Discussions at the Meeting of the Political Advisory Committee" (London), 25 June 1936, CZA, S 25/6326.

انظر ايضاً *Futile Diplomacy*, Vol. 1, pp. 17, 49

٢٤ - ايلاث، مقابلات مع المؤلفة، ٢٩تموز/يوليو، و١٤ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٨٦؛ "Discussions at the Meeting of the Political Advisory Committee" (London) June 25 1936, CZA S 25/6326.

٢٥ - فكتور جاكوبسون، «تقرير حول رحلتي الى ارض اسرائيل وسوريا»، ١٢ ايار/مايو، WA (بالعبرية، وفي الاصل بالالمانية)؛ أ. ابشتاين، «اجتماعات واحاديث خلال زيارتي لسوريا، تشرين الاول ١٩٣٤»، كانون الاول/ديسمبر، ١٩٣٤، CZA, S 25/ 10225 (بالعبرية)؛ Neil Caplan and Ian Black, "Israel and Lebanon: Origins of a Relationship," *Jerusalem Quarterly* 27 (Spring 1983), p. 53.

٢٦ - أ. ابشتاين، «اجتماعات واحاديث خلال زيارتي لسوريا تشرين الاول، ١٩٣٤»، كانون الاول/ديسمبر، ١٩٣٤، CZA S 25/10225 (بالعبرية).

٢٧ - المصدر نفسه؛ من ابشتاين الى يعقوب فرانكو، ٢١ كانون الثاني/يناير، ١٩٣٥، CZA, S 25/3143(بالعبرية)

٢٨ - من ابشتاين الى شرتوك، ١٧ ايار/مايو، ١٩٣٣، CZA, L9/350B (بالعبرية).

٢٩ - من وايزمان الى ايلي عاد، ٣٠ كانون الاول/ديسمبر ١٩٣٥. LCW, Vol, 17 letter 117.

٣٠ - من هاري زيهيني الى وايزمان، ٢٠ كانون الاول/ديسمبر، ١٩٣٥، WA؛ انظر أيضاً من وايزمان الى المونسنيور جوزف رحمة، تشرين الاول/اكتوبر ١٩٣٥, WA؛ من رحمه الى وايزمان، ١٢ تشرين الثاني/نوفمبر، ١٩٣٥، CZA, S25/6560؛ من زيهيني الى وايزمان، ٣ كانون الاول/ديسمبر، ١٩٣٥، CZA, S 25/6560. وعمد رجال دين موارنة آخرون، الى توجيه موارنة لديهم اعمال تجارية في فلسطين، الى الوكالة اليهودية، مزودين برسائل تعريف. انظر الرسالة من بول عقل الى وايزمان، ١٧ تموز/يوليو، ١٩٣٨، ورسائل تالية بخصوص البرت شدياق، CZA, S25/3042 (بالعبرية وبالفرنسية).

٣١ - من رحمة الى وايزمان، تشرين الثاني/نوفمبر، ١٩٣٥، CZA, S25/6560.

٣٢ - من زيهيني الى وايزمان، ٣ كانون الاول/ديسمبر، ١٩٣٥، CZA, S25/6560.

٣٣ - من ابشتاين الى نقاش، ٣١ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٣٤، CZA, S25/3143.

٣٤ - من شرتوك الى برنارد جوزف، ٧ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٣٧ CZA, Z4/17032. ولقد استفاد نقاش أيضاً من عرض ابشتاين بالمساعدة. فقد اخترع نموذجاً جديداً من المحركات، وطلب من

ابشتاين ان يقيّم الخبراء في معهد «التخنيون» في حيفا هذه الآلة. ونجمت عن ذلك مراسلات كثيرة حول اختبار المحرك. ولقد اصدر ابشتاين تعليمات محددة الى الهيئة التعليمية في «التخنيون»، تقضي باتصالهم بالنقاش عبر الوكالة اليهودية، على ان يكون هو الوسيط. انظر المراسلات بين ابشتاين ونقاش، وبين ابشتاين والعديد من الاساتذة في «التخنيون»، ١٩٣٩ ـ ١٩٤٠، CZA, S25/5580. (بالانجليزية والعبرية والفرنسية).

٣٥ ـ ايلاث، «هاتسيونوت هافينيكيت» (الصهيونية الفينيقية)، ص: ١١٨ ـ ١٢٢؛ Frederic Hof, *Galilee Divided: The Israel- Lebanon Frontier 1916-1984* (Boulder: Westview, 1985), p, 30.

٣٦ ـ من المندوب الفرنسي العام الى دائرة الاشغال العامة، ومن الاشغال العامة الى المندوب العام، ٢٧ و ٣١ كانون الثاني/يناير، ١٩٤٢؛ من المندوب العام الى الوزارة، ١٠ شباط/فبراير، ١٩٤٢؛ و «معلومات»، ١٠ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٤٢؛ وجميعها في AD, MAN/ 808 (بالفرنسية).

٣٧ ـ ان صعود جماعة بشارة الخوري المارونية، المعادية للصهيونية، الى السلطة في لبنان، والنزاع في فلسطين الذي كانت تزداد مرارته، في السنوات التي تلت نهاية الحرب، وقبل استقلال اسرائيل، جعلت متابعة مشروع النقاش مستحيلة.

٣٨ ـ من شرتوك الى س. هوروفيتس، ٢٧ تشرين الثاني/نوفمبر، ١٩٣٣، CZA, S 25/45521.

٣٩ ـ من [؟] الى شرتوك، ٧ حزيران/يونيو، ١٩٣٣، CZA, S 25/6560 (بالعبرية).

٤٠ ـ Ian Black, "Zionism and the Arabs, 1936-1939", Ph. D. diss, University of London, 1978, p. 276.

٤١ ـ من ابشتاين الى فرحي، ١١ تشرين الثاني/نوفمبر، ١٩٣٧، CZA.S 25/5812 (بالعبرية).

٤٢ ـ «تقرير عن زيارة بعثة اقتصادية من فلسطين الى بيروت، ٢١ ـ ٢٦ كانون الثاني/يناير، ١٩٤٠»، CZA, S 25/5630 (بالعبرية).

٤٣ ـ من ابشتاين الى شرتوك، ١٢ كانون الثاني/ يناير، ١٩٤٤، CZA, S 25/4556 (بالعبرية)

٤٤ـ من ساسون الى شرتوك، ١٢ و ٢٤ ايلول/ سبتمبر ١٩٣٩؛ من ساسون الى كابلان، ٢٥ ايلول/سبتمبر، ١٩٣٩؛ من ساسون الى لوزيا، ٢٤ ايلول/سبتمبر ١٩٣٩؛ من ساسون الى حرفوش، ٢١ ايلول/سبتمبر، ١٩٣٩، وجميعها في CZA,S 25/ 3500 (بالعبرية). انظر ايضاً من حرفوش الى ساسون، ١١ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٣٩، ومن ج. أ. الى ساسون، ٨ تشرين الثاني/نوفمبر، ١٩٣٩، وكلاهما في CZA, S 25/5580. (بالعبرية).

٤٥ ـ رافائيل سفيردلوف، «هاليفانون: تسيوراي ميسع عيم مباه فتيشع تمونوت»، (لبنان: قصة رحلة مع خارطة وتسع صور)، تل ابيب: كوبات هاسيفر، ١٩٣٠، نسخة في ED.

٤٦ ـ «هاليفانون: ايريتز هتياروت فهاكيتانوت»، (لبنان: ارض السياحة والمصايف)، باريس: الدائرة الاقتصادية لحكومة لبنان، ١٩٣٥، نسخة في ED.

٤٧ ـ Black, "Zionism and the Arab", p. 276; شرتوك، «مفكرة الدائرة السياسية»، ٢١ تموز/يوليو، ١٩٣٦، CZA, S 25/443 (بالعبرية).

٤٨ ـ «البطريرك والصهيونيون» (من المستشار الاداري الفرنسي لشمالي لبنان الى المندوب السامي في بيروت)، ٣١ آب/اغسطس، ١٩٣٥، AD, MAN/595 (بالفرنسية).

٤٩ ـ من رافائيل تورغمان الى الدائرة السياسية للوكالة اليهودية، ٢٣ حزيران/يونيو، ١٩٣٩، CZA, S 25/3183 (بالعبرية).

٥٠ ـ ابشتاين، «الروابط مع لبنان»، ٩ تموز/يوليو، ١٩٣٩؛ ساسون «علاقات الجوار مع مصايف لبنان»، ٢٧ حزيران/يونيو، ١٩٣٩؛ ابشتاين، تقرير ١٢ تموز/يوليو، ١٩٣٩، وجميعها في CZA, S 25/3183 (بالعبرية).

٥١ ـ من ابشتاين الى شرتوك، ١٩ شباط/فبراير، ١٩٣٦، CZA, S 25/10121 (بالعبرية).

٥٢ ـ من ابشتاين الى اده، ٢٤ كانون الثاني/يناير، ١٩٤٠، ومن مدير مجلس وزراء الرئيس الى ابشتاين، ٧ شباط/فبراير، ١٩٤٠ (بالفرنسية) وكلاهما في CZA, S 25/5581؛ من فرانك انطوني الى أ. العازري فولكاني، ٢٤ كانون الثاني/يناير، ١٩٤٥ CZA, S 25/3561.

٥٣ ـ من ابشتاين الى م. شيرمان، ٢٩ نيسان/ابريل، ١٩٣٨ (بالعبرية)؛ من ابشتاين الى جورج فاويسي، ٦ ايار/مايو، ١٩٣٨ (بالفرنسية)؛ من منظمة هداسا الطبية الى شرتوك، ١٥ ايار/مايو، ١٩٣٨ (بالعبرية)؛ من ابشتاين الى هـ. يسكي، ١٧ ايار/مايو، ١٩٣٨ (بالعبرية)، وجميعها في CZA, S 25/5580.

٥٤ ـ من ابشتاين الى شرتوك، ١٧ نيسان/ابريل، ١٩٣٨، CZA, S 25/3668 (بالعبرية).

٥٥ ـ من ابشتاين الى جوزف، ١٩ نيسان/ابريل، ١٩٣٦، CZA, S 25/436، في Black, "Zionism and the Arabs" p. 278

من ابشتاين الى شرتوك، ١٧ نيسان/ابريل، ١٩٣٨، CZA, S 25/3688 (بالعبرية)؛

Black, "Zionism and the Arabs" pp. 276-278

٥٦ ـ اثّر الاقتراح في شرتوك الى حد انه فاتح عريضة شخصياً بالفكرة في محاولة لتحريكها. انظر الرسالة من شرتوك الى عريضة، ٣ حزيران/يونيو، ١٩٣٥، ومن م. بوليكار الى شرتوك، ٦حزيران/يونيو، ١٩٣٥، وكلاهما في CZA, S 25/4552 II (بالفرنسية).

٥٧ ـ من ابشتاين الى قرم، ٢٤ و٣١ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٣٤، و٢٤ شباط/فبراير، ١٩٣٥، وجميعها في CZA, S 25/3143.

٥٨ ـ مدير الاستخبارات الفرنسية في مشرق البحر المتوسط، «معلومات»، ٧ نيسان/ابريل، ١٩٣٠، AD, MAN/1064 (بالفرنسية).

٥٩ ـ ايلاث، «هاتسيونوت هافينيكيت»، ص: ١١٦ ـ ١١٨، ١٢٢. استهلك ايلاث طاقة كبيرة في قضية ناحوم سلوكز، الذي تأجلت محاضرته لمجموعة الشبيبة الفينيقية تكراراً، وعلى فترة ثلاث سنوات. من ابشتاين الى سلوكز، ٢٢ كانون الاول/ديسمبر، ١٩٣٧، ومن ابشتاين الى شرتوك، ٢٢

آذار/مارس، ١٩٣٨، وكلاهما في CZA, S 25/5580 (بالعبرية)؛ ومن قرم الى ابشتاين، ٢٣ شباط/فبراير، ١٩٣٨، CZA, S 25/5580 (بالفرنسية)؛ من ابشتاين الى م. غوردون، ١٧ حزيران/يونيو، ١٩٤٠، CZA, S 25/5580 (بالعبرية)؛ من غوردون الى ابشتاين، ١٧ حزيران/يونيو، ١٩٤٠، ومن ابشتاين الى غوردون، ١٧ تموز/يوليو، ١٩٤٠، وكلاهما في CZA, S 25/4549 (بالعبرية)

٦٠ ـ Black, "Zionism and the Arabs" pp. 278

٦١ ـ تعاقد ساسون مع م.ن. في لبنان لنشر ٧٥ مقالة على فترة ثلاثة اشهر، في صحيفة سورية واحدة هي «الاستقلال» واربع صحف بيروتية هي «النهار» «والاحوال» و «الحديث» و «الشرق»؛ وكان هذا الترتيب امراً معهوداً. انظر الرسالة من ساسون الى شرتوك، [١٩٣٧؟] CZA, S 25/5568 (بالعبرية). ونجح ساسون ايضاً، في وضع مقالات في صحف «الاحرار» و «لاسيري» و «الاوريان»، الصادرة ايضاً في بيروت. انظر الرسالة من ابشتاين الى شرتوك، ٢٤ تموز/يوليو، ١٩٣٦، CZA, S 25/10121 (بالعبرية)؛ من ساسون الى شرتوك، ٢٩ كانون الاول/ديسمبر، ١٩٣٧، CZA, S 25/5568 (بالعبرية)؛ من ابشتاين الى فاويسي، ١٢ ايار/مايو، ١٩٣٨، CZA, S 25/5580.

٦٢ ـ ساسون، «نشاطات الدائرة السياسية في سوريا ولبنان،» ١٩ تموز/يوليو ١٩٣٩، CZA, S 25/3500؛ انظر ايضاً الرسالة من ساسون الى شرتوك، ٢٩ كانون الاول/ديسمبر ١٩٣٧، CZA, S 25/5568 (بالعبرية)؛ من ابشتاين الى شرتوك، ٢٤ تموز/يوليو ١٩٣٦، CZA, S 25/1021 (بالعبرية)؛ من ساسون الى شرتوك [١٩٣٧؟] CZA, S 25/5568 (بالعبرية).

٦٣ ـ من ابشتاين الى الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية ، ٣ تشرين الثاني/نوفمبر، ١٩٣٢، WA؛ من ابشتاين الى مديرية مشرق البحر المتوسط، تل ابيب، ١٦ حزيران/يونيو، ١٩٣٨، CZA, S 25/5814 (بالعبرية).

Black, "Zionism and the Arabs" pp. 281- 282

٦٤ ـ ساسون، «نشاطات الدائرة السياسية في سوريا ولبنان»، ١٩ تموز/يوليو، ١٩٣٩، CZA, S 25/3500.

٦٥ ـ الياهو ساسون، «باديرخ ال هاشالوم» (على طريق السلام)، تل ابيب: عام عوفيد: ١٩٧٨، ص: ١٨٥.

٦٦ ـ شاريت، «يومان مديني» (المفكرة السياسية)، تـل ابيب: عام عوفيد، ١٩٦٨ ـ ١٩٧٩، ٢ تموز/يوليو، ١٩٣٩، المجلد ٤، ص ٣٢٦.

٦٧ ـ من ليوكوهين الى برنارد جوزف، ٢ كانون الثاني/يناير، CZA, S 25/3183.

٦٨ ـ من شركة تطوير اراضي فلسطين الى الوكالة اليهودية، ١٤ كانون الثاني/يناير، ١٩٣٤، CZA, Z 4/17024A (بالعبرية)؛ من ابشتاين الى شرتوك ١ حزيران/يونيو، ١٩٣٣، CZA, L 9/350B (بالعبرية)؛ من وايزمان الى ادليد كوهين، ٣٠ نيسان/ابريل، ١٩٣٤، في LCW, Vol, 16, letter 273.

٦٩ ـ محاضر اجتماع الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية (القدس)، ٢٢ نيسان/ابريل، ١٩٣٤، CZA,

(بالعبرية). ولقد وثّق كينث ستين لوجود استعداد مماثل في وسط بعض القادة الفلسطينيين العرب، الذين يعارضون في العلن الاستملاك اليهودي للاراضي، لبيع الاراضي سراً الى الصهيونيين

(*The land Question in Palestine, 1917 - 1939,* (Chapel Hill: University of North Carolina Press, 1984), pp. 66-69).

٧٠ ـ من ناصيف شحاده الى الوكالة اليهودية، ١٢ تشرين الثاني/نوفمبر، ١٩٣٣، ومن أ. فيلمان الى شحاده، ٨ كانون الثاني/يناير، ١٩٣٤، وكلاهما في CZA, S 25/6560 من اجل قضية عارف بيه نعماني، انظر الرسالة من بن بيجيو الى بروديتسكي، ٢٨ تشرين الثاني/نوفمبر، ١٩٣٤؛ من ابشتاين الى لوري، ١٨ كانون الاول/ديسمبر، ١٩٣٤؛ ومن لوري الى شرتوك، ١٤ كانون الثاني/يناير، ١٩٣٤، وجميعها في CZA, S 25/3143؛ من ايليا سيمانتوب الى الوكالة اليهودية، ١٥ ايلول/سبتمبر، ١٩٣٥، ومن ج. غولان الى سيمانتوب، ١٧ ايلول/سبتمبر، ١٩٣٥، وكلاهما في CZA, S 25/6560 (بالفرنسية): من سليم معلوف الى بن ـ غوريون. ١٤ نيسان/ابريل، ١٩٣٧، ومن الوكالة اليهودية الى معلوف، ١٩نيسان/ابريل، ١٩٣٧ نيسان/ابريل، ١٩٣٧، وكلاهما في CZA, S 25/3500؛ ومن ج. جمّال الى الوكالة اليهودية، ٣ ايار/مايو، ١٩٣٧، CZA, S 25/6560؛ من ج. د. فرحي الى وايزمان، ٣ ايار/مايو، ١٩٣٨، ومن روبير سيربو الى وايزمان، ٤ ايار/مايو، ١٩٣٨، وكلاهما في CZA, S 25/6560 (بالفرنسية).

٧١ ـ من شركة تطوير اراضي فلسطين الى الوكالة اليهودية، ١٤ كانون الثاني/يناير، ١٩٣٤، CZA, Z 4/17024A (بالعبرية).

٧٢ ـ من وايزمان الى ادليد كوهين، ٣٠ نيسان/ابريل، ١٩٣٤، في LCW, Vol, 16, letter 273.

٧٣ ـ جاوزت مسألة اليهود الالمان ماعداها من الاهتمامات الصهيونية واصبحت مسألة تتعلق بالبقاء اليهودي. وقد ركّز الاقتراح القاضي بجلب اليهود الالمان الى لبنان، على انقاذ الارواح اليهودية وليس على بناء الدولة اليهودية. واشار ابشتاين الى هؤلاء الصهيونيين، الذين يئسوا من تحويل الاموال او الطاقة، الى مشروع آخر غير مشروع انشاء دولة يهودية، بان نمو الوجود اليهودي في لبنان ينطوي على اهمية كبيرة قومية وسياسية واقتصادية، بالنسبة الى اليشوف في فلسطين، من حيث انه سوف يخلق منطقة خلفية يهودية للدولة اليهودية العتيدة. انظر ابشتاين، «رسالة من بيروت» ١٦ ايار/ مايو، ١٩٣٣، CZA, L 9/350 B (بالعبرية).

٧٤ ـ من شرتوك الى ابشتاين، ١٥ أيار/مايو، ١٩٣٣، ومن ابشتاين الى شرتوك، ١٧ ايار/مايو، ١٩٣٣، وكلاهما في CZA, L 9/350B (بالعبرية).

٧٥ ـ من وايزمان الى فيلكس واربورغ، ٥ تشرين الثاني/نوفمبر، ١٩٣٣، في LCW, Vol, 16, letter 116

٧٦ ـ من وايزمان الى غابرييل ارنو، ٢٥ ايلول/سبتمبر، ١٩٣٥، في LCW, Vol, 17, letter 23

٧٧ ـ مراسلات متعددة، ١٩٣٣ ـ ١٩٣٥، AE, LE 18 - 40/ PAL 68, 69 (بالفرنسية)؛ انظر ايضاً مراسلات بتاريخ نيسان/ابريل، ١٩٣٤، في AE, SDN/MAND/571.

(بالفرنسية)؛ من غوريفيتش الى دو مارتيل، ومن دو مارتيل الى وزارة الخارجية، ١٠ تشرين الاول/اكتوبر؛ و١٦ تشرين الثاني/نوفمبر، ١٩٣٤، وكلاهما في AD, MAN/ 617 (بالفرنسية). انظر ايضاً، الرسالة من وايزمان الى اليكسيس ليجير، ١٧ حزيران/يونيو، ١٩٣٣، في، Vol. 15, letter 426 ، LCW؛ من وايزمان الى روبين، ٢٤ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٣٣، و٢١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣٣، ومن وايزمان الى واربورغ، ٢٠ تشرين الثاني/نوفمبر، ١٩٣٣، وجميعها في

.LCW, Vol, 16, letters 94, 134, 137

٧٨ ـ من هيلو الى وزارة الخارجية، ٢٥ ايلول/سبتمبر، ١٩٣٣، AE, LE 18- 40/PAL 65 (بالفرنسية)؛ من دو مارتيل الى وزارة الخارجية، ١١ ايار/مايو، ١٩٣٤؛ «مذكرات» عديدة، حزيران/يونيو ـ تموز/يوليو، ١٩٣٤؛ من وزارة الخارجية الى دومارتيل، ٢٧ ايلول/سبتمبر، ١٩٣٤؛ ومراسلات عديدة، في خريف عام ١٩٣٤، وجميعها في AE, LE 18 - 40/PAL 69 (بالفرنسية).

٧٩ ـ موجز للعروض المقدمة، من ابشتاين الى شرتوك، ١٧ايار/مايو، ١٩٣٣، CZA, L 9/350B (بالعبرية)؛ «بيان» (بيروت)،١٣ نيسان/ابريل، ١٩٣٤، AE, LE 18 - 40/PAL 69 (بالفرنسية)؛ من ميشال فرغ الى رابطة اليهود الالمان، ١٧ آب/اغسطس، ١٩٣٣، ومن الدكتور لو الى فرغ، ٣٠ آب/اغسطس، ١٩٣٣، وكلاهما في CZA, S 25/6560 (بالفرنسية)؛ من فرغ الى الوكالة اليهودية، ٢٢ كانون اول/ديسمبر، ١٩٣٤ (بالفرنسية)؛ من ابشتاين الى فرغ، ٣١ كانون الاول/ديسمبر، ١٩٣٤، وكلاهما في CZA, S 25/3143؛ ومن شركة فيدليتي ايمون للاستثمار والائتمان، الى اليعيزر كابلان، «تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٣٥، ومن الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية الى فيدليتي ايمون، ١٣ تشرين الثاني/نوفمبر، ١٩٣٥»، وكلاهما في CZA, S 25/6560 (بالعبرية)؛ «الاستيطان اليهودي في سوريا، ١٩٣٤ ـ ١٩٣٥»،. CZA, S 25/5567. دخل غابرييل ارنو، وهو صناعي مسيحي فرنسي، في شراكة مع يهودي فرنسي يدعى ميشال روبنشتاين، لانشاء شركة من أجل جلب اليهود الى لبنان وبناء المستوطنات والمدارس والمعامل وانظمة الري والمستشفيات. وقد تطورت مقترحاتهما الى مرحلة مفصّلة تماماً. انظر الرسالة من روبنشتاين الى وايزمان، ٢٤ ايار/مايو، ١٩٣٤، CZA, Z 4/17024 A (بالفرنسية)؛ من روبنشتاين الى دومارتيل، ٣١ كانون الاول/ديسمبر، ١٩٣٤، CZA, S 25/5567 (بالفرنسية)؛ العقد المقترح بين ارنو ووايزمان [كانون الاول/ديسمبر؟] (بالفرنسية) والرسالة من وايزمان الى ارنو، ٢٤ ايار/مايو، ١٩٣٥، وكلاهما في CZA, Z 4/17024A؛ من ارنو الى وزارة الخارجية الفرنسية، ٢٤ نيسان/ابريل، ١٩٣٥، AE, LE 18 - 40/PAL 69 (بالفرنسية)؛ من وايزمان الى ارنو، ٢٥ ايلول/سبتمبر ١٩٣٥، في LCW. Vol. 17, letter 23؛ من ارنو الى وايزمان، ٣٠ ايلول/سبتمبر، ١٩٣٥، CZA, Z 4/17024A (بالفرنسية)؛ من وايزمان الى روبنشتاين، ٢ شباط/فبراير، ١٩٣٦، في LCW, Vol, 17, letter 156 انظر ايضاً، الرسالة من ابشتاين الى أ. دنا (مدير بنك مصر، بيروت)، ٢٨ شباط/فبراير، ١٩٣٥؛ من دنا الى الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية، ١٢ آذار/مارس، ١٩٣٥ (بالفرنسية)؛ ومن دنا الى الوكالة اليهودية، ١٠ نيسان/ابريل، ١٩٣٥ (بالفرنسية)، وجميعها في CZA, S 25/3143 .

٨٠ ـ من ابشتاين الى شرتوك، ١٧ ايار/مايو، ١٩٣٣، CZA, L 9/350 B (بالعبرية).

٨١ ـ من شرتوك الى وايزمان، ٢ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٣٦، CZA, S 25/6327؛ من ابشتاين الى شرتوك، ١٧ ايار/مايو، ١٩٣٣، CZA, L 9/350 B (بالعبرية).

٨٢ ـ «مذكرة بالمناقشة في اجتماع اللجنة الاستشارية السياسية»(لندن) ٢٥ حزيران/يونيو، ١٩٣٦ CZA, S 25/6326؛ اجتماع الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية (القدس)، ٢٦ تموز/يوليو، ١٩٣٦، CZA, Vol 25/3؛ شرتوك، «مفكرة الدائرة السياسية»، ٢١ تموز/يوليو، ١٩٣٦، CZA, S 25/443. يُزعم بان وايزمان اقرّ بان لبنان لم يكن فلسطين بالتأكيد، ولكنه كان يعتقد بان اللاجئين اليهود قد ينظرون اليه كالمكان الافضل بعدها، خصوصاً المنطقة بالقرب من صور وصيدا. انظر

Arthur Wauchope, "Report on a Conversation with Weizmann," 13 - 14 December 1936, CO 733/297, File 75156/V, الموجود في ISA.

٨٣ ـ من شرتوك الى ابشتاين، ١٥ ايار/مايو، ١٩٣٣، CZA, L 9/350 B (بالعبرية).

٨٤ ـ من قرم الى ابشتاين، ١١ نيسان/ابريل، ١٩٣٨، CZA, S 25/5580 (بالفرنسية).

٨٥ ـ شاريت، «يومان مديني» (المفكرة السياسية)، ١٧ شباط/فبراير، ١٩٣٦، المجلد ١، ص: ٦٤ ـ ٦٥؛

Black, "*Zionism and the Arabs*", p. 273

٨٦ ـ من المندوب السامي بونسو الى وزير الخارجية، ١٦ حزيران/يونيو، ١٩٣٣، AE LE 18- 40/PAL 68 (بالفرنسية)؛ من ابشتاين الى شرتوك، ١ حزيران/يونيو، ١٩٣٣ CZA, L 9/350 B (بالعبرية). تُرجمت رسالة البطريرك الى العبرية في مقالة اوري م. كوبرشميدت، «تميخات هاباتريارك هاماروني عريضة بيهوديم نردافي هاناتزيم» (تأييد البطريرك الماروني عريضة لليهود الذين تضطهدهم النازية»، بعاميم ٢٩ (١٩٨٦): ٧٢ ـ ٧٥؛ والرسالة مترجمة الى الانجليزية في

Norman A. Stillman, "*the Jewse of Arab Lands in Modern Times*" (Philadelphia: Jewish Publication Society 1991), p. 370.

٨٧ ـ من عريضة الى وايزمان، ٤ نيسان/ابريل، ١٩٣٤ WA؛ من عريضة الى وايزمان، ١٢ ايار/مايو، ١٩٣٤، CZA, Z4/ 17024 A (بالفرنسية).

٨٨ ـ اقتباس Edmond Meir, "The Maronites: With Special Regard to Their Political Development Since 1860", 24 June, CZA, S 25/6639, pp. 21 - 22 انظر ايضاً، أيلاث «شيفات تسيون فعراف» ص: ٢٩٥ ـ ٢٩٦؛ دائرة التحقيقات الجنائية الفرنسية، «زيارة البطريرك الماروني لبيروت»، ٢٣ نيسان/ابريل، ١٩٣٧، AD, MAN/596 (بالفرنسية).

Stillman, "*Jews of Arab Land in Modern Times*" pp. 376- 377;

كوبرشميدت، «تميخات هاباتريارك هاماروني عريضة»، ص: ٧٧.

٨٩ ـ من ارثر روبين الى وايزمان، ١ حزيران/يونيو، ١٩٣٦، CZA, Z4/ 17024 B. اجرت الوكالة اليهودية مفاوضات عبر وسيط في بيروت، هو جورج مشحور.

٩٠ ـ من ارثر روبين الى وايزمان، ١ حزيران/يونيو، ١٩٣٦، CZA, Z4/ 17024 B، من وايزمان الى روبين. ١١ حزيران/يونيو، ١٩٣٦، في LCW, Vol. 17, letter 245. من أجل موقف الاقلية الصهيونية الداعية الى عقد فوري للصفقة وبداية هجرة اليهود الالمان الى لبنان، انظر الرسالة من هانكين الى ثون، ٢ حزيران/يونيو، ١٩٣٦، CZA, Z4/ 17024 B (بالعبرية).

٩١ ـ من ساسون الى بن ـ غوريون، ١٦ نيسان/ابريل، ١٩٣٧، S 25/5568 (بالعبرية).

٩٢ ـ ابشتاين، «رسالة من بيروت»، ١٦ ايار/مايو، ١٩٣٣، CZA, L9/350B (بالعبرية).

٩٣ ـ من وايزمان الى ادليد كوهين، ٣٠ نيسان/ابريل، ١٩٣٤، ومن وايزمان الى عريضة، ٣ ايار/مايو، ١٩٣٤، وكلاهما في LCW, Vol. 16, letters 273, 280.

٩٤ ـ فيما يتعلق بمحادثات وايزمان مع المندوب السامي، انظر الرسالة من دومارتيل الى وايزمان، ٦ نيسان/ابريل، ١٩٣٤، ومن وايزمان الى دومارتيل ١١ ايار/مايو ١٩٣٤، وكلاهما في CZA, Z4/ 17024 A (بالفرنسية)؛ من وايزمان الى روبين، ٢٩ نيسان/ ابريل، ١٩٣٤، في LCW, Vol. 16, letter 272؛ من وايزمان الى عريضة ٣ ايار/مايو، ١٩٣٤، في LCW, Vol. 16, letter 280؛ ومن عريضة الى وايزمان، ١٢ ايار/مايو، ١٩٣٤، CZA, Z4/ 17024 A (بالفرنسية)؛ من ل. مانسيل ـ جون الى وايزمان، ٧ نيسان/ابريل ١٩٣٥، CZA, S 25/6560؛ من وايزمان الى شرتوك، ١١ ايلول/سبتمبر، ١٩٣٦ و ١٤ ـ ١٨ تشرين الاول/ اكتوبر، ١٩٣٦، وكلاهما في LCW, Vol. 17, letters 312, 336. انظر ايضاً [دو مارتيل؟] «زيارة للمندوب السامي البريطاني في فلسطين»، ١١ كانون الثاني/يناير، ١٩٣٤، AE, LE 18 - 40/PAL 65 (بالفرنسية).

٩٥ ـ «مذكرة لاجتماع المجلس الوزاري»، ٢٩ نيسان/ ابريل، ١٩٣٣، AE, LE 18 - 40/ PAL 65 (بالفرنسية). من القنصل الفرنسي العام في القدس، الى وزير الخارجية، ٦ حزيران/ يونيو، ١٩٣٣، AE, LE 18 - 40/ PAL 65 (بالفرنسية).

٩٦ ـ Mier, "The Maronites: With Special Regard to their Political Development Since 1860", 24 June, 1942, CZA, S 25/6639, pp. 21-22.

٩٧ ـ من ابشتاين الى شرتوك، ١٧ ايار/مايو، ١٩٣٣، CZA, L 9/350 B (بالعبرية).

٩٨ ـ "Extracts from the Minutes of the Twenty- Fifth Session of the Permanent Mandates Commission, 1934", CZA, S 25/4552 II; "Decree of 18 January, 1934", AE, LE 18 - 40/ PAL 68.

٩٩ ـ خلاصة للبرقيات في "Protests Against the Pro-Jewish Speech by Mgr. Mubarak 24 April, 1937;

من رابطة الحضارة الاسلامية الى المندوب السامي، ٢٦ ابريل/نيسان، ١٩٣٧؛ «السياسة اللبنانية»، ٢٧ نيسان/ابريل، ١٩٣٧؛ «مراجعة الصحافة اللبنانية والسورية» «الوضع في لبنان»، من دومارتيل الى وزارة الخارجية، ٢٨ نيسان/ابريل، ١٩٣٧؛ «تظاهرات ضد المونسنيور مبارك»، ٣ ايار/مايو، ١٩٣٧؛ ومن القنصلية الفرنسية في القدس الى المفوضية السامية في بيروت، ٤ ايار/مايو،

١٩٣٧، وجميعها في AD, MAN/ 596 (بالفرنسية). انظر ايضاً، ساسون، «باديريخ»، ص: ٤٠؛ «مسألة الصهيونيين المهاجرين الى سوريا»، ١٤ آذار/مارس، ١٩٣٥ CZA, S 25/10121 (بالعبرية)؛ كوبرشميدت «تميخات هاباتريارك هاماروني عريضة»، ص: ٧٨.

١٠٠: من مدير دائرة التحقيقات الجنائية الفرنسية الى مستشار المندوب السامي للعلاقات الخارجية، ٣١ آب/اغسطس، ١٩٣٣، AD, MAN/ 615 (بالفرنسية).

١٠١ ـ من ج. عطيه و ج. د. فرحي، الى دومارتيل، ١٠ ايار/مايو، ١٩٣٥، ومن لجنة الدفاع عن حقوق الاسرائيليين في اوروبا الوسطى والشرق، الى دومارتيل [١٩٣٥؟] وكلاهما في CZA, S 25/5567 (بالفرنسية). ومن اجل مشورتهم المفصلة بشأن كيفية تقليص الاعتراضات المحلية على الخطة، الى حدّها الادنى، انظر الرسالة من عطيه الى غوريفيتش، ١٥ آذار/مارس، ١٩٣٥ AD, MAN/ 617 B (بالفرنسية). انظر ايضاً، كوبرشميدت، «تميخات هاباتريارك هاماروني عريضة»، ص: ٧٦.

١٠٢ ـ Albert Hourani, *Minorities in the Arab World* (London: Oxford University Press, 1947), p. 63,

من ميخائيل ساسون الى المؤلفة، ٢٤ نيسان/ابريل، ١٩٧٨ (من مستوطنة حانيتا، اسرائيل) وساسون وُلد وترعرع في بيروت، وهو من اقرباء الياهو ساسون. ومن اجل وصف اضافي لليهود اللبنانيين انظر

Haddad, *Jews of the Arab and Islamic, Countries* pp, 56-60;

دافيد سيتون، «كهيلو يهودي سفاراد فهامزراح باعولام بيامينونو»، (المجتمعات اليهودية في اسبانيا والشرق في عالمنا اليوم)، القدس: كوبراتيف اهفا، ١٩٧٤، ص: ٥٩ ـ ٦٤؛

Stillman, *Jews of Arab Lands in Modern Times*, pp. 80, 83- 84

ابريت افرامسكي ـ بليي، «يهودي سوريا فليفانون تاحت شيلتون فيشي» (يهود سوريا ولبنان تحت حكم فيشي) باعاميم ٢٨ (١٩٨٦): ١٣١ ـ ١٥٧.

١٠٣ ـ من اجل بعض شكاوى فرحي من الطائفة اليهودية في بيروت، انظر الرسالة من فرحي الى غرينبوم، ١٤ كانون الثاني/يناير، ١٩٣٥، ومن فرحي الى ابشتاين، ٢٨ كانون الثاني/ يناير، ١٩٣٥، وكلاهما في CZA, S 25/3143. من اجل اعتراضات فرحي على ان الموقف الموالي للصهيونية من شأنه ان يعرّض للخطر يهود لبنان، انظر Frederick H. Kisch, *Palestine Diary* (London: Gollancz, 1938), P. 123; من فرحي الى الهستدروت، ٢٧ كانون الثاني/ يناير، ١٩٣٧، CZA S 25/ 2204 (بالعبرية)؛ من فرحي الى ابشتاين، ٤ ايار/مايو، ١٩٣٧، CZA, S 25/ 6319 (بالعبرية). عندما بلغ فرحي نبأ اقتراح على الوكالة لانشاء مكتب في بيروت، ابطل هذا الاقتراح بصريح العبارة، قائلاً: «ان الفكرة قريبة جداً من قلبي، واود لو اكون جزءا من هذا المكتب، ولكن الظروف السائدة الآن تمنع منعاً باتاً اي مشروع من هذا النوع». انظر الرسالة من فرحي الى الهستدروت، ٢٧ كانون الثاني/يناير، ١٩٣٧؛ من أ. بوراك الى الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية [اواخر ١٩٣٦ ؟]؛ من الصندوق القومي اليهودي الى الدائرة السياسية، ١٠ كانون الثاني/يناير، ١٩٣٧، وجميعها في CZA, S 25/ 2204 (بالعبرية).

كانت صلة فرحي بالوكالة اليهودية وثيقة الى حد كان يكفي لتحاول الوكالة استخدام نفوذها لضمان انتخابه عندما بدا بان الانتخابات الجديدة في لبنان قد تتيح تمثيلاً يهودياً في البرلمان. ولقد تحدث ممثلها في باريس، مع مسؤولين في الكي دورسيه، ومع رئيس الوزراء ليون بلوم في محاولة لجعل باريس تشجع على تخصيص مقعد لمندوب يهودي. انظر الرسالة من بن - زفي الى مارك جاربلوم، ١ ايلول/ سبتمبر، ١٩٣٧ (بالعبرية)، ومن فرحي الى بن - زفي، ١٩ تشرين الاول/ اكتوبر، ١٩٣٧ (بالفرنسية)، وكَلاهما في CZA, S 25/ 5580.

١٠٤ ـ «مذكرة من بيروت عن مقابلة مع الدكتور عطية»، ٨ كانون الاول/ ديسمبر، ١٩٢٩، CZA, S 25/ 4552 I؛ كوهين كيشك، مقابلة مع المؤلفة، ٢٠ ايار/ مايو، ١٩٨٦؛ من ميخائيل ساسون الى المؤلفة، ٢٤ نيسان/ ابريل، ١٩٨٧. اتصل شبان يهود لبنانيون في عدد من المناسبات، بالوكالة اليهودية مباشرة، يعرضون مقترحات لنشاطات صهيونية واسعة النطاق، ويطلبون منها ارشادهم وتمويلهم. وللاطلاع على ممانعتها المهذبة انظر الرسالة من اللجنة المؤقتة الى كيش، في اوائل تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٣٠ (بالعبرية والعربية)، ومن كيش الى الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية، ١٩ تشرين الاول/ اكتوبر، ١٩٣٠، وكلاهما في CZA, L 9/ 350 B؛ ومن كيش الى ج. عازار، ١٩ تشرين الاول/ اكتوبر، ١٩٣٠؛ ومن اللجنة المؤقتة الى كيش، ٢٣ تشرين الثاني/ نوفمبر، ١٩٣٠، (بالفرنسية)؛ ومن كيش الى اللجنة المؤقتة، ٤ كانون الاول/ ديسمبر، ١٩٣٠، وجميعها في CZA, S 25/ 4552 I.

١٠٥ ـ ايلاث، مقابلة مع المؤلفة، ١٤ تشرين الاول/ اكتوبر، ١٩٨٦؛ بالمون، مقابلة مع المؤلفة، ٢٦ آذار/ مارس، ١٩٨٧؛ امنون شاموش، مقابلة مع المؤلفة، ٢٩ نيسان/ ابريل، ١٩٨٧، مستوطنة معيان باروخ، اسرائيل. وفي احدى اللحظات، اوصى ساسون بتزويد القيادات اليهودية في البلدان العربية بمعلومات موجزة حول الاهداف الصهيونية وتشجيعهم على رفع تقارير عن اي احاديث يجرونها مع نافذين عرب ولكن من الواضح انه لم يكن يتصور استخدامهم كجواسيس. «خطة للنشاط في وسط العرب» (من ساسون الى بن - غوريون)، ٢١ نيسان/ ابريل ١٩٣٩، CZA, S 25/ 8163 (بالعبرية).

اما الشواذ فكان شولا كوهين ـ كيشك، المقدسية المتزوجة من يهودي لبناني، والتي انتقلت للعيش في الحي اليهودي في بيروت، في العام ١٩٣٦. فقد اصبحت بمبادرتها الشخصية، متورطة تورطاً عميقاً في تهريب اللاجئين اليهود غير الشرعيين، وتهريب الاسلحة الى اليشوف. وبدأت الحكومة الاسرائيلية في العام ١٩٤٨، استخدامها كجاسوسة مستوفاة الصفات. وقد اصدر اللبنانيون بالاصل، حكماً عليها بالاعدام في اعقاب اعتقالها وادانتها في العام ١٩٦٢، وبقيت في السجن ريثما يصدر حكم الاستئناف، حتى اعادها لبنان الى اسرائيل في عملية تبادل السجناء، التي اعقبت حرب الايام الستة في العام ١٩٦٧. شولا كوهين ـ كيشك، مقابلة مع المؤلفة، ٢٠ ايار/ مايو، ١٩٨٦، القدس؛ ابيعيزر غولان وداين بنكاس، «شيم تزوفين: هابينينا» (اسم الشيفرة: اللؤلؤة) تل ابيب: زمورا/ بيتان، ١٩٨٠؛ المؤلف نفسه، *Shula: Code name "The Pearl"* (New York: Delacorte, 1980).

لم تحاول مؤسسة اليشوف العسكرية (مقارنة بالمؤسسة السياسية)، وضع جواسيس يهود في البلدان العربية. اما بالنسبة الى غمليئال كوهين، وهو يهودي سوري ارسلته استخبارات البلماخ في

كانون الثاني/ يناير، ١٩٤٨، للتجسس في بيروت، فانظر افنر ابراهامي، «العميل السري الاسرائيلي الاول»، معاريف، ٦ تشرين الاول/ اكتوبر، ١٩٩٢، ص: ٦ـ ٩ (بالعبرية)؛ غمليئال كوهين، مقابلة مع المؤلفة، ٧ ايار/ مايو، ١٩٩٣، تل ابيب.

١٠٦ ـ من اسحق بن - زفي الى شرتوك، ٨ ايلول/ سبتمبر، ١٩٣٨، CZA, S 25/3500.

١٠٧ ـ شاموش، مقابلة مع المؤلفة، ٢٩ نيسان/ابريل، ١٩٨٧.

١٠٨ ـ من مبارك الى الدكتور عطية، «ايصال بالاموال التي تبرعت بها الطائفة اليهودية لمدارس الرعية المارونية»، ٢١ آب/اغسطس، ١٩٤٧، CZA, S 25/4029 (بالعربية)؛ ايلاث، مقابلة مع المؤلفة، ١٤ تشرين الاول/ اكتوبر، ١٩٨٦؛ ابشتاين، «رسالة من بيروت»، ٣ شباط/ براير، ١٩٣٩، CZA, Z 4/17024 B. بالنسبة الى الكتائب، انظر

Tewfik Khalaf, "The Phalange and the Maronite Community: From Lebanonism to Maronitism", in *Essays on the Crisis in Lebanon*, ed. Roger Owen; Frank Stoakes, "The Super Vigilantes: The Lebanese Kataeb Party as Builder, Surrogate and Defender of the State", *Middle Eastern Studies* 11, no. 3 (October 1975): 215-36;

Itamar Rabinovich, *The War for Lebanon, 1970-1983* (Ithaca: Cornell University Press, 1984);

Walid Khalidi, *Conflict and Violence in Lebanon* (Cambridge: Center for International Studies, Harvard University, 1979).

واي مؤلف تاريخي عن لبنان الحديث.

١٠٩ ـ من ميخائيل ساسون الى المؤلفة، ٢٤ نيسان/ابريل، ١٩٨٧؛ كوهين كيشك، مقابلة مع المؤلفة، ٢٠ ايار/مايو، ١٩٨٦.

١١٠ ـ «اخبار من لبنان» [كانون الاول/ديسمبر، ١٩٤٩]، ISA, 2531/12 (بالعبرية) كوهين ـ كيشك، مقابلة مع المؤلفة، ٢٠ ايار/مايو، ١٩٨٦؛ يعقوب شمعوني، مقابلة مع المؤلفة، ٤ آذار/مارس، ١٩٨٧، القدس؛ من ميخائيل ساسون الى المؤلفة، ٢٣ حزيران/يونيو ١٩٨٧؛

Michael Hudson, *The Precarious Republic: Political Modernization in Lebanon* (New York: Random House, 1968) pp. 48- 49;

كمال الصليبي مقابلة مع المؤلفة، ٣١ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٩٢، بورتلاند، اوريغون.

١١١ ـ ابشتاين، «رسالة من بيروت» ٣ شباط/فبراير، ١٩٣٩، CZA, S 25/5574؛ ايلاث، مقابلة مع المؤلفة، ١٤ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٨٦؛ يعقوب شمعوني، مقابلة مع المؤلفة، ٤ آذار/مارس، ١٩٨٧؛ شمعوني، محاضرة في معهد شيلواح جامعة تل ابيب، ٧ كانون الاول/ديسمبر، ١٩٨٣؛ بورات مقابلة مع المؤلفة، ١٠ آذار/مارس ١٩٨٧.

١١٢ ـ اسحاق بن ـ يعقوب، «المسيحيون في لبنان ـ بين المطرقة والسندان»، دافار، ٦ نيسان/ابريل، ١٩٤٦ (بالعبرية). يوافق وليام حداد على ان الكتائب «لم يكونوا راغبين في ان تكون هناك دولة يهودية

بجوارهم.... وليس بدافع يتعلق بمحبة الغير، بل لدوافع اقتصادية [اي] الخوف الاقتصادي من دولة يهودية من شانها ان تجلب معها افكاراً وتكنولوجيا غربية متفوقة ("Christian Arab Attitudes" p. 134).

١١٣ ـ ملاحظات عن اجتماع مع بيار الجميل، مقتبسة في س. كرالي، «زيارة في لبنان وسوريا» [اواخر ١٩٣٦ او اوائل ١٩٣٧] CZA, S 25/5570 (بالعبرية).

الفصل الرابع

١ـ فكتور جاكوبسون، «تقرير عن رحلتي الى ارض ـ اسرائيل وسوريا»، ١٢ ايار/ مايو، ١٩٣٣، WA (بالعبرية، وفي الاصل بالالمانية). وهناك مقتطف منه مترجم في
Neil Caplan and Ian Black, "Israel and Lebanon: Origins of a Relationship" *Jerusalem Quarterly* 27 (spring 1983): 53- 54.

٢ـ من شرتوك الى عريضة، ٣ حزيران / يونيو، ١٩٣٥، ومن م. بوليكار الى شرتوك، ٦ حزيران/ يونيو، ١٩٣٥، وكلاهما في C Z A, S 25/ 4552 II (بالفرنسية)؛ ايلاث، «هاتسيونوت هافينيكيت بليفانون» (الصهيونية الفينيقية في لبنان)، كاثيدرا ٣٥ (نيسان/ ابريل، ١٩٨٥): ١١٦ـ ١١٨، ١٢٢ ـ ١٢٤.

٣ـ دستور جمعية لبنان ـ فلسطين [١٩٣٨؟]، C Z A, S 25/ 4552 II (بالفرنسية).

٤ـ ايلاث، «هاتسيونوت هافينيكيت»، ص: ١٢٤. يذكر الياهو ساسون تلقيه اقتراحاً مماثلاً لاقتراح قرم بانشاء الجمعية اللبنانية ـ الفلسطينية، من احد الاعيان الموارنة في بيروت، في حزيران/ يونيو، ١٩٣٨ («باديريخ هاشالوم» [على طريق السلام] تل ابيب: عام عوفيد، ١٩٧٨، ص: ١٢٦ـ ١٢٧.

٥ـ من [برنارد جوزف؟] الى اده، ٢ كانون الثاني/ يناير، ١٩٣٦، CZA, S25/5581.

٦ـ مقتبسة في وايزمان، «مذكرة بالمناقشة في اجتماع اللجنة الاستشارية السياسية» (لندن)، ٢٥ حزيران/ يونيو، ١٩٣٦، CZA, S 25/ 6326.

٧ـ من وايزمان الى شرتوك، ١١ ايلول/ سبتمبر، ١٩٣٦، CZA, Z4/17032، المقتبسة في
Ian Black, "Zionism and the Arabs, 1936- 1939" Ph. D. diss. University of London, 1978, P. 285.

٨ ـ من شرتوك الى وايزمان، ٢ تشرين الاول/ اكتوبر، ١٩٣٦، CZA, S25/ 6327.

٩ـ ابشتاين، «حديث مع رئيس الجمهورية اللبنانية، اميل اده»، ٢٢ ايلول/ سبتمبر، ١٩٣٦، CZA, S25/ 5581 (بالعبرية).

١٠ـ المصدر نفسه. انظر ايضاً، شاريت، «يومان مديني» (المفكرة السياسية)، تل ابيب: عام عوفيد، ١٩٦٨، ٢٧ ايلول/ سبتمبر، ١٩٣٦، المجلد ١، ص: ٣١٦ـ ٣١٧.

١١ـ من شرتوك الى وايزمان، ٢ تشرين الاول/ اكتوبر، ١٩٣٦، CZA, S 25/6327.

١٢ـ من شرتوك الى لوري، ٢٢ ايلول/سبتمبر، ١٩٣٦، CZA, S 25/6327؛ من أ. أ [ابشتاين] الى عاموس لاندمان، ٢٩ ايلول/ سبتمبر، ١٩٣٦، CZA,S 25/10121.

١٣ـ «مسودة معاهدة سُلّمت الى السيد اده في الثالث والعشرين من كانون الاول، ومنه الى المسيو دو مارتيل»، CZA, Z4/17024 B (بالفرنسية)؛ ايضاً في
AE, LE 18- 40/PAL 67 and AD,MAN/617B
Caplan and Black, "Israel and Lebanon", PP. 54- 55

١٤ـ تقارير اسحق كدمي ـ كوهين عن اجتماعاته مع اده [الاسبوع الاول من كانون الثاني/ يناير، ١٩٣٧؟] و٩ كانون الثاني/ يناير، ١٩٣٧، وكلاهما في CZA, Z4/ 17024B (بالفرنسية).

١٥ـ تقرير اسحق كدمي ـ كوهين عن اجتماعه مع دومارتيل، ٧ كانون الثاني/ يناير، ١٩٣٧، CZA, Z4/ 17024 B (بالفرنسية).

١٦ـ المصدر نفسه؛ من دو مارتيل الى وزير الخارجية الفرنسي، ١٣ كانون الثاني/يناير، ١٩٣٧، AE, LE 18 - 40/ PAl 67 (بالفرنسية).

١٧ـ من وايزمان الى كدمي ـ كوهين، ٢٠ نيسان/ابريل، و٣ تشرين الثاني/نوفمبر، ١٩٣٧، AE, LE 18- 40/ PAL 67 (بالفرنسية)؛ ساسون، «باديريخ» ص: ١٠٦؛ انظر ايضاً،
LCW, vol. 17, pp. xxii, 352

١٨ـ من وايزمان الى شرتوك، ١١ و٢٦ ايلول/ سبتمبر، و٢ تشرين الاول/ اكتوبر، ١٩٣٦، في
LCW, Vol. 17, letters 312, 318, 327.

١٩ ـ من شرتوك الى وايزمان، ٢ تشرين الاول/ اكتوبر، ١٩٣٦، CZA, S 25/ 6327. وقد شعر آخرون في الدائرة، بان الزمن والتجربة اساءا الى كدمي ـ كوهين. فبعد مرور سنتين على تقدير شرتوك الحذر، رفع برنارد جوزف تقريراً ابلغ فيه بان ممثل الوكالة في باريس، مارك جاربلوم، يشكو من ان نشاطات كدمي ـ كوهين «محفوفة بالخطر، لانه غير مطّلع، والى درجة ميؤوس منها، وشخص مخادع فوق ذلك». (من برنارد جوزف الى شرتوك، ١١ كانون الثاني/ يناير، ١٩٣٨، CZA, S25/ 5476).

٢٠ـ من دومارتيل الى وزير الخارجية الفرنسي، ١٣ كانون الثاني/يناير، ١٩٣٧، AE, LE 18- 40/ PAl 67 (بالفرنسية).

٢١ـ شهادة حاييم وايزمان امام اللجنة الملكية لفلسطين، ٨ كانون الثاني/ يناير، ١٩٣٧، CZA, S 25/ 4642.

٢٢ـ Weizmann, "Summary Notes of Two Meetings with M. Leon Blum" (Paris), 27 and 30 January 1937, WA.

٢٣- من المسيو مايربير (مساعد المندوب السامي) الى وزير الخارجية، ٣ تموز/ يوليو، ١٩٣٦، AE, LE 18- 40/ Pal 66 (بالفرنسية)؛ تقارير متعددة، ١٩٣٨، AD, MAN/ 648, 649 (بالفرنسية).

٢٤- «اخبار من المكتب العربي»، ٢٩ نيسان/ ابريل، ١٩٣٦، CZA, S25/ 10121 (بالعبرية)؛ من أ. شنكار الى شرتوك، ١٩ حزيران/ يونيو، ١٩٣٦، CZA, S25/9783 (بالعبرية)؛ اجتماع الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية (القدس)، ٢٦ تموز/ يوليو، ١٩٣٦، CZA, vol, 25/3 (بالعبرية).

٢٥- من ابشتاين الى أ. شنكار، ٢ تموز/ يوليو، ١٩٣٦، CZA, S 25/ 10121 (بالعبرية).

٢٦- تقرير من دافيد هاكوهين، ٢٢ تشرين الاول/ اكتوبر، ١٩٣٦ CZA, S25/ 9783 (بالعبرية).

٢٧- مقتبس في مفكرة مكتب الدكتور جوزف، ٧ تشرين الاول/ اكتوبر، ١٩٣٧، CZA, S 25/ 1511؛ ساسون، «باديريخ»، ص: ٧٨.

٢٨- من [؟] الى أ. بن - زفي، ٢٨ تشرين الاول/ اكتوبر، ١٩٣٧، CZA, S 25/5580 (بالفرنسية).

٢٩- استبعد فورلونغ امكانية ان ينجم الدعم القومي العربي للثورة الفلسطينية عن مشاعر جدية مناهضة للبريطانيين بالتعليل الامبريالي الكلاسيكي: «يبدو موقفهم في الوقت الحاضر مثل موقف الطفل الذي اقدم ابوه الموقّر على ضربه فجأة من دون ان يفهم لماذا؛ فهو مستاء ومشوّش لانه تأذى، ولكنه لن يرغب ابداً في ابدال ابيه باي كان» (من فورلونغ الى انطوني ايدن، ١٤ آب/ اغسطس، ١٩٣٦، FO 371/ 20023، محفوظة في ISA). ولم يخطر في بال فورلونغ بان الطفل قد يكون شاعراً بانه على استعداد لعيش حياة مستقلة.

٣٠- من القنصل العام هارفرد الى السير اوليفانت، ايار/ مايو، ١٩٣٨، FO 371/ 21876، محفوظة في ISA.

٣١- «معلومات: الحملة المعادية للسامية» ٨ نيسان/ ابريل، ١٩٣٨، AD, MAN/615 (بالفرنسية)؛ كتيّب وزعته اللجنة العليا للطلبة والشبيبة المسيحية والمسلمة (بيروت)، ٢٨ تموز/ يوليو، ١٩٣٨، AD, MAN/ 652 (بالعربية والفرنسية).

٣٢- أ. ابشتاين، «رسائل من بيروت»، ٣و٢٨ ايلول/ سبتمبر، و١٤ تشرين الاول/ اكتوبر، ١٩٣٨، وجميعها في CZA, S 25/ 5574 (بالعبرية).

٣٣- أ. ابشتاين «رسائل من بيروت»، ٣ ايلول/ سبتمبر ٨ تشرين الاول/ اكتوبر، ١٩٣٨، وكلاها في CZA, S 25/5574 (بالعبرية).

٣٤- Frederic C. Hof, *Galilee Divided: The Israel-Lebanon Frontier, 1916-1984* (Boulder: Westview, 1985), p.48.

٣٥- Kenneth W. Stein, *The Land Question in Palestine, 1917 - 1939* (Chapel Hill: University of

North Carolina Press, 1984), PP. 207- 8. يتذكر يعقوب شاريت اقتراحاً مقدماً من مجموعة مارونية - صهيونية خاصة، يقضي بانشاء نسخة مارونية عن الصندوق القومي اليهودي، لشراء الاراضي على طول الجانب اللبناني من الحدود، وتهجير السكان الشيعة و/او ضمّهم الى المستوطنات المسيحية. وبحسب شاريت، لم تأخذ الوكالة الخطة على محمل الجدّ (يعقوب شاريت، مقابلة مع المؤلفة، ١نيسان/ابريل، ١٩٨٧، تل ابيب).

٣٦- مقتبس في أ. س.س. باركينسون، مذكرة باجتماع مع وايزمان وبن - غوريون، ٣٠ حزيران/يونيو، ١٩٣٦، CO 733/297، الملف رقم/III، 7515 محفوظ في ISA. انظر ايضاً الرسالة من وايزمان الى ايفون ديلبو (الكي دورسيه)، ٢٩ حزيران/يونيو، ١٩٣٧، AE, LE 18 - 40/PAL 67 (بالفرنسية). انظر ايضاً Neil Caplan, *Futile Diplomacy* (London: Cass, 1983- 86), Vol. 2, P. 52.

٣٧- دافيد بن - غوريون، «زيكرونوت» (مذكرات)، تل ابيب: عام عوفيد، ١٩٧١-١٩٨٧، ٢٨ تشرين الاول، اكتوبر، ١٩٣٨، المجلد رقم ٥، ص: ٣٧٣؛ من بن - غوريون الى اللورد لويد، تشرين الاول، ١٩٣٨، مقتبس في: Moshe Pearlman, *Ben - Gurion Looks Back in Talks with Moshe Pearlman,* (New York: Simon and Schuster, 1965), P. 92.

٣٨- بن - غوريون، «زيكرونوت»، ٢٧ تموز/يوليو، ١٩٣٧، المجلد ٤، ص: ٣٣١.

٣٩- المصدر نفسه، ٢٩ تموز/يوليو، ١٩٣٧، المجلد ٤، ص: ٣٦٧. بالنسبة الى التطور التدريجي لتصوّر بن - غوريون لحدود الدولة اليهودية والعلاقات الاسرائيلية - العربية، انظر افي بار - ايال، «غفولوت اريتزيسرائيل بتفيساتوشل دافيد بن - غوريون» (مفهوم بن - غوريون لحدود ارض اسرائيل)، كيفونيم ٢١، تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٣): ٥-١٥.

٤٠- من شرتوك الى وتشوب، ٢١ حزيران/يونيو، ١٩٣٧، CZA, S 25/ 5474؛ شاريت، «يومان مديني»، ١٥ حزيران/يونيو، ١٩٣٧، المجلد ٢، ص: ١٩٧؛ من شرتوك الى وايزمان، ٢٢ نيسان/ابريل، ١٩٣٧، CZA, Z4/ 17032.

٤١- ابشتاين، «حديث مع أ. عريضة، البطريرك الماروني، على متن الباخرة ماركو بولو»، ٢ ايار/مايو، ١٩٣٧، CZA, S25/ 5576 (بالعبرية)؛ الياهو ايلاث، «شيفات تسيون فعراف» (الهجرة الى فلسطين والعرب)، تل ابيب: دفير، ١٩٧٤، ص: ٢٩٧.

٤٢- مقتبسة في الرسالة من جوزف الى شرتوك، ١٢ كانون الثاني/يناير، ١٩٣٨، CZA, S25/ 5476.

٤٣- ايلاث، «شيفات تسيون فعراف»، ص: ٢٩٨، ٣١٠. لاحظ ساسون ارتفاع صرخة الاحتجاج عندما اقدم اده على نصح ممثل للهيئة العربية العليا كان يزوره، بضرورة ان يقبل الفلسطينيون بالتقسيم. («باديريخ»، ص: ٧٣-٧٤).

٤٤ـ الياهو ايلاث، «هامأفاك عال ها مديناه» (الصراع من اجل الدولة)، تل ابيب: عام عوفيد، ١٩٨٢) ص: ٢٣ـ ٢٤؛ الكاتب نفسه، «شيفات تسيون فعراف»، ص: ٣١١ـ ٣١٢؛ الكاتب نفسه، *Zionism at the U. N.* (Philadelphia: Jewish Publication Society, 1976), p. 240; Caplan and Black, "Israel and Lebanon", p. 56.

حضر ايلاث اجتماع وايزمان ـ اده، ووصف الحدث بتفصيل كبير. كتب يقول بان وايزمان توقف في لحظة من لحظات المناقشة الوديّة التي كانت كثيرة الاستطراد، فاخرج ساعة جيبه، واعلن بان تقرير بيل الذي يوصي بالتقسيم وبانشاء دولة يهودية، سوف يوقّع بعد نصف ساعة. والغريب في الامر ان اده بدا وكأنه تجاهل قول وايزمان، واستمر يتجاذب واياه اطراف الحديث، الى ان توقف فجأة، وتطلع الى ساعته، ثم وقف ليعلن بان توصية بيل قد باتت رسمية ويقدم التهاني الى وايزمان. ولاحظ ايلاث بان الرجلين كانا باديا التأثر بحركاتهما الدرامية الصغيرة، ورفعا كأسيهما لشرب نخب الصداقة بين بلديهما في المستقبل. وفي مناقشات لاحقة مع ايلاث، تذكر كل من وايزمان واده ذلك الاجتماع بشغف وتحمّس شديد، وعبّرا عن الثقة بانهما قد شكلا رابطاً له نتائج تاريخية. ولم يلتق الرجلان بعدها، قط.

٤٥ـ من شرتوك الى وايزمان، ٢٢ نيسان/ ابريل، ١٩٣٧، CZA, Z4/ 17032.

٤٦ـ مقتبس في ابشتاين، «احاديث مع أ. عريضة، البطريرك الماروني، على متن الباخرة ماركو بولو»، ٢ ايار/ مايو، ١٩٣٧، CZA, S25/ 5576 (بالعبرية)؛ استُنسخ جزء من النص في ابشتاين، «شيفات تسيون فعراف»، ص: ٢٩٦. انظر ايضاً شاريت، «يومان مديني»، ٢ ايار/ مايو، ١٩٣٧، المجلد ٢، ص: ١١٨؛ من ابشتاين الى شرتوك، ٧ حزيران/ يونيو، ١٩٣٧، CZA, S25/ 3163 (بالعبرية).

٤٧ـ مقتبس في ايلاث، «شيفات تسيون فعراف»، ص: ٢٩٩. انظر ايضاً، من ابشتاين الى شاريت، ٧ حزيران/ يونيو، ١٩٣٧، CZA, S25/ 3163 (بالعبرية). التقى وايزمان وعريضة في فندق لوزيا، في باريس، في ٦ حزيران/ يونيو، ١٩٣٧. واصرّت حاشية البطريرك على الا ينشر الصهيونيون اي شيء عن الاجتماع او عن ملاحظات عريضة الودية. انظر .Elath, *Zionism at the U. N.*, P. 137.

٤٨ـ مراسلات عديدة، ١٩٣٧، AD, MAN/ 650 (بالفرنسية).

٤٩ـ من ابشتاين الى شرتوك، ١٢ ايار/ مايو، ١٩٣٧، CZA, S 25/ 3163 (بالعبرية).

٥٠ـ من شرتوك الى ابشتاين، ٢٥ ايار/ مايو ١٩٣٧، CZA, S 25/ 5810 (بالعبرية). شكى شرتوك من ظهور صفير قبل فترة قريبة، حاملاً معه خططاً لنشاطات مشتركة بين الموارنة والوكالة اليهودية، ومن اقدامه على نشر كل انواع الوعود الخيالية من الوكالة، في وسط جماعته في لبنان، على الرغم من انه صُرف على عجل. انظر ايضاً شاريت، «يومان مديني»، ٢٣ ايار/ مايو، ١٩٣٧، المجلد٢، ص: ١٤١ـ ١٤٢.

٥١ ـ من شرتوك الى ابشتاين، ٢٥ ايار/ مايو، ١٩٣٧، CZA, S 25/ 5810 (بالعبرية). انظر ايضاً، شاريت، «يومان مديني»، ٢٣ ايار/ مايو، و٨ حزيران/ يونيو، ١٩٣٧، المجلد ٢، ص: ١٤٢، ١٧٤ـ ١٧٥.

٥٢ـ من خوري الى بلوم، ١٨ ايار/ مايو، ١٩٣٧، CZA, S 25/ 3775 (بالفرنسية). انظر ايضاً Black, "Zionism and the Arabs", p. 297.

٥٣ـ من اجل النقاش حول ما اذا كان ينبغي تنسيق النشاط مع عبدالله الخوري وفئته، انظر الرسالة من شرتوك الى ابشتاين، ٢٥ ايار/ مايو، ١٩٣٧، CZA, S 25/ 5810، من ابشتاين الى شرتوك، ٧ حزيران/ يونيو، ١٩٣٧، CZA, S 25/3163 (بالعبرية). انظر ايضاً، Black, "Zionism and the Arabs" P. 298.

٥٤ـ محضر مقابلة برنارد جوزف مع رئيس الحكومة اللبنانية، ٦ آب/ اغسطس، ١٩٣٧، CZA, S25/ 5581؛ مفكرة مكتب الدكتور جوزف، ٣ آب/ اغسطس، ١٩٣٧، CZA, S 25/ 1511.

٥٥ـ Stephen Longrigg, *Syria and Lebanon Under French Mandate* (London: Oxford University Press, 1958), P. 257.

انظر ايضاً، تقارير عديدة حول تجنيد المتطوعين العرب للقتال في فلسطين، ١٩٣٨، AD, MAN/ 649 (بالفرنسية).

٥٦ـ شاريت، «يومان مديني»، ٦ شباط/ فبراير، ١٩٣٨، المجلد ٣، ص: ٣٣.

٥٧ـ من القنصل العام البريطاني في بيروت الى غابرييل بوو (المندوب السامي الفرنسي في لبنان)، ٢٦ تموز/ يوليو، ١٩٣٩، FO 371/23239 E5729، محفوظة في ISA؛ ساسون، «باديريخ»، ص: ٧٢ ـ ١٠٢، خصوصاً ص: ٨٥ـ ٩٧. انظر ايضاً

Michael J. Cohen, *Palestine 1936 - 1945: Retreat from Mandate: The Making of British Policy 1936 – 1945* (New York: Holmes and Meier, 1978), P. 55; Philip Mattar, *The Mufti of Jerusalem: Al-Hajj Amin al- Husayni and the Palestinian National Movement* (New York: Columbia University Press, 1988), pp. 83,122.

٥٨ـ أ. ابشتاين، «رسائل من بيروت»، ٨ تشرين الاول/ اكتوبر، و٥ تشرين الثاني/ نوفمبر، ١٩٣٨، وكلاهما في CZA, Z 4/ 17024 B (بالعبرية).

٥٩ـ من وايزمان الى اورمسبي غور، ٧ نيسان/ ابريل، ١٩٣٨، CZA, S 25/ 5476.

٦٠ـ ان الفشل الذريع لخطة البريطانيين القاضية بسحق حملة الثوار ضدهم من خلال عزل الحاج امين من منصبه، يتضح من حقيقة ان العنف المعادي للصهيونيين وللبريطانيين في فلسطين، ازداد على نحو دراماتيكي في الشهر الذي تلا عزل المفتي وفراره، وان الانتفاضة بلغت ابعادها الاكثر ضراوة، في صيف ١٩٣٨، بعد مرور عشرة اشهر على مغادرة المفتي الى المنفى.

Howard M. Sachar, *A History of Israel* (New York and Oxford: Knopf and Oxford Unversity Press, 1981- 87), vol. 1, P. 212; Mattar, *Mufti of Jerusalem*, P. 83.

٦١ـ ساسون، «باديريخ»، خصوصاً، ٨١ـ ٨٥، ٩٧، ١٢٧ـ ١٢٩.

٦٢ـ تقرير من دافيد هاكوهين، ٢٢ تشرين الاول/ اكتوبر، ١٩٣٦، CZA, S25/9783 (بالعبرية).

٦٣ـ من ساسون الى شرتوك، ٨ تموز/ يوليو، ١٩٣٨، CZA S 25/5568 (بالعبرية).

٦٤ـ «اجتماع مع رئيس تحرير صحيفة الايام» (من ساسون الى شرتوك)، ٧ ايلول/ سبتمبر، ١٩٣٩، CZA, S 25/ 5568 (بالعبرية).

٦٥ـ انظر مراسلات عديدة، ١٩٣٨ـ ١٩٣٩، AD, MAN/ 446 (بالفرنسية والانجليزية).

٦٦ـ من دو مارتيل الى وزارة الخارجية، ٣٠ آذار/ مارس، ١٩٣٨، AD, MAN/ 446 (بالفرنسية).

٦٧ـ من فورلونغ الى وزير الدولة البريطاني للشؤون الخارجية، تموز/يوليو، ١٩٣٨، FO 371/21878 E 4309، محفوظة في ISA.

٦٨ـ شرتوك، مفكرة الدائرة السياسية، ٢١ تموز/ يوليو، ١٩٣٦، CZA, S25/443 (بالعبرية)؛ من شرتوك الى وايزمان، ٢ تشرين الاول/ اكتوبر، ١٩٣٦، CZA, S 25/ 6327.

٦٩ـ "Plain Speaking", *Palestine Post*, 30 May 1938 مقتبسة في Black, "Zionism and the Arabs" P. 309; «جيراننا في الشمال»، هآرتس، ١٣ ايار/ مايو، ١٩٣٨، CZA, S 25/ 3500 (بالفرنسية وبالاصل بالعبرية). انظر ايضاً،

"A Word to Our neighbors", *Palestine Post*, 4 April, 1938;
"Another Word to Our Neighbors", *Palestine post*, 21 April,

وكلاهما مقتبسان في Black, "Zionism and the Arabs", P. 308

٧٠ـ من ساسون الى شرتوك، ٥ و٦ ايار/ مايو، ١٩٣٨، CZA, S 25/ 10571 (بالعبرية).

٧١ـ ابشتاين، «رسائل من بيروت»، ١١ و١٨ ايلول/ سبتمبر، ١٩٣٨، CZA, Z4/ 17024 B.

٧٢ـ من وايزمان الى اورمسبي ـ غور، ٧ نيسان/ ابريل، ١٩٣٨، CZA, S25/5476.

٧٣ـ من وايزمان الى اسحق نيديتش، ٤ نيسان/ابريل، ١٩٣٨، ومن وايزمان الى مالكولم ماكدونالد، ١٢ تموز/ يوليو، ١٩٣٨، وكلاهما في LCW, Vol. 18, Letters 318, 367.

٧٤ـ من شرتوك الى لوري، ٥ ١ـ آذار/ مارس، ١٩٣٨، CZA, S 25/ 3156. انظر ايضاً، البرقية من وايزمان الى بلوم، غير مؤرخة، AE, LE 18- 40/ PAL 67 (بالفرنسية).

٧٥ـ من وايزمان الى اورمسبي ـ غور، ٧ نيسان/ ابريل، ١٩٣٨، CZA, S 25/ 5476.

٧٦ـ من وايزمان الى بلانش دوغدال، ٤ نيسان/ابريل، ١٩٣٨، في LCW, Vol. 18, Letter 317.

٧٧ـ من وايزمان الى اورمسبي ـ غور، ٧ نيسان/ ابريل، ١٩٣٨، CZA, S 25/ 5476.

٧٨ـ مراسلات عديدة، ١٩٣٩، AD, MAN/ 653 (بالفرنسية). انظر ايضاً،

Cohen, *Palestine 1936 - 1945*, pp. 54- 62.

٧٩ـ تقرير عن اجتماع مع ابشتاين، من دومارتيل الى وزارة الخارجية، ١٥ كانون الاول/ ديسمبر، ١٩٣٧، AE, LE 18 - 40/ PAL 69 (بالفرنسية).

٨٠ ـ من مساعد القنصل العام الفرنسي (القدس) الى وزير الخارجية، ٢٩ نيسان/ ابريل، ١٩٣٨، AD, MAN/ 648 (بالفرنسية).

٨١ ـ تقرير من دافيد هاكوهين، ٢٢ تشرين الاول/ اكتوبر، ١٩٣٦، CZA, S 25/ 9783 (بالعبرية).

٨٢ ـ ساسون، «باديريخ» ص ـ ٨٩؛ "Affaires Palestiniennes", 18 July, 1938 CZA, Z4/17024 B, N. 52؛ شاريت، «يومان مديني»، ١٧ آب/ اغسطس، ١٩٣٨، المجلد ٣، ص: ٢٤٧.

٨٣ ـ بالنسبة الى مهام القوات الفرنسية، انظر الرسالة من بيار بارت الى المندوب النسامي، ٢٤ شباط/ فبراير، ١٩٣٨، ومن ساندفورت الى هارفارد، ٤ آذار/ مارس، ١٩٣٨، وكلاهما في AD, MAN/649 (بالفرنسية). ومن اجل الاشتباكات والحوادث الحدودية، والادلة على التعاون الفرنسي ـ البريطاني، ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩، انظر بصفة خاصة، «العلاقات الفرنسية ـ البريطانية»، ١٩ كانون الاول/ ديسمبر، ١٩٣٧؛ من المندوب السامي الى السلك الديبلوماسي (باريس)، ١٠ آذار/ مارس، ١٩٣٨؛ من المندوب السامي الى وزير الخارجية، ١٥ تشرين الاول/ اكتوبر، ١٩٣٨، وجميعها في AD, MAN/ 653 (بالفرنسية). انظر ايضاً، من المندوب السامي الى وزير الخارجية، ٧ حزيران/ يونيو، ١٩٣٨، AD, MAN/ 653 (بالفرنسية).

٨٤ـ ابشتاين، «رسالة من بيروت»، ٢٥ تشرين الثاني/ نوفمبر، ١٩٣٧، CZA, S 25/5574؛ «تقرير عن نشاطات المفتي السابق في لبنان»، ٢٥ ايلول/ سبتمبر، ١٩٣٨، CZA, S 25/ 3156.

٨٥ ـ Aviel Roshwald, *Estranged edfellows: Britain and France in the Middle East During the Second World War* (New York: Oxford University Press, 1990), p. 9;

تقرير عن اجتماع مع ابشتاين، من دو مارتيل الى وزارة الخارجية، ١٥ كانون الاول/ ديسمبر، ١٩٣٧، AE, LE 18- 40/ PAL 69 (بالفرنسية).

٨٦ ـ Hof, *Galilee Divided*, p. 46.

٨٧ ـ Sachar, *History of Israel*, vol. 1, pp.214 - 216; Christopher Sykes, *Crossroads to Israel, 1917- 1948* (Bloomington: Indiana University Press, 1965), pp. 182- 183;

حاييم ليفكوف، مقابلة مع المؤلفة، ١١ ايار/ مايو، ١٩٨٧، حولون، اسرائيل.

٨٨ ـ Hof, *Galilee Divided*, pp. 47- 48

٨٩ ـ من شرتوك الى وايزمان، ٢ تشرين الاول/ اكتوبر، ١٩٣٦، CZA, S 25/ 6327.

٩٠- مقتبسة في شرتوك، مفكرة الدائرة السياسية، ٢١ تموز/يوليو، ١٩٣٦، CZA, S 25/443 (بالعبرية).

٩١- من فيلينسكي الى شرتوك، ٢٢ تشرين الثاني/نوفمبر، ١٩٣٦، CZA, S 25/9790 (بالعبرية). ولكن الوكالة اليهودية لم تبذل، كقاعدة، محاولات جدية للتمييز بين الطائفتين، المسيحية والمسلمة، في فلسطين، ولم تر اي تلاقٍ طبيعي للمصالح مع المسيحيين الفلسطينيين، كما فعلت في لبنان. بل كان الصهيونيون ينظرون الى مسيحيي فلسطين العرب، كمعادين متحمسين للصهيونية، بالحماسة التي كان يمثلها الارثوذكسي جورج انطونيوس، ببلاغته وفصاحته.

٩٢- ساسون، ومقتبس في مفكرة مكتب الدكتور جوزف، ٧ تشرين الثاني/نوفمبر، ١٩٣٨، CZA, S 25/1511.

٩٣- من ابشتاين الى ب. جوزف، «العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في جنوب لبنان» (اواخر ١٩٣٨ ؟)، CZA, S25/5580 (بالعبرية).

٩٤- اجتماع الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية (القدس)، ٢٦ تموز/يوليو، ١٩٣٦، CZA, Vol. 25/3 (بالعبرية)؛ ساسون، «باديريخ»، ص: ١٢٠. انظر ايضاً مفكرة مكتب الدكتور جوزف، ١٨ شباط/فبراير، ١٩٣٧، CZA, S 25/50؛ شاريت، «يومان مديني»، ٢٣ ايار/مايو، ١٩٣٧، المجلد ٢، ص: ١٤١؛ من صفير الى وايزمان، ٢٢ ايلول/سبتمبر، ١٩٣٧، CZA, S 25/5580 (بالفرنسية)؛

Caplan, *Futile Diplomacy*, Vol. 2, P. 48.

٩٥- من اجل الطلب الصهيوني بان يُحذر الدروز الفلسطينيون اشقاءهم اللبنانيين من دعم الثوار العرب الفلسطينيين، انظر الرسالة من ي. نحماني الى شيوخ الطائفة الدرزية، ٢٦ ايلول/سبتمبر، ١٩٣٦، CZA, S 25/9165 (بالعبرية، وفي الاصل بالعربية)؛ ومن اجل مناشدات الدروز الفلسطينيين للدروز اللبنانيين، انظر تقرير الشيخ زيد ابو ركن، ٤ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٣٦ CZA, S 25/ 9165؛ ومن الشيخ زيد ابو ركن الى اعيان البياضة، خريف العام ١٩٣٨، CZA, S 25/4960؛ (بالعبرية، وفي الاصل بالعربية). انظر ايضاً، Yoav Gelber, " Antecedents of the Jewish - Druze Alliance in Palestine", *Middle Eastern Studies* 28, no.2 (April 1992): 353- 55, 358- 59; Yehoshua Porath, *The Palestinian Arab National Movement, 1929- 1939* (London: Frank Cass, 1977), pp. 271- 73;

المؤلف نفسه في مقابلة مع المؤلفة، ١٠ آذار/مارس، ١٩٨٧، القدس؛ شرتوك، مفكرة الدائرة السياسية، ٥ تموز/يوليو، ١٩٣٦، CZA, S25/443 (بالعبرية)؛ من بن - زفي الى ابا هوشي، ٢٠ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٣٦، CZA, J1/6184 (بالعبرية)؛ تقرير عن اجتماع عقد مع زعيم عصابة درزي لبناني، ٤ كانون الثاني/يناير ١٩٣٧، CZA, S 25/9165 (بالعبرية) مفكرة مكتب الدكتور جوزف، ١٦ شباط/فبراير، ١٩٣٧، CZA, S 25/1511 من ساسون الى شرتوك، ٦ حزيران/يونيو، ١٩٣٨، CZA, S 25/5568 (بالعبرية)؛ ساسون، «باديريخ»، ص: ١٢٣-١٢٥؛ يعقوب شمعوني، مقابلة مع المؤلفة، ٤ آذار/مارس، ١٩٨٧، القدس.

٩٦- اجتماع الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية (القدس)، ١٣ شباط/فبراير، ١٩٣٨، CZA, vol. 27/2 (بالعبرية)؛ شاريت، «يومان مديني»، ٧ آذار/مارس، ١٩٣٨، المجلد ٣، ص: ٧٨. افصح الاحدب عن اعتراضاته على وجود المفتي ونشاطاته في لبنان، في رسالتين بعث بهما الى وايزمان الذي وصف احداهما كرسالة كتبتها «شخصية اسلامية بارزة جداً في لبنان»، ونُقلت الى البريطانيين كدليل على المشاعر القوية المناهضة للمفتي التي يكنّها اشخاص مسؤولون في لبنان. انظر الرسالة من وايزمان الى أورمسبي - غور، ٧ نيسان/ابريل، ١٩٣٨، CZA, S25/5476. انظر ايضاً الرسالتين من الاحدب الى وايزمان وشرتوك، ٢٣ آب/اغسطس، ١٩٣٨، CZA, S 25/5580 (بالفرنسية).

٩٧- من ابشتاين الى جاربلوم، ١٧ ايار/مايو، ١٩٣٨، CZA, S 25/ 5814 (بالعبرية). انظر ايضاً، ساسون، «باديريخ» ص: ١١٥ - ١١٦، ١٢٢-١٢٣؛ من ساسون الى شرتوك، ٢٧ تموز/يوليو، ١٩٣٨، CZA, Z4/ 17024 B (بالعبرية).

٩٨- مقترحات مكتوبة على ورق خاص بفندق الملك داود، القدس، (شباط/آذار، ١٩٣٨ ؟)، CZA, S25/2960 b (بالعربية)؛ هناك مقطتف مترجم في

Caplan and Black, "Israel, and Lebanon", pp. 51, 56- 57.

٩٩- ولكن النشاط الصهيوني المناوئ للمفتي استمر من دون كلل. ولقد تخفّى حاييم ليفكوف ورفيق له، كفلسطينيين عرب، وعملا سرّاً في لبنان، كمخربين لحساب البريطانيين والهاغاناه. ويقول ليفكوف بانه في وقت ما من العام ١٩٣٨، تلقى ورفيقه تعليمات مشتركة من البريطانيين والهاغاناه، لاغتيال المفتي. وبحسب ليفكوف،لحقا بالمفتي الى حلب حيث توددا الى رجاله، وحصلا على الاسلحة اللازمة للهجوم. ولكن المفتي غادر حلب ليلاً بصورة مفاجئة، فاحبط من دون ان يدري، الخطة المحاكة ضده. ليفكوف، مقابلة مع المؤلفة، ١١ ايار/مايو، ١٩٨٧.

١٠٠- من شرتوك الى الاحدب، ١٦- آذار/مارس، ١٩٣٨، CZA, S 25/5581 (بالفرنسية). طلب شرتوك من الاحدب استخدام سلطته لتعزيز علاقات الجوار والامن من الجانب اللبناني باعطاء التعليمات الضرورية لسلطات المنطقة وتعزيز مخافر الشرطة فيها. ومن المرغوب فيه كثيراً افهام سكان القرى المجاورة بان اليهود القادمين للاستقرار في الجوار، حافزهم ارقّ مشاعر السلم والصداقة... ونود بان يُنفذ هذا المشروع الجديد... بالتعاون الكامل بين حكومة الجمهورية اللبنانية وبيننا.

واكّد للاحدب بانه جرى اختيار المستوطنين اليهود بدقة، على اساس الفتهم مع العادات المحلية وطلاقتهم بالعربية، لان ذلك يسهّل العلاقات الحسنة عبر الحدود.

وردّ الاحدب على الفور، متعهداً الحفاظ على النظام وضمان الامن في المنطقة اللبنانية المجاورة للمستوطنات الجديدة، وتشجيع اللبنانيين المحليين على اقامة «افضل علاقات الجوار» مع حانيتا (من الاحدب الى شرتوك، ١٨ آذار/مارس ١٩٣٨، CZA S 25/5588 (بالفرنسية). ومن السخرية بمكان ان هذه

الرسالة شكلت احد آخر اعمال الاحدب الرسمية كرئيس للوزراء، بما انه كتبها في آخر يوم له في منصبه. انظر ايضاً، Caplan and Black, "Israel and Lebanon", pp. 57- 58.

اما بالنسبة الى الاستعدادات الصهيونية من اجل انشاء حانيتا، فانظر شاريت، «يومان مديني»، المجلد ٣، ص: ٧٩- ٩١، ٣١٨-٣١٩.

١٠١- من وايزمان الى مالكولم ماكدونالد، ١٢ تموز/يوليو، ١٩٣٨، في LCW, vol. 18, letter 367. انظر ايضاً، Caplan and Black, "Israel and Lebanon", p. 58.

١٠٢- يونا بن - عيزر وايتامار بن - باراك، مقابلات مع المؤلفة، ٩ نيسان/ابريل، ١٩٨٧، كيبوتس حانيتا، اسرائيل؛ رئيس البلدية يوسي غولدبرغ ودينا رودالينسكي، مقابلات مع المؤلفة، ٢٨ نيسان/ابريل، ١٩٨٧ المطلة، اسرائيل؛ أحابيم كرول، مقابلة مع المؤلفة، ٢٧ نيسان/ابريل، ، كيبوتس كفار جلعادي، اسرائيل؛ امنون يوناي، مقابلة مع المؤلفة، ١٢ ايار/مايو، ١٩٨٧، نتانيا، اسرائيل. وكان هؤلاء جميعاً، الذين اجرت معهم المؤلفة المقابلات، يعيشون على الحدود اللبنانية خلال فترة الانتداب، وما زال معظمهم يقيم هناك.

١٠٣- كرول، مقابلة مع المؤلفة، ٢٧ نيسان/ابريل، ١٩٨٧؛ ليفكوف، مقابلة مع المؤلفة، ١١ ايار/مايو، ١٩٨٧؛ شالوم فيين، مقابلة مع المؤلفة، ٢٨ نيسان/ابريل، ١٩٨٧، المطلة، اسرائيل.

١٠٤- بن - عيزر وبن - باراك، مقابلات مع المؤلفة، ٩ نيسان/ابريل، ١٩٨٧؛ يوناي، مقابلة مع المؤلفة، ١٢ ايار/مايو، ١٩٨٧؛ دافيد ساندلر، مقابلة مع المؤلفة، ٢٨ نيسان/ابريل، ١٩٨٧، المطلة، اسرائيل؛ ناحوم هوروفيتس، مقابلة مع المؤلفة، ٢٧ نيسان/ابريل، ١٩٨٧، كيبوتس كفار جلعادي، اسرائيل.

١٠٥- بن - عيزر وبن - باراك، مقابلة مع المؤلفة، ٩ نيسان/ابريل، ١٩٨٧؛ فيين، مقابلة مع المؤلفة، في ٢٨ نيسان/ابريل، ١٩٨٧، هورفيتس وكرول، مقابلات مع المؤلفة، ٢٧ نيسان/ابريل، ١٩٨٧؛ رودالينسكي وساندلر، مقابلات مع المؤلفة، ٢٨ نيسان/ابريل، ١٩٨٧؛ يوناي، مقابلات مع المؤلفة، ١٢ ايار/مايو، ١٩٨٧. لفت تهريب السلاح والهجرة اليهودية غير الشرعية الى فلسطين، عبر لبنان، انتباه صحيفة «نيويورك تايمز» في وقت متأخر يعود الى العام ١٩٤٥. انظر

A. C. Sedgwick, "Levant Arabs Act to Shut Palestine", **New York Times**, 15 October, 1945.

١٠٦- بن - عيزر، مقابلة مع المؤلفة، ٩ نيسان/ابريل، ١٩٨٧.

١٠٧- بن - عيزر وبن - باراك، مقابلات مع المؤلفة، ٩ نيسان/ابريل، ١٩٨٧؛ فيين وساندلر، مقابلات مع المؤلفة، ٢٨ نيسان/ابريل، ١٩٨٧؛ كرول، مقابلة مع المؤلفة، ٢٧ نيسان/ابريل،١٩٨٧؛ يوناي، مقابلة مع المؤلفة، ١٢ ايار/مايو، ١٩٨٧. يقول كل واحد من هؤلاء الذين اجريت مقابلات معهم،

بان القرويين اللبنانيين لم يقدموا في اي وقت من الاوقات، مساعدة فعّالة للزمر العربية، ويذكرون لحظات كان الجيران ينذرون فيها المستوطنات اليهودية عن عمليات وشيكة للثوار. من اجل تقارير عن الهجمات التي كانت تنفذ على طول الحدود، انظر "Information No. 182" (1938 ?), AD, MAN/653 (بالفرنسية).

١٠٨- غولدبرغ وساندلر، مقابلات مع المؤلفة، ٢٨ نيسان/ابريل، ١٩٨٧؛ كرول، مقابلة مع المؤلفة، ٢٧ نيسان/ابريل، ١٩٨٧.

١٠٩- انظر بصفة خاصة، الرسائل من يوسف فيين الى شرتوك، ١٠ و١٢ حزيران/يونيو، ١٩٣٨، وجميعها في CZA, S 25/ 2957 (بالعبرية)؛ وقد ابلغ في حزيران/يونيو، ١٩٣٨، بان المجموعات العربية كانت تضايق المستوطنة، ولكنه ابلغ ايضاً، بان القرويين اللبنانيين جاؤوا الى حانيتا للمشاركة في جنازة احد افراد الكيبوتس الذي قُتل في اشتباك مع الثوار. واكد بان المقيمين في حانيتا كانوا يسافرون بسهولة الى لبنان، ويقيمون علاقات حسنة مع الناس والسلطات في صور وصيدا. واعترف بان بعض اللبنانيين كانوا مستائين مما كانوا يعتبرونه افتئاتاً يهودياً على فلسطين العربية، ولكنه اشار الى ان الكثيرين غيرهم كانوا مهتمين بتنمية علاقات تجارية مع اليهود.

١١٠- من فيين الى شرتوك، ١٠ حزيران/ يونيو، ١٩٣٨، CZA, S 25/2957 (بالعبرية). انظر ايضاً، الرسالة من فيين الى شرتوك، ١٢ حزيران/يونيو ١٩٣٨، CZA, S 25/ 2957 (بالعبرية)؛ شاريت، «يومان مديني»، المجلد ٣، ص: ٣١٩- ٣٢٠.

الفصل الخامس

١- Kamal Salibi, *The Modern History of Lebanon* (New York: Praeger,1965) pp. 183-84

٢- الياهو ساسون، «باديريخ ايل هاشالوم» (على طريق السلام)، تل أبيب: عام عوفيد، ١٩٧٨، ص:١٨٦.

٣- ساسون، المصدر نفسه، ص: ٢٢٠.

٤- موشيه شاريت، «يومان مديني» (المفكرة السياسية)، تل ابيب: عام عوفيد، ١٩٧٩، ٢٦ آب/أغسطس ١٩٤٠. المجلد٥، ص: ١١٠؛ انظر ايضاً،

Stephen Longrigg, *Syria and Lebanon Under French Mandate* (London: Oxford University Press, 1958), p. 304.

وايريت افرامسكي - بليي، «يهودي سوريا فاليفانون تاحت شلتون فيشي» (يهود سوريا ولبنان خاضعون لحكم فيشي)، باعاميم ٢٨، ١٩٨٦، ص: ١٣١ـ١٥٧.

٥ـ شاريت «يومان مديني»، ٤ و١١ ايار/مايو ١٩٤١، المجلد ٥، ص: ١٩٧ و٢٠٢.

٦ـ Longrigg, Syria and Lebanon, p. 304; Albert Hourani, *Syria and Lebanon: A Political Essay* (London: Oxford University Press, 1946) pp. 231- 33.

٧ ـ Longrigg, *Syria and Lebanon*. pp. 304-320; Frederic c. Hof *Galilee Divided: the Israel - Lebanon Frontier, 1916-1984* (Boulder: Westview, 1985). pp. 49- 51; Hourani. *Political Essay*. pp. 237 - 40; A.B. Gaunson. *The Anglo- French Clash in Lebanon and Syria, 1940-1945* (London Macmillan, 1987), pp. 44-45; Aviel Roshwald, *Estranged Bedfellows: Britain and France in the Middle East During the Second World War* (New York: Oxford University Press, 1990), chap, 4

٨ ـ من اجل نصوص الاعلانات، انظر Hourani, *Political Essay*, pp. 241- 42

٩ ـ Longrigg, *Syria and Lebanon*, p. 317

١٠ ـ ساسون، «باديريخ»، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٦.

١١ ـ كتب ساسون تقريراً ذكر فيه ان الشائعات التي تحدثت عن خطة بريطانية لضم منطقة جبل عامل اللبنانية الى الوطن القومي اليهودي كانت وراء عرض من الشيعة هناك، لبيع اراضيهم الى الصهيونيين والانتقال الى العراق. وبحسب التقرير، شجع بشاره الخوري ساسون على درس العرض دراسة جدية، مقترحاً ان يعطي الصهيونيون عريضة المال الكافي لشراء المنطقة من الشيعة، من أجل ان يتمكن الموارنة، من اميركا واماكن اخرى غيرها، من الاستقرار فيها. وقال بشارة الخوري، بانه اذا اصبحت المنطقة الحدودية مأهولة بغالبيتها، بالموارنة، من جهة، واليهود من جهة اخرى، يستطيع الشعبان عندئذ، التعاون بدون تدخل من احد، والوقوف في يوم من الايام، وقفة واحدة، ضد اي تهديد اسلامي/عربي (ساسون، «باديريخ»، ص: ٢٢٤ـ ٢٢٥). واذا كانت رواية ساسون دقيقة، فان هذا الموقف غريب جداً عن خلق بشارة الخوري. ولكن على المرء ان يتذكر ادعاء يعقوب شاريت بان الوكالة اليهودية بلغها اقتراح يقضي بشن حملة صهيونية ـ مارونية مشتركة لشراء املاك شيعية في جنوب لبنان وابدال السكان الشيعة بمستوطنين موارنة على طول الحدود اللبنانية ـ الفلسطينية (يعقوب شاريت، مقابلة مع المؤلفة، ١ نيسان/ابريل، ١٩٨٧، تل ابيب).

١٢ـ ساسون، «باديريخ»، ص: ٢٢٠ـ ٢٢١.

١٣ـ انظر من اجل نص اعلان كاترو، Hourani, *Political Essay*, pp. 250 - 253, 378- 381.

١٤ ـ من ساسون الى شرتوك، ٤ كانون الثاني/ يناير، ١٩٤٢، CZA, S 25/4549 (بالعبرية). ابلغ

ساسون بان الكنيسة المارونية نشرت ملاحظات البطريرك ووزعتها على نفقتها الخاصة، عندما منعت حكومة النقاش الصحف من نشر خطابه، كما أبلغ بقلق، عن اقدام عريضة، في سياق حملته ضد كاترو والنقاش، على مدّ يده الى المسلمين والدروز، وحتى الى المتطرفين من «المؤيدين للنازية»، وجميعهم معارضون للحكومة الحالية، وللسيطرة الفرنسية المستمرة على لبنان المستقل» (من ابشتاين الى شرتوك، ٢١ كانون الثاني/ يناير، ١٩٤٢، CZA, S 25/ 5630 (بالعبرية).

١٥ـ من ابشتاين الى شرتوك، ٢١ كانون الثاني/ يناير، ١٩٤٢، CZA, S 25/ 5630 (بالعبرية). واكد ابشتاين للنقاش بانه سوف يعثر بسهولة، على «لغة مشتركة» مع شرتوك.

١٦ـ على الرغم من ان النقاش لم يعمد يوماً، الى استغلال علاقته بالصهيونيين، اثناء وجوده في منصبه، فإن الاستخبارات البريطانية رفعت تقريراً ذكرت فيه انه سافر الى فلسطين بعد عزله من منصبه، ليحلّ ضيفاً على الوكالة اليهودية، ويبحث في خطط ذات اهمية مشتركة للبنان وفلسطين، تتعلق بالريّ والتنمية الصناعية. وذكر التقرير في الختام، ان شيئاً لم يحدث حتى الآن، ولكن «من المتوقع عموماً، ان تسعى المصالح [الصهيونية] المعنية الى متابعة افكارها ما ان تغرز مخالبها في الرئيس السابق». (المقدم ج. و. ف. [البعثة البريطانية في بيروت]، «الرئيس السابق النقاش واليهود»، ١٥ ايار/مايو، ١٩٤٣، مكتب السجلأت العامة، لندن، fo 226/ 24416482). وانا ممتنة ليوسي اولمرت من جامعة تل ابيب لتزويدي بهذه الوثيقة.

١٧ـ Salibi, Modern History, pp. 186- 187; Longrigg, *Syria and Lebanon,* P. 325; Roshwald, *Estranged Bedfellows,* chap. 5-7.

والصراع المرير بين بريطانيا وفرنسا وزبائنهما في لبنان، يتضح في مذكرات سبيرز، الذي يسخر سخرية لا رحمة فيها، من النقّاش وإدّه، المؤيدين لفرنسا. (Sir Edward Spears, *Fulfillment of a Mission: The Spears Mission to Syria and Lebanon, 19-1944* [London: Cooper,1977], pp.168, 213).

١٨ـ ساسون، «باديريخ»، ص: ٢٦٩ ـ ٢٧٠.

١٩ ـ Longrigg, *Syria and Lebanon*, pp. 329-31; Salibi, *Modern History*, p. 189; Hourani, *Political Essay*, pp. 286-88; Gaunson, *Anglo-French Clash*, pp. 123-44; Roshwald, *Estranged Bedfellows,* pp. 153-66.

٢٠ ـ Hourani, Political Essay, p. 287.

يوافق هورفيتس على ان «الخطوة الفرنسية اثارت غضبة كل الطوائف، إلى درجة انها اتاحت للمرة الاولى، التئاماً داخلياً للمشاعر، واجماعاً ـ للوقت الحاضر على الاقل ـ على صيانة لبنان الكبير». ("Lebanese Democracy in its International Setting", in *Politics in Lebanon* ed. Leonard Binder (New York: Wiley and Sons. 1966) p. 228.

٢١ ـ Longrigg, *Syria and Lebanon*, p. 331; Salibi, *Modern History,* pp. 189-90.

٢٢ ـ ساسون، «باديريخ»، ص: ٢٧٠؛ كاترو، كما استشهد به، Longrigg, *Syria and Lebanon,* pp. 332-33.

٢٣ ـ Hurewitz, "Lebanese Democracy", p. 228.

٢٤ ـ الياهو ايلات، «هاتسيونوت هافينيكيت باليفانون» (الصهيونية الفينيقية في لبنان) كاثيدرا، ٣٥، نيسان/ابريل، ١٩٨٥، ص: ١٢٤؛ الكاتب نفسه، «شيفات تسيون فعراف» (الهجرة الى فلسطين والعرب)، تل ابيب: دفير، ١٩٧٤، ص: ٣١٢.

٢٥ ـ Salibi, *Modern History*, pp. 172- 73.

٢٦ ـ ايلات، «شيفات تسيون فعراف» ص: ٣١٣.

٢٧ ـ Salibi, *Modern History*, p. 173

الياهو ايلات، مقابلة مع المؤلفة، ١٩ تموز/يوليو، ١٩٨٦، القدس؛

Barry Rubin, *The Arab States and the Palestine Conflict* (Ithaca: Syracuse University Press, 1982), p. 139.

٢٨ ـ ايلات، مقابلة مع المؤلفة، ٢٩ تموز/يوليو، ١٩٨٦؛ افيعيزر غولان وداني بينكاس، «شيم تسوفين، هابينيناه» (اسم الشيفرة: اللؤلؤة)، تل ابيب: زمورا/بيتان، ١٩٨٠، ص ١١١؛ يعقوب شمعوني، محاضرة في معهد شيلواح، جامعة تل ابيب، ٧ كانون الاول/ديسمبر، ١٩٨٣.

٢٩ ـ *Bulletin*، مكتب القدس لمراسلات فلسطين *(Palcor)* ١٣ ايلول/سبتمبر، ١٩٤٤، SC ، معهد شيلواح، جامعة تل ابيب، المجلد ٧٠١. بالنسبة الى زيارة غير مثمرة قام بها شرتوك للخوري، انظر "Information"، ٤ شباط/فبراير، ١٩٤٤، AD,MAN/ 806 (بالفرنسية).

٣٠ ـ افي، «رسالة من بيروت»، ٢٥ آب/اغسطس، ١٩٤٤، CZA, S 25/4556

٣١ ـ من ر. تريبون إلى بن ـ غوريون، ١٠ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٤٤، CZA, S 25/4549 (بالعبرية). شكى تريبون وقال بضرورة ان تعمل الوكالة اليهودية اكثر مما تعمله، لإبطال تأثير معاداة الصهيونية في وسط الشبيبة المارونية، واقترح الاستعانة بالبطريرك، الذي ادت ملاحظاته الاخيرة، بحسب ادعاء تريبون، الى «فتح الباب واسعاً امام عمل (ماروني ـ صهيوني) مشترك».

٣٢ ـ Rubin, *Arab States and the Palestine Conflict*, p. 139;

ابشتاين، «اخبار من سوريا ولبنان»، ٣ شباط/فبراير، ١٩٤٤، CZA, S 25/4556 (بالعبرية).

٣٣ ـ تقارير ومراسلات عديدة، ١٩٤٤، AD, MAN/ 806 (بالفرنسية).

٣٤ ـ «من اجل منع بيع الاملاك في لبنان الى الاجانب»، هآرتس، ٩ نيسان/ابريل ١٩٤٤، (بالعبرية)؛ «الوزير يزعم بان الرساميل الصهيونية تسعى لغزو لبنان»، Palcor, Sept. 17; 1944, SC, Vol. 7.1; وكالة التلغراف اليهودية، ١٤ آب/اغسطس، ٢٠ ايلول/سبتمبر، و١٥ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٤٥، SC, Vol. 7.3.

٣٥ ـ مراسلات عديدة، ١٩٤٤، AD, MAN/808/7 (بالفرنسية).

٣٦ ـ انظر الرسالة من م. لانداو الى جوزف ويتز، ٦ نيسان/ابريل، ١٩٤٥؛ جوزف ويتز، ٢٢ نيسان/ابريل، ١٩٤٥؛ وساسون، ١٤ ايار/مايو، ١٩٤٥، وجميعها في CZA, S 25/4549 (بالعبرية).

٣٧ ـ «تتنصّل من المطالب الصهيونية في سوريا»، دايجست برس ايفنتس (الوكالة اليهودية)، ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر، ١٩٤٤، ص: ٧، نسخة في SC.Vol. 7.1 (مؤتمر شرتوك الصحفي)؛ «اخبار من لبنان»، ٢٩ ايار/مايو، ١٩٤٥، CZA, S 25/4556 (بالعبرية)؛ «طوفان الشركات الصهيونية يجتاح البلاد» (مقتطفات من جريدة «الهدف» اللبنانية، ١١ تموز/يوليو، ١٩٤٥)، ٢٧ تموز/يوليو، ١٩٤٥، CZA, S 25/3179؛ تقرير ١٧ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٤٥، ISA, 2567/2.

٣٨ ـ عرض الصلح الخطوط العريضة لمبادىء الاتفاقية في خطاب امام البرلمان في ٧ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٤٣؛ انظر

Salibi, *Modern History,* pp. 186 - 87; Clovis Maksoud, "Lebanon and Arab Nationalism", and Ḥassan Saab, "The Rationalist School in Lebanese Politics", in *Politics in Lebanon,* ed. Leonard Binder; Walid Khalidi, *Conflict and Violence in Lebanon* (Cambridge: Center for International Affairs, Harvard University, 1979), pp. 23, 36,162; Itamar Rabinovich, *The War for Lebanon, 1970-1983* (Ithaca: Cornell University Press, 1984), pp. 24- 25; David C. Gordon, *the Republic of Lebanon: Nation in Jeopardy* (Boulder: Westview, 1983), pp. 20-21; Rubin, *Arab States and the Palestine Conflict*, p. 139.

٣٩ ـ Khalidi, *Conflict and Violence.* p. 162

٤٠ ـ «ماذا يجري في لبنان؟ هامشكيف، ٦ تموز/يوليو، ١٩٤٤ (بالعبرية).

٤١ ـ Khalidi, *Conflict and Violence*, p. 36.

انظر ايضاً، Hourani. *Political Essay*, pp. 303- 7

٤٢ ـ Longrigg, *Syria and Lebanon*, pp. 351-52.

وهو يذكر كامثلة، الاسهامات اللبنانية في المكاتب العربية التي كانت تقوم بالدعاية المؤيدة للعرب (والمعادية للصهيونية) في اوروبا واميركا، والتظاهرات التي كانت تجري بين الحين والآخر، ضد استمرار الهجرة اليهودية الى فلسطين، والمؤيدة للفلسطينيين العرب.

٤٣ ـ من يونغ الى وزارة الخارجية، ٢٢ ايلول/سبتمبر، ١٩٤٥، FO 371/45380 E 7183, محفوظة في ISA.

٤٤ ـ مقتبسة في رسالة من شون (بيروت) الى وزارة الخارجية، ١٨ آذار/مارس، ١٩٤٥ FO 371/45392 E 1883, محفوظة في ISA.

٤٥ ـ شاريت، «يومان مديني»، ٢٥ ايلول/سبتمبر، ١٩٣٧، المجلد٢، ص ٣٤٣؛ ساسون، «باديريخ»، ص: ٣٥٨.

٤٦ ـ من اجل وصف للوضع في مدن الاستجمام التي يفضلها اليهود الفلسطينيون، انظر أ. افي - يورام، «في شوارع لبنان ـ في هذه الايام»، هابوكر، ٤ كانون الثاني/يناير، ١٩٤٦ (بالعبرية)؛ «لبنان، الضحية الوحيدة للمقاطعة»، دافار، ١٢ كانون الثاني/يناير، ١٩٤٦ (بالعبرية)؛ «حظر السائحين اليهود ضربة لاقتصاد لبنان»، هآرتس، ٢٨ ايار/مايو، ١٩٤٦؛ «نهاية الرغبة في السفر الى لبنان»، هآرتس، ١٧ تموز/يوليو، ١٩٤٦ (بالعبرية)؛ «المزارعون اللبنانيون يطالبون بالانسحاب من المقاطعة المعادية للصهيونية»، هابوكر، ١٥ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٤٦ (بالعبرية)؛ أ. يعقوبي، «لا يملك شعب مشرق البحر المتوسط ترف الانشغال بمشكلة ارض اسرائيل» عل همشمار ٢٥ تشرين الثاني/نوفمبر، ١٩٤٧، (بالعبرية).

٤٧ ـ «لبنان: نمو حزب الكتائب»، ٢٠ ايلول/سبتمبر، ١٩٤٥ CZA, S 25/80021.

٤٨ ـ «بيان رابطة الاحزاب اللبنانية المناهضة للصهيونية»، ٩ تشرين الثاني/نوفمبر، ١٩٤٥ ISA, 2567/2 (بالفرنسية)؛ بالنسبة الى تورط الكتائب في مكتب النضال ضد الصهيونية، انظر «Information»، ١٧ آب/اغسطس، ١٩٤٤، AD, MAN/806 (بالفرنسية).

٤٩ ـ النقاش مقتبس في أ. ولينشتاين، «لبنان ورابطة الدول العربية»، هآرتس، ٣ نيسان/ابريل،١٩٤٥، (بالعبرية).

٥٠ـ من س. الى اتاره [؟]، ١٢ كانون الاول/ديسمبر ١٩٤٦، CZA, S25/3960 (بالعبرية). علمت الوكالة اليهودية بان المعاهدة التي يتصورها اده تقتضي انهاء مشاركة لبنان في المقاطعة المناهضة للصهيونية، والتعاون بين «الوطنين القوميين» اليهودي والمسيحي، ونقل جنوب لبنان الى اليشوف. والعمل على أساس هذه الخطوط كان يعتمد على انتصار اده، الذي كان «مسألة مال فقط»، كما كان يؤكد.

٥١ـ Rubin, *Arab States and the Palestine Conflict*, p.139.

٥٢ـ «الاقليات المسيحية في لبنان والجامعة العربية»، ١٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٥،.SC. Vol 7.3، هذه رواية انجليزية عن عريضة، مقابلة مع حبيب جاماتي، «أخبار اليوم» ٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٥.

٥٣ـ Eliahu Epstein, "The Rise of the Lebanon: Christian Refuge and Maronites' National Home", *Palestine and the Middle East*, March 1945, Copy in SC, Vol. 7.2.

٥٤ـ ط [طوبيا] أ [أرازي]، «ردود فعل المسيحيين اللبنانيين على قيام وحدة عربية وعلى المحادثات في الاسكندرية: بيان البطريرك الماروني»، ١١ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٤٤،CZA, S25/4556 (بالعبرية). استشهد ارازي بنص بيان عريضة في «المصري»، في ٨ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٤٤. تحدث

عريضة عن حق لبنان باقامة علاقات ودية مع «البلدان المجاورة»، وشدد ارازي في تقريره على ضرورة الملاحظة بانه قال: «جيران، وليس الدول العربية». انظر ايضاً «خطاب البطريرك الماروني في بكركي»، و«القرارات التي تبناها مؤتمر البعثات اللبنانية في بكركي»، ٢٥ كانون الاول/ديسمبر ١٩٤١، CZA, S25/4549 (بالعبرية).

٥٥ ـ س. شوارتز، «العمل المؤثر الذي قام به المونسنيور عريضة»، هابوكر، ١٦ آب/اغسطس ١٩٤٥ (بالعبرية). اجتذبت المكانة المارونية المتقلصة ايضاً بعضاً من اهتمام الصحافة الاميركية. ولاحظ احد المراقبين ان سحب السيطرة الفرنسية من لبنان يعني ايضاً، سحب الحماية الفرنسية للاقليات المسيحية، ورأى ان «مصالح السلام والانسانية تقتضي ان يقوم احدهم بحماية المؤسسات والجماعات الدينية الصغيرة على اختلافها» (Major George Fielding Eliot, "Outside Protection Held Vital to Levant's Divided Minorities", New York Tribune, June 1945).

على الرغم من ان السيطرة السياسية المارونية التقليدية في لبنان، كان يظهر عليها الوهن، ولكن الطائفة المارونية كانت بالكاد تشكل «مجموعة دينية صغيرة».

٥٦ـ *Salibi, Modern History*, p. 188

كان ثابت البروتستانتي من اصل ماروني، مؤيداً لإدّه، وخدم في حكومته الأولى. وبحسب تقرير عن اجتماع عُقد بين ثابت وممثل للوكالة اليهودية في بيروت، في العام ١٩٤١، فان ثابت كان يعتقد بان «وجود دولة يهودية قوية على حدود لبنان مباشرة، يتفق مع مصلحة لبنان المسيحي ورغبته»؛ ونصح الوكالة اليهودية بتجنب الاتصال بالمسلمين اللبنانيين، وطلب مقابلة «قادة يهود مسؤولين ليشرح لهم الفائدة التي يمكن ان تُجنى اذا تعاون اليهود والمسيحيون» («الاجتماع مع الدكتور ايوب ثابت، بيروت»، ٢٠ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٤١)، CZA, S25/10.372.

٥٧ـ ارازي، «ردود فعل المسيحيين اللبنانيين على قيام وحدة عربية، وعلى محادثات الاسكندرية: بيان البطريرك الماروني»، ١١ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٤٤، CZA, S25/4556 (بالعبرية). بحسب تقرير ارازي، كان عدد افراد الجالية المارونية الاميركية وحدها، ١٦٠٠٠٠ نسمة.

٥٨ـ Hourani, *Political Essay*, P. 297.

٥٩ـ افي، «رسالة من بيروت» ١٠ ايار/مايو ١٩٤٤، CZA S25/4556 (بالعبرية).

٦٠ـ Michael Bar-Zohar, *Ben-Gurion: The Armed Prophet* (Englewood) Cliffs: Prentice Hall, 1968), p. 79.

٦١ـ من ارازي الى شرتوك، ٩ تموز/يوليو ١٩٤٥، S25/4949 (بالعبرية).

٦٢ـ اجتماع الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية، ١١ شباط/فبراير ١٩٤٥، CZA، المجلد ٣١، ص: ٨(بالعبرية). كرر ابا ايبان فيما بعد، النكتة التي كان وايزمان ينسبها الى جده، وفسرها. وبحسب ايبان،

استخدم وايزمان الحكاية ليرفض فيلاً قدمه اليه ملك بورما كهدية، قائلاً بان جده حذره بالا يقبل ابداً، هدية ينبغي اطعامها... ويمكنها ان تفترسه (ابا ايبان، محاضرة في بتسبرغ، بنسلفانيا، ٧ حزيران/يونيو ١٩٨٩).

ربما كانت النقطة المؤثرة اكثر من غيرها، ان احداً في الاجتماع لم يعمد حتى الى التعليق على ملاحظات وايزمان، مما يشدد مرة أخرى، على الاولوية المتدنية للبنان في تخطيط الوكالة اليهودية. وسُرعان ما استؤنف الحديث عن تلك الموضوعات التي كانت تسيطر على الاجتماع: الهجرة اليهودية وحاجة اليهود الاوروبيين الملحة لملاذ يلجأون اليه، والمسألة العربية داخل فلسطين، وكيفية معارضة السياسات البريطانية في فلسطين من دون ايذاء المجهود الحربي البريطاني.

٦٣ ـ من ارازي الى شرتوك، ٩ تموز/يوليو، ١٩٤٥، CZA, S 25/4949 (بالعبرية)؛ من س الى اتاره [؟]، ١٢ كانون الاول/ديسمبر، ١٩٤٦، CZA, S 25/3960 (بالعبرية).

٦٤ ـ من عريضة الى وزير الخارجية البريطاني ارنست بيغن، ٢تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٤٦، CZA, S 25/6319 (بالفرنسية)؛ من مبارك الى بيغن، ١٢ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٤٦، CZA, S 25/6319 (بالفرنسية).

٦٥ ـ «لبنان: اده يحض على ان تكون الولايات المتحدة حامية لبنان»، ١٥ ايلول/سبتمبر، ١٩٤٥، ISA, 2567/2.

٦٦ ـ من يعقوب كاتز الى وايزمان، ٢٤ آذار/مارس، ١٩٤٦، WA. انظر ايضاً رسائل عديدة من كاتز الى وايزمان، WA؛ من [شاريت؟] الى كاتز، ١٢ ايار/مايو، ١٩٤٦، BGA، و CZA, S 25/6319 (بالعبرية).

٦٧ ـ «النشاط السياسي في الشرق الاوسط»، ١٦ ايلول/سبتمبر، ١٩٤٥، CZA, S 25/4549. تقدّم الكاتب بمقترحات غير معقولة من اجل التشهير بالحوادث المتعلقة بالنزاعات الطائفية داخل العالم العربي، وافتعال حوادث من هذا النوع، بهدف كشف النقاب عن حقيقة العروبة وابطال مفعولها. وزعم بان هناك اناساً عديدين مستعدون لإثارة المتاعب في العالم العربي لقاء الثمن المناسب، واختار الموارنة من بين هؤلاء، باعتبارهم يظهرون استعداداً واعداً. وعلى الرغم من ان الكاتب اشار الى «دائرتنا السياسية» فإنه لم يكن له اي ارتباط رسمي بالدائرة، وعلى ما يبدو، لم يتلق اي رد على مقترحاته.

٦٨ ـ أ. بروزكوس، «مسألة امكانيات النشاط في وسط الاقليات القومية والدينية في بلدان الشرق الادنى»، ٢٦ آذار/مارس، ١٩٤٦، CZA, S 25/9012 (بالعبرية). دعا بروزكوس الى انشاء رابطة ثقافية اقليمية تكون كمثل وكالة يمكن للوكالة اليهودية من خلالها، ان تدير نشاطاتها السياسية في وسط الاقليات في المنطقة. وكان الهدف فصل الاقليات الاثنية والدينية عن الاكثرية العربية الاسلامية، وبالتالي تفتيت اي «كتلة عربية» معادية للصهيونية، وانشاء شبكة من حلفاء الصهيونيين في انحاء الشرق الاوسط. وعلى الرغم من ان توقيع ساسون يدل على قراءته للمذكرة، فإنه لم يكن هناك دليل على انه ردّ على الاقتراح.

٦٩ ـ «الموسوعة اليهودية، الكتاب السنوي ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦»، القدس، كيتر، ١٩٧٦، ص: ٢٦٢؛ من يهوشواع بوراث الى المؤلفة، ٢٤ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٨٩؛ الكاتب نفسه، «شيلاح في ات بيادو، » (حياة اوريئال شيلح [يوناثان راطوش])، تل ابيب: مخباروت لسيفروت، زمورا، ١٩٨٩، ص: ٨١ و ٢٤٠. من ميري الياف ـ فلدون (ابنة الياف والمحاضرة في مادة التاريخ، في جامعة تل ابيب) الى المؤلفة، ٢٣ تشرين الثاني/نوفمبر، ١٩٨٩.

٧٠ ـ ايلات، مقابلة مع المؤلفة، ١٤ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٨٦؛ «مقتطفات من رسائل الياهو ابشتاين بواسطة ي. ميرمينسكي»، ٣٠ ايلول/سبتمبر، ١٩٤٥، CZA, S 25/4556.

٧١ ـ Epstein, "Rise of the Lebanon".

الكاتب نفسه، «مشاكل لبنان الديموغرافية»، ٢٧ شباط/فبراير، ١٩٤٥، CZA, S 25/4556 يتضح بان ابشتاين كان يشاطر اصدقاءه الموارنة رؤيتهم لتهديد اسلامي لاقليات المنطقة، من الفقرة التالية: «سلّم [الاقليات] الآن، بعدما احرزت [البلدان العربية] استقلالها، الى رحمة الاكثرية العربية الاسلامية الحاكمة، التي تطمح الى استخدام استقلالها لتجديد حكم «دار الإسلام» ويمكن لهذا [الحكم الجديد] ان يكون في اهدافه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية اكثر تعصباً وعدوانية وتطرفاً مما كانت عليه الامور في ايام الحكم التركي في الشرق العربي» (الياهو ايلاث، «هامافاك عال هامديناه» [النضال من أجل الدولة] تل ابيب: عام عوفيد، ١٩٨٢، المجلد ٢، ص: ٢٩).

٧٢ ـ كتب ابشتاين في العام ١٩٤٥ يقول:

ان التكاثر الطبيعي للمسيحيين في لبنان متساوٍ تقريباً،
مع التكاثر الطبيعي في اليشوف، في فلسطين... ولكن لليشوف
في مقابل ذلك، احتياطي كامن متمثل في الهجرة من الخارج يفوق
بما لا يُقاس، ما هو متوافر للمسيحيين اللبنانيين من خلال عودة المغتربين.
وكما ان اهتمام الصهيونية الاول في فلسطين، ينصب على خلق الامكانيات
لاستيعاب المهاجرين الجدد القادمين من الخارج، كذلك الامر
مع المسيحيين في لبنان الذين يواجهون اولاً وقبل كل شيء، مشكلة منع الهجرة
من البلاد، وبالتالي، مشكلة خلق الفرص لاستيعاب المغتربين الذين
يعودون... اضف الى ذلك، ان الاهتمام يتركز على خلق الفرص لاستيعاب
المسيحيين الذين يحتاجون الى ملاذ («مشاكل لبنان الديموغرافية»، ٢٧
شباط/فبراير، ١٩٤٥، CZA, S 25/4556).

٧٣ ـ من ابشتاين الى شرتوك، ٩ حزيران/يونيو، ١٩٤٢، CZA, S 25/3580 (بالعبرية). وعلى نحو مماثل دعا اده، في احاديثه مع ساسون، الى تعاون ماروني ـ صهيوني في الوقت الذي كان يؤكد فيه على ان الحديث عن خطة عملية امر سابق لاوانه (ساسون، «باديريخ»، ص: ٢١٩ ـ ٢٢٠).

٧٤ ـ ايلاث، مقابلة مع المؤلفة، ٢٩ تموز/يوليو، و١٤ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٨٦؛ موشيه شاريت، مفكرة الدائرة السياسية، ٨ تموز/يوليو، ١٩٣٦، CZA, S 25/443 (بالعبرية).

من ابشتاين الى ابا هوشي، ٢٧ تموز/يوليو، ١٩٣٩، CZA, S 25/5580 (بالعبرية)؛

Yoav Gelber, "Antecedents of the Jewish-Druze Alliance in Palestine, *Middle Eastern Studies* 28, no. 2 (April 1992): 352-373.

وزعم ايلاث بانه كان قد شرع قبل مغادرته الى الولايات المتحدة، في اجراء مباحثات حول الفكرة مع وسطاء صلاته في وسط الطوائف المارونية والكردية والارمنية والدرزية والاشورية.

٧٥ ـ ولم يكن مستغرباً ان يشدد المعرض اللبناني، بادارة قرم، على التراث الفينيقي للبلد. ولاحظ برنارد جوزف بانهم «كانوا حريصين جداً على الا يخلقوا الانطباع بانهم عرب» (مفكرة مكتب الدكتور جوزف، ٦ تشرين الثاني/نوفمبر، ١٩٣٨، CZA, S 25/1511؛ انظر ايضاً، رسالة قرم الى ابشتاين، ٧ شباط/فبراير، ١٩٣٩ CZA, S 25/5580 (بالفرنسية).

٧٦ ـ من ابشتاين الى قرم، ٢٩ آذار/مارس، ١٩٣٩، CZA, S 25/5580؛ من ابشتاين الى حاييم غرينبورغ ٥ ايار/مايو، ١٩٣٩، CZA, S 25/5580 (بالعبرية).

٧٧ ـ أعيد نشر رسالة شمعون في: "Lebanese Americans Urge Open Door to Palestine: Ask President Roosevelt to Intercede" *Palestine post*, 14 November 1938, p. 2.

٧٨ ـ من ابشتاين الى اده، ١٦ تشرين الثاني/نوفمبر، ١٩٣٨، CZA, S 25/5581 (بالفرنسية).

٧٩ ـ ساسون، «باديريخ» ص: ٢٢٠.

٨٠ ـ برنارد جوزف، ٢٨ كانون الاول/ديسمبر، ١٩٤٢، CZA, S 25/4549.

٨١ ـ «رسائل من بيروت» ٢٠ و ٢٢ حزيران/يونيو، ١٩٤٥، مجموعة ومصنّفة في تقرير وُضع في القدس، ١ تموز/يوليو، ١٩٤٥، CZA, S 25/4556 (بالعبرية).

٨٢ ـ ابشتاين و ن. غولدمان، «نشاطات المونسنيور عقل في الولايات المتحدة»، ١٧ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٤٥، ISA, 2567/2. انظر ايضاً،

"Lebanon Priest Asks Aid: Msgr. Akl Seeks Protection for Catholics in His Country", *New York Times*, 20 August, 1945;

«مجموعة مخاوف للمسيحيين في لبنان»، دافار، ١٠ آب/اغسطس، ١٩٤٥ (بالعبرية).

٨٣ ـ ابشتاين، «نشاطات لبنانية في الولايات المتحدة»، ١٥ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٤٦، CZA, S 25/7488؛ المصدر نفسه، كانون الاول/ديسمبر، ١٩٤٦، ISA, 2569/19؛ ايلاث، «هامأفاك»، المجلد ٢، ص ـ ٢٥.

٨٤ ـ ابشتاين، «نشاطات لبنانية في الولايات المتحدة»، ١٥ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٤٦، CZA, S 25/7488؛ ايلاث، «هامأفاك»، المجلد ٢، ص: ٢٥.

٨٥ ـ من أجل رواية مفصلة لاجتماع حرفوش مع ابشتاين ومكرزل، في مكتب الوكالة اليهودية في واشنطن، وللنشاطات اللبنانية في الولايات المتحدة، انظر ايلاث، «هامأفاك» المجلد ٢، ص: ٢٢ ـ ٣١؛ ابشتاين، «النشاطات اللبنانية في الولايات المتحدة»، ١٥ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٤٦، CZA, S 25/7488.

٨٦ ـ من ابشتاين وارازي الى اده، ٢٧ حزيران/يونيو، ١٩٤٦، CZA, S 25/9023.

٨٧ ـ Elath, *Zionism, at the U.N: Diary of the First Days* (Philadelphia: Jewish Publications Society, 1976) pp. 198- 200.

٨٨ ـ ابشتاين، «حديث مع السيد سلوم أ. مكرزل، رئيس الرابطة اللبنانية في الولايات المتحدة وناشر صحيفة «الهدى»، نيويورك»، ٣ شباط/فبراير، ١٩٤٧، CZA, A 263/18؛ ابشتاين، «نشاطات لبنانية في الولايات المتحدة»، ١٥ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٤٦، CZA, S 25/7488، من ابشتاين الى مايكل كلارك، ١ شباط/فبراير، ١٩٤٧، ومن ابشتاين الى الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية، ١٠ تموز/يوليو، ١٩٤٧، وكلاهما في BGA، و CZA, S 25/6319.

٨٩ ـ ارازي، «اجتماع مع شارل مالك، ممثل لبنان في واشنطن»، ٨ نيسان/ابريل، ١٩٤٥، CZA, S 25/4549. اوصى ارازي الدائرة السياسية باجراء اتصال بين مالك «وجماعتنا في واشنطن دي. سي. من دون تلكؤ، قبل ان يعمد اناس آخرون من امثال فيليب حتّي، الى ربطه بعربتهم». وحتّي المؤرخ من اصل لبناني، الذي كان آنذاك، في جامعة برينستون، كان يعمل على تعزيز شأن القضايا العربية في الاوساط الاكاديمية. وما يدعو الى الدهشة ان ارازي اتصل ايضاً، بالنقاش وثابت واده، عارضاً عليهم تعريفهم بمواطنهم شارل مالك قبل مغادرته الى واشنطن، موحياً بانهم، على ما هو واضح، لا يعرفونه.

٩٠ ـ ايلاث، «هامأفاك»، المجلد ٢، ص: ٨٩؛ الكاتب نفسه، *Zionism at the U.N*, 48-49.

٩١ ـ ابشتاين «حديث مع الدكتور شارل مالك، الممثل الديبلوماسي اللبناني في واشنطن، دي. سي.» ١٤ شباط/فبراير، ١٩٤٦، CZA, S 25/7488؛ Elath, "*Zionism at the U.N*, p.102.

٩٢ ـ «تقرير ي. هلمان عن رحلته (الثانية) الى بيروت، باسم الدائرة»، ٢٤ آذار/مارس، ١٩٤٦، BGA.

٩٣ ـ William W. Haddad, "Christian Arab Attitudes Toward the Arab - Israeli Conflict," *Muslim World* 67, no. 2 (April 1977): 134.

٩٤ ـ مفكرة جوزف ب. هاتشيسون، ٢١ آذار/مارس، ١٩٤٦، مقتطفات أعيد نشرها في Allen H. Podet, "Husni al-Barazi on Arab Nationalism in Palestine", in *Zionism and Arabism in Palestine and Israel*, ed. Eli Kedourie and Sylvia Haim (London: Cass, 1982) pp. 178-179.

٩٥ ـ جيمس غروفر ماكدونالد، «مفكرة، مقابلات في بيروت، الخميس، ٢١ آذار/مارس [١٩٤٦]»، مقتطفات في Podet, "Husni al- Barazi", pp. 180- 81. انظر ايضاً Benny Morris, "The Phalange Connection" *Jerusalem Post Magazine*, 1 July, 1983, p. 7; Bernard Joseph, *The Faithful City* (New York: Simon and Shuster, 1960), p. 120. شمعوني، محاضرة معهد شيلواح، ٧ كانون الاول/ديسمبر، ١٩٨٣؛ Yohoshua Porath, "History of a friendship", *Jerusalem Post*, 22 May 1981, p. 7; Bartley Crum, *Behind the Silken Curtain* (New York: Simon and Shuster, 1947), p. 246; Longrigg, *Syria and Lebanon*, p. 352.

٩٦ ـ جيرولد فرانك، «مقابلة مع مبارك»، بالستاين بوست، ٢١ آذار/مارس، ١٩٤٦؛ الكاتب نفسه، «اسقف بيروت يفنّد مزاعم المسلمين، بالستاين بوست، ٢١ آذار/مارس، ١٩٤٦»، CZA, S 25/9023. أعلن مبارك بان لجنة التحقيق الانجلو ـ اميركية لم تستمع الىَ الصوت الحقيقي للرأي العام اللبناني، ولو فعلت

> لكانت سمعت ذلك الصوت يعلن تأييده لاعادة البناء اليهودي في فلسطين، وتأييد الصهيونية كرمز لتقدم وأمن شعوب الشرق الاوسط كافة..
>
> ان تنمية لبنان ترتبط بتنمية فلسطين. نحن المسيحيين اللبنانيين نعرف ذلك. نحن ندرك ان الصهيونية تجلب المدنية الى فلسطين والى الشرق الاوسط برمته. وانا احبذ الصهيونية تحبيذاً شديداً، لانني اكنّ الخير لفلسطين...
>
> واقول لكم صراحة، بانكم اذا عارضتم الصهيونية في فلسطين، فهذا يعني اعادة الشعب الى سيطرة الهمجية، واعادة البلد الى حالة الفوضى والرشوة التي كانت قائمة في عهد السلاطين العثمانيين... ويمكنكم التأكد من أن الاكثرية الكبيرة لهؤلاء المسيحيين في هذا البلد ـ وهذا يعني اكثر السكان ـ ضد الرأي العربي الرجعي، المناهض للصهيونية، ومؤيدة لليهود...
>
> ونحن ندرك ان الصراع هنا، صراع بين المدنية والتقهقر، وان اليهود يمثلون المدنية... وهناك شعلة متوقدة شديدة الصفاء، في اليهود الذين يعيدون بناء فلسطين. وعلينا الا نطفئها.. لقد كنت في فلسطين قبل ثلاثين عاماً [و] كانت ارضاً قاحلة ومنسية. ولقد رأيتها منذ ذلك الوقت.

> اقول لكم: اننا نحن اللبنانيين، نحسد الحظ الحسن الذي اصاب فلسطين...
>
> لقد باع العرب المسلمون في فلسطين ودمشق وبيروت، الاراضي الى اليهود باسعار مرتفعة، والآن يريد المسلمون هنا، استعادة تلك الاراضي من خلال طرد اليهود من فلسطين.

لقد عبّر مبارك في الحقيقة، عن رأي فئة مارونية صغيرة جداً، سقطت من السلطة، وليس بالتأكيد عن رأي اكثرية المسيحيين اللبنانيين، كما اكّد باصرار. ولكن في الوقت الذي كان فيه المسيحيون لا يزالون متفوقين عددياً على المسلمين، كانت الاحتمالات الداهمة بتعادل المسلمين والمسيحيين، وبالتالي، بتحول المسلمين الى اكثرية في نهاية المطاف، هي الدافع وراء يأس مبارك. وعلى الرغم من ان المقابلة لا تخدم غرض مبارك المعلن بالتعبير عن الطبيعة الحقيقية للرأي العام اللبناني، الا انها تصوير دقيق لآراء مبارك الشخصية. انظر ايضاً، ماكدونالد، «مفكرة، مقابلات في بيروت، الخميس ٢١ آذار/مارس، [١٩٤٦]»، مقتطفات في Podet, "Husni al- Barazi" p 180; Crum, *Behind the silken curtain pp. 245- 46*

٩٧ ـ اسحق بن زفي، «مصير مسيحيي لبنان» هاعولام، ٢٥ نيسان/ابريل، ١٩٤٦ (بالعبرية).

٩٨ ـ Podet, "Husni al- Barazi" pp. 172.

٩٩ ـ من يعقوب شمعوني الى برنارد جوزف، «الحاجة لان نعمل في لبنان: حديث مع توفيق عطية، بيروت»، ٥ نيسان/ابريل، ١٩٤٦، CZA, S 25/9023 (بالعبرية).

١٠٠ ـ من جوزف الى دافيد هاكوهين، ١٢ نيسان/ابريل، ١٩٤٦، CZA, S 25/4949 (بالعبرية).

١٠١ ـ تقرير شمعوني عن اجتماعه مع هاكوهين، في رسالة شمعوني الى جوزف، ١٥ نيسان/ابريل، ١٩٤٦، CZA, S 25/4949 (بالعبرية).

١٠٢ ـ من جوزف الى عاموس لاندمان، ١٥ نيسان/ابريل، ١٩٤٦، CZA, S 25/4949 (بالعبرية).

١٠٣ ـ من يعقوب شمعوني الى برنارد جوزف، «الحاجة لان نعمل في لبنان: حديث مع توفيق عطية، بيروت» ٥ نيسان/ابريل، ١٩٤٦، CZA, S 25/9023 (بالعبرية).

١٠٤ ـ مباحثات مع عواد كما نقلها أ. لاتيس الى برنارد جوزف، ١٩ نيسان/ابريل ١٩٤٦، CZA, S 25/9023 (بالعبرية).

١٠٥ ـ عندما تمكن احد عملاء الوكالة اليهودية، في النهاية، من الاجتماع بالجميّل، بعد مرور سنة، اعترف قائد الكتائب بوجود مصالح مشتركة مارونية ـ صهيونية معينة، ولكنه احجم عن اقتراح اي مشاريع تعاونية ملموسة. انظر

Avner Yaniv, *Dilemmas of Security: Politics, Strategy and the Israeli Experience in Lebanon* (Oxford: Oxford University Press, 1987), pp. 29-30.

١٠٦ـ مباحثات مع عواد، رفع أ. لاتيس تقريراً بشأنها الى برنارد جوزف، ١٩ نيسان/ابريل، ١٩٤٦، CZA, S25/9023 (بالعبرية).

١٠٧ـ المصدر نفسه. كان أ. لاتيس شاهداً على حديث جرى بين عواد وساسون، ورفع تقريراً حول مضامينه الى برنارد جوزف.

١٠٨ـ من عريضة الى وايزمان، ٢٤ ايار/مايو، ١٩٤٦، BGA (بالفرنسية)؛ شمعوني، محاضرة، معهد شيلواح، ٧ كانون الاول/ديسمبر، ١٩٨٣؛ شمعوني، مقابلة مع المؤلفة، ٤ آذار/ مارس ١٩٨٧

١٠٩ـ المعاهدة، ٣٠ ايار/مايو، ١٩٤٦، CZA, S25/3269 ، و BGA (بالفرنسية).

١١٠ـ شمعوني، محاضرة، معهد شيلواح، ٧ كانون الاول/ديسمبر، ١٩٨٣.

١١١ـ من عواد الى جوزف، ومن جوزف الى عواد، ٣٠ ايار/مايو، ١٩٤٦، BGA (بالفرنسية)؛ المعاهدة، ٣٠ ايار/مايو، ١٩٤٦، CZA, S25/3269 ، BGA (بالفرنسية). انظر ايضاً:

Bernard, Joseph, *Faithful City* p. 210;

Rabinovich, *War for Lebanon*,.1970-1983, p. 104;

شمعوني، محاضرة، معهد شيلواح، ٧ كانون الاول/ديسمبر، ١٩٨٣. ان تلك الحفنة من الناس التي كانت على علم بوجود المعاهدة، حافظت على سرّيتها طوال ١٤ عاماً، والى ان ذكرها جوزف في كتابه. وحتى عندما فعل ذلك، امتنع الأرشيف الصهيوني المركزي عن رفع صفة السرية عن المعاهدة بعد مرور فترة الثلاثين عاماً التي يصبح مسموحاً بعدها، رفع هذه الصفة عن الوثائق السرية. ولقد فُتح الملف امام المؤلفة، في النهاية، في العام ١٩٩١. وكان يُسمح للعلماء، في هذه الاثناء، بذكر وجود المعاهدة، ولكن كان محظوراً عليهم كشف نصوصها. انظر

Porath, “History of Friendship”, p.7; Morris, “Phalange Connection”, p.7; Rubin, *Arab States*, p. 139.

١١٢ـ من جوزف الى توفيق عواد، من وديعة الى [جوزف]، ١٨ آذار/مارس ١٩٤٧: «تحية واكبار عندما كنت بطرفكم طلبت اعطاء سلفة الى الوالدة تكفيها عن عدة شهور حتى لا نحتاج الى الحضور في كل وقت فابيتم وطلبتم الانتظار حتى حضور شقيقكم الاكبر وها ان الموعد ازف للحضور وربما كان في اواخر هذا الشهر او في اوائل الشهر القادم فارجو ان تكونوا هيئتم كل ما طلبته وان يدفع لنا السلفة الكافية ولنضيف مصاريفها الى الوالدة يكون اعم فائدة من الذهاب والاياب في امور لا يطيق فيها

الانسان الانتقال وان لم يحضر الاخ الاكبر ارجو البحث منذ الآن مع الاشخاص الاكبر سناً وقدراً لتهيئة ما تريد عمله حتى اذا حضرت انهيت امري في ظرف يوم واحد لانني كما اسلفت لا اريد البقاء واود العودة لاكون على مقربة من الوالدة.

هذا وفهمكم كفاية وتفضل عظيم الاحترام». ومن جوزف الى [وديعة]، ٢١ آذار/ مارس ١٩٤٧، وجميعها في CZA, S25/7488 (بالعربية).

١١٣ـ من لاتيس الى جوزف، ١٩ نيسان/ابريل ١٩٤٦، CZA, S25 /9023 (بالعبرية).

١١٤ـ من الياهو ساسون الى موشيه شرتوك، ١٣ آذار/مارس، ١٩٤٧، CZA, S25/3960 .

١١٥ـ الياهو ايلاث، مقابلة مع المؤلفة، ١٤ تشرين الاول/ اكتوبر، ١٩٨٦، القدس.

١١٦ـ من دافيد بن ـ غوريون الى انطوان بيار عريضة، ٣ حزيران/يونيو، ١٩٤٧، CZA, S25/3888 (بالفرنسية). في هذه الرسالة، يشكر بن ـ غوريون عريضة على رسالته بتاريخ ٣٠ ايار/مايو، ١٩٤٧، ولكن لم يُعثر عليها.

١١٧ـ «رسالة من أ. لوتسكي من لبنان»، ١٢ تموز/يوليو، ١٩٤٧ CZA, S25/4054 (بالعبرية).

١١٨ـ رسالة عريضة الى مكرزل:

«البركة الرسولية تشمل حضرة ولدنا العزيز السيد سلوم مكرزل صاحب جريدة الهدى المحترم، نبدي اننا قد راينا من مصلحة طائفتنا المارونية أن تتألف لجنة من ذوات الطائفة في المهجر للدفاع عن مصالحها لدى السلطات الزمنية والروحية والمحافظة على استقلال لبنان ونفوذ المسيحيين فيه. فنكلفكم بتأليف هذه اللجنة ومتى تم تأليفها نرغب اليكم ان تخبرونا عن الاشخاص اصحاب الكفاءة الذين يصير انتدابهم لهذا المشروع نصدّق عليه. وبانتظار جوابكم وموافقتكم على هذا المشروع نسأل الله ان يباركم ويحسن توفيقكم عن المقر البطريركي الديمان في ٩ تموز/يوليو، ١٩٤٧، صح ان اصدقاءنا جماعة اليهود مستعدون لتأييد هذا المشروع ماديا وادبيا فخابروا الوكالة اليهودية في واشنطن مديرها المستر الياهو ابشتين CZA, S25/4029 [بالعربية]]».

١١٩ـ كان لوتسكي قلقاً «من عواد في دوره كسكرتير خاص للبطريرك العجوز.. في كنيسة فيها الكثير من الفساد (يقولون بانه يمكن شراء الاساقفة بثمن بخس)، لانه يمكن ان يتسبب بالكثير من الضرر». وابلغ لوتسكي بان عواد حاول اقناع عريضة بحذف الجزء الذي يتناول الوكالة اليهودية من

رسالته الى مكرزل، ومنع لوتسكي من العودة الى البطريرك لاثارة مسألة المقاطعة وهو على وشك المغادرة. واكتشف لوتسكي وهو يدقق في رسالة عريضة عن المقاطعة، بان عواد شذ عن املاء البطريرك الشفهي، وجابهه علناً، امام البطريرك، واجبر عريضة على الايعاز باعادة طباعة الرسالة. وقد حاول عواد منع البطريرك من توقيع الرسالة وتسليم لوتسكي نسخاً عن الرسالتين، لكن لوتسكي اقنع عريضة مرة اخرى، بتجاهل نصيحة سكرتيره. وشدد لوتسكي بانه وعواد حافظا طوال شجارهما، على مسلكهما الودي، على الرغم من انه لحظ بشيء من الرضى، بانه «[في نهاية فترة بعد الظهر] نقلته بسيارتي، الى احدى القرى، ويبدو لي انني كنت اقود السيارة بطريقة لن ينساها ابداً!» («رسالة من أ. لوتسكي من لبنان»، ١٢ تموز/يوليو، ١٩٤٧، CZA, S25/4054 [بالعبرية]).

من اجل رسالة عريضة حول المقاطعة المناهضة للصهيونية، انظر الرسالة من عريضة الى الشيخ ندره عيسى الخوري (نائب جبل لبنان)، ٩ تموز/يوليو، ١٩٤٧، CZA, S25/4029 (بالعربية).

١٢٠- Jorge Garcia Granados, *The Birth of Israel: The Drama As I Saw It* (New York: Knopf, 1948), pp. 198-99, 201-8.

١٢١- Granados, *Birth of Israel*, p.220; Aharon H. Cohen, *Israel and the Arab World* (New York: Funk and Wagnalls, 1970), P.377.

هناك اعتراف على نطاق واسع بان الانتخابات اللبنانية في ٢٥ ايار/مايو ١٩٤٧، تلطخت بالفساد والعنف. انظر Salibi, *Modern History*, p. 193; David Gilmour, *Lebanon: The Fractured Country* (New York: St. Martin's, 1984), p. 49; Michael Hudson, The Precarious Republic Political Modernization in Lebanon (New York: Random House, 1968), pp. 252-53 يقول هدسون بان «انتخابات ٢٥ ايار/مايو ١٩٤٧...تتفوق على غيرها من الانتخابات التي جرت قبلها او بعدها، كنموذج للفساد الحاذق».

١٢٢- «رسالة من أ. لوتسكي من لبنان»، ٢٩ تموز/يوليو ١٩٤٧، CZA, S25/4054 (بالعبرية).

١٢٣- المصدر نفسه.

١٢٤- لوتسكي، «رحلة في لبنان، ٢ تموز/يوليو ١٩٤٧ - ٢ آب/اغسطس، ١٩٤٧»؛ ٤آب/اغسطس، ١٩٤٧، CZA,S25/3960 (بالعبرية). رفع لوتسكي تقريراً يبلغ فيه بان اده اعرب مع ذلك، عن اهتمامه بالدعم المالي الصهيوني من أجل محاولة إعادة انتخابه في الانتخابات اللبنانية التالية.

١٢٥- Granados, *Birth of Israel*, p. 201; «رسالة من لوتسكي من لبنان»، ٢٩ تموز/يوليو ١٩٤٧، CZA,S25/4054 (بالعبرية).

١٢٦- لوتسكي، «رحلة في لبنان، ٢ تموز/ يوليو ١٩٤٧ - ٢ آب/اغسطس ١٩٤٧»، ٤ آب/اغسطس

١٩٤٧، CZA,S25/3960 (بالعبرية). و «رسالة من أ. لوتسكي من لبنان»، ٢٩ تموز/يوليو ١٩٤٧، CZA,S25/4054 (بالعبرية). انظر ايضاً، ساسون، «باديريخ»، ص: ٣٩٣. زعم لوتسكي بانه كانت له يد في ترتيب اجتماعات اده وعريضة مع لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين. وبحسب تقاريره، لم يُعقد قط، الاجتماع الثالث الذي كان مقرراً بين هذه اللجنة وبين الكتائب (فقد رفضت الكتائب ورفضت كتلة اده الوطنية مخاطبة اللجنة تحت سقف واحد). ويلاحظ لوتسكي بان المعارضة الوطنية كانت غير منظمة، وان المجموعات التي اجتمعت مع هذه اللجنة كانت تلك التي تقيم أوثق الصلات مع الصهيونيين. وقد أشار عليهم بضرورة ان يكونوا اكثر عدوانية، وان يظهروا مبادرة أكبر، وان يوثّقوا علاقاتهم باليهود اذا كانوا يتوقعون استمرار المساعدة الصهيونية.

١٢٧- Matti Moosa, *The Maronites in History* (Syracuse: Syracuse University Press,1986), p. 292.

القول الذي يشير اليه هو لأنيس صايغ، في «لبنان الطائفي»، بيروت: دار السيرة الفكري، ١٩٥٥، والذي اقتبسه ميشال غريّب في «الطائفية والاقطاعية في لبنان»، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٦٤، ص: ٧٨ (بالعربية).

١٢٨- من الياهو ابشتاين الى الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية، ١٠ تموز/يوليو ١٩٤٧، BGA, وCZA, S25/6319.

١٢٩- من مبارك الى القاضي ساندستروم (رئيس لجنة التحقيق التابعة للجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين)، ٥ آب/ اغسطس ١٩٤٧، CZA, S25/5436 (بالفرنسية).

١٣٠- لوتسكي، «قضية مبارك، بحسب الصحافة والمعلومات الداخلية»، ٧ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٤٧، ISA, 2567/12 (بالعبرية). نُشرت رسالة مبارك في صحيفة «الديار» بترجمتها العربية، ثم باصلها الفرنسي في ٢٧ و٢٨ ايلول/سبتمبر، ١٩٤٧. وحذت حذو الصحيفة معظم صحف بيروت الاخرى.

١٣١- من ميخائيل ساسون الى المؤلفة، ٢٣ حزيران/يونيو، ١٩٨٧؛ لوتسكي، «قضية مبارك، بحسب الصحافة والمعلومات الداخلية»، ٧ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٤٧، ISA, 2567/12 (بالعبرية).

١٣٢- أ. غرينبلات، «مغبة نشر مذكرة الاسقف أ. مبارك الى لجنة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين، في اليومية البيروتية، «الديار» ٢٧ ايلول/سبتمبر، ١٩٤٧»، ١٦ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٤٧، SC, Vol. 7.5 لوتسكي، «قضية مبارك، بحسب الصحافة والمعلومات الداخلية»، ٧ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٤٧، ISA, 2567/12 (بالعبرية). Haddad, "Christian Arab Attitudes", pp. 129- 130.

يورد حداد جزءاً من القرار: «اننا نتنصّل بشدة من مذكرة مبارك... لا يحق للاسقف مبارك ان يتكلم باسم الطائفة المارونية... خصوصاً في المسائل السياسية... [ان موقف اللبنانيين المسيحيين وموقف كل لبنان، هو] رفض تقسيم فلسطين». وفي البرلمان، شارك الممثل الماروني لحزب، اده، الكتلة الوطنية، في ادانة مبارك.

١٣٣ـ منْ ميخائيل ساسون الى المؤلفة، ٢٣ حزيران/يونيو، ١٩٨٧.

١٣٤ـ أ. غرينبلات، «من تبعات نشر مذكرة الاسقف أ. مبارك الى لجنة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين، في صحيفة «الديار» البيروتية، في ٢٧ ايلول، ١٩٤٧»، ١٦ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٤٧، SC, Vol. 7.5؛ لوتسكي، «قضية مبارك، بحسب الصحافة والمعلومات الداخلية»، ٧ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٤٧، ISA, 2567/12 (بالعبرية).

١٣٥ـ أ. غرينبلات، «تناول الصحافة العربية الاميركية للصهيونية والشؤون اللبنانية» و«تناول البطريرك الماروني للصهيونية والشؤون اللبنانية»، ١٠ تشرين الثاني/نوفمبر، ١٩٤٧، SC, Vol. 7.5. يناقش غرينبلات معالجة موضوع مقابلة صحيفة «الحياة» مع البطريرك، في عدد صحيفة «الهدى» الصادر في ٢١ تشرين الاول/اكتوبر، ويترجم جزءاً كبيراً من المقابلة المنشورة في عدد صحيفة «الحياة» الصادر في ٨ تشرين الاول/اكتوبر. اللافت للاهتمام بصفة خاصة، قول عريضة المزعوم، وفي ضوء معاهدته للتعاون المشترك مع الوكالة اليهودية، بان اليهود في فلسطين، بما لديهم من نفوذ سياسي وموارد مادية، لا يحتاجون الى دعم اي فرد او جماعة لبنانية.

١٣٦ـ لوتسكي، «قضية مبارك، بحسب الصحافة والمعلومات الداخلية»، ٧ تشرين الاول/اكتوبر، ١٩٤٧، 2567/12 (بالعبرية).

١٣٧ـ Haddad, "Christian Arab Attitudes", p. 130; Cohen, *Israel and the Arab World*, p. 377;

قارن مع شمعوني في مقابلته مع المؤلفة، ٤ آذار/مارس، ١٩٨٧.

١٣٨ـ اعلان منشور، «من المطران مبارك الى الشعب اللبناني الكريم»، ٢٤ آب/اغسطس، ١٩٤٧، ISA, 2569/19 (بالعربية)؛ لوتسكي، «رحلة في لبنان، ٢ تموز، ١٩٤٧ ـ ٢ آب، ١٩٤٧»، ٤ آب، ١٩٤٧، CZA, S 25/3960 (بالعبرية)؛ من الياهو ابشتاين الى الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية، ١٠ تموز/يوليو، ١٩٤٧، BGA، و CZA, S 25/6319.

١٣٩ـ Rabinovich, *War for Lebanon*, p. 104;

شمعوني، محاضرة، معهد شيلواح، ٧ كانون الاول/ديسمبر، ١٩٨٣؛ مقابلة مع المؤلفة، ٤ آذار/مارس، ١٩٨٧.

١٤٠ـ Haddad, "Christian Arab Attitudes", p. 128.

١٤١ـ كانت فرنسا ممزقة في خيارها بين الأمن الذي يمكن ان تقدمه الدولة اليهودية للمصالح المسيحية في لبنان، وبين الخوف من استعداء هؤلاء المسلمين الذين يعيشون تحت السيطرة الفرنسية في شمال افريقيا. ويعزو ساشار قرار فرنسا بالتصويت لصالح التقسيم، الى مكالمة هاتفية اجراها وايزمان مع رئيس الوزراء السابق ليون بلوم. انظر

Howard M. Sachar, *A History of Israel* (New York and Oxford: Knopf and Oxford University Press, 1981- 87), Vol. 1, p. 294.

انظر ايضاً

Cohen, *Israel and the Arab World*, P. 390

من م. فيشر الى م. شرتوك، ٩ شباط/فبراير، ١٩٤٨، وملاحظات الاجتماع الذي عقد بين هـ. بيرمان ور. نوفيل ٢٤ نيسان/ابريل، ١٩٤٨، في «تعودوت لمدينيوت هاحوتز شل مدينات يسرائيل» [الوثائق السياسية والديبلوماسية، كانون الاول/ديسمبر، ١٩٤٧ ـ ايار/مايو، ١٩٤٨]، اعداد غداليا يوغيف، (القدس: الارشيف الصهيوني المركزي، ١٩٧٩)، المجلد ١، ص: ٣٢٢ـ٣٢٣.

١٤٢ـ جدعون رافائيل، محاضرة، معهد شيلواح، جامعة تل ابيب، ٢١ كانون الاول/ديسمبر، ١٩٨٣؛ Hudson, *Precarious Republic*, p. 325.

١٤٣ـ من وايزمان الى مبارك، ٥ كانون الاول/ ديسمبر، ١٩٤٧، في LCW, Vol. 23, letter 87.

١٤٤ـ ايلاث، «شيفات تسيون فعراف»، ص: ٣١٤.

١٤٥ـ بالنسبة الى العداء الذي كان مستحكماً بين عريضة والخوري، انظر الرسالة من الجنرال بينيه الى وزير الخارجية، ١ كانون الاول/ديسمبر، ١٩٤٤، AD, MAN/ 755 (بالفرنسية).

١٤٦ـ يبدي شمعوني ملاحظة حول الحقيقة الغريبة بان الوكالة لم تكن لها في هذه الفترة المتأخرة اتصالات كثيرة بمبارك، اكثر مؤيديها اخلاصاً وصراحة. وهو يقول بان الوكالة، في ضوء موقف مبارك المؤيد بصدق، للصهيونية، لم تكن بحاجة لا الى تشجيعه ولا الى اصدار التوجيهات له، ولا الى تنسيق نشاطاتها معه. اما في ما يتعلق باستبعاد مبارك من المعاهدة، فمن المحتمل ان يكون عريضة قد تعمد تجنب توريط الاسقف لانه لم يكن يستطيع ان يضمن التزامه بطلب البطريرك المتشدد، باعتماد السرية. شمعوني، محاضرة، معهد شيلواح، ٧ كانون الاول/ديسمبر، ١٩٨٣، مقابلة مع المؤلفة، ٤ آذار/مارس، ١٩٨٧.

الفصل السادس

١- يعقوب شمعوني، مقابلة مع المؤلفة، ٤ آذار/مارس ١٩٨٧، القدس؛ يهوشواع بورات، مقابلة مع المؤلفة، ١٠ آذار/مارس ١٩٨٧، القدس؛ يهوشواع بالمون، مقابلة مع المؤلفة، ٢٦ آذار/مارس ١٩٨٧، كفار شمارياهو، اسرائيل؛ يعقوب شاريت، مقابلة مع المؤلفة، ١ نيسان/ابريل ١٩٨٧، تل ابيب. انظر ايضاً، على سبيل المثال، موشيه شاريت، «يومان مديني»، ٢٢ تموز/يوليو ١٩٣٦، المجلد ١، ص:٢١٧. يلحظ شاريت بانه اثناء اجتماعه بابشتاين، جعله «يتخطى محادثته مع عريضة، لانني أردت ان اسمع عن الأحداث في دمشق».

٢- شمعوني، مقابلة مع المؤلفة، ٤ آذار/مارس ١٩٨٧. توجد نسخة كاملة عن المعاهدة بين الأوراق الخاصة لـ بن - غوريون، وفي الأرشيف الصهيوني المركزي ايضاً. انظر «المعاهدة»، ٣٠ ايار/مايو ١٩٤٦. BGA وCZA S25/3269 (بالفرنسية).

٣- Itamar Rabinovich, *The Road Not Taken: Early Arab-Israeli Negotiations* (New York: Oxford University Press,1991), pp. 42-43.

٤- Yoav Gelber, "Antecedents of the Jewish-Druze Alliance in Palestine", Middle Eastern Studies 28, no.2 (April 1992): 370.

٥- Ian Black, "Zionism and the Arabs, 1936-1939", Ph.D. diss., University of London,1979, pp.415-416.

٦- Glenn E. Perry, "Israeli Involvement in Inter- Arab Politics", *International Journal of Islamic and Arabic Studies* 1, no.1 (1984): 24-25.

٧ - جدعون رافائيل، محاضرة في معهد شيلواح، جامعة تل ابيب، ٢١ كانون الاول/ديسمبر، ١٩٨٣؛ دافيد بن - غوريون، «زكرونوت»، (مذكرات)، تل ابيب: عام عوفيد، ١٩٧٤، ٢٧ تموز/يوليو ١٩٣٧، المجلد ٤، ص:٣٣١.

٨ - بن - غوريون، «زكرونوت»، ٢٧ و٢٩ تموز/يوليو ١٩٣٧، المجلد ٤، ص: ٣٣١ و٣٦٧؛ المؤلف نفسه، «يومان هاملحاماه» (يوميات الحرب)، تل ابيب: وزارة الدفاع، ١٩٨٢، ٢٤ ايار/مايو و١٨ حزيران/يونيو، ١٩٤٨، المجلد٢، ص:٤٥٤ و٥٢٣، و١٩ كانون الاول/ديسمبر ١٩٤٨، المجلد٣، ص:٨٨٧.

٩- William W. Haddad, "Christian Arab Attitudes Toward the Arab-Israeli conflict", *Muslim World* 67, no.2, (April,1977): 130.

١٠- «محادثة مع حميد فرنجية»، ١٥ كانون الاول/ديسمبر ١٩٤٩، ISA, 2531/12 (بالعبرية).

١١- Black, "Zionism and the Arabs", p. 418.

١٢- Kenneth Stein, *The Land Question in Palestine, 1917-1939* (Chapel Hill: University of North Carolina Press, 1948), P. XVI.

١٣- الياهو ايلات، مقابلة مع المؤلفة، ٢٩ تموز/يوليو ١٩٨٦، القدس.

١٤- انظر على سبيل المثال، الرسالة من اسحق بن زفي الى الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية، ٢٣ آب/اغسطس ١٩٣٨، CZA, S25/3500 (بالعبرية).

١٥- Itamar Rabinovich, *The War for in Lebanon*, 1970-1983 (Ithaca: Cornell University Press, 1984), p. 165.

١٦- «محادثة مع حميد فرنجية»، ١٥ كانون الاول/ديسمبر ١٩٤٩، ISA, 2531/12 (بالعبرية).

١٧- Walid Khalidi, *Conflict and Violence in Lebanon* (Cambridge: Center for International Affairs, Harvard University, 1979), p. 147.

١٨- ايلات، مقابلة مع المؤلفة، ٢٩ تموز/يوليو ١٩٨٦.

١٩- Black, "Zionism and the Arabs", p. 311.

٢٠- من ساسون الى شمعوني، ٢٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٨، ISA, 3749/1 (بالعبرية).

٢١- من رافائيل الى ولتر ايتان، ٢٨ كانون الاول/ديسمبر، ١٩٥٠، ISA, 2408/16 (بالعبرية).

٢٢- يعقوب شمعوني، «محادثة مع اميل اده، ٣ تموز/يوليو، ١٩٤٨»، ١٣ تموز/يوليو ١٩٤٨، ISA, 2565/12 (بالعبرية)؛ من دائرة الشرق الاوسط الى وزارة الخارجية، «الاضطراب الطائفي في لبنان»، ٢٦ آب/اغسطس ١٩٤٨، ISA, 2565/12 (بالعبرية)؛ «اجتماع مع مبعوث للاسقف مبارك»، ٢٨ شباط/فبراير ١٩٤٩، ISA, 2563/23 (بالعبرية). شمعوني، مقابلة مع المؤلفة، ٤ آذار/مارس ١٩٨٧؛ شمعوني، محاضرة، معهد شيلواح، ٧ كانون الاول/ديسمبر، ١٩٨٣؛ [ليفي _ بروهل؟]، «مساعدة اسرائيلية لتنظيم انقلاب في لبنان»، بدون تاريخ، ISA, 163/5/A (بالفرنسية). من أجل معلومات عن علاقات مبارك - الطويلة مع اسرائيل، ١٩٤٨ - ١٩٥١، انظر مراسلات متعددة في ISA, 163/5, 2563/3, 2563/23 (بالانجليزية والفرنسية والعبرية). بالنسبة الى عروض الكتائب لاسرائيل، انظر دافيد بن - غوريون، «من هايومان» (من يوميات بن - غوريون - حرب الاستقلال)، اعداد ج. ريفلين وأ. اورين، تل ابيب: وزارة الدفاع، ١٩٨٦، ٥ حزيران/يونيو، ١٩٤٩، ص: ٤٤٤؛ و Benny Morris, "Israel and the Lebanese Phalange: The Birth of a Relationship, 1948-51", *Studies in Zionism* 5, no.1 (Spring 1984): 125-44.

٢٣- Rabinovich, *War for Lebanon*, p. 105.

المراجع

المصادر الارشيفية

اسرائيل

ارشيف بن ـ غوريون (BGA)، سيدي بوكر، اسرائيل.

الارشيف الصهيوني المركزي (CZA)، القدس، اسرائيل.

مجموعة السجلات:

JAE ـ محاضر اجتماعات الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية.

S2 دائرة التربية، الوكالة اليهودية.

S20 دائرة يهود الشرق الأوسط، الوكالة اليهودية.

S25 الدائرة السياسية، اللجنة التنفيذية الصهيونية لفلسطين/ الوكالة اليهودية.

Z2 المكتب الصهيوني المركزي (١٩٠٥ ـ ١٩١١).

Z4 المنظمة الصهيونية/ الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية، لندن (١٩١٧ ـ ١٩٥٥).

ارشيف الهاغاناه (HA)، تل أبيب، اسرائيل.

ارشيف دولة اسرائيل (ISA)، القدس، اسرائيل.

مجموعة السجلات:

أوراق وزارة الخارجية الاسرائيلية.

وزارة شؤون الأقليات.

مكتب رئيس الحكومة.

ارشيف وايزمان (WA)، رحوفوت، اسرائيل.

ارشيف التربية اليهودية في اسرائيل (ED)، جامعة تل أبيب، رامات افيف، اسرائيل.

فرنسا

الأرشيف الديبلوماسي لوزارة الخارجية (AE)، باريس، فرنسا.

Série E- Levant 1918 -- 29 (LE 18 -- 29)

Série E- Levant 1918 --40 (LE 18 -- 40)

Sous- série Syrie - Liban

Sous- série Palestine (PAL)

Série Société des Nations (SDN)

Sous- série Mandats

مركز ارشيف نانت الديبلوماسي (AD)، وزارة الخارجية، نانت، فرنسا.

série Mandat Syrie - Liban (MAN)

Fonds "Beyrouth"

ارشيف المفوضية السامية الفرنسية في سوريا وفي لبنان.

مجموعات الوثائق المنشورة

يوغيف، غداليا، «تعودوت لمدينات هاحوتس شل مدينات يسرائيل» (الوثائق

السياسية والديبلوماسية، كانون الأول/ ديسمبر، ١٩٤٧ - ايار/مايو ١٩٤٨). القدس: الارشيف الصهيوني المركزي ١٩٧٩.

المقابلات

اهارون عمير، القدس، ٣٠ آذار/ مارس، ١٩٨٧.

يونا بن - عيزر، كيبوتس حانيتا، اسرائيل، ٩ نيسان/ ابريل، ١٩٨٧.

ايتامار بن - براك، كيبوتس حانيتا، اسرائيل، ٩ نيسان/ابريل ١٩٨٧.

غملائيل كوهين، تل ابيب، اسرائيل، ٧ ايار/ مايو ١٩٩٣.

شولا كوهين - كيشك، القدس، ٢٠ ايار/ مايو ١٩٨٦.

ابا ايبان، بيتسبرغ، بنسلفانيا، ٢٤ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٩٣.

الياهو ايلات، القدس، ٢٩ تموز/ يوليو، و١٤ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٨٦.

ميري الياف - فيلدون، مراسلة مع المؤلفة، ٢٣ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٩.

ولتر ايتان، القدس، ٦ آذار/ مارس ١٩٨٧.

شالوم فين، المطلة، اسرائيل، ٢٨ نيسان/ ابريل ١٩٨٧.

يوسي غولدبرغ، المطلة، اسرائيل، ٢٨ نيسان/ابريل ١٩٨٧.

ناحوم هورفيتس، كيبوتس كفار جلعادي، اسرائيل، ٢٧ نيسان/ ابريل ١٩٨٧.

احاييم كرول، كيبوتس كفار جلعادي، اسرائيل، ٢٧ نيسان/ ابريل ١٩٨٧.

حاييم ليفكوف، حولون، اسرائيل، ١١ ايار/ مايو ١٩٨٧.

الحنان اورين، رامات غان، اسرائيل ٤ آذار/ مارس ١٩٨٧.

يهوشواع بالمون، كفار شمار ياهو، اسرائيل، ٢٦ آذار/ مارس ١٩٨٧.

يهوشواع بورات، القدس، ١٠ آذار/ مارس، ١٩٨٧، ومراسلة مع المؤلفة، ٢٤ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٨٩.

دينا رودالينسكي، المطلة، اسرائيل، ٢٨ نيسان/ ابريل ١٩٨٧.

كمال صليبي، بورتلاند، اوريغون ٣١ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٩٢.

دافيد ساندلر، المطلة، اسرائيل، ٢٨ نيسان/ ابريل ١٩٨٧.

ميخائيل ساسون، مراسلة مع المؤلفة، ٢٤ نيسان/ ابريل، و٢٣ حزيران/ يونيو ١٩٨٧.

اربيه شاليف، تل ابيب، ٣١ آذار/ مارس ١٩٨٧.

امنون شاموش، كيبوتس ماعيان باروخ، اسرائيل، ٢٩ نيسان/ ابريل ١٩٨٧.

يعقوب شاريت، تل ابيب، ١ نيسان/ ابريل ١٩٨٧.

يعقوب شمعوني، القدس، ٤ آذار/ مارس ١٩٨٧.

يوسي فوغل، كيبوتس عين غيف، اسرائيل، ٢٦ نيسان/ ابريل ١٩٨٧.

امنون يوناي، نتانيا، اسرائيل، ١٢ ايار/ مايو ١٩٨٧.

الصحف

العبرية

دافار
هآرتس
هابوكر
هاماشكيف
عال همشمار
هاعولام
هاتسوفيه

الانجليزية

هيرالد تريبيون
جيروزاليم بوست
نيويورك تايمز
نيويورك تريبيون
بالستاين بوست
واشنطن بوست

العربية

الديار
الهدى
النهار

———. *Zionism at the U.N.: A Diary of the First Days.* Trans. Michael Ben-Yitzhak. Philadelphia: Jewish Publication Society, 1976.
Elon, Amos. *The Israelis: Founders and Sons.* New York: Bantam Books, 1972.
Encyclopaedia Judaica Yearbook, 1975–1976. Jerusalem: Keter, 1976.
Esman, Milton J., and Itamar Rabinovich, eds. *Ethnicity, Pluralism, and the State in the Middle East.* Ithaca: Cornell University Press, 1988.
Ettinger, Shmuel, ed. *Hatziyonut Vehashealah Ha'aravit* [Zionism and the Arab question]. Jerusalem: Zalman Shazar Center, 1979.
Evron, Yair. *War and Intervention in Lebanon.* London: Croom Helm, 1987.
Gaunson, A. B. *The Anglo-French Clash in Lebanon and Syria, 1940–1945.* London: Macmillan, 1987.
Gilmour, David. *Lebanon: The Fractured Country.* New York: St. Martin's, 1984.
Golan, Aviezer, and Danny Pinkas. *Shem Tzofen: Hapeninah* [Code name: The Pearl]. Tel Aviv: Zmora/Bitan, 1980. English translation: *Shula: Code Name The Pearl.* New York: Delacorte, 1980.
Gordon, David C. *The Republic of Lebanon: Nation in Jeopardy.* Boulder: Westview, 1983.
Granados, J. Garcia. *The Birth of Israel: The Drama as I Saw It.* New York: Knopf, 1948.
Haddad, Heskel M. *Jews of Arab and Islamic Countries.* New York: Shengold, 1984.
Haim, Sylvia, ed. *Arab Nationalism.* Berkeley: University of California Press, 1962.
Hof, Frederic C. *Galilee Divided: The Israel-Lebanon Frontier, 1916–1984.* Boulder: Westview, 1985.
Hourani, Albert. *Arabic Thought in the Liberal Age, 1798–1939.* London: Oxford University Press, 1962.
———. *Minorities in the Arab World.* London: Oxford University Press, 1947.
———. *Syria and Lebanon: A Political Essay.* London: Oxford University Press, 1946.
Hudson, Michael. *The Precarious Republic: Political Modernization in Lebanon.* New York: Random House, 1968.
Hurewitz, J. C. *The Struggle for Palestine.* New York: W. W. Norton, 1950.
Joseph, Bernard. *The Faithful City.* New York: Simon & Schuster, 1960.
Kaufmann, Yehezkel. *The Biblical Account of the Conquest of Canaan.* Jerusalem: Magnes and The Hebrew University of Jerusalem, 1953.
Kedourie, Elie. *The Chatham House Version and Other Middle-Eastern Studies.* Hanover: University Press of New England, 1984.
Kedourie, Elie, and Sylvia Haim, eds. *Zionism and Arabism in Palestine and Israel.* London: Cass, 1982.
Khalidi, Walid. *Conflict and Violence in Lebanon.* Cambridge: Center for International Studies, Harvard University, 1979.
Kimche, Jon. *There Could Have Been Peace.* New York: Dial, 1973.
Kisch, Frederick H. *Palestine Diary.* London: V. Gollancz, 1938.
Klieman, Aaron S. *Israel and the World after Forty Years.* Washington: Pergamon-Brassey's and International Defense, 1990.
Kurzman, Dan. *Genesis 1948.* Cleveland: New American Library, 1970.
Laqueur, Walter. *A History of Zionism.* New York: Schocken Books, 1976.
Lissak, Moshe, and Daniel Horowitz. *The Origins of the Israeli Polity: Palestine Under the Mandate.* Chicago: University of Chicago Press, 1978.
Litvinoff, Barnet, ed. *The Essential Chaim Weizmann.* New York: Holmes & Meier, 1982.
Longrigg, Stephen. *Syria and Lebanon Under French Mandate.* London: Oxford University Press, 1958.
McLaurin, R. D., ed. *The Political Role of Minority Groups in the Middle East.* New York: Praeger, 1979.

Ha'olam
Hatzofeh

English

Herald Tribune
Jerusalem Post
New York Times
New York Tribune
Palestine Post
Washington Post

Arabic

al-Diyar
al-Hoda
al-Nahar

BOOKS

Abraham, Antoine J. *Lebanon at Mid-Century: Maronite-Druze Relations in Lebanon 1840–1869* Lanham: University Press of America, 1981.
Ajami, Fouad. *The Arab Predicament.* Cambridge: Cambridge University Press, 1981.
Allon, Yigal. *Masakh Shel Chol* [A curtain of sand]. Tel Aviv: Hakibbutz Hameuchad, 1959.
Almog, Samuel. *Zionism and the Arabs.* Jerusalem: Zalman Shazar Center, 1983.
Amir, Aharon, ed. *Levanon: Eretz, Am, Milchamah* [Lebanon: Land, people, war]. Tel Aviv: Hadar, 1979.
Antonius, George. *The Arab Awakening.* Philadelphia: Lippincott, 1939.
Arlosoroff, Chaim. *Yoman Yerushalayim* [Jerusalem diary]. Tel Aviv: Mifleget Poale Eretz Yisrael, 1941.
Bar Zohar, Michael. *Ben-Gurion: The Armed Prophet.* Englewood Cliffs: Prentice Hall, 1968.
Ben-Gurion, David. *Min Hayoman* [From Ben-Gurion's diary—the war of independence]. G. Rivlin and E. Oren, eds. Tel Aviv: Misrad Habitachon, 1986.
———. *Pegishot im Manhigim Arviyim* [Meetings with Arab leaders]. Tel Aviv: Am Oved, 1967. English translation: *My Talks with Arab Leaders.* Trans. Aryeh Rubinstein and Misha Louvish. Jerusalem: Keter, 1972.
———. *Yoman Hamilchamah* [The war of independence: Ben Gurion's diary]. 3 vols. Tel Aviv: Misrad Habitachon, 1982.
———. *Zikhronot* [Memoirs]. 6 vols. Tel Aviv: Am Oved, 1971–87.
Binder, Leonard, ed. *Politics in Lebanon.* New York: Wiley, 1966.
Brecher, Michael. *The Foreign Policy System of Israel.* New Haven: Yale University Press, 1972.
Caplan, Neil. *Futile Diplomacy.* 2 vols. London: Cass, 1983–86.
———. *Palestine Jewry and the Arab Question, 1917–1925.* London: Cass, 1978.
Cohen, Aharon. *Israel and the Arab World.* New York: Funk & Wagnalls, 1970.
Cohen, Michael J. *Palestine 1936–1945: Retreat from Mandate: The Making of British Policy 1936–1945.* New York: Holmes & Meier, 1978.
Crum, Bartley C. *Behind the Silken Curtain.* New York: Simon & Schuster, 1947.
Dayan, Moshe. *Avnai Derekh* [The story of my life]. Tel Aviv: Dvir, 1976.
Dayan, Shmuel. *Biyemai Chazon Umatzor* [In days of vision and siege]. Tel Aviv: Massada, 1953.
Dictionnaire de Biographie Francaise. Paris: Librairie Letouzey et Ane, 1961.
Elath, Eliahu. *Hama'avak al Hamedinah* [The battle for statehood]. Tel Aviv: Am Oved, 1982.
———. *Shivat Tzion Ve'arav* [Zionism and the Arabs]. Tel Aviv: Dvir, 1974.

Mandel, Neville J. *The Arabs and Zionism Before World War I.* Berkeley: University of California Press, 1976.
Mattar, Philip. *The Mufti of Jerusalem: Al-Hajj Amin al-Husayni and the Palestinian National Movement.* New York: Columbia University Press, 1988.
Moosa, Matti. *The Maronites in History.* Syracuse: Syracuse University Press, 1986.
Nisan, Mordechai. *Minorities in the Middle East.* Jefferson, NC: McFarland, 1991.
Owen, Roger, ed. *Essays on the Crisis in Lebanon.* London: Ithaca, 1976.
Pearlman, Moshe. *Ben-Gurion Looks Back in Talks with Moshe Pearlman.* New York: Simon & Schuster, 1965.
Perlmutter, Amos. *Israel: The Partitioned State.* New York: Charles Scribner's Sons, 1985.
Porath, Yehoshua. *The Emergence of the Palestinian Arab National Movement, 1918–1929.* London: Cass, 1974.
———. *The Palestinian Arab National Movement, 1929–1939.* London: Cass, 1977.
———. *Shelah ve'et Beyado* [The life of Uriel Shelah (Yonathan Ratosh)]. Tel Aviv: Machbarot Lesifrut, Zmora, 1989.
Rabinovich, Itamar. *The Road Not Taken: Early Arab-Israeli Negotiations.* Oxford: Oxford University Press, 1991.
———. *The War for Lebanon, 1970–1983.* Ithaca: Cornell University Press, 1984.
Rey, Alain, ed. *Dictionnaire Universel des Noms Propres.* Paris: Dictionnaires Le Robert, 1986.
Roshwald, Aviel. *Estranged Bedfellows: Britain and France in the Middle East During the Second World War.* New York: Oxford University Press, 1990.
Rubin, Barry. *The Arab States and the Palestine Conflict.* Syracuse: Syracuse University Press, 1981.
Sachar, Howard M. *A History of Israel.* 2 vols. New York and Oxford: Knopf and Oxford University Press, 1981–87.
Said, Amin. *Al-Thawra al-Arabiya al-Kubra* [The great Arab revolt]. Vol. 3. Cairo: Matba'a Issa al-Babi al-Halabi, 1934.
Salibi, Kamal S. *A House of Many Mansions: The History of Lebanon Reconsidered.* Berkeley: University of California Press, 1988.
———. *The Modern History of Lebanon.* New York: Praeger, 1965.
Sasson, Eliahu. *Baderekh el Hashalom* [On the road to peace]. Tel Aviv: Am Oved, 1978.
Sharett, Moshe. *Yoman Medini* [Political diary]. 5 vols. Tel Aviv: Am Oved, 1968–79.
Sheffer, Gabriel. *Resolution Versus Management of the Middle East Conflict: the Confrontation Between Ben-Gurion and Moshe Sharett.* Jerusalem: Magnes, 1980.
Sitton, David. *Kehilot Yehudai Sefarad Vehamizrach Ba'olam Beyamainu* [Jewish communities of Spain and the East in the world in our days]. Jerusalem: Ahva Cooperative, 1974.
Spears, Edward. *Fulfillment of a Mission: The Spears Mission to Syria and Lebanon, 1941–1944.* London: Cooper, 1977.
Stein, Kenneth. *The Land Question in Palestine, 1917–1939.* Chapel Hill: University of North Carolina, 1984.
Stillman, Norman A. *The Jews of Arab Lands in Modern Times.* Philadelphia: Jewish Publication Society, 1991.
Sykes, Christopher. *Crossroads to Israel, 1917–1948.* Bloomington: Indiana University Press, 1973.
Teveth, Shabtai. *Ben-Gurion and the Palestinian Arabs.* Oxford: Oxford University Press, 1985.
Tidhar, David. *Entziklopedia Lechalutzai Hayishuv Ubonav* [Encyclopedia of the Yishuv's pioneers and its builders]. 19 vols. Tel Aviv: Sifriyat Rishonim, 1947–71.
Weinberg, Moshe. *Yomano Shel Shlomo Kostika* [Shlomo Kostika's Diary]. Tel Aviv: Yad Tabenkin and Hakibbutz Hameuchad, 1989.
Weizmann, Chaim. *The Letters and Papers of Chaim Weizmann.* 23 vols. London and Jerusalem: Oxford University Press and Israel Universities Press, 1968–80.

———. *Trial and Error: The Autobiography of Chaim Weizmann.* New York: Harper & Brothers, 1949.
Wolecki, Eli, ed. *May'ah Siporai Aliyah* [One hundred aliyah stories]. Tel Aviv: Misrad Habitachon, 1987.
Yaniv, Avner. *Dilemmas of Security: Politics, Strategy, and the Israeli Experience in Lebanon.* Oxford: Oxford University Press, 1987.
Zamir, Meir. *The Formation of Modern Lebanon.* London: Croom Helm, 1985.
Zeine, Zeine N. *The Struggle for Arab Independence.* Beirut: Khayat's, 1960.

ARTICLES

Avramski-Bleiyi, Irit. "Yehudai Suriya Velevanon Takhat Shilton Vishi" [The Jews of Syria and Lebanon under Vichy rule]. *Pa'amim* 28 (1986): 131–57.
Bar-Ayal, Avi. "Gvulot Eretz Yisrael Batfisato Shel David Ben-Gurion" [David Ben-Gurion's Perception of the Borders of the Land of Israel]. *Kivunim* 21 (November 1983): 5–15.
Bar-Simon-Tov, Ya'acov. "Ben-Gurion and Sharett: Conflict Management and Great Power Constraints in Israeli Foreign Policy." *Middle Eastern Studies* 24 (July 1988): 330–56.
Black, Ian. "Zionism and the Arabs, 1936–1939." Ph.D. diss., University of London, 1978.
Caplan, Neil. "Negotiation and the Arab-Israel Conflict, 1918–1948." *Jerusalem Quarterly* 6 (Winter 1978): 3–19.
Caplan, Neil, and Ian Black. "Israel and Lebanon: Origins of a Relationship." *Jerusalem Quarterly* 27 (Spring 1983): 48–58.
"Defenders of the Middle East." *Economist.* 24 June 1950, pp. 1390–91.
Elath, Eliahu. "Hatziyonut Hafanikit Balevanon" [Phoenician Zionism in Lebanon]. *Cathedra* 35 (April 1985): 109–24. English translation: "Phoenician Zionism in Lebanon." *Jerusalem Quarterly* 42 (Spring 1987): 38–56.
Flinder, Alexander. "Is This Solomon's Seaport?" *Biblical Archeology Review* 15, no. 4 (July/August 1989): 30–43.
Gelber, Yoav. "Antecedents of the Jewish-Druze Alliance in Palestine." *Middle Eastern Studies* 28, no. 2 (April 1992): 352–73.
Haddad, William W. "Christian Arab Attitudes Towards the Arab-Israeli Conflict." *Muslim World* 67, no. 2 (April 1977): 127–45.
———. "The Christian Arab Press and the Palestine Question: A Case Study of Michel Chiha of Bayrut's *Le Jour.*" *Muslim World* 65, no. 2 (April 1975): 119–30.
Hourani, Albert. "Ideologies of the Mountain and the City." In *Essays on the Crisis in Lebanon,* ed. Roger Owen. London: Ithaca, 1976.
Katz, Joseph. "Tokhniyot Tziyoniyot Lerekhishat Karka'ot Balevanon Batchilat Hamay'ah Ha'esrim" [Zionist plans for purchasing properties in Lebanon in the early twentieth century]. *Cathedra* 35 (April 1985): 53–57.
Khalaf, Tewfik. "The Phalange and the Maronite Community: From Lebanonism to Maronitism." In *Essays on the Crisis in Lebanon,* ed. Roger Owen. London: Ithaca, 1976.
Kupperschmidt, Uri M. "Tmikhat Hapatriarch Hamaroni Arida Bayehudim Nirdafai Hanatzim" [The Maronite Patriarch Arida's support for Jews persecuted by the Nazis]. *Pa'amim* 29 (1986): 72–80.
Morris, Benny. "Israel and the Lebanese Phalange: The Birth of a Relationship, 1948–1951." *Studies in Zionism* 5, no. 1 (Spring 1984): 125–44.
———. "The Phalange Connection." *Jerusalem Post Magazine,* 1 July 1983, pp. 7–8.
Nachmani, Amikam. "Middle East Listening Post: Eliahu Sasson and the Israeli Legation in Turkey, 1949–1952." *Studies in Zionism* 6, no. 2 (Autumn 1985): 263–85.
Perry, Glenn E. "Israeli Involvement in Inter-Arab Politics." *International Journal of Islamic and Arabic Studies* 1, no. 1 (1984): 11–31.

نماذج من الرسائل المتبادلة

Podet, Allen H. "Husni al-Barazi on Arab Nationalism in Palestine." In *Zionism and Arabism in Palestine and Israel.* Elie Kedourie and Sylvia Haim, eds. London: Cass, 1982.
Shavit, Ya'akov. "Hebrews and Phoenicians: An Ancient Historical Image and Its Usage." *Studies in Zionism* 5, no. 2 (Autumn 1984): 157–80.
Shlaim, Avi. "Conflicting Approaches to Israel's Relations with the Arabs: Ben-Gurión and Sharett, 1953–1956." *Middle East Journal* 37, no. 2 (Spring 1983): 180–202.
Stoakes, Frank. "The Super Vigilantes: The Lebanese Kataeb Party as Builder, Surrogate, and Defender of the State." *Middle Eastern Studies* 11, no. 3 (October 1975): 215–36.
Zamir, Meir. "Emile Eddé and the Territorial Integrity of Lebanon." *Middle Eastern Studies* 14, no. 2 (May 1978): 232–35.
———. "Smaller and Greater Lebanon—the Squaring of a Circle?" *Jerusalem Quarterly* 23 (Spring 1982): 34–53.

بطريركية انطاكية وسائر المشرق المارونية
لبنان

البركة الرسولية تشمل حضرة ولدنا العزيز السيد توم مكرزل صاحب جريدة الهدى
المحترم

نبدي اننا قد رأينا من مصلحة طائفتنا المارونية أن
تتألف لجنة من ذوات الطائفة في المهجر للدفاع عن مصالحها لدى السلطات
الزمنية والروحية والمحافظة على استقلال لبنان ونفوذ المسيحيين فيه.
فنكلفكم بتأليف هذه اللجنة ومتى تم تأليفها نرغب اليكم ان تخبرونا عن
الاشخاص اصحاب الكفاءة الذين يصير انتدابهم لهذا المشروع لنصدق عليه.
وبانتظار جوابكم وموافقتكم على هذا المشروع نسأل الله ان يبارككم ويحسن توفيقكم.
عن المقر البطريركي الديمان في ٩ تموز ١٩٤٧
صح ان اصدقائنا جماعة اليهود مستعدون لتأييد. هذا
المشروع ماديا وادبيا فخابروا الوكالة اليهودية في واشنطون مديرها المستر
الياهو أبشتين

انطون عريضة
بطريرك انطاكية
وسائر المشرق

القدس في ٢١/ ٢/ ١- CZA
S25/7488

31

CZA S25/7488

حضرة الأخ المحترم

سلام واحترام وبعد، استلمنا رسالتكم المؤرخة في ١٨/٢ من بيروت. ونحمد الباري على وجودكم مع الوالدة الكريمة بصحة جيدة. نعلمكم أن أخانا الأكبر قد عاد بالسلامة، وهو يهديكم سلامه. وقد اطلع على كتابكم وعلى الحديث الذي كان لنا معكم إبان وجودكم بطرفنا. وقد طلب إلينا أن نكتب لكم ما يأتي:

١ - لا لزوم قطعياً لحضوركم إلى طرفنا، ومن الأوفق أن تظلوا إلى جانب والدتكم وتلاحظوا صحتها.

٢ - في الوقت الحاضر لا نستطيع بأي صورة أن نزيد المساعدة المخصصة لوالدتكم ونرجوكم ألا تلحوا علينا بهذا الخصوص.

٣ - لا نستطيع، مع الأسف، أن نقدم لكم أي سلفة على حساب مساعدتنا لوالدتكم، حيث أحوالنا المالية لا تسمح لنا بذلك، وليس من عادتنا أن نفعل ذلك.

إننا نعلم أن مساعدتنا الشهرية لا تصلكم في أوقاتها المحدودة، وأن هذا يسبب لكم بعض المضايقة، ولكن ما باليد حيلة إلا أن يفرجها الله. نرجو أن تقدروا موقفنا وتعذرونا، وختاماً نرجو لكم وللوالدة المحترمة الصحة الجيدة والعمر الطويل، وتفضلوا بقبول تحياتنا

المخلص
يوسف

98/ع

هاهو الموعد أزف

عزيزي

تحية وأشواقاً. عندما كنت بطرفكم طلبت اعطاء سلفة الى الوالدة تكفيها عدة شهور حتى لا تحتاج الى الحضور في كل وقت فاجبتم وطلبتم الانتظار حتى حضور شقيقكم الاكبر وها (اب) الموعد أزف للحضور وربما كان في اواخر هذا الشهر او في اوائل الشهر القادم

فارجو ان تكونوا هيأتم كل ما طلبته وان يدفع لنا السلفة الكافية ولنضيف مساعدتها الى الوالدة تكون اعم فائدة من (الذهاب والاياب في امور لا يطيقها فيها الانتقال)

وان لم يحضر الأخ الاكبر ارجو البحث منذ الآن مع الاشقاء الاكابر سناً وقدراً لتهيئة ما تريد عمله حتى اذا حضرت انهيت امري في ظرف يوم واحد لأني كما اسلفت لا اريد البقاء واود العودة لاكون على مقربة من الوالدة

هذا ودمتم للغاية وتفضلوا بقبول عظيم الاحترام

وديع
١٨/ ٣/ ٩٤٧

CZA
S25/7488

Perlhuis

2-9-86

الشيخ توفيق عواد
شارع بارثوي

طمنونا عن والدتنا
جبران

فعلناها
احضروا

ارجوا اعلام والدتنا اننا سنحضر
الى كندا
جبران

فعلناها
احضروا
للقدس في
كندا

البطريركية الانطاكية وسائر المشرق المارونية
لبنان

٢٩١١

البركة الرسولية تشمل حضرة ولدنا العزيز الشيخ نذر عيسى الخوري نائب جبيل في المجلس

لدى مقابلتنا فخامة ولدنا الشيخ بشارة الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية تحدثنا اليه بشأن مقاطعة فلسطين فاجابنا ان المقاطعة قد الغيت وعلمنا اليوم انه لم تزل قائمة نرغب اليكم ان تراجعوه بهذا الامر.

في ٩ تموز سنة ١٩٤٢

انطون عريضة
بطريرك انطاكية
وسائر المشرق

سري

سعادة السيد [illegible] ساندستروم المحترم

[illegible] Mubarak's UNSCOP letter

بعد التحية،

كنت في
في مساء ١٥/٦/١٩٤٧
بيت هاشم باشا [illegible] رئيس حزب [illegible] وكان معه
عبد الله باشا الشريدة والدكتور [illegible]
[illegible] حينما قال هاشم
كان انه ورد لي كتاب من الوكالة اليهودية
موقع باسماء [illegible] يدعي سعادته
الكتاب [illegible]
نفسي والنقطة التي [illegible]
الى فلسطين [illegible]
وذكرتم ان الصهيونية [illegible] في شرق الاردن
او تهدد البلاد العربية [illegible]
الصهيونية [illegible]
وانه [illegible] هذه الرسائل
وقد انفرد هاشم باشا [illegible]
ان يوجهوا لسعادتكم كتابا في هذه

الناحية [illegible]
يذكروا سعادتكم في الكتاب [illegible]
[illegible]
اليهودية الاخرى والصهيونية [illegible]
وما قالوه بمناسبات استقلال شرق
الاردن [illegible] لجنة التحقيق الدولية
والبرقية المرسلة الى هيئة الامم المتحدة
واني [illegible] الشعب الصهيوني
مع استقلال شرق الاردن [illegible]
وعد بلفور [illegible]
لسعادتكم [illegible] بالصحف
[illegible] سعادتكم
وبقصد [illegible]
في الصحف [illegible]
وتفضلوا [illegible]

سيدي

١٦/٦/١٩٤٧

يشكل كتاب «عدوّ عدوّي» أول دراسة جامعة للسياسة الصهيونية تجاه لبنان قبل إقامة دولة إسرائيل، وتشخّص لورا ايزنبرغ في هذه الدراسة المدركات الصهيونية الأولى لهذا البلد، وتتبصر في الجهود التي بُذلت لرسم سياسة صهيونية واضحة تجاهه، محللة طبيعة العلاقات الصهيونية - اللبنانية ومسارها قبل العام١٩٤٨.

وتبين هذه الدراسة ان الاهتمام الصهيوني بلبنان آنذاك، كان قوامه محاولات متكرّرة لإقامة تحالف سياسي بين المجتمع اليهودي في فلسطين والمجتمع الكاثوليكي الماروني في لبنان. وبالتدقيق في الجدل الصهيوني الداخلي بين دعاة السياسة المؤيدة للمسيحيين ومعارضيها، تتناول ايزنبرغ التعليلات الايديولوجية والسياسية والاقتصادية لإقامة شراكة صهيونية - مارونية، لتكشف النقاب عن مكامن الخلل في الافتراضات الصهيونية بشأن امكانية نجاح مثل هذه العلاقة.

لقد كان من الطبيعي للبنان، كبلد عربي ان يثير الفضول الصهيوني بالعدد الكبير من سكانه غير المسلمين الذين يحظون بالهيمنة السياسية. ثم إن العروض الودية، من الطائفة المارونية اللبنانية المهيمنة ، قد شجعت العديد من الصهيونيين في اعتقادهم بأن لبنان يمثل فرصاً خاصة لوضع حدّ لعزلتهم في المنطقة. كما ان تشابه الظروف التي كانت تعيشها هاتان الطائفتان مع أوائل الثلاثينات، أوحى للعديدين بأن الطائفة اليهودية والطائفة المارونية، اللتين تشكلان أقليتين في الشرق الأوسط المسلم بأغلبيته الساحقة، تلتقيان على أهداف مشتركة وخصوم مشتركين.

وكان للرغبة في ترجمة هذه الاهتمامات المشتركة الى مكاسب سياسية ذات شأن، ان دفعت بأفراد من كلا المعسكرين، الى اقتراح اقامة تحالف للأقليات. واستدعت هذه الاستراتيجية التي تعكس الحكمة السياسية المأثورة، القائلة بأن « عدوّ عدوّي صديقي»، استدعت تضافر اليهود الفلسطينيين والمسيحيين اللبنانيين وتنسيق مواردهم الاقتصادية والسياسية، لمواجهة المسلمين، اعدائهم المشتركين، وتحقيق تطلعاتهم القومية المتماثلة.

وتتوصل ايزنبرغ الى استنتاج مضمونه: أن مفهوم تحالف الأقليات، وإن كان من المنطقي للسياسة الخارجية الصهيونية العمل على استكشافه، إلا أنه كان سياسةً تقتضي الحكمة الامتناع عن انتهاجها. فالأوهام بامكانية قيام شراكة مارونية - صهيونية، التي استمرت طوال الفترة السابقة لإقامة اسرائيل، لم تنفع إلا كفرضية خاطئة لسياسة كانت، في محصّلتها، سياسة خاطئة.

إن هذا الكتاب، الذي يستند إلى ابحاث وثائقية واسعة النطاق، ومقابلات مع ديبلوماسيين سابقين، وإلى الصحف العبرية والعربية الصادرة في تلك الفترة، كتاب يسلط الضوء على تاريخ التفاعل الصهيوني - اللبناني الغني في مرحلة ما قبل العام ١٩٤٨، وعلى الجذور التاريخية للتورط الاسرائيلي المعاصر في لبنان .

والمؤلفة بكشفها النقاب عن الدوافع والنشاطات التي ميّزت المقاربة الصهيونية المتفائلة من لبنان، نجحت في استحضار مكانة لبنان في المخيّلة الصهيونية المبكّرة.

إن لورا ايزنبرغ، الحائزة شهادة الدكتوراه من جامعة ميتشيغان، هي عضو في الهيئة التعليمية بمعهد الدراسات العليا للشؤون العامة والدولية، في جامعة بتسبرغ، ومحاضرة في دائرة التاريخ في جامعة كارنجي ميلون.